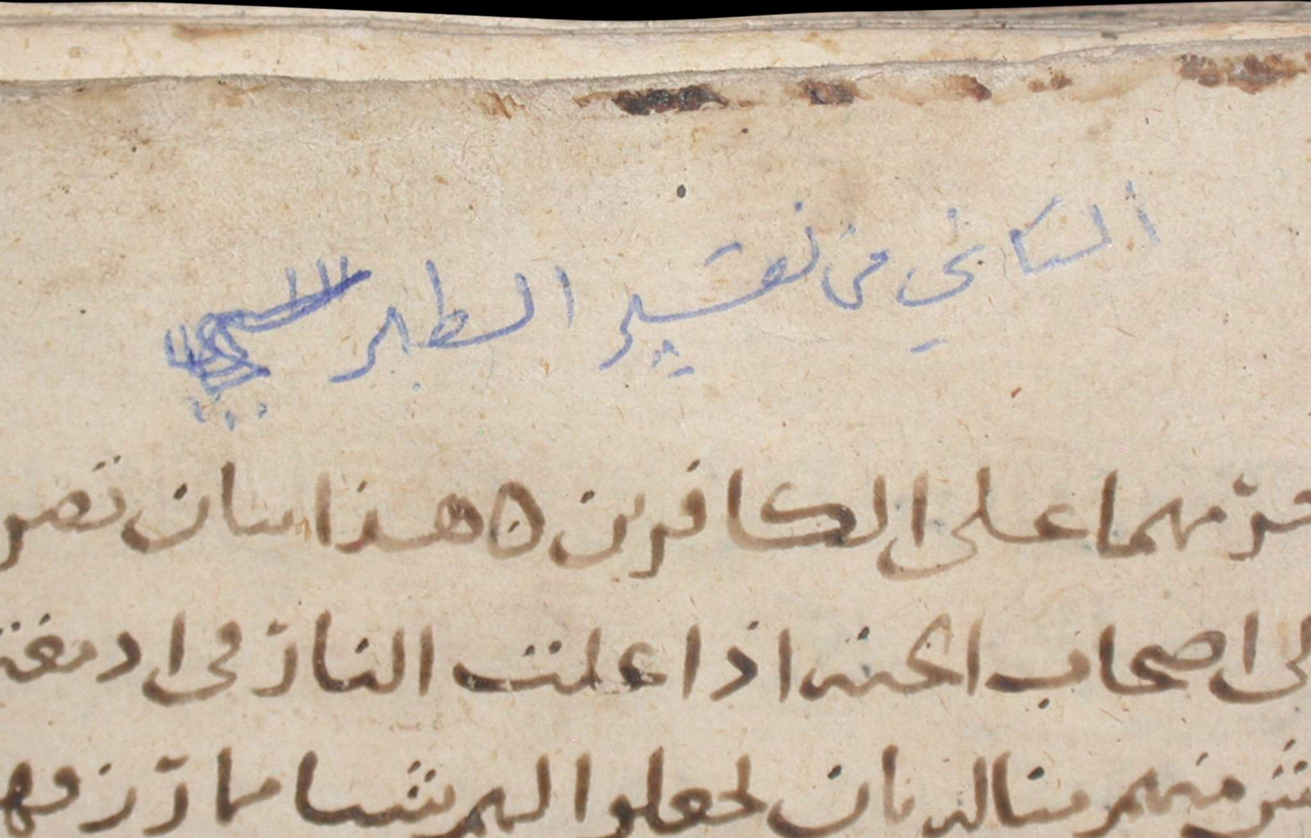


الثاني في تفسير الطبري

حرمهما على الكافرين ٥ هذا اسان تصر

لى اصحاب الجنة اذا علمت النار الى ادفع

شرهم منها لسالهم بان لجعلوا اليهم شيا مما رزقهم

وكنا عاملين بما اتوناه وبين ان القران ذلك الوجه وشفا للمومنين
فخص المومنين بالذكر وان كان ذلك لجميع المكلفين مدحًا
لهم على تمسكهم وانتفاعهم به دون غيرهم وموضع هدى من الاعراب
يحتمل النصب من وجهين الحال والمفعول له ويحتمل الجر على البدل
ويحتمل الرفع على الاستيناف وقوله جل اسمه هل ينظرون الا تاويله
النظر الانتظار ها هنا وتاويله ما يؤول اليه الشي وحاله ومعناه ما
ينتظرون الا تاويله وهو عاقبته من الجزا ٥ وقيل ما وعدوا به من
البعث والنشور والحساب والعقاب انما نسب الانتظار اليهم وان
كانوا جاحدين لانهم بمنزلة المنتظر للشي فيما يستمر ذلك لا محالة بمنزلة
المنتظر له وقوله جل اسمه يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من
قبل قد جات رسل ربنا بالحق ٥ معناه اذا جاتهم الساعة يقول عند
ذلك الذين اعرضوا عنه وتركوا العمل به قد جات الرسل من قبل الله
بالحق واقروا بما كانوا يجحدون له في دار الدنيا فاعترفوا بالحق حين
لم ينفع الاعتراف والحق هو ما يشهد بصحته الحق وقوله جل اسمه
فهل لنا من شفعا فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ٥
معناه اذا شاهدوا العذاب تمنوا الشفيع او الرد الى دار
الدنيا ليعملوا ما كانوا لم يعملوا به من طاعة الله وقد بين
الحال في هذا الباب ما ساعده وارتفع او نرد عطفا على تاويل
هل يشفع لنا شافع او نرد الى دار الدنيا وفي هذه الاية حجة على
المجبرة في قولهم ان الكافر لا يقدر على الايمان لانهم لو كانوا
جاحدين في الدنيا غير قادرين على الايمان لكانوا تمنوا
الرجعة ليعملوا ما لم يقدروا عليه وفي هذا ايضا حجة على

المجبرة منهم في قولهم بتكليف اهل الاخرة وقوله جل اسمه
قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ٥ قد مر بيان
نظيره في غير موضع ٥ وقوله جل اسمه ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ٥ معناه ان
مالككم وسيدكم هو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش معناه دبرها لضرب من الحكمة
والمصلحة وان كان قادرا على خلقها في اسرع من لمحة وقيل
ذلك في الايام يوم الجمعة ووجه الحكمة في خلقها في ستة ايام
شيئا بعد شي لاعتبار الملائكة عليهم السلام لان الله تعالى
علم ان اعتبارهم يكون اتم واكمل اذا شاهدوا حدوث شي بعد
شي من ان يشاهدوا وجود شي دفعة واحدة ٥ وقيل
خلق شيا بعد شي لان تدبير الحوادث على انشا شي بعد شي
ادل على عالم مدبر يصرفه على اختياره ٥ ومعنى ثم استوى
على العرش بانه مستول عليه فيما وقع ٥ وقيل انه مستول
على العرش لانه لم يكن عرشا قبل وجوده والاستوا الاستيلا
ها هنا لان الاستوا هو الذي هو نقيض الاعوجاج لا يجوز على
الله تعالى وقد بينت وجوه الاستوا في اللغة محلا وفي سورة البقرة
ولا وجه لاعادتها ها هنا وقوله جل اسمه يغشي الليل النهار
يطلبه حثيثا ٥ الغشي والاغشا الباس الشي ما يغطيه ويجلله
والحث الاسراع ٥ ومعناه ان الله تعالى جعل الليل لباسا
للنهار وغطيه ويطلب الليل النهار مسرعا ٥ وقيل حثيثا
مستمرا على منهاج من غير فتور يوجب الاضطراب كما يكون

في السوق الحثيث وطلب الليل النهار حثيثا على التقدير قدرة الله
وقوله جل اسمه والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ٥ معناه
خلق الشمس والقمر والنجوم وجعلها مسخرات لانه سخرها في مجاريها
على تقدير وبيان ذلك قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا
هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ٥ وقوله جل اسمه
الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ٥ له الخلق بذلك
على ما هو عليه من الصفة من كونه قادرا عالما مدبرا حكيما وفصل
بين الخلق والامر لانه يعيد ما لا يعيده ذكر الخلق كانه قال له
الخلق وله ان يامر فيه بما احب ٥ ومعنى تبارك تعالى
بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبات فكانه
ثبات الدوام وقد بين الله تعالى طريق وحدانيته والالهية
بذكر اوصافه الدالة عليه دون الاقتصار على ذكر اسمه
لان الاقتصار على الاسم من طريقة اهل الباطل كما بينه الله
تعالى لعبدة الاوثان حين سموا الاصنام آلهة وكانت معرية عن
صفات الالهية فقال ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله
بها من سلطان الآية ٥ فاذا اقتضت الحكمة بيان الالهية بذكر
الاوصاف وجب في النبوة كذلك حتى ان من ادعى النبوة وتعرى عن
صفتها كان مبطلا وكذلك من ادعى الامامة وخلا عن اوصافها
وشرايطها كان صاحبها [illegible] مقتصرا على الاسم دون الصفة
والاقتصار على الاسماء من طريقة اهل الباطل كما بينه الله تعالى

وقوله جل اسمه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا
وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين ٥ نهى الله تعالى عباده
عن الافساد في الارض بقتل المؤمنين والاعتداء عليهم وما يجري
في الارض بمعاصي الله واصلاحها العمل بطاعة الله وامرهم بان
يدعوه خوفا وطمعا في الثواب وبين ان رحمته قريبة من المحسنين
والمراد به ان انعامه قريب من المحسنين فلذلك لم يؤنث لفظ
قريب ٥ واصل الرحمة النعمة كما يسمى ولي الكتاب ودلت الآية
على بطلان قول من قال من المرجئة ان الله تعالى يرحم الفاسق
والفاجر لان الله تعالى فرق بين المحسن والفاسق غير تائب فلا
يكون محسنا وقوله جل اسمه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته ٥ معناه هو ان الله تعالى هو الذي يرسل الرياح قدام رحمته
يعني المطر فسماه رحمة لانه نعمة والنشر الرياح الطيبة اللينة التي
تنشر السحاب ٥ ولما اطلقت الرياح بحمل البشارة بالغيث كانها
قد ارسلت والنشر بالضم يحتمل ان يكون نشورا كسكون وسكن
ويحتمل ان يكون مصدرا كالضعف ٥ ومنهم من يثقله كالحمر لعف
ومنهم من يخففه وقوله جل اسمه حتى اذا اقلت سحابا ثقالا ٥ معناه
حتى اذا اقلت الرياح السحاب الثقال بالمطر واصل الاقلال حمل الشيء باسره
حتى يقل ذلك في طاقة الحامل له لقوته وقوله جل اسمه سقناه لبلد
ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات ٥ معناه سقنا
السحاب الى بلد ميت وموت البلد دروس فوائده ومشارده حتى
يحدث الجدب به وتتابع في سورة البقرة معنى اخراج النبات
من الارض بالمطر وقوله جل اسمه كذلك نخرج الموتى ٥ اي نخرج من

بطن الارض فيحشرهم الى موقف القيمة فشبه احيا الموتى باخراج
النبات من الارض الجدبة شبهها على من قدر على اخراج النبات
من الارض احيا فتذكروا ولا تعتقدوا **وقوله جل اسمه** والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا
معناه ان الارض العذبة التربة تخرج الثمرة الطيبة والطيب هو ما فيه
اسباب للبلد والارض السبخة المالحة ينزع البركة منها ولا
يخرج النبات منها الطيب والحبوب النافعة واصل النكد العسر
وقيل هو القليل الذي لا ينتفع به وهذا مثل ضربه الله تعالى للمومن
والكافر بالارض العذبة والارض السبخة **وقوله جل اسمه** كذلك
نصرف الايات لقوم يشكرون نعمة يحمل الشاكرين
مدحا وان كان تصريف الايات للجميع وقد مر شان نظايره
وقوله جل اسمه لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اخبر الله
تعالى انه ارسل نوحا عليه السلم الى قومه بالرسالة وان نوحا
عليه السلم ادا الرسالة وقال لقومه يا قوم اخلصوا العبادة
لله وحده لا شريك له فانه لا اله لكم سواه وقال اني اخاف
عليكم عذاب يوم القيامة ان عصيتموني وخالفتم امري **وقوله**
جل اسمه قال الملا من قومه انا لنراك في ضلال مبين اصل
الملا الجماعة من الرجال خاصة وقيل الملا الاشراف والروسا
والضلال هاهنا هو الذهاب عن الصواب الى الخطا ومعنى نرى
هاهنا قيل هو من روية القلب التي هي العلم ومعناه نعلمك
ضالا وقيل من الراي هو غالب الظن معناه نغلب على ظننا

انك ضال وقيل هو من روية العين وكانهم قالوا انا نرى ابصارنا
على هذه الحالة فنسبوا ابن عمهم نبي الله نوحا عليه السلم الى الضلال
جهلا **وقوله جل اسمه** قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب
العالمين من الله تعالى بما اجاب به نوح عليه السلم قومه لما قالوا
له ما حكى الله وهو انه قال لهم يا قوم ليس بي ضلالة وانما
انا رسول الله اليكم ورسول الله لا يكون ضالا وحسن ان يقال ليس
بي ضلالة لان هذا اللفظ يتضمن معنى عرض اي ما عرض لي ضلالة
وهو كما يقال به جنة وحذفت النون من لكني لاجتماع النونات ويجوز
اثباتها على الاصل ومن هاهنا ابتدا الغايب لان الله تعالى ابتدا
بالرسالة **وقوله جل اسمه** ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم
من الله ما لا تعلمون معناه ان نوحا عليه السلم قال لهم اني
رسول الله اليكم وانا ابلغكم رسالات الله وانصح لكم واعلم من الله
ما لا تعلمون وما لا علم لكم به وجمعت الرسالة في هذه الاية ووحدت
في موضع اخر لان لفظ الرسالة يستعمل تارة بالتفصيل وتارة بالجملة
على حسب المصلحة في ذكره فلما دعا قومه صلى الله عليه الى عبادة
الله وطاعته واجتناب محارمه والعمل بتفاصيل الشرع كان
هذا تفصيل رسالات الله تعالى وفي قوله واعلم من الله ما لا
تعلمون حث لهم على طلب العلم من جهته وتحذير من مخالفته لما تعلمون من
العذاب في القيامة والعقاب **وقوله جل اسمه** او عجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون
قيل فتح الواو في قوله او عجبتم لانها واو العطف دخل عليها الف
الاستفهام والكلام مستانف من وجه ومتصل من وجه ودخل

على هذا الاستفهام معنى التقريع فهو انكار وتقريع وقام
على هاهنا مقام مع وكانه عليه السلام قال لهم على سبيل
التقريع او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم مع رجل منكم ليخوفكم من
عقاب الله ولكي يتقوا المعاصي ويرحمكم الله وينعم عليكم وهذا
كما يقال جائني خبر على وجهه ومع وجهه وقيل الادخلت في
هذا الكلام ليزيد معنى منزل بتقدير او عجبتم ان جاءكم منزل
على رجل منكم وفي هذه الاية حجة على المجبرة في قولهم ان الله تعالى
لم يرد منهم التقوى والايمان والله تعالى يقول في هذه الاية خلاف
زعمهم وقوله جل اسمه وكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك
معناه ان قوم نوح عليه السلم كذبوه فيما ادى اليهم من الرسالة
فانجيناه ومن امن معه واخذنا المكذبين العذاب الشديد وهذا
حين اذن الله نوحا عليه السلم في الدعا على قومه وامره
باصلاح السفينة ليدخلها هو ومن امن به واغرق الباقين
بالطوفان وهو معنى قوله تعالى واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم
كانوا قوما عمين عن الحق وقوله جل اسمه والى عاد اخاهم هودا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون معناه
وارسلنا الى قبيلة عاد اخاهم هودا عليه السلم وانتصب اخاهم
بارسلنا ويجوز في اللغة في مثله الرفع على تقدير والى عاد اخوهم
هود مرسل وصرف هود لخفة اللفظ وبين ان هودا عليه السلم
قال لعاد اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا فانه لا
اله لكم سواه وقال لهم على وجه الانكار والتقريع افلا
تتقون عذابه باجتناب الكفر والمعاصي ما الالف في قوله

افلا الف انكار وقوله جل اسمه قال الملا الذين كفروا من
قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ان الله
تعالى بين ما قال قوم هود له في الجواب فقالوا انا لنراك في سفاهة ونظنك
كاذبا فيما تقوله وتدعيه وانما قالوا لنظنك لم يقولوا لنعلمك
لانهم لو قالوا نعلم لكان حكمهم حكم من اخبر عن غائب لا يعلم وهو
منهم في الخبر وقيل كان تكذيبهم اياه على الظن لا على اليقين
وقيل ان الظن على الظن ومعناه العلم الا انهم ادعوا انهم يعلمون انه
كاذب لعنهم الله وقوله جل اسمه قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول
من رب العالمين اجابهم هود عليه السلم جواب الحكما الكرما
بان قال لست بسفيه ولكني رسول الله اليكم فاستدرك هاهنا
بلفظ لكن لان فيه معنى ما دعاني الى امركم السفه ولكن دعاني اليه اني
رسول من رب العالمين وقوله جل اسمه ابلغكم رسالات ربي وانا لكم
ناصح امين معناه اودي ما امرني الله بادايه اليكم وانا لكم ناصح غير خاين
وقوله جل اسمه او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم قد مر بيان مثله في هذه السورة ولا وجه لاعادته
وقوله جل اسمه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح
وزادكم في الخلق بسطة معناه واذكروا اذ جعلكم الله
سكان الارض من بعد قوم نوح وجعل تركيب اجسامكم اوفر
واعظم وقوله جل اسمه فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون
ومعناه فاذكروا نعم الله لتحوزوا بها الثواب واشكروه لتظفروا
بما تطلبونه من عند الله فهو حث على الشكر لله بالنعم لعل
لهم الثواب وقوله جل اسمه قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر

ما كان يعبد اباونا ٥ معناه ان قومه قالوا له على وجه الانكار
والتكذيب لِمَ جئتنا تدعونا الى عبادة الله وحده وتنهانا عن
عبادة الاوثان التي كان يعبدها اباونا وقوله جل اسمه فأتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين ٥ هذا ايضا تكذيب له فيما توعدهم
به من العذاب لانهم استعجلوا نزول العذاب بهم فلو كانوا مصدقين
له لما استعجلوا به وانما قالوه على وجه الانكار والاستبعاد لما يقوله
وقوله جل اسمه قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ٥ معناه
وجب عليكم الرجس والغضب من الله والرجس العذاب هاهنا ٥
وقوله جل اسمه اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما
انزل الله بها من سلطان ٥ معناه قال لهم هود على وجه التقريع
اتجادلونني في اسماء سميتم الاصنام بها ولم ينزل الله بذلك حجة
وبرهانا وقوله جل اسمه فانتظروا اني معكم من المنتظرين ٥ قال هو
على التهديد بالعذاب والتحذير عنه انتظروا نزول العذاب بكم
فانا منتظر لذلك وقوله جل اسمه فانجيناه والذين معه برحمة
منا ولما نزل العذاب بقوم هود انجينا منه هودا والذين امنوا به
انعاما عليهم ورحمة وقوله جل اسمه وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا
وما كانوا مؤمنين ٥ معنى والذين كذبوا باياتنا ولم يكونوا مؤمنين
استاصلناهم عن اخرهم فاهلكناهم بالعذاب النازل بهم ونفى
الايمان عنهم زيادة لهم في الذم لانه معلوم ان المكذب بالايات
لا يكون مومنا وقوله جل اسمه والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ٥ معناه وارسلنا الى ثمود اخاهم

صالحا وهذه الاخوة اخوة النسب لا اخوة السبب التي تكون من جهة
الديانة كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة ليس صالحا عليه السلام
مقصودا وقومه كانوا كفارا فعلى هذا الوجه قال
امير المؤمنين علي عليه السلام في القوم الذين قاتلوه بصفين اخواننا
بغوا علينا فلم يرد به اخوة الاسلام والديانة لان الباغي والمحارب
للمسلمين وامامهم لا يكون اخاهم في الدين وانما قال ذلك لانهم
كانوا من العرب فكانت الانساب متصلة والاسباب منقطعة
وفي غيره بالنصب اوجه من الاعراب الجر على اللفظ والرفع على الموضع
والنصب على الحال واجاز بعض النحاة الفتح على البناء والنكرة
غيره وقوله جل اسمه قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة
الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم
عذاب اليم ٥ معناه ان صالحا عليه السلام قد جاءتكم من الله دلالة
ظاهرة واية بينة وتلك الاية الناقة اخرجها من الجبل فامرهم
بتركها تاكل في ارض الله ونهاهم عن ان ينالوها بسوء وان يؤذوا
لها واخبرهم بانهم ان فعلوا شيئا من ذلك نزل بهم عذاب
اليم ٥ والاية التي كانت في الناقة خروجها من الحجر
تمخضت بها كما تمخض المراة ثم انفلقت الصخرة عنها
على الوجه الذي كانوا طلبوها من نبيهم عليه السلام وكان
الما الذي لهم مقسوما بينهم كان تشرب يوما للناقة وتشرب
الناقة ذلك اليوم ما الوادي كله حتى لا يبقى لهم شي وتسقيهم
اللبن بدله ٥ وكان ذلك ايضا من اعظم الايات في اليوم
الذي كان يخصهم لا تشرب فيه الناقة ماءهم وقوله جل اسمه

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض
ذكرهم صالح عليه السلام بما انعم الله عليهم منها ان الله
جعلهم سكان الارض من بعد اهلاك عاد قوم هود عليه
السلام ومعنى بواكم مكنكم من منازل تاوون اليها وقوله
جل اسمه تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا
بان اعطاكم من القدرة ما تمكنتم معها نحت الجبال ونقبها
وقوله جل اسمه فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
معناه فاذكروا نعم الله عليكم بالشكر له ولا تسعوا في الارض
بالفساد في الارض وقوله جل اسمه قال الملأ الذين استكبروا
من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل
من ربه معناه قال الذين كفروا من قوم صالح للذين آمنوا
بالله ونبيه صالح وكانوا مستضعفين في ايدي اولئك الكفار
المستكبرين اتعلمون ان صالحا رسول الله ارسله اليكم وكانوا
قالوا هذا على وجه الانكار والاستبعاد وقوله جل اسمه قالوا
انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم
به كافرون معناه اجابهم المستضعفون بانا آمنا بصالح
عليه السلام واقررنا بما جاء به من عند الله انه صدق وحق فقال
لهم الكافرون المستكبرون انا كفرنا بما آمنتم به وقوله جل اسمه
فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم اصل العقر الجرح الذي ياتي على
اصل النفس والعتو التجاوز عن الحد ومعناه لما كفروا وكذبوا
صالحا قصدوا الناقة فعقروها وخالفوا امر الله فيها على وجه
التمادي وهو معنى العتو وقوله جل اسمه وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا

ان كنت من الصادقين معناه ما توعدنا صالح عليه السلام من نزول العذاب
اذا عقروا الناقة واستعجلوا نزوله انكارا له وتكذيبا به بان قالوا
له ان كنت رسول الله فاتنا بالعذاب الذي توعدنا به ونحن قد فعلنا ما وعدتنا عليه
وقوله جل اسمه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين اصل الرجفة حركة القرار
والمرجحة بشدة الزعزعة وكانت الرجفة التي اخذتهم الصيحة خارجة عن العادة وقيل
هي نار هلكوا بها ومعنى جاثمين باركين على ركبهم موتى وصاروا بهذه الصفة
بعد اخذ الرجفة لهم وانما وحد لفظ الدار لان المراد بها البلد ومعناه فاصبحوا
في بلدهم جاثمين وقيل وحد على طريق الجنس والمراد الدور وهو مثل قوله عز وجل
والعصر ان الانسان لفي خسر وقوله جل اسمه فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين معناه فاعرض نبي الله
صالح عليه السلام عنهم لما يئس منهم بعد ان اقبل الى دعائهم الى توحيد الله
وطاعته وقال لهم قد نصحت لكم وانكم لا تحبون الناصحين لكم
وانما لم تحبوا لانه كان ينهاهم عما فيه هلاكهم وقوله جل اسمه
ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من
العالمين معناه وارسلنا لوطا انتصب لوطا بارسلنا وقيل
انتصب على معنى واذكر لوطا ولا يجوز في عاد وثمود الا ارسلنا من
اجل ذكر لفظ الى في قوله والى عاد والى ثمود فمعناه وارسلنا
لوطا الى قومه فقال لهم على وجه الانكار والذم والتوبيخ اتاتون
الفاحشة التي لم يسبقكم اليها احد من العالمين معناه وارسلنا
لوطا ينهى عن الفاحشة وهي ههنا اتيان الذكران في ادبارهم
ودل قوله ما سبقكم بها على انهم احدثوا ذلك ولوط اسم اعجمي
عند بعضهم وقوله جل اسمه انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء

بل انتم قوم مسرفون ٥ معناه ان لوطا عليه السلم انكر عليهم فعلهم وهو
اتيانهم الذكران دون النسا وورد في القصة انهم كانوا
ينكحون في الادبار الا الغربا ولا ينكح بعضهم بعضا ثم قال لهم
بل انتم قوم مسرفون في الفعل بل ها هنا مع اجتماع الصنفين من اتيان
الرجال والاسراف لانه اضراب عن الاولى التي جمعت المعايب
من اتيان الذكران وعبادة الاوثان وترك ما قام به البرهان ٥
وقد يجوز ان يكون تقديره بل انتم افكم لا تعقلون وقوله جل اسمه
وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس
يتطهرون ٥ معناه لم يكن جواب قوم لوط عليه السلم الا قول بعضهم
لبعض اخرجوهم يعنون لوطا ومن تابعه فانهم يتطهرون عن اتيان
الرجال يعابونهم بالذي لهم فيه المدح والثنا ٥ وقيل معنى يتطهرون
يتنزهون عن اعمال الكفرة ٥ وانتصب جواب لانه وقع الاسم موقع
الايجاب بعد الا وذلك ان ما قبلها اذا كان ايجابا كان
ما بعدها نفيا واذا ما كان قبلها نفي كان ما بعدها ايجابا ٥٥
وقوله جل اسمه فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين ٥
معناه فانجينا لوطا ومن تابعه على دينه من قومه وامته من
العذاب النازل بقومه الا امراته كانت من الغابرين فانها لم
تتخلص من العذاب لحمقها ٥ ومعنى الغابرين الباقين ٥ وقيل كانت
من الغاسين من النجاة وقوله جل اسمه وامطرنا عليهم مطرا فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين ٥ معناه وامطرنا عليهم الحجارة
فاهلكناهم بها وصفة تلك الحجارة مضمنة في قوله تعالى
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما

الى ان اعتبار بعاقبة امرهم بقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
وفيه الزجر عن مثل فعلهم وقوله جل اسمه والى مدين اخاهم شعيبا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ٥ اي وارسلنا شعيبا
الى مدين فقال يا قوم اعبدوا الله وحده فانه لا اله لكم غيره ٥
ومدين لا ينصرف لانه معرف في حال معرفة ٥ وقيل اصله مداين
بن ابرهيم وهو من ولده وقيل لا ينصرف لانه اسم القبيلة وهو معرفة
وقيل يجوز ان يكون اعجميا وقوله جل اسمه قد جاتكم بينة من ربكم
فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياهم ٥ ومعناه قال
لهم شعيب يا قوم قد جاتكم من عند ربكم دلالة بينة وهي معجزة
عليه السلم وامرهم بايفا الكيل والوزن ونهاهم عن بخس حقوق
الناس في الكيل والوزن وعن ذلك وقوله جل اسمه ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين ٥ معناه
ولا تخرجوا الى العمل في الارض بالقبايح بعد اصلاحها بعد ان
اصلحها الله بالمحاسن فان ترك الفساد انفع لكم واصلح ان كنتم
مومنين بالله ورسوله وقوله جل اسمه ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا
وتبغونها عوجا ٥ ورد في القصة انهم كانوا يقعدون
على طريق من قصد شعيبا عليه السلم للايمان به فيخوفونه بالقتل
فنهاهم الله عن ذلك ٥ قيل وكانوا يقطعون الطريق على
الناس فنهاهم الله عنه وعما كانوا يفعلونه مع الناس من صدهم
عن دين الله وكانوا يطلبون بذلك العوج وهو نقيض الاستقامة
في الدين وقوله جل اسمه واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم

وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ٥ معناه واذكروا
نعمة الله عليكم بان كثر عددكم ٥ وقيل كثركم بالغنا بعد الفقر
وقيل بالقوة بعد الضعف وان كانوا قليلا ضعفا كان ذلك
بمنزلة القلة ٥ وفي قوله تعالى فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين تحذير
لهم عن المعاصي لئلا ينزل بهم ما نزل باولئك من قوله وانظروا كيف
كان فعلنا بهم وكيف ابتاصلناهم بمعصيتهم هذا التحذير والزجر
والوعيد وقوله جل اسمه وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به
وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ٥ هذا
تسلية من شعيب صلى الله عليه لقومه والذين امنوا معه عما كان من
المخالفة من مشركي قومه ومناصبة العداوة فقال لهم ان امن طائفة
من قومي بالله وبما ارسلني به وكفر طائفة فعليكم ايها المؤمنون بالصبر
الى ان يحكم الله تعالى بيننا ويميز بالخيار [?] ما وعد فيهم فانه لقد
خير الحاكمين وقوله جل اسمه قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا ٥ معناه
قال الذين امتنعوا من اتباع الحق لشعيب عليه السلام انفة وتكبرا
ان لم ترجع انت ومن تبعك الى ملتنا اخرجناك واياهم من قريتنا
وارضنا يهددونه بذلك جهلا بالحق وبغضا له ٥ وانما قالوا لتعودن
وان لم يكن قط شعيب على ملتهم لان الذين امنوا بشعيب كانوا من قبل
على تلك الملة فجرى الذكر فيه على التغليب لكثرة الجماعة ٥ وقيل
قالوا ذلك على الظن والتوهم انه كان من قبل على دين قومه ٥ وقيل
جائز في اللغة ان يقال عاد على فلان من فلان مكروه وان لم
يسبق اليه منه مكروه والمراد به لحقه منه مكروه ٥ وتقديره

انه قد كان ذلك في قصده له قال الشاعر
لئن كانت الايام احسن مرة الي لقد عادت لهن ذنوب
والملة الديانة التي تجمع على العمل بها فرقة عظيمة والاصل فيه تكرر
الامر من قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه ٥ وقيل اصل الملة
من الاملال وهو الاملاء من جهة صاحب الشرع وقوله جل اسمه
قال او لو كنا كارهين ٥ معناه فاجابهم شعيب عليه السلام
بانا كارهون لما ترومونه منا ولا نطاوعكم فيه ابدا وقوله تعالى
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
الافترا الاختلاق ٥ ومعناه لو كنا على دينكم لكنا
كاذبين على الله ومعنى نجانا الله منها لطف لنا حتى تجنبناها
ولم نخترها ولم نتدين بها وقوله جل اسمه وما يكون لنا ان نعود فيها
الا ان يشا الله ربنا ٥ معنى ذلك انه قد كان في ملتهم ما يجوز
ان يتعبد الله به وان كان في ملتهم عبادة الاوثان ٥ والله لا يشاها
ولا يجوز ان يشاها اصلا بوجه من الوجوه فوقعت المشية على ما
يجوز ان يرد التعبد من الله به دون ما لا يجوز التعبد به فكانه
قال ليس لنا ان نعود في شي من ملتكم الا ان يتعبدنا الله بمثل شي
منها مما لم يحظر التعبد به وقد ذكر ذلك على وجه التبعيد كما
قال لا يكون هذا حتى يشيب الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط
ومعناه انه بعيد ان يشا الله ذلك فاذا لم يفعل لم يجز التمسك به
والاحتيال له والتدين به وقوله جل اسمه وسع ربنا كل شي علما
على الله توكلنا ٥ معناه ان الله تعالى عالم بكل شي ولا معلوم الا ويجب
ان يكون معلوما لله وعالما بمصالح عباده ونحن متوكلون على الله

متابعون مرة لا نفعل الا ما يشاء ويحبه ويرضاه ووجه
اتصال قوله وسع ربنا كل شيء علما بما قبله على تقدير ان الله
لو تعبدنا بذلك لتعبد به على حسب ما في معلومه من مصلحة العباد
وقيل اتصال به على معنى ان الله عالم بما يكون منا من عود وترك
دنوسا وقوله جل اسمه ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت
خير الفاتحين هذه حكاية دعا شعيب عليه السلام الله تعالى
بان يحكم بينه وبين قومه بالحق فانه خير الفاتحين ومعنى قوله بالحق
سؤال الله تعالى ان يفعل ما يجوز لله فعله وقيل بالحق اظهار
ما يكشف لنا الفتنة انا على الحق ومعنى الفاتحين الحاكمين يقال فتح
اذا حكم وقوله جل اسمه وقال الملأ الذين كفروا من قومه
لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون اللام التي في قوله لئن لام القسم
لانها دخلت على الفعل واللام التي في قوله لخاسرون لام الابتداء
معناه وقال الكبار من كهان قوم شعيب للاصاغر منهم لئن اتبعتم
شعيبا فيما يدعوكم اليه وقيل منهم بما يقوله لخسرتم وهلكتم فمن
الله تعالى للعباد عظيم جهلهم بما حكى عنهم وقوله جل اسمه فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين معناه فلما استحقوا العذاب
بكفرهم ومخالفتهم شعيبا عليه السلام انزلنا العذاب بهم فاخذتهم
الرجفة وقد مر بيانها في هذه السورة فلا وجه لاعادتها ها هنا
وقوله جل اسمه الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها معنى غني
بالمكان اذا اقام به ومعناه ان الذين كذبوا نبي الله شعيبا عليه السلام
استاصلهم الله بالعذاب حتى كانهم لم يغنوا في تلك الديار اقامة
مستغن بها عن غيرها ووجه التشبيه في قوله كان حال المكدس

بسبب حال من لم يكن قط في تلك الديار لما اخذتهم الرجفة بالاهلاك
وهذا انما يحسن عليه التابر اعظم الحسرة المرتالي قول القايل حيث
يقول العايد كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
وقول الآخر هم فانهم لم يجاوروكم ولم يعرفهم والوصال يوتلف
والصب والدار جامعة والعيش غض والرسل تختلف
وقوله جل اسمه الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين قيل
اعيد ذكر المكذبين لشعيب تغليظا للامر والشان في تكذيبهم
وقوله جل اسمه فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين معناه فاعرض
عنهم شعيب بعد الياس من ايمانهم بعد ان قبل عليهم بالدعوة والموعظة
الجميلة الحسنة وعزى نفسه عنهم بقوله فكيف آسى على قوم كافرين
معناه فكيف احزن على الكفار والمستحقين لعذاب الله وحسن قوله لمن
هلك لقد ابلغتكم رسالات ربي لانا نزل بهم البلا وان كان غطيا فلقد
كان خطابهم على التعنيهم وقوله جل اسمه وما ارسلنا في قرية من نبي
الا اخذنا اهلها بالباسا والضرا لعلهم يضرعون قيل معنى الباسا
ها هنا ما نالهم من الشدة في انفسهم وقيل الباسا الجوع والضرا
البلا والامراض والشدايد وقيل الضرا الجوع من الله تعالى
ان اخبار من الله تعالى على هذه الصفة التي بها العادة سنة
جارية في امر كل نبي اذا كفر واوجحد قومه ومعنى لعلهم يضرعون
لكي يتضرعوا ويتوبوا عن التمادي في الضلال وقيل عاملناهم معاملة الشاك
في ايراد اسباب التضرع مظاهرة عليهم في الحجة وقوله جل اسمه
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا معناه ها هنا بدلنا

مكان الشدة الرخاء حتى عفوا معناه حتى كثروا والاصل في عفا
الترك ٥ ومعناه تركوا حتى كثروا وقيل معنى عفوا سمنوا وقوله جل
اسمه وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم
لا يشعرون ٥ حكى الله تعالى عنهم ما قالوا لجهلهم فقالوا هكذا
عادة الدهر تارة يأتي بالضراء وتارة يأتي بالسراء فكونوا آباؤنا
على ما انتم عليه كما كان آباؤكم فلما استحق الحال بهم الى ما حكيناه
عنهم اخذناهم بالعذاب بغافصة من حيث لم يشعروا به ليكون
ذلك اعظم في باب الحسرة وابلغ في وجه العقوبة وقوله جل اسمه ولو
ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ٥
من شان لو تعلق الثاني بالاول فيجب الثاني لوجوب الاول وينتفي
بانتفائه ٥ ومعناه ولو آمنوا واتقوا بترك المعاصي لفتحنا عليهم بركات
وهي البركات وهي الخيرات النامية فبركات السماء بالقطر وبركات الارض
بالنبات والثمار وقوله جل اسمه ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا
يكسبون ٥ معناه ولما لم يؤمنوا وكذبوا بآيات الله ورسله اخذهم
الله بعذاب الاستيصال وقوله جل اسمه افامن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا بياتا وهم نائمون ٥ الالف في قوله افامن الف انكار ومعناه
لا ينبغي ان يامنوا عذاب الله ان ياتيهم بغتة ليلا وهم نائمون اذا كانت
حالهم في الكفر والتكذيب والمعاصي ما هم عليه وقوله جل اسمه
اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون ٥ معناه او امنوا
ان ياتيهم عذاب الله نهارا وهم في غفلة ودخلت الفاء في قوله
افامن اهل القرى للدلالة على ان الثاني داخل في الاول وكانه قيل
افامنوا ان ياتيهم امر الله من اجل ما هم عليه من تضييع امر الله وفي

الآية البيان عن وجوب الاخذ بالحزم في كل ما لا يؤمن معه هلاك
النفس وقوله جل اسمه افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا
القوم الخاسرون ٥ اصل المكر اخذ الغير بالضر من حيث لا يشعر
به احتيالا عليه وجاز اضافة المكر الى الله لان العقاب صار كالمكر
في الحقيقة لانه اخذ العبد بالضر من حيث لا يشعرون الا ان اللفظ يكون
مجازا اذا اضيف الى الله ٥ ومعنى الآية انه قيل على وجه الانكار على
القوم ما امنهم من عذاب الله وبين لهم انه لا يامن من عذاب الله الا
الخاسرون ودخلت الفاء في قوله افامنوا بعد الواو لان فيه معنى بعد
كانه قيل ابعد هذا كله امنوا مكر الله ثم صارت الفاء في قوله
فلا يامن مكر الله كانها جواب لمن قال قد امنوا ٥ وقيل انما قال لا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون مع ان الانبياء عليهم السلام قد امنوا عذاب
الله لانه امنهم من جهة مواقعة الذنوب لا من جهة امنهم عذاب الله للعاصين
وقيل معناه فلا يامن مكر الله من المذنبين الا القوم الخاسرون ودليل
ذلك قوله تعالى ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون الآية ٥ وقيل
فلا يامن مكر الله جهلا بحكمه الا القوم الخاسرون ٥ وارتفع القوم
بعد ذكر الا ها هنا فاعل وصار الرافع مرفوعا له فكل ما فرغ للعمل
لما بعد الا فهو ملغا وكلما اشتغل بعمل ٥ فهي فيه مشتغلة لان الاسم على
ذلك لوجه لا يتصل الا بها وقوله جل اسمه اولم يهد للذين يرثون الارض
من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ٥ معناه او لم يبين
الله لمن خلفوا القوم الذين استاصلهم انه لو نشاء عذبهم بذنوبهم
كما عذب من كان قبلهم وقوله جل اسمه ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ٥
قد مر بيان الطبع والختم في غير موضع كما في ختم الله على قلوبهم ٥ وقوله

بل طبع الله عليها بكفرهم ٥ وفي قوله لا يسمعون ذم لهم وتوبيخ
وقرئ ولم يهد لهم بالياء وفاعل يهد على هذه القراءة مضمر كأنه
قيل أولم يهد الله لهم **وقوله جل اسمه** تلك القرى نقص عليك من
أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ٥ معناه نقص عليك أخبار
الأمم الماضية من أهل القرى لما فيه من الاعتبار بما كانوا عليه من الاغترار
بطول الإمهال مع اتساع النعم حتى انهم توهموا انهم على صواب فيما
دعاهم إليه الشيطان بعد أن جاءتهم الرسل بالدلائل المعجزات ٥
وقوله جل اسمه فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ٥ معناه
فلم يهلكهم الا وكان في معلومنا منهم انهم لا يؤمنون ابدا وهذا
بمنزلة قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ٥ وقيل معناه
انهم عوقبوا في كفرهم جملهم على ان لا يفارقوا الكفر ولا يقبلوا
الايمان **وقوله جل اسمه** كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ٥
وجه التشبيه في ذلك انه لا اله على انهم لا يؤمنون ذمًّا لهم وتوبيخًا
لانهم لا يفلحون كالطبع على قلوب الكافرين الذين هم على مثل صفتهم
وقوله تعالى وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين
معنى وجدنا هاهنا ادركنا ٥ بين الله تعالى انه لم يجد من اكثرهم الوفاء
بعهد الله وقد مر بيان معنى العهد في غير موضع في سورة البقرة وغيرها
وقوله تعالى وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ٥ معناه وجدنا أكثرهم
فاسقين خارجين عن طاعة الله فدخلت إن هاهنا للتوكيد
وهي المخففة من الثقيلة ومثله وان كل لما جميع لدينا محضرون
واذا خففت جاز الغاء عملها ٥ وقيل دخلت في هذا
الكلام لاستغراق الجنس لانه اذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد

الجميع لانه لو وجد جميعه لوجد بعضه ٥ وقيل دخلت على ابتداء
الجنس في اثباته **وقوله جل اسمه** ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا
الى فرعون وملائه فظلموا بها ٥ معناه ثم بعثنا من بعد الانبياء الذين
تقدم ذكرهم موسى صلى الله عليهم جميعا بالآيات المعجزات الى فرعون
وقومه والضمير الذي في بعدهم راجع الى الانبياء ٥ وقيل يعود الى
الامم الذين تقدم ذكرهم ٥ ومعنى فظلموا بها ظلموا انفسهم بجحد الآيات
وقيل ظلموا بان جعلوا بدل الايمان بها الكفر ٥ **وقوله جل اسمه** فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين ٥ معناه انظر بعين قلبك كيف كان عاقبتهم
لما كفروا وهو الغرق الذي ذكره في مواضع اخر من الاعراب نصب لانه
خبر كان وتقديره انظر اي شيء كان عاقبتهم **وقوله جل اسمه** وقال موسى
يا فرعون اني رسول من رب العالمين ٥ اي اذ موسى عليه السلام يقوله
لفرعون اني رسول رب يجب عليك طاعتي فيما ادعوك اليه ولتركك
توقيري وتعظيمي لاني رسول رب العالمين ٥ ومن هاهنا لابتداء الغاية
لا ابتداء من المرسل الذي ابتدأ بالرسالة واسمه وها للمرسل اليه ٥
وقيل وزن فرعون فعلون ونظيره برذون والواو [illegible] زائدة لانها
جاءت مع سلامة الاصول الثلثة والنون زائدة [illegible] للزوم ما بعد هذا
المثال ولزوم الحرف من شرط الزيادة ٥ **وقوله جل اسمه**
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق ٥ قرأ نافع وحده بالتشديد
والاضافة ٥ وقرأ الباقون بالتخفيف الذي هو حرف الصفة
فتقدير المشدد واجب علي ان لا اقول على الله الا الحق وتقدير
المخفف حريص على ان لا اقول على الله الا الحق وانما جاز على
اسم الله لئن الاستعلاء فيه يرجع الى الصفات فكانه قال لا اقول

على صفات الله الا الحق والنصب على انه مفعول القول على
غير معنى الحكاية بل على وجه الترجمة عن المعنى دون حكاية
اللفظ وقوله جل اسمه قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني
اسرائيل ه معناه خلهم عن عقالك وكان فرعون قد
اعتقلهم للاستخدام وفي الاعمال الشاقة نحو ضرب اللبن ونقل
التراب وما اشبه ذلك وقوله جل اسمه قال ان كنت جئت
باية فات بها ان كنت من الصادقين ه معناه قال فرعون لموسى
عليه السلام ان كنت صادقا فيما تقول انه معك دلالة فات
بها فطلب فرعون البرهان على ذلك على طريق اليائس من وقوعه
جهلا منه بحقيقتها الى قصة لما اتاه موسى عليه السلام البرهان
الذي جاء به من عند الله وجاز نقل ان للماضي على المستقبل
لقوتها في النقل اذا كانت تنقل الفعل بعملها الى الشرط والاستقبال
كما تنقله الى النفي والماضي وقوله جل اسمه فالقى موسى عصاه فاذا
هي ثعبان مبين ه معناه لما طلب فرعون اقامة البرهان القى
موسى عليه السلام العصا من يده فصارت حية عظيمة ونماه
ومعنى مبين [illegible] من انه حية لا لبس فيه والثعبان من اعظم
الحيات دون [illegible] في القصة ان ذلك الثعبان فتح
فاه وجعل القبة من نابيه اعلى قبة فرعون فارتاع فرعون واستغاث
لموسى عليه السلام ان ياخذه ففعل موسى وهذه معجزة باهرة
من بواهر الايات والمعجزات وقوله جل اسمه ونزع يده فاذا
هي بيضاء من غير سوء ومعنى السوء البرص ثم اعادها الى كمه
فعادت الى حالها الاولى وقد كان في يده من النور والشعاع

ما لم يشاهد مثله في يد آخر وكانت هذه معجزة أخرى
وقوله جل اسمه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر
عليم ه معناه لما بهره هذا البرهان ولم يمكنهم دفعه
نسبوه الى السحر وقالوا ان موسى لساحر عليم وقوله تعالى
يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون ه معناه قال
الملأ الذين هم الاشراف لقوم فرعون انما قال موسى
لفرعون ان ارسل معي بني اسرائيل ليجعل ذلك طريقا الى اخراجكم
من ارضكم والى ان يملككم بقومه اعدائكم عليكم ه وقوله
تعالى ماذا تامرون يحتمل ان يكون من كلام الملأ على معنى
انه قال بعضهم لبعض ماذا تامرون ه ويجوز ان يكون ذلك
لفرعون على خطاب الملوك وهو ان يخرج خطابهم مخرج خطاب
الجماعة تعظيما لهم وعلى هذا الوجه خرج قوله قال رب ارجعون
ويحتمل ان يكون ذلك من كلام فرعون بتقدير قال فرعون
فماذا تامرون ه وموضع ماذا تامرون من الاعراب يحتمل
الرفع والنصب فالرفع ظاهر والنصب على تقدير باي شيء تامرون
وجعل ما مع ذا بمنزلة اسم واحد وقوله جل اسمه قالوا ارجه
واخاه الارجاء التاخير ومعناه قالوا لفرعون اخر موسى واخاه
وقيل احبسه وقوله جل اسمه وارسل في المدائن حاشرين ه معناه
وقالوا لفرعون ارسل الى جميع بلاد مملكتك من يحشر
السحرة الى حضرتك ليعارضوا موسى عليه السلام وقوله جل اسمه
ياتوك بكل ساحر عليم ه عامل الاعراب في ياتوك محذوف
وتقديره فانك ان ترسل ياتوك وصار ياتوك مجزوما

لانه جواب الامر ٥ و معناه اذا ارسلت اليهم اتوك بكل
ساحر عليم بلطف الحكمة وقوله جل اسمه وجاء السحرة فرعون قالوا
ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ٥ المحذوف في هذا الكلام
فارسل فرعون وجاء السحرة ومعناه فارسل اليهم حاشرون
يحشرون اليه السحرة من مملكته وقال السحرة لفرعون
ان غلبنا موسى فهل يكون لنا عندك مكافاة ومجازاة
واجر وقوله جل اسمه قال نعم وانكم لمن المقربين ٥ معناه
ان فرعون قال لهم من الجواب نعم لكم عندي ما تطلبون
ولكم عندي من المنزلة ان تكونوا من المقربين ٥ وقوله وانكم عطف على
معنى الجملة كانه قيل نعم لكم ذلك وانكم لمن المقربين ٥ وقوله جل
اسمه قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ٥ قال بعض
النحويين انما دخلت ان في قوله اما ان لان فيه معنى الامر وكانه
قيل له اما القاء لك واما القاء لنا ٥ وموضع ان نصب وذكر
فيه تقدير اخر وهو اما الالقاء منك يحدث واما الالقاء منا وقوله جل
اسمه قال القوا ٥ معناه قال لهم موسى عليه السلام القوا
وليس هو امر منه لهم بالالقاء لانه كفر وانما قال لهم
على معنى لكنتم محقين فالقوا ٥ وقيل فيه وجه اخر وهو
انه قال لهم القوا على ما يصح ويجوز لا على ما
يستحيل ويفسد ٥ فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم
وجاءوا بسحر عظيم ٥ معناه فلما القوا حبالهم وعصيهم قلبوا
اعين الناس عن صحة ادراكها بما حيل من ذلك لانه موه
بلطف الحيلة الذي يجري مجرى الخفة والشعوذة وهذا المعنى

مضمن في قوله تعالى يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى
قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى ٥ وذهب جماعة من العلماء الى ان المحدث في الاعين لذلك
التخييل هو الله تعالى وكان اجرى العادة بان يفعل ذلك عند
فعل العبد الشعوذة كما اجراها باماتة الطفل اذا جعل
تحت الثلج وانما نسب ذلك الى السحرة لانهم عرضوا ما لولا فعلوا
لم يقع ما وقع كما لولا جعل الجاعل الطفل تحت البرد لم يقع الاماتة
ومعنى واسترهبوهم ادخلوا عليهم الرهبة بما فعلوه من السحر العظيم
ولذلك حكى ما دخل على موسى عليه السلام من ذلك بقوله فاوجس في
نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى وقوله جل اسمه
واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون ٥
التلقف الابتلاع والافك قلب الشيء عن وجهه ٥ وقيل الافك الكذب
ومعناه واوحينا الى موسى ان الق عصاك من يدك فانها تصير
ثعبانا وتلقف تلك الحبال والعصي التي عملوا افكهم فيها فقوله ما
يافكون المراد ما جعلوا الافك فيه وقوله جل اسمه فوقع الحق
وبطل ما كانوا يعملون ٥ معناه فلما القى موسى العصا عن يده ظهر
الحق وبطل الحبال والعصي التي عملوها للسحر فيكون ما ههنا بمعنى
الذي والمراد بقوله ما يعملون المعمول فيه كما ان المراد بقوله
ما يافكون المافوك لان الافك كان عرضا والحبال التي عملوا الافك
فيها كانت اجساما والحية تلقف تلك الاجسام ويجوز ان
يكون ما ههنا بمعنى المصدر على تقدير وبطل عملهم وقوله
جل اسمه فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ٥ معناه ان موسى

عليه السلام على قوم فرعون عند ذلك الجمع وظهر خزيهم .
ورجعوا اذلاء صاغرين فيهم زين وقوله جل اسمه والقي
السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين معناه فلما راى
السحرة ذلك علموا انه ليس من جنس فعلهم وحيلهم سجدوا
لله سجدة وعلى ايمانهم ولموسى صلى الله عليه وانما قيل القي وان كانوا هم
الفاعلين السجود لما راوا من عظيم ايات الله فكانه القاهم ساجدين
بان دعاهم الى السجود والخضوع لله تعالى ٥ وقيل انهم لما راوا
ذلك لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين فكانت ملقيا القاهم ولما عرفوا الحق
اقروا به وقالوا امنا برب العالمين وقوله جل اسمه رب موسى وهارون ٥
قيل انما خصهما بالذكر وان كان الله رب غيرهما ايضا لان فيهم معنى
الذي دعا الى الايمان به وهو موسى وهارون وقيل فضلا بالذكر
لشرف قدرهما على غيرهما على طريق المدح والتعظيم وقوله جل اسمه
قال امنتم به قبل ان اذن لكم ٥ معناه قال فرعون للذين امنوا بالله
وبموسى عليه السلام امنتم به قبل اذني لكم فاوهم الملعون على العوام ان
الاقدام على الامر قبل اذن الملك منكر وليس عليهم انما فعله السحرة
باطل وهو ايمانهم بالله وبموسى صلى الله عليه وليس يدل هذا
على انه لم يكن عارفا بالله لان مثله قد يفعله المموه المحتال وقوله جل اسمه
ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ٥
اوهم الملعون ايضا ان ما فعلوا ولانك السحرة من الايمان انما كان عن
تواطي منهم بينهم وبين موسى طمعا في الاستعلاء على الملك ٥ ومعنى
فسوف تعلمون تهديد منه لهم وقوله جل اسمه لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين ٥ هدد فرعون القوم الذين امنوا

بقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى
ثم هددهم بالصلب بعد القطع ٥ وقوله جل اسمه قالوا انا الى ربنا
منقلبون ٥ معناه المومنون قالوا في الجواب نحن منقلبون الى جزاء ربنا لا
سالكين بما توعدتنا به فتسلوا بذلك ووطنوا انفسهم على الصبر لعلمهم
بان عذاب فرعون لانه منقطع وعذاب الاخرة لا انقطاع له وقد
حكى الله تعالى عنهم هذا المعنى بقوله جل علاقا قالوا لن نوثرك على ما
جانا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة
الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير
وابقى وقوله جل اسمه وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ٥٥
اصل النقمة الاخذ بالعقوبة ويقال في اللغة نقم ينقم اذا عابه
فهو يقول ما ظهرت حجتهم على فرعون لما انقمتهم الحالة التي لا يستحق بها النقمة الا
الغلبة التي كان يعيبهم فرعون ويهددهم بها وهي الايمان بالله وبالايات الباهرة
الظاهرة القاهرة وسؤاله بما قالوا ان تعيب الحق يريدونهم وقوله جل اسمه
ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ٥ يقال افرغ عليه الدلو اذا
صب عليه دلوا من الماء ٥ ومعناه انهم سالوا الله تعالى ان يلطف لهم
ليستشعروا الصبر ويتمسكوا بطاعته الى وقت الموت فيضادهم
الموت على حال الاسلام والايمان وقوله جل اسمه وقال الملا من
قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك ٥
اي قال الاشراف والروساء من قوم فرعون اتترك موسى واتباعه
ليفسدوا في الارض ويذروا لعبادتهم ويدعوهم الناس الى مخالفة
فرعون اي يذرك والهتك يترك عبادتك وعبادة من تعبده ٥
وروي ان فرعون كان يعبد الاصنام وعلى هذا الوجه عبد فرعون

قومه ٥ وقيل كان يعبد كل ما يستحسنه من البقر ولذلك اخرج
السامري عجلا جسدا له خوار ٥ وقيل كان لفرعون
اصنام يعبدها قومه تقربا اليه ٥ وقيل كان فرعون يُعبَد
ولا يَعبُد شيئا ٥ والنصب ويذرك على الظرف ٥ ويجوز الرفع
ويذرك على الاستئناف على معنى وهو يذرك وروي عن ابن عباس
قرأ ويذرك والهتك اي عبادتك وقال بعض العرب الهتك تانيث
الاله قال الشاعر ٥ تروحنا من اللعباء قصرا فاعجلنا الالهة ان تؤوبا
يعني الشمس وقوله جل اسمه قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
وانا فوقهم قاهرون ٥ معناه ان فرعون قال لهم في الجواب نقتل ابناء
بني اسرائيل ونترك بناتهم احياء للخدمة فاعرض اللعين في جواب قومه عن
ذكر موسى عليه السلام الى ذكر قومه لما راه من قوة امر موسى صلى الله
عليه وقوله جل اسمه قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ٥
معناه ان موسى وعظ قومه تربيطا لجاشهم وتسلية عما اعتراهم من
الغم فامرهم بالاستعانة بالله وبالصبر على ما نالهم من جهة العدو
على مجاهدتهم وقوله جل اسمه ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين ٥ قيل معناه ان موسى اراد بذلك تسلية قومه بان
بين لهم ان الدنيا فانية وانها لا تبقى على احد وانها تنتقل من قوم الى
قوم اما محنة واما عقوبة ٥ وقيل انه اراد ان اطاعتم في الله يورثكم
ارض فرعون وقومه ٥ وروي ان السحرة لما اتبعوا موسى ستمائة
الف من بني اسرائيل ومعنى والعاقبة للمتقين اي نعم الاخرة
وكرامتها تكون لمن كان تقيا في الدنيا وقوله تعالى قالوا
اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا ٥ معناه ان قوم

عليه السلام قالوا ان فرعون قد اذونا من قبل ما جئتنا ومن بعد
ما جئتنا وقيل الاذى كان من قبل هو قتل الابناء واستعباد
البنات وتكليف بني اسرائيل الامور الشاقة والاذى الذي هو من بعد
هو الوعيد بتجديد العذاب وقيل هو اخذ الجزية منهم وهذا القول
كان تسخطا منهم لما وعدهم موسى عليه السلام بتجديد الوعد وحققه
عندهم وقوله جل اسمه قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض فينظر كيف تعملون ٥ معناه ان موسى قال لقومه في الجواب
ان الله تعالى يهلك عدوكم ويجعلكم خلفاء من بعدهم في البلاد التي كانت في
ايديهم فينظر كيف تعملون بعد ما انعم عليكم بذلك وروي انهم
استخلفوا في مصر بعد موت موسى عليه السلام في التيه بمرفح لهم
بيت المقدس مع يوشع بن نون ثم فتح الله لهم مصر وغيرها في
زمن داود وسليمان عليهما السلام وملكوها في ذلك الزمان على ما
وعدوا من الاستخلاف ٥ ومعنى فينظر فيعلم وقيل يرى وكلاهما
مجاز ومعناه انه يعاملكم معاملة من يريد ان يعلم شيئا وقوله
جل اسمه ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الاموال والثمرات
لعلهم يذكرون ٥ معناه ان الله تعالى اخذ آل فرعون وهم القبط
بالقحط والجدب والجوع ونقص الثمرات ليتفكروا في ذلك فيؤمنوا
بالله وحده وبرسوله الذي ارسله اليهم ٥ وفي هذه الاية حجة على المجبرة
فيما ذهبوا اليه في الارادة لان الله قال فعلنا بهم ذلك ليتذكروا
ويؤمنوا وهم يقولون فعل ذلك بهم ليكفروا واراد منهم الكفر
بما فعل وقوله جل اسمه فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ٥ المراد
بالحسنة ههنا النعمة والخصب والسعة في الرزق والعافية والصحة

والا احسن وما انشأ كذلك وهذا توبيخ لهم لان معناه اذا انعمنا عليهم
بضروب من النعم قالوا لنا هذه ومعناه انا نستحق ذلك
على العادة التي جرت لنا في سعة الرزق وسلامة الاحوال ولم يعلموا
ان الله فعله بهم للشكر وانهم ان شكروا في ذلك لم يعرفوا انما يجب عليهم
من شكر الله النعم عليهم ويقوموا حقوق ذلك حتى يسألهم الله ما اتاهم ونجيهم
وقوله جل اسمه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه السيئة هاهنا
الضد ما اشباه من الحسنة والتطير التشاؤم ومعناه واذا اصابهم
قحط وجوع وشدة ومرض وضيق نسبوا ذلك الى موسى عليه السلام
وقالوا اصابنا ذلك بسببه وشؤمه وقوله جل اسمه الا انما طائرهم
عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون معناه ان الله تعالى هو الذي يأتي
بطائر البركة وطائر الشؤم من الضر والنفع الذي يسمى الخير والشر
ثم نسبهم الى الجهل بذلك وبيّن انهم قالوا ذلك بجهلهم بهذه الامور
واسقاط العلم عنهم وانما قال طائرهم اجرا التطير على التطير الذي
حكي عنهم ونظير هذه الاية قوله تعالى وان تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل
كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
محل قوله وان تصبهم حسنة محل قوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه
ومحل قوله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يا محمد محل
قوله وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ومحل قوله كل من
عند الله محل قوله الا انما طائرهم عند الله ومحل قوله فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا محل قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون مثلهم
في الايتين فيما ذهبوا اليه وقوله جل اسمه وقالوا مهما تأتنا به من اية

لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين قيل اصل مهما ما ما فادخلوا ما كما
ادخلوها في حروف الجزاء وكيف وقوله معنى كيف دخلت على ما التي
للجزاء ومعناه انهم قالوا لموسى عليه السلام لا نؤمن بك لان الذي
جئتنا به هو السحر والتمويه وقوله جل اسمه فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا
قوما مجرمين ذكر الله تعالى انواع العذاب التي ارسلها على فرعون
وقومه لما لم يؤمنوا بالله وبموسى وكان قبل الغرق والطوفان
سيل يعم الارض وواحدها طوفانة وقيل هو مصدر كالطغيان
والرجحان وقيل هو الغرق وقيل هو الموت وقيل هو امر من امر الله
طاف بهم والجراد معروف والقمل صغار الجراد التي لا اجنحة لها
وقيل هو السوس الذي يقع في الحنطة وقيل البراغيث وقيل كبار
القراد وهو الاصح والضفادع والدم معروفان وكل واحد من
هذه الامور لما ظهر استغاث فرعون بموسى صلى الله عليه وضمنوا
له اذا انكشف عنهم امنوا فلما انكشف عنهم نكثوا عهدهم واصروا
على كفرهم وبيان ذلك في قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز قالوا
يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
الى اخر الاية وورد في الخبر ان الجراد وقع في اطعمتهم وكذلك
الضفادع كانت توجد في انيتهم وفي فرشهم فاستغاثوا بذلك
فاما الدم فانه صار مياههم انقلبت دما وكان الاسرائيلي اذا اغترف
كان ماء صافيا فاذا اغترف القبطي كان دما وكان القبطي
يقول للاسرائيلي مج من فيك في فمي فاذا فعل ذلك تحول دما وروي
في الخبر انهم اذا كسروا الخبز خرج منه الدم وان طبخوا

قد دار الحول دناه وقيل كانت تمكث من السبت الى السبت ثم
ترفع شهرا والمفصلات المبينات الظاهرات وكانت هذه
كلها معجزات موسى عليه السلام من تعالى اسمه ذلك كله
اصرو اعلى الاستكبار والاجرام وهذا العجب الخارج من
فرط جهلهم **وقوله جل اسمه** ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع
لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل ه الرجز العذاب وقيل هو الطاعون الذي اصابهم
مات به من القبط سبعون الف انسان ولما ظهر العذاب قالوا يا موسى
صلى الله عليه ادع لنا ربك بما تقدم اليك ان تدعوه به فانه يجيبك كما
اجابك في اياتك ه وقيل بما عهد عندك هو على معنى القسم لئن كشف
الله عنا هذا العذاب امنا بك وخلينا بني اسرائيل **وقوله جل اسمه**
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون ه معناه
فلما كشفنا عنهم العذاب بدعاء موسى عليه السلام وامهلناهم ليقلعوا
عن المعاصي ويتوبوا الى الله نقضوا عهدهم واصروا على الكفر
والاستكبار والعاملين الاعراب في اذا هم ينكثون **وقوله جل اسمه**
فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا
عنها غافلين ه اليم البحر وقد مضت قصة فرعون وقومه وكيفية
غرقهم في سورة البقرة فلا وجه لاعادته ه ومعناه انا انتقمنا
من فرعون وقومه بان اغرقناهم لانهم كذبوا باياتنا واعرضوا عنها
اعراض الغافلين في الوعيد على ~~الاعراض~~ الغفلة لتعرضهم بها
حتى صاروا لا يسمعون الايات ه وقيل جاء الوعيد على الاعراض
عن ايات الله حتى صاروا كالغافلين **وقوله جل اسمه** واورثنا

القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي
باركنا فيها ه معناه واورثنا بني اسرائيل بعد ان كانوا مستضعفين
في ايدي القبط مشارق الارض ومغاربها بعد اهلاك من كان
بها ومشى لنا علمها مع الكثرة بان لهم ان يتصرفوا فيها وهي المشرق
والمغرب ه وقيل هي ارض الشام ومصر ه وقيل هي ارض الشام وقيل
مصر وحدها والاول هو الاصح ه ومعنى باركنا فيها باخراج الزرع والثمار
وسائر ضروب المنافع ه وقيل باركنا فيها بالخصب الذي جعل بها
وقوله جل اسمه وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
اخبر الله تعالى انه اتم الكلمة التي وعد بني اسرائيل وهو انجاز الوعد
الذي تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض وانما كان
الانجاز تماما للكلام تمام النعمة به ه وكلمة الحسنى هي قوله تعالى ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين
الى قوله منهم ما كانوا يحذرون ه وقيل انما قال الحسنى لانه وعد بما
كانوا يحبونه ويتمنونه **وقوله جل اسمه** ودمرنا ما كان يصنع فرعون
وقومه وما كانوا يعرشون ه معناه وابطلنا ما كان يصنعه فرعون
وقومه وما كانوا يصنعون من الابنية والقصور ومعنى يعرشون يبنون
الابنية ه وقيل معناه يعرشون الكروم وقيل يعرشون الشجر والاسم
وانتصب مشارق لانه مفعول اورثنا وقيل انتصابها على الظرف على تعدي
واورثناهم الارض التي باركنا فيها في مشارقها ومغاربها والاول اظهر **وقوله جل اسمه**
وقوله جل اسمه قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ه
اخبر الله تعالى ان قوم موسى لما راوا ذلك قالوا لموسى صلى الله عليه اجعل لنا
الها كما لهم الهة نعبده كما لهؤلاء الهة يعبدونها فحنوا الى التشبه بعبدة الاوثان

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم [illegible]

والاصنام شيء كان في انفسهم فاجابهم موسى عليه السلام بان
قال لهم انكم قوم تجهلون لان الذي قالوه واقدموا عليه كان اعظم
الجهل وفي هذه الاية دلالة واضحة على ان التعجب من يسمع ما جرى بعد
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله من الفتنة والاضطهاد امير
المؤمنين علي صلوات الله عليه وطلب القوم الرياسة لانفسهم
واعلمهم نص النبي صلى الله عليه واعاب طاعته وذلك ان قوم موسى عليه
السلام كانوا مكلفين عقلا او اجمع معجزات موسى عليه السلام
وشاهدوها وتواهلاك عدوهم في البحر الذي خرجوا منه سالمين وشهد
من اظهر حجج ما فقالوا في وجهه ما حكى الله عنهم وفي ذلك كان ابطال
توحيد الله الذي امرهم به وكلفهم اياه على لسان رسوله عليه السلام
فاي عجوبة في ان يقول قوم من العرب بعد اظهارهم التوحيد وتمسكهم
بالشريعة التي جاء بها نبيهم واستقبالهم قبلته وخروج نبيهم من اظهرهم
بالموت لوصي نبيهم لسنا نرضى بتراسك علينا ويحتالون في ان الامر
غير طلب الرياسة لانفسهم وحسدا له وهذا اقرب في السهل واليسر
مما حكى الله تعالى عن قوم موسى صلى الله عليه ولا طائل في المرا ولا حجة
في حسن الظن مع ظهور العلامات والامارات بل المرجع في مثله الى
الادلة الواضحة **وقوله جل اسمه** قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم
على العالمين معناه ان موسى قال لقومه على وجه التعجب والانكار
اطلب لكم معبودا غير الله والله فضلكم على عالمي زمانكم بضروب
الفضل وغير الله لا يفعل شيئا من ذلك والنصب الها على الحال
والنصب غير على المفعول به وقيل انتصب الها على المفعول به والنصب
غير على الحال المقدمة التي لو تاخرت كانت صفة ولفظ غير يعدى الى مفعولين

وقوله جل اسمه واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب
يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قد مر
بيان نظيرها في سورة البقرة فلا معنى لاعادته هاهنا **وقوله جل
اسمه** وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه
اربعين ليلة معناه واعدنا موسى وعدناه انقضاء ثلثين ليلة توقيتا
للمناجاة ثم اتممناه بعشرة وقيل وعدناه ثلثين ليلة يفرد فيها للعبادة
في المكان الذي قرب ثم اتممناه الى اربعين وانما قال ثلثين ليلة واتممناها
بعشرة ولم يقل اربعين لانه على تفصيل وعدناه شهرا او عشرة ايام وهي ذو القعدة
وعشر ذي الحجة وقيل وعدناه ثلثين ليلة يصوم فيها ويتفرد للعبادة ثم اتمت
بعشر الى وقت المناجاة وقيل انما قال فتم ميقات ربه وان كان ما تقدم
من الكلام دل عليه هذا التأكيد للبيان الذي لا يجوز معه توهم الموهم ان
الاتمام اتمام ثلثين بعشر منها كانه عشرين ليلة ثم اتمه بعشر الى وقت
المناجاة وقيل انما قال فتم ميقات ربه وان كان ما تقدم من الكلام
دل عليه هذا التأكيد للبيان الذي لا يجوز معه توهم المتوهم ان الاتمام
اتمام ثلثين بعشر منها كانه كان عشرين ليلة ثم اتم العشرة فصارت
ثلثين ليلة **وقوله جل اسمه** وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في
قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين وعظا له وتاكيدا للحجة
عليه بالسنة ودلنا الدلالة على انه اشركه معه في النبوة فلو لم يكن هذا
امرا ابدا اعلى ما كان نائبا لهرون عليه السلام من جهة الله تعالى
لهارون لقوله اخلفني معنى وانما جاز ان يقول له ذلك لان الرياسة
كانت لموسى صلى الله عليه ولم يجز ان يقول مثله هرون لموسى عليهما
السلام وان كان هرون نبيا وهذا يدل على ان اول منزلة كانت

لعلي من رسول الله صلى الله عليه في الخلافة لانه صلى الله عليه قال
لعلي عند خروجه من المدينة في غير موضع انت مني بمنزلة هرون
من موسى الا انه لا نبي بعدي وهذا الخبر متواتر عند علما
الامة وهذا الخبر يتضمن منازل واشيا مخصوصة احدها
الخلافة وثانيها الوزارة وثالثها انه اولى الناس به واحبهم
اليه وفي ابعها ان الله قوى به ظهره وانه شد به ازره لان الله
تعالى قال حاكيا عن موسى عليه السلم دعاه اياه بقوله قال
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري
واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا
قال قد اوتيت سؤلك يا موسى فبين الله تعالى المنازل التي كانت
لهرون من موسى في هذه الاية وان الله سبحانه استجاب دعا موسى
في هرون عليهما السلم واعطاه سؤله فثبت لهرون من الخلافة
من دون الخلق في زمانه اجمعين وثبت له الوزارة وكونه اولى
به وكونه مقويا له ولدينه الذي اتى به فثبت جميع ذلك لامير المومنين
من رسول الله صلى الله عليه ووجه الاستدلال بهذا الخبر
على اثبات امامة امير المومنين عليه السلم هو انه قد ثبت ان
موضع الا في اللغة لاخراج ما لولاها لوجب دخوله تحت المستثنى
منه فاذا قال صلى الله عليه لعلي منى بمنزلة هرون من موسى الا انه
لا نبي بعدي علمنا ان مقتضى هذا الكلام انه لولا الاستثنا لوجب
دخول النبوة في هذه المنازل واذا كانت منازل تتسع فيها
النبوة فاذا اخرجت النبوة منها بدليل الاستثنا وجب دخول ما سواها

من المنازل الا ما اخرجه الدليل وانما كان له الخلافة ثابتة غير خارجة
منها بالدليل فاول ما ثبت لعلي عليه السلم هو منزلة الخلافة ثم ما تتبعها
ما نطقت الاية به وذلك لدلالة عليه وهذا النص واضح لا يرتاب
فيه الا من مالت به العصبية نعوذ بالله منها وكل ما يعترض به على
مضمون هذا الخبر وعلى كيفية هذا الاستدلال يعترض اذا ضبطت
الدلائل على هذا الوجه لان ما استدلت الشيعة به ايات او خبر
متواتر ومما يعترض به الخصم ان كان خبرا فهو من اخبار الاحاد وان
كان ايات ولا كان فاسدا تفسده الايات وقوله جل اسمه ولما جا
موسى لميقاتنا وكلمه ربه معناه ولما جا موسى عليه السلم الى الطور
للمناجاة وكلمه ربه من غير واسطة تفضيلا له وتشريفا وقوله
جل اسمه قال رب ارني انظر اليك قال بعض العلما كان السوال
من موسى على جهة الاستخراج للجواب لقومه لما قالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فاخذتهم الصاعقة والذي يدل على ذلك قوله تعالى
حاكيا عن موسى عند وقوع الصاعقة لاجل قولهم حتى نرى الله جهرة
اتهلكنا بما فعل السفها منا وذلك ان موسى صلى الله عليه لما انكر عليهم
ما قالوا وبين لهم ان الروية بالبصر تستحيل على الله لم يقبلوه فلما ابوه
اختار جماعة يحضرون معه الميقات ليشهدوا ويسمعوا ما يخبر به
موسى اذا رجع وكان ذلك من فرط جهلهم وقد ذكر الله فرط جهل
قوم موسى في مواضع من كتابه احدها قولهم فاذهب انت وربك فقاتلا
انا هاهنا قاعدون والثاني قولهم حكاية عنهم اجعل لنا الها كما
لهم الهة والثالث قولهم ارنا الله جهرة والرابع ما روي انهم
قالوا له نحضر مناجاتك لنسمع وانا نكون في وقت المناجاة ما ختار
موسى يعبر فلما استصحبهم قالوا له عليه السلم عند ما كلمه ربه
سل الله الروية التي زعمت فيها فوما لعدتهم ما تكون من جواد الله

لم يسأل موسى ذلك على هذا الوجه ۝ وقال بعضهم انما سأل موسى
ذلك على جهة علم الضرورة وهو ان يحصل له العلم الضروري بالله
كما سأل ابرهيم عليه السلام من احياء الموتى ومن الله تعالى ان
ذلك لا يكون في الدنيا لانها دار التكليف ۝ وقال بعضهم كان
ذلك الرؤية بالبصر على غير جهة التشبيه وهذا الوجه بعيد
والذي عليه اكثر العلماء الوجه الاول ۝ وقوله جل اسمه قال لن
تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ۝ قوله
لن تقع على التأبيد ليخرج الجواب على انه لا يراه ابدا ثم علق ذلك
بمحال ليدل به على ان ما سألوه كان محالا ۝ ووجه تعليقه بالمحال
قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه في حال ما ينظر
اليه فاعلم انك لن تراني وكان الجبل في حال ينظره الله
متحركا متحركا متزلزلا ومعلوم ضرورة ان الشيء في حال
ما يكون متحركا لا يكون مستقرا ساكنا واذا استحال ذلك
استحال ما علق به حكاية قيل له فكما يستحيل كون الجبل متحركا
ساكنا في حالة واحدة يستحيل رؤيتي بالبصر ولا فرق بين ان
يقول له ان تحرك الجبل في حال ما يسكن او سكن في حال ما
تحرك فانك تراني وبين ان يقول انظر الى الجبل فان استقر
في حال ينظر اليه فانك تراني ويكون حال نظره اليه حال حركته
وقوله جل اسمه فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ۝ قيل التجلي
في اللغة الكشف والظهور والتجلي للشيء يكون على وجهين احدهما
انكشافه للابصار بعدما كان مستترا ۝ والثاني تجليه
بفعل من الافعال يدل عليه وان لم يرد او حكم من الاحكام دال
عليه فاذا دلت الدلالة على ان ذاته سبحانه يستحيل عليه الستر

في الظهور والغيبة لم يبق الا ان تجليه كان بضرب من الافعال
الذي احدثه فيه خضوعا واكبل لا ابصر له ولا رؤية وكان ذلك
احدى آياته الظاهرة في الجبل الحاضرين الجبل حتى صار الجبل لاجلها
دكاء ۝ وقيل فيه وجه آخر وهو انه ابرز للجبل من ملكوته ما دكدك
الجبل به لانه على ان الدنيا لا تقوم لما يبرز من الملكوت الذي في
السموات ۝ وروي في القصص انه ابرز قدر الخنصر من العرش ۝ ومن
تعالى ان موسى عليه السلام لما رأى الجبل على تلك الحال خر صعقا مغشيا
عليه ولم يمت وذلك قوله تعالى فلما افاق ۝ وقيل خر ميتا والاول
اصح وذلك ان الصاعقة وقعت في قومه فماتوا جميعا ثم ان الله تعالى
احياهم معجزة لموسى عليه السلام ولما افاق موسى من غشيته قال
الله تعالى حاكيا عنه سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين فزع عند ذلك
الى تنزيه الله تعالى والى التوبة ۝ قال بعض العلماء كان التوبة
منه لتقدمه المسئلة قبل الاذن له فيه وقال غيره كان لفظه
بالتوبة على وجه التسبيح لله كما في العادة الفزع الى لفظ التسبيح والتوبة
عند رؤية الشيء الهائل العجيب وكل هذا الوجه حسن جائز ۝ وقوله
وانا اول المؤمنين ۝ قيل معناه وانا اول المؤمنين بانه لن يراك شيئا من خلقه
وقيل وانا اول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية ۝ وقوله جل اسمه
قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ۝ معناه قال
الله تعالى لموسى صلى الله عليه يا موسى اني اتخذتك صفوة واخترتك
رسولا الى عبادي واكرمتك بان كلمتك بلا واسطة وعلمتك الحكمة
واصل الاصطفاء الاستحقاق للصفوة لما لها من الفضائل اصطفى
الله موسى لما له من الاخلاق الكريمة والافعال الجميلة حتى استحقت
الرسالة واصل كلام الله نعمة عليه لان الله تعالى كلمه بتعليم
الحكمة من غير واسطة … وقوله جل اسمه فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

معناه ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام خذ ما اعطيتك واشكرني
عليه وقوله جل اسمه وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا
لكل شيء معناه ان الله كتب له في الالواح وكانت من حسب ما نزلت من
السماء كل شيء محتاج اليه في دينه من الحلال والحرام والمحاسن والمصالح
والواجب وما ليس بواجب وقد كتب له التورية في الالواح وفيها من كل
شيء من الحكم والعبر وقوله جل اسمه فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا
باحسنها معناه فخذها بجد واجتهاد وبالقوة التي اتاك الله اياها وقيل
خذها بصحة وعزيمة وأمر قومك يأخذوا باحسن المحاسن وهي الفرائض
والنوافل وقيل يعني باحسنها الناسخ دون المنسوخ المنهي عن العمل بالمنسوخ
قبح وقوله جل اسمه سأريكم دار الفاسقين دار الفاسقين هي
جهنم ومعناه سأريكم على ذكر لتحذروا ان تكونوا منهم وقيل
دار الفاسقين منازلهم ومعناه لتعتبروا بها وما صاروا اليه من النكال
فيها وقوله جل اسمه سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق الصرف النقل من الشيء الى حال وجهته ومعناه سأصرف
عن آياتي المتكبرين على المؤمنين عن ان ينالوا العز والكرامة بآياتي
التي انزلتها على الانبياء عليهم السلام كما نالها المؤمنون ذلك الصرف عقوبة
لهم على كبرهم وذهب المجبرة في معناها الى ان الله يصرفهم عن الايمان وهذا
غلط فاحش لان السين في قوله سأصرف للاستقبال واخبر الله تعالى
انهم تكبروا قبل الصرف بانا انما صرفهم لكبرهم وهذا ادل على العقوبة والذي
قالته المجبرة يكون على سبيل الابتداء ومن الامر من غير تعمد ولان الله امر بالايمان
ثم الصرف عنه سفه والله تعالى عن السفه وقوله جل اسمه وان يروا كل آية لا
يؤمنوا بها معناه انهم لا يؤمنون بآيات الله التي يرونها ويشاهدونها
فدل ذلك على صحة ما ذهبنا اليه في التاويل لان الله تعالى وبخهم على تركهم
الايمان بالله فلو كان صرفهم عنه بانه ابتدا كان توبيخهم فيها

والله يتعالى عنه وقوله جل اسمه وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا وهذا ايضا توبيخ وانكار ومعناه وان يروا سبيل الرشد
وهو ما كان عليه الانبياء عليهم السلام يدعونهم اليه لم يتخذوه سبيلا
واعرضوا عنه وقوله جل اسمه وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا معناه
وان يروا سبيل الضلال وهو ما كان الكفار والجهال يدعونهم
اليه اتخذوه سبيلا وسلكوه وقوله جل اسمه ذلك بانهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين معناه انا فعلنا بهم ذلك لتكذيبهم
بآيات الله واعراضهم عنها وتغافلهم لا يتدبرونها ولهذا اخرجها بالشرح
والبيان توبيخ القوم وتقريعهم وبان ذلك الصرف كان لكبرهم وكفرهم
فكيف يجوز ان يكون ذلك الصرف صرفا عن الايمان المامور به ابتدا
من غير ما يوجب استحقاقه فدلت الآية على ان الصرف عن الآيات هو ما
ذهب اليه الموحدون من التاويل دون ما ذهب اليه المجبرة تعالى الله
عما يقوله الجاهلون علوا كبيرا وقرئ الرشد بضم الراء والسين
وبرفع الراء وجزم السين وفرق ابو عمرو بينهما فقال الرشد بالضم
الصلاح وبفتح الراء الاستقامة في الدين وقال الكسائي هما
لغتان بمعنى واحد كالحزن والحزن وقوله جل اسمه والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
معناه والذين كذبوا بآياتنا وما وعدتهم في الآخرة من حبطت اعمالهم
الحبوط ان الثواب العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمله ومن يعلى ان
ذلك الحبوط هو جزاء على ما عملوه وانه لا يجازيهم الا على اعمالهم السيئة
وهي الاخرى ام التي اكتسبوها واستحقوا العذاب لاجلها وقوله تعالى
واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الخوار
صوت البقر قد بينا قصة السامري وما اقدم عليه من الحال

العجل وكيفية الكلام فيه واختلاف العلماء في كيفية العجل في سورة البقرة
فلا وجه لاعادته ها هنا ٥ وسياتي طرف من الكلام فيه في سورة
طه ان شاء الله. وقوله جل اسمه الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
اتخذوه وكانوا ظالمين ٥ هذا التعجب للخلق من جهلهم ٥ ومعناه
الم تروا الى العجل الذي اتخذوه معبودا من دون الله تعالى لا يهديهم
سبيلا ولا يستطيع كلاما فيدعو الى رشد ويصرف عن غي وكيف
يسوغ اتخاذ ما هذا حاله معبودا ٥ ثم بين تعالى انهم كانوا ظالمين
لانفسهم بما فعلوه وان يكتبوه (?) وقوله جل اسمه ولما سقط في ايديهم
ورأوا انهم قد ضلوا ٥ يقال في اللغة للنادم المتحير ما يجده مما كان قد
خفي عليه قد سقط في يده ٥ ومن العلماء في اللغة من قال لم تكن هذه اللفظة
مسموعة قبل القرآن ومنهم من قال انه كان مسموعا وذكر هذا اللفظ
في الواحد والجميع على سواء فلم يثن ولم يجمع الا المكني عنه فقالوا اسقط
في يده وسقط في ايديهم وقالوا اسقط في يده اذا صار الذي يضره الى (?)
في يده ومعنى سقط في ايديهم ها هنا وقع البلاء في ايديهم فكانهم
وجدوه وجدان من هو في يده فيه فندموا حينئذ على ما فعلوه ٥ ومعنى
ورأوا علموا فالرؤية ها هنا بمعنى العلم فكانهم علموا انهم قد ضلوا عن
طريق الحق ٥ وفي ذلك دلالة على من زعم ان لا يحتج الا وهو عارف لانه (?)
بانه سقط في ايديهم عند ما علموا من ضلالهم يدل على انهم محجوجون حين (?)
ذلك الاضلال الذي ان لم يغفر لهم هلكوا ٥ وقوله جل اسمه قالوا لئن لم
يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ٥ حكى الله عنهم
ما قالوا عند رجوعهم وهو ان الله تعالى ان لم يغفر لهم كانوا
من الخاسرين ٥ وقيل اعترفوا بجميع الضلال بعبادة العجل عن
هرون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولاخي ٥ وقيل عبد العجل

بعض من بدلالة التوقيف من النبي صلى الله عليه في مشهور ما القاه
الى امته وقوله جل اسمه ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
معناه ولما رجع موسى صلى الله عليه من الميقات الى قومه وهو غضبان
حزين مغتم لاجل ما ارتكبوه من الامر المفظع الفظيع وقوله جل اسمه قال
بئس ما خلفتموني من بعدي ٥ معناه وقال لهم موسى مخاطبا بئس ما
عملتم خلفي يقال في اللغة خلفه بما يحب وخلفه بما يكره ٥ ومعناه عمل
خلفه ذلك العمل وقوله جل اسمه اعجلتم امر ربكم ٥ معناه انه قال
لهم على وجه الانكار اعجلتم وعد ربكم الذي وعدني من الاربعين ليلة
وقيل اعجلتم بما وعدكم من الثواب على عبادته حتى عدلتم الى عبادة
غيره وتعبدوه ما لم تروه فعل ربكم ما وعدكم من الثواب كفرتم وقوله تعالى
والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه ٥ معناه والقى الالواح من يده
بسبب ما دخل عليه من الغم بعكوفهم على العجل ٥ وقيل انكسر بعضها
لانها كانت من زمرد اخضر ٥ وقيل من ياقوت ٥ وقيل من خشب ٥ واخذ
برأس هرون يجره اليه وكانت عادتهم جارية بفعله عند الشدائد والغموم
وقيل كان ذلك بمنزلة من يقبض منا على لحيته وشفته واصبعه ووضعه
يده على رأسه عند الامتلاء من الغيظ وكان رأس هرون كرأسه
لا يستر كما في سائر الاحوال وكان قبضه على رأسه كقبضه على
رأس نفسه وهذه العادة جارية بيننا ايضا وذلك ان الواحد
منا اذا اصابه غم قد يعانق قريبا فانه يسليه ويأخذ برأسه ٥
ومن قال ان موسى عليه السلام اخذ برأس هرون عند غضبه على ما جرت
العادة بيننا اذا اراد ان يستخف بغيره استخفه موسى عليه السلام
ونسب اليه فعل ما لا يحسن فعله الا انسان من ذلك لبين الاستخفاف بانبياء الله
كفر وثبت انه لم يكن لهرون عليه السلام ذنب فيها حتى نالهم القوم فكيف

يجوز ان يستخف به موسى حتى يلزمه ما يستحيل ذلك على انبياء الله
فمن اضاف اليهم شيئا من ذلك عظم خطاه واخرجه من الدين ما يعتقده ه
وقوله جل اسمه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ه معناه ان هرون
اعتذر الى موسى من سكوته عن القوم وترك قتالهم بان بين له
انهم اتخذوه ضعيفا وقصدوا قتله ثم سكن غليله وسلاه عما اعتراه
من قبيح فعال القوم بان قال له لا تاخذ بلحيتي ولا براسي فيعتقد الجاهل
تلك الحال انك اخزيتني بخزي القوم واستضعفت بي واردت بذلك
اهانتي فيصير ذلك شماتة لي وطعنا بانك اخزيتني بخزي القوم الظالمين
فصح بذلك ان ما فعله موسى كان من شدة ما دخله من الغم وانه لم يقصد
به ما لا يحل وان كان ذلك الظاهر يوهم المنافق والجاهل انه على وجه
العصبية والادلة قائمة على تنزيه الانبياء عن ما يقوله اهل الجهل وكان
هرون اخا موسى من ابيه وامه وانما قال يا ابن ام على العادة الجارية في الاستعطاف
بالرحم والعرب يقولون ذلك وهو عادتهم ه وانما فتح ابن ام لكثرة استعمال
هذين اعني الاب والام حتى صار اعني له اسما واحدا مع قوة الراي على التفسير
وقيل هو على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة كما قال الشاعر
يا ابنة عما لا تلومي واهجعي وكان العاشر ابن ابي ه وقال الاخر
يا ابن امي يا شقيق نفسي انت خليتني لدهر كنود ه وفي
الابتداء بحمد والصحيح اخرى ودلالة ظاهرة لامير المؤمنين علي صلوات الله عليه على فساد
قول من يقول انه لو كان اماما لما سكت عن القوم لان في ذلك
تغيير الدين وحاشاه عن ذلك مع الحال التي كانت له في الشجاعة وذلك
ان هرون كان نبي الله واعتذر الى موسى انه صار مستضعفا مقصودا
بالقتل ولا يبطل ذلك نبوته ان يكون في ايدي القوم مغلوبا وانهم قصدوا

قتله وصدقه الله في جميع ذلك وصدقه موسى وقبل عذره واذا
جاز ان يكون نبي الله مغلوبا في بعض الاحوال مستضعفا مقصودا
بالقتل ولا يبطل ذلك نبوته ولا يخل بها كان اوصياؤه او ذما وعجزا
وغير النبي اولى بذلك واحرى وقد روى جماعة من الثقات ان
امير المؤمنين عليه السلام احتج بذلك وهو على المنبر بالبصرة بعد فراغه
من حرب الجمل وذلك ان رجلين تنازعا بين يدي المنبر فقال احدهما
للاخر لو علم امير المؤمنين ان محاربة الشيخين حقا لفعل كما فعل مع عائشة
وطلحة والزبير فوقع ذلك في سمع امير المؤمنين عليه السلام فقال يا قوم
اني اقتديت في ذلك بستة انبياء الله عليهم السلام اولهم ابرهيم عليه
السلام حين قال لقومه واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي
عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا فان قلتم انه اعتزل قومه من غير
مكروه راى فقد كفرتم وان قلتم انه اعتزل قومه لمكروه راى فانا اولى
واعذر والثاني نوح عليه السلام انه قال فيما حكى الله تعالى عنه بقوله
تعالى فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ه ونوح انه قال والثاني موسى عليه
السلام حين قال ففررت منكم لما خفتكم الاية ه فان قلتم انه فر
موسى من قومه من غير مكروه راى فقد كفرتم وان قلتم انه فر من قومه
لمكروه راى فالوصي اولى واعذر والثالث هرون عليه السلام حين
قال ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فان قلتم انه لم يستضعف
فقد كفرتم وان قلتم انه استضعف وقصد قتله فالوصي اولى واعذر
والرابع لوط عليه السلام حين قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن
شديد ه فان قلتم انه قال ذلك من غير مكروه راه فقد كفرتم
وان قلتم انه لمكروه فالوصي اولى واعذر ه والخامس يوسف
عليه السلام حين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه فان قلتم

انه اجاب السجن من غير مكروه اي كفيتموه وان قلتم اختار
السجن لمكروه رآه فالوصي ولي واعذر والسادس محمد صلى
الله عليه وسلم ثوى على فراشه وذهب الى الغار ٥ وفي هذا مقنع
شافي في هذا الباب لمن انصف وقوله جل اسمه قال رب
اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ٥ حكى
الله دعا موسى عليه السلام انه قال اغفر لي ولاخي هرون
وكان منه ما يوجب العتب واللائمه لانه لم يكن منه تقصير
في الانكار على عبدة العجل بقدر وسعه وطاقته ٥ وقيل ان موسى
عليه السلام بين بهذا الدعا لبني اسرايل انه لم يأخذ من اخيه على
جهة الغضب عليه وانما كان ذلك على حسب ما يفعله الانسان
من الجزع عند مكروه راه وشدة اصابته ٥ ووجه اتصال وانت
ارحم الراحمين بالدعا مع قوة طمع الداعي في انجاح طلبته لمن هو
ارحم الراحمين يؤمل الرحمة من جهته ومن هذا اجواب لاجود بين
لمن يؤمل الجود من قبله مع الاسباب الى اشكالها والا بند الى
يدعو الى اشباهها وقوله جل اسمه ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ٥ في هذه الايه
محذوف وتقديره ان الذين اتخذوا العجل الها معبودا من دون
الله سينالهم الذلة والهوان في العقاب بما صنعوا وحذف ذلك
لدلالة الكلام عليه ثم بين تعالى ان هذا سبيل كل مفتر مثل
ما افترى هولاء في دين الله تعالى وقوله جل اسمه والذين عملوا
السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور
رحيم ٥ معناه ان الذين عملوا المعاصي ثم تابوا منها فان
الله تعالى يغفر ذنوبهم لما تقدم من الوعد البليغ عقيب الوعيد

البليغ بالمغفرة اذا تاب العاصي لئلا يقع الياس عن الرحمة
فاما قيل امنوا بعد ذكر التوبة وان كانت التوبة ايمانا لان تقديره
اذا تابوا من المعصية وامنوا بتلك التوبة ويحتمل ان يكون معناه وانما
تولوا عمل الايمان وقيل معناه وامنوا بان الله قابل للتوبة وقوله
جل اسمه ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها
هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ٥ يحتمل ان يكون معناه ولما
زال الغضب عن موسى عليه السلام لتوبتهم من كفرهم بعبادة العجل
ويحتمل ان يكون المراد ولما زالت فورة غضبه ولم يزل الغضب لانه
لم يخلص توبتهم بعد وكانه قال ولما سكت غضبه اخذ الالواح
التي القاها من يده وكان في نسختها دلالة ونعمة لمن كان خايفا
من عذاب الله بتركه المعاصي وانما جاز ان يقال لربهم يرهبون
ولم يجز يرهبون لربهم لانه اذا تقدم المفعول اضعف عمل الفعل منه
فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه ٥ وقيل اذا كان بمعنى
من اجله جاز دخول اللام تقدم او تاخر كما قال تعالى ردف لكم
بعض وقوله جل اسمه واختار موسى قومه سبعين رجلا
لميقاتنا ٥ قال بعض العلما الميقات هاهنا هو الميقات الاول
لانه في سؤال الرويه ٥ وقال غيره هذا الميقات هو غير الاول لانه كان
في التوبة من عبادة العجل فاختار موسى عليه السلام هولا السبعين وخرج بهم
الى الميقات وورد في القصه انهم سمعوا كلام الله لموسى
فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل ٥ المراد
بالرجفة هاهنا قيل دخل في قوله تعالى جعله دكا وخر موسى صعقا ٥
ومعناه فلما اخذت الرجفة هولا السبعين فقال موسى تضرعا الى الله
يا رب كنت قادرا على اهلاكنا قبل مجيئنا الى الميقات وقوله جل اسمه

واياي

اتهلكنا بما فعل السفهاء منا هو مخرج هذا الكلام مخرج الانكار
لانه بمعنى النفي ان يكون على هذا الوجه وكانه قال انك ربنا
لا تهلكنا بما فعل السفها منا فلهذا نسالك رفع المحنة
بالاهلاك عنا ٥ وقيل انما اخذتهم الرجفة لانهم كانوا
ممن سال الروية جهرة لين فعل السفها كان ذلك السوال ٥
وقيل اخذتهم لانهم لم ينهوا عن العجل وفي هذا دليل على ان
سوال موسى كان من جهة القوم لانه لو كان من جهة نفسه
لما قال بما فعل السفها منا وقوله جل اسمه ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشا وتهدي من تشا ٥ اصل الفتنة في اللغة الامتحان
يقال فتنت الذهب الفضة في النار اذا اذبتها ليتميز الردي
من الجيد وقد بينت حقيقة هذا اللفظ ومجازه في غير موضع
من هذا الكتاب فلا وجه لاعادته هاهنا ٥ والمراد بالفتنة هاهنا
تشديد التعبد والتكليف وقد تسمى شدة الذنب فيه ايضا كما
يقال الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية وكان الله
تعالى شدد التكليف عليهم لانهم كانوا مكلفين بالصبر على ما نزل
بهم من الطاعة وبالرضا به ٥ والاضلال هاهنا بمعنى العقوبة
وهو الاضلال عن نيل الثواب ٥ والهداية هاهنا هداية الى الثواب ٥
ومعنى الاية ما هذه الرجفة الا فتنتك اي تشديدك في التعبد
وامتحانك بالصبر على ذلك فتضل بترك الصبر من تشا عن نيل ثوابك
وهو العقوبة ٥ وتهدي بالرضا من تشا الى ثوابك وهو الثواب ٥
وقيل الاضلال هاهنا الحيرة بالمحنة لتستقر صاحبه عن الضلالة
والهدى التصبر بالا المحنة لتثبت صاحبه على الهداية وهذا المعنى
قريب وان كان الاول هو الاظهر وقوله جل اسمه انت ولينا فاغفر

لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ٥ من تاول الاية على ان الذي فعلوه من
الكفر والضلال كان بفتنة الله وحمل ايا ولك الفتنة على ما يحول به من وقوع
الفساد والهرج كان مبطلا لعدل الله وحكمته وسالكا مسلكا بعيدا
عن وجه الحق وقوله جل اسمه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
انا هدنا اليك ٥ معنى هدنا اليك تبنا واصله الرجوع يقال هاد اليه اذا رجع
ومعناه تحتمل تبنا اليك رجعنا ٥ ومعنى واكتب لنا هو مثل قوله حاكيا عن من
قال ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وانما قال اكتب لم يقل واجعل
لان ما كتب من الله ثبت لا سيما اذا كان الكتابة خيرا بدوام النعمة وقوله جل
اسمه قال عذابي اصيب به من اشا ورحمتي وسعت كل شي ٥ قامت الدلالة
على ان الله تعالى لا يشا ان يعذب الا من كان مستحقا للعذاب وكانه تعالى
قال اني لا اعذب الا المستحق وان رحمتي وهي نعمتي وسعت كل شي ٥ قامت
الدلالة على ان الله تعالى لا يشا ان يعذب الا من كان مستحقا للعذاب
وكانه تعالى قال اني لا اعذب الا المستحق وان رحمتي وهي نعمتي وسعت
كل شي ٥ معناه اقدر على ان انعم على كل من يصح الانعام عليه ٥ وقيل هذه
الرحمة هاهنا خاصة للمومنين وقيل هي تعم البر والفاجر في الدنيا وفي الاخرة
وهي خاصة للابرار وقوله جل اسمه فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة
والذين هم باياتنا يومنون ٥ معناه واكتب هذه الرحمة وهي رحمة الاخرة للمتقين
الذين كانوا يوتون الزكاة والحمد رحمة الله في الاخرة للمتقين الذين يوتون
الزكوة من اموالهم وكانوا مومنين بايات الله ٥ وقيل المراد بقوله هاهنا
ويوتون الزكوة هو تزكية النفس وطهارتها بالاعمال الصالحة وكانه قال الذين
يتقون ويطيعون الله ورسوله بالاعمال الصالحة وقوله جل اسمه الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ٥ معناه
قد وجبت هذه الرحمة للمتقين المومنين الذين يتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم ويطيعونه
ويجدونه بنعته وصفته في التوراة والانجيل ٥ وقيل في الامي وجوه قيل
هو الذي لا يكتب ٥ وقيل هي منسوب الى الامة بمعنى انه على ملة الاسلام ٥ وقيل هو

منسوب

ه الى ام القرى وهي مكة فكانه قال يبعثون الرسول الذي هو محمد
صلى الله عليه وآله وقوله جل اسمه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم ٥ معناه وهذا النبي الامي يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم ما طاب وطهر ويحرم عليهم ما خبث
ويضع عنهم الثقل الذي كان في تكليفهم من الامور الشاقة عليهم
وهو معنى الاصر وذلك كتحريم العروق وتحريم الشحم وغير ذلك وكانت
تلك الامور كالاغلال في اعناقهم لثقلها والاصر الثقل هاهنا ه
وقوله جل اسمه فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي
انزل معه اولئك هم المفلحون ٥ معنى عزروه عظموه ونصروه ٥
ويمنعهم عنه كل من اراد به كيدا او مكرا او مكروها والمراد بالنور
هاهنا القرآن وسمي نورا لانه يستضاء به في ظلمات الكفر والضلال ٥
بين الله تعالى ان من كان متبعا لمحمد صلى الله عليه وعظمه ونصره
وآمن بالقرآن المنزل عليه وعمل بما فيه كان مفلحا فايزا بما وعد الله
المؤمنين في الآخرة لانه جاء صلى الله عليه وآله بالقرآن داعيا الى المحاسن
وزاجرا عن القبائح فمن استبصر في دينه بالنور الذي اتى به فهو الفائز
المفلح وقوله جل اسمه قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي
له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت دلت الآية على ان محمدا
صلى الله عليه كان مبعوثا الى كافة العقلاء من الناس لان الله تعالى
امره بان ذلك للناس ٥ وانتصب جميعا على الحال من ضمير المخاطب الذي
عمل فيه حرف الاضافة وهو الكاف والعامل في الحال معنى الفعل في الرسول
الا انه لا يتقدم على حرف الاضافة لانه صار بمنزلة العامل ثم بين الله تعالى
الذي بعثه الى الخلق هو الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو
وحده لا شريك له وهو القادر على الاحياء والاماتة ولا قادر على ذلك
غيره وقوله جل اسمه فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله

وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ٥ امر عباده ان يؤمنوا به ورسوله
الامي وهو محمد صلى الله عليه وآله وبين انه صلى الله عليه هو الذي آمن بالله وكلماته
وهي جميع ما اوحى الله اليه فامر الله تعالى الناس كافة باتباع محمد المصدق
به في كل ما يدعو اليه وبين ان من اتبعه واطاعه كان مهتديا
وقوله جل اسمه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ٥ اخبر
الله تعالى انه كان جماعة من قوم موسى صلى الله عليه يتمسكوا بالحق في
وقت عموم الباطل ٥ فذهب بعض العلماء الى انهم قوم كانوا وراء الصين
وانكر بعضهم واختار فيه وجهين احدهما انهم كانوا قوما متمسكين
بالحق في وقت ضلال اكثرهم وهم الانبياء عليهم السلام ٥ والوجه الآخر
المراد به من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله من قوم موسى عليه السلام كابن
سلام وابن صوريا وغيرهما ويقدر الكلام انه اذا كان من قوم
موسى امة يهدون بالحق فعلى كلامه ان يكون في هذه الامة الكريمة في هذا
المعنى وهذه الآية لا تدل على انه ينبغي ان يكون في كل زمان امة هادية
من قوم موسى عليه السلام لانه لا يصح الكلام ما يوجد الى هذا المعنى
كما يصح الكلام في امة محمد صلى الله عليه من الحال على اخذ العلم عنهم
في كل زمان ٥ وذكر وهب بن منبه انه وجد في بعض كتب الله تعالى
ان ذا القرنين لما فرغ من عمل السد انطلق على وجهه في مسيره باقوام
شتى ورأى العجائب وكان فيما انتهى الى شيخ كان يقلب جماجم
الموتى فوقف عليه بجنوده ثم قال له اخبرني لاي شيء تقلب هذه الجماجم
فقال لاعرف الشريف من الوضيع والغني من الفقير فما عرفت واني لاقلبها
منذ عشرين سنة فسار حتى بلغ الى الامة العادلة من قوم موسى عليه السلام فلما
رآهم قال لهم ايها القوم اخبروني خبركم فاني درت الارض شرقها وغربها
وبرها وبحرها وسهلها وجبلها فلم ار مثلكم فاخبروني ما بال قبور موتاكم
على باب داركم قالوا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره
من قلوبنا قال فما بال بيوتكم ليس عليها ابواب قالوا ليس فينا لص

ولا طلس ولسر فينا الا امين قال فما بالكم لسرع عليكم الترا قالوا
لا نتظالم قال فليس فيكم احكام قالوا لا نختصم قال فليس فيكم
ملوك قالوا لا نتكاثر قال فلا تتفاضلون ولا تتباغون قالوا لا انا امنوا
سون متراحمون قال فلا تتنازعون ولا تختلفون قالوا من قبل الف
قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال فلا تتسورون لا تفعلون قالوا لانا غلبنا
طباعنا بالعزم ولبسنا انفسنا بالحلم قال فكلمتكم واحدة وطريقتكم
مستقيمة قالوا لانا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا نغتاب بعضنا بعضا
قال فليس فيكم مسكين ولا فقير قالوا نقسم بالسوية قال فليس
فيكم فظ غليظ قالوا من قبل الذل والتواضع قال فلم جعلكم الله اطول
الناس اعمارا قالوا انا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل قال فما لكم لا
تقحطون قالوا من قبل انا لا نغفل عن الاستغفار قال ولا تحزنون قالوا
لانا وطنا انفسنا على البلاء قال فلم لا تصيبكم الافات قالوا لانا
لا نتوكل على غير الله ولا نستمطر بالانواء والنجوم قال حدثوني كذا
وجدتم اباءكم يفعلون قالوا وجدنا اباءنا يرحمون مسكينهم ويواسون
فقيرهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساء اليهم ويستغفرون
لمسيئهم ويصلون ارحامهم ويؤدون اماناتهم ويصدقون ولا يكذبون
فاصلح الله بذلك امرهم قال فاقام عندهم ذو القرنين حتى قبض رحمه الله
وكان له خمسماية عام قوله جل اسمه وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا
امما قال بعض العلماء السبط ماخوذ من البسوط فيكون السبط
على هذا المعنى الجماعة التي تجري في الامر بسهولة لاتفاقهم في الكلم
وقيل هو ماخوذ من السبط وهو ضرب من الشجر يجعل الاثان الذي
يجمعهم كالشجرة التي يتفرع منها الاغصان فكانت الاسباط اثني
عشر رجلا من ولد يعقوب عليه السلام تفرقوا الاختلاف
دينهم وهو معنى قوله وقطعناهم وقيل انما فسر العدد بالجمع
فقيل اسباطا ولم يقل سبطا لانه يدل اللبس بالتمييز على تقدير

وقطعناهم اسباطا وقيل هو على معنى ان كل قسم اسباطا لان الواحد
يجوز ان يقال له سبط فيجوز على هذا الوجه عندي عشرون دراهم
على ان لكل قسم منها دراهم قال ... كسره
على ... والثلاثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر وسبط عينيه كربلاء
وقيل هو على اقامة الصفة مقام الموصوف على تقدير وقطعناهم اثنتي
عشرة فرقة اسباطا وقيل اثنتي عشرة وان كان لفظ السبط
مذكرا لان معناه اثنتي عشرة فرقة ثم حذف وقيل معناه وقطعناه
قطعا اثنتي عشرة ثم حذف وقيل السبط لما وقع على الامم انث قال
وان كلابا هذه عشر ابطن وانت بري من قبائلها العشر قوله
جل اسمه واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام
وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون قد مر نظير هذه الاية وقصة القوم في حين
التيه في سورة البقرة ولا وجه لاعادته هاهنا قوله جل اسمه واذ قيل
لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم رغدا وقولوا حطة
وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين قد مر ايضا
بيان نظير هذه الاية في سورة البقرة وهذه القرية قيل هي بيت المقدس
وقيل ارض بالشام وقيل انما ان نقع حطة على معنى مسئلتنا حطة او
مطلوبنا حطة وانتصب سجدا على الحال من دخول الباب وقال بعض
العلماء ليس لحال الدخول الباب لانهم بدلوا القول في حيوة موسى عليه السلام
ودخلوا بيت المقدس بعد موسى وقال غيره هذا لا يلزم لانه لا حجة فلعل
التبديل لم يكن بعد موسى قوله جل اسمه فبدل الذين ظلموا قولا غير
الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
قد مر بيان هذه الاية ايضا في سورة البقرة قوله جل اسمه واسالهم عن

القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون ٥ معناه سلهم يا محمد سوال توبيخ لا سوال استفهام على ما
كان منهم في امر القرية والحيتان من فاحش الخطيئة والشنيع السيئة
فهو لا يسلكوا سبيل اسلافهم في المخالفة وان تكاثر المعصية ٥
ومعنى شرعا على الماء وكانت هذه حال الحيتان يوم السبت وفي
غير السبت لا ياتيهم الحيتان وهو معنى قوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ٥
وقيل كانت الحيتان تشرع على الابواب في دورهم كانها الكباش البيض
وكان الله تعالى حرم عليهم صيدها واخذها يوم السبت فخالفوا
امر الله وتعدوا ما حل لهم فيه ٥ ومن الله تعالى ان يعظهم افضى
تغليظ المحنة في تكليفهم بظهور السمك لحيث يمكنهم اخذها
ولحرم اخذها عليهم وهو معنى قوله كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون ٥ وتلك القرية هي ايلة وقيل مدين وكلتا الروايتين عن
ابن عباس **وقوله جل اسمه** واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم
يتقون معناه لما خالف القوم امر الله وعظهم جماعة منهم كانوا على
الحق وخوفوهم بالهلاك والعذاب فلم ينجع
الوعظ فيهم فقال فرقة منهم للواعظين
لم تعظون قوما الله مهلكهم قالوا ذلك
لعلمهم بان الوعظ لا يزجرهم وانهم يقيمون
على تلك المعصية حتى ينزل العذاب بهم
وقيل الواعظون هم الناجون ٥
وقيل هلك الجميع وقيل نجت فرقة

وهم الذين ائتمروا لامر الله وانتهوا عما نهاهم عنه وهلكت فرقة وهم الذين
اخذوا الحيتان ٥ ومعنى قالوا معذرة الى ربكم ٥ اي انا انما نعظهم لانا له
عذر عند الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكي يتقوا هولاء الذين
نعظهم ٥ وقيل انما ارتفع معذرة لانه بمعنى موعظة ولو انتصب جاز بمعنى اعتذ
الى ربكم والرفع اجود عند سيبويه لانهم اجابوا عما عليه الموعظة من اجل الفرض
والعرض فيما ابن يعوى **وقوله جل اسمه** فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ٥ معناه
فلما اعرضوا لا تكاد لم يتعظون لنسيان ما وعظوا به وقيل لما تركوا ترك الناسي
انجينا من العذاب الواعظين الناهين عن المنكر واخذنا بالعذاب الشديد
المعتدين الظالمين ويدل هذا على ان الفرقة الواعظة نجت وهلك الباقون
وهو معنى قوله واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ٥ قرا
نافع بيس بكسر الباء من غير همز وسوف **وقوله جل اسمه** فلما عتوا عما نهوا
عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اصل العتو الخروج الى الجراة على الحسن
الذنوب ٥ ومعناه فلما طغوا بعد الزجر وان ركبوا ما نهوا عنه عن ساهم
بان مسخناهم قردة مطرودين مغلوبين وصاروا قردة لها اذناب يتعاوا
بعد ان كانوا رجالا ونساء وخرج لفظ كونوا على صيغة الامر وان
كان معناه كوناهم لتدل على انه بمنزلة قول القايل كن فكان لا
يلحق به تعب ولا نصب ٥ وقد مر بيان ذلك في سورة البقرة **وروى** عن
ابن عباس انه قال لم يتناسل اهل مسخ قط واجازه الحسن البصري والمختار
قول ابن عباس لان القردة الان ليست من ولد ادم كما ان الكلاب ليست
من ولد ادم **وقوله جل اسمه** واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة
من يسومهم سوء العذاب ٥ معناه واذ علم ربك انه يبعث على اليهود
من يذلهم ويعذبهم ويسومهم الصغار الى يوم القيامة ٥ وقيل معنى
تاذن اقسم قسما يسمع بالاذان ٥ والذين يبعثوا عليهم هم العرب يبعثوا على
اليهود بالذلة والخزي وفي الاية دلالة على انه لا يكون عز لليهود **واما** ما روي

ان الرجال اذا احرج فاكثر مستجيبة اليهود ٥
فان قال قائل هل يكون لهم عز ساعة اذا غلبوا ٥ احوال
عنه انهم ما دام اموال ـــ متمسكين باليهودية فلا عز لهم
بظاهر الاية والذلة لازمة لهم وان خرجوا من اليهودية في
وقت الدجال وادعوا الربوبية وتغلبوا فسيد المسلمين حسده ٥
وقوله جل اسمه ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم معناه
ان الله سريع العقاب لمن استحقه وهو غفور رحيم لمن استحق
المغفرة ووصف نفسه بانه سريع العقاب على تعذيب اهل
لان عقابه ات لا محالة ٥ وقيل سريع العقاب لمن استحق
التعجيل في الدنيا لانه لا يتاخر عن وقت ارادته **وقوله جل اسمه**
وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ٥
معناه فرقناهم على ما علمنا انه اصلح لهم في دينهم فصلح
قوم وفرقوا النقص من معاصيهم ٥ وقيل فرقناهم فتشتت
امرهم وذهب عزهم عقوبة لهم **وقوله جل اسمه** وبلوناهم
بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ٥ معناه اختبرناهم
بان عاملناهم معاملة المختبر بالنعم والنقم لكل واحد منهم
ويجتهدوا الى الطاعة وتسمية النعم والنقم بالحسنات والسيئات
مجاز ومعنى لعلهم يرجعون لكي يرجعوا الى الحق وكانوا ارتدوا
على وجوههم في جهد الباطل فاستدعوا الى الرجوع عنه الى
جهة الحق والانصراف عن الباطل رجوع الى الحق ٥ وقيل
معناه انهم ولدوا على الفطرة وهي دين الحق الذي يلزمهم
ان يرجعوا الى الحق **وقوله جل اسمه** فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون

سيغفر لنا ٥ الخلف بتسكين اللام نقيض الخلف بتحريك
اللام واحدهما ممدوح والاخر مذموم يقال هذه اخلف من هذا
بفتح اللام اذا قام مقامه ويقال هو خلف سوء بسكون اللام ٥
ونظير هذه الاية قوله جل اسمه فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب ومعنى
الاية انه نشا بعدهم قوم من اولادهم صارت التوراة اليهم
وجعلت بمنزلة الارث لهم وكانوا ياخذون اموال الدنيا وحطامها
على تبديل الكتاب الذي هو التوراة وتحريفه ٥ من الرشا
تعودا اليهم وحبا فباعوا الاخرة بالدنيا وكانوا ياخذون الرشا
على الاحكام ويقولون مع ذلك مع ذلك ان الله تعالى لا يواخذهم
بذلك وانه يغفر لهم ذنوبهم وهذا اصرح القول بالارجا ٥ وقال
العلما اول من قال بالارجا اليهود **وقوله جل اسمه** وان ياتهم عرض
مثله ياخذوه معناه وان ياتهم عرض مثل الاول ياخذوه لانهم يصرون
على اخذ الرشا وتبديل الكتاب وتحريفه وهذا اخبار عن حال
علمائهم واحبارهم الذين عاينوا وقيل هو على وجه الذم لهم انهم لا
يشبعهم شي من عرض الدنيا **وقوله جل اسمه** الم يوخذ عليهم ميثاق
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار
الاخرة خير للذين يتقون فلا يعقلون ٥ معناه ان الانبيا عليهم
السلم اخذوا عليهم العهد بان لا يحرفوا الكتاب ولا يبدلوه وان لا يقولوا
على الله الا الحق وان لا ياخذوا الرشا فنقضوا العهد وفعلوا جميع
ذلك مع علمهم بان ما يفعلونه باطل لانهم كانوا درسوا ذلك في كتبهم
ووقفوا عليه وفهموه وهذا هو الكلام عن عنادهم ٥ ثم بين ان ثواب
الاخرة خير للمتقين من عرض الدنيا ٥ وقوله افلا يعقلون توبيخ
لهم وتنبيه على ان التمسك بالعقل اولى ٥ قرا نافع بالتاء على الخطاب
تعقلون **وقوله جل اسمه** والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة

انا لا نضيع اجر المصلحين ٥ مدح الله الذين يمسكون بالكتاب
ولم يحرفوه والتمسك به ان يناط العمل به على ما بين فيه ومعناه
من عمل بالكتاب واطاع الله فيما امره ونهاه عنه كان الله لا
يضيع عمله لانه يثيبه عليه ويعظمه ويجله ويزيده من فضله
وخبر الذين قوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ٥ وقيل خبره محذوف
وتقديره والذين يمسكون بالكتاب نعطيهم اجرهم انا لا نضيع
اجر المصلحين وكان في ذكر العلم ما يغني عن ذكر المفعول لدلالة
الكلام عليه وقوله جل اسمه واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة
وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة ٥ النتق قلع الجبل
لقلعا على ما ذكر اصله ٥ ويقال في اللغة نتقت المراة ستة سوقا
فهي ناتق اذا كثر ولدها لانها ترفعها حملهم وتضعهم فقال العجاج
ينتق اقتاد الشليل نتقا ه معناه واذكر يا محمد
اذ نتقنا الجبل عن عسكرهم فوق رؤوس قوم موسى حتى صار فوقهم
كالظلة لان نعاهم عليهم وورد في القصة انه قلع الجبل عن
عسكرهم فرسخا ٥ وقيل كان سبب رفع الجبل ان موسى عليه
السلام لما اتاهم بالتورية ووقف القوم على ما بين الله من
الاحكام والتشديد في التعبد امتنعوا من قبولها لغلظ احكامها
فوعظهم موسى ونصحهم فلم يقبلوا منه فرفع الله الجبل فوق رؤوسهم
واعلمهم انهم ان لم يقبلوا ما اتاهم به موسى بجد وجهد نبيه ارسل
الجبل عليهم فلما رأوا ذلك قبلوا وتابوا وقال بعض العلماء
الظن هاهنا بمعنى العلم وهو جائز في اللغة ٥ وقال غيره
هو على ظاهره لانه ما دام يوجد السبيل الى حمله على الحقيقة
فلا وجه لصرفه الى المجاز واذا حمل على ظاهر الظن كان حكمه

خلاف حكمه اذا حمل على معنى العلم ٥ وقيل معنى خذوا ما اتيناكم بالقوة التي
اعطيناكم وهي القدرة ٥ لا تكلفوا لم تقدروا على ذلك لم يكن منكم
التكليف فدل ذلك بالاية على بطلان قول المجبرة في الاستطاعة مع الفعل
لانه لو كان كذلك لما الزمهم هذا الامر وقوله جل اسمه وظنوا انه واقع
بهم خذوا ما اتيناكم بقوة ٥ قيل معنى ظنوا علموا ٥ وقيل معناه الظن على
حقيقته وهو انهم خافوا وقوع الجبل عليهم وقوي في نفوسهم ذلك
وهو الاولى وساجدوا واما اتيناكم بقوة على التاويلين اللذين ذكرناهما
وقوله جل اسمه واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ٥ معناه امر واذكروا
ما في الكتاب في احكامه ومواعظه لكي تتقوا المعاصي وليس لاحد
ان يقول ان رفع الجبل على رؤوسهم على هذا الوجه يكون الجاء لهم
الى ما كلفوا وذلك ينافي التكليف لا يحصل لسبب الالجاء كان الالجاء لانه
يحتاج مع حصول السبب الى شرايط اخر وهو ان يكون مع حصول
السبب حيث يدفع عنه مضرة وفيها الحي الما الحي اليه ويعلم بانه ان رام
خلافه حيل بينه وبينه فظاهر هذه الاية ناطق بالظن الذي هو
التجويز دون العلم فان كان كذلك لم يكن الجاء لانه يجوز ان يكونوا
يروا في نفوسهم انه يرسل الجبل عليهم ان لم يقبلوا ذلك الكتاب ولم
يعملوا ذلك ولم ينصرف دواعيهم كلها الى القبول حتى يكون ملجأ
ومن ذهب الى ان الظن بمعنى العلم هاهنا وان الله خلق العلم الضروري
فيهم بانهم ان لم يقبلوا ان يرسل الجبل عليهم وانه كان الجاء يقول ان الله رفع
التكليف عنهم في ذلك الحال وظاهر الاية ينطق بخلاف ذلك وذهب
محمد بن يحيى صاحب التفسير في تاويل ذلك الى وجه بعيد فقال ان الجبل
لم يرتفع فوقهم وكان ذلك الجبل جبلا لذلك الآية كما يكون الجبال
التي يذكر بعضها فوق وبسطها وتندا رأسها فكان وكانت قامت
القوم طويله وقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم

واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين ٥ معناه واذكر اذ خلق الله من بني
ادم من ظهورهم ذرياتهم في كل عصر فبلغهم واكمل عقولهم بما
جرى على السنة الانبياء عليهم السلام فهذا معنى قوله واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا فجعل ما ذكره في قلوبهم وما
قال لهم رسل الله بمثابة قوله لهم شفاها الست بربكم قالوا بلى شهدنا
فجعل ما نظروا فيه واستدلوا به واجابوا الرسل الى ما دعوهم اليه بمنزلة
قولهم بلى شهدنا وهذه الطريقة تقرير الحجة على المكلف
باحسن الوجوه ٥ ومعنى اخذه من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم هو خلق
النطفة علقة ثم تصيير العلقة مضغة ثم تصيير المضغة عظاما ثم كسا
العظام لحما ثم انشاه خلقا على هذه الصورة المخصوصة التي عليها
الانسان ثم اخرجه من رحم امه واكمل عقله وهذه الطريقة متجددة
في كل عصر وزمان والاشهاد على الوجه الذي بيناه جائز في الحكمة
وحسن في العقل وليس فيه عبث ولا سفه يوكد ما قلنا قوله جل اسمه
ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وتقديره لئلا تقولوا يوم القيامة
او كراهة ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ٥ فبين انه خلقهم
وبلغهم واكمل عقولهم وقرر الحجة عليهم لئلا يمكنهم ان يقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقوله جل اسمه او تقولوا انما اشرك
اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون ٥ معناه
ولئلا تقولوا يوم القيمة انا نشانا على طريق ابائنا في الشرك ولم نعرف
شيئا مما لله يكون حجة على عباده ٥ ومعنى افتهلكنا اي اتهلكنا كانهم

قالوا نحن بعد ابائنا افتهلكنا بما فعله المبطلون فدلت الاية على ان الله
تعالى لو لم يقرر تبليغهم ما قرره في العقول والرسل لكان لهم ان يقولوا
يوم القيامة انا كنا غافلين عن ذلك واعني التكليف وطريقه ٥ وذلك
على بطلان قول من زعم ان الله ان يفعل بعبيده ما يشا وليس للعبد
ان يقول لله لم فعلت ذلك فانه لو ... اذا كلف العبد ما لا يطيقه وخلق
فيه الكفر والجحود ثم ساله لم كنت كافرا وادخله نار جهنم لاجل
الكفر الذي خلقه فيه كان عادلا وكان جميع ذلك حسنا لان
له ان يفعل ما يشا وليس للعبد ان يحاجه ويساله عما فعله ٥ وقد
نطقت ايات كثيرة بخلاف ما قالوه ولله الحجة البالغة على خلقه وليس لاحد من
خلقه حجة عليه ٥ ولهذا قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل الاية ٥ واما ما ذهب اليه الجهال من الحشوية وغيرهم في تاويل
هذه الاية فهو تحريف وترهات وخروج عن مقتضى العقل وظاهر الاية
والحاق السفه والعبث بالله تعالى وذلك انهم قالوا ان الله تعالى
اخرج ذرية ادم من صلبه في الزمن الاول على شبه الذر ثم قال لهم
الست بربكم قالوا شهدنا فقالوا كل من قال في ذلك الوقت بلى فهو الذي
امن ومن لم يقل بلى فهو الذي كفر ... وقتل الانبياء عليهم السلام
وهذا الكلام مع خروجه من قضية العقل خارج عن ظاهر الاية لان
الله تعالى قال واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم ولم يقولوا
ان الله تعالى اخرج جميع ذرية ادم من صلبه على شبه الذر ثم قال لهم الست
بربكم وقد علم العقلا ان مخاطبة من لا يعقل الخطاب عبث وفي تقرير الحجة عليه
سفه فلو كان الامر على ما زعموا لوجب ان يكونوا عقلا في تلك الحال التي خاطبهم
فيها ولو كانوا عقلا لكانوا اذا كبروا الان ذكروا ما جرى في ذلك الوقت لانه لا
يجوز ان ينسى العاقل شيئا عجيبا خصوصا اذا كان في باب الديانات ... لا
يذكر بعد ذلك احد منهم شيئا مما راه وسمعه وشاهده وقد علمنا
ضرورة ان احدا من البشر لا يذكر شيئا من ذلك وليس لاحد ان يقول

لان

الصبيان الاطفال تجري عليهم احوال الطفولية ولا يذكرون شيئا
منها في حال البلوغ لان كلامنا في العقلا الكاملي العقول والاطفال
حكمهم خلاف ذلك على ان كثيرا مما جرى عليهم يذكرونه في حال البلوغ
فيكونه ولا يكونوا عقلا فكيف يخفى على كاملي العقل احوال نحسبه ولا يذكر
شيئا منها قليلا ولا كثيرا وليس لاحد ان يقول ان طول العهد انساه لانه
لا يسمى لا منذ اذ الايام في مثل ذلك لانه لو اثر فيه لوجب ان يكون المجنون
اذا طال جنونه الا يذكر شيئا مما جرى عليه قبل جنونه اذا افاق
وكان يلزم في اصحاب الكهف الا يكونوا ذاكرين لشي مما جرى عليهم قبل
نومهم لانهم ناموا ثلثمائة وتسع سنين على انه كيف يمكن ان يتصور حال
من يولد من ولد آدم عليه السلام الى يوم القيامة انهم وجدوا
دفعة واحدة على كمال العقل شبه الذر ثم بعد ذلك خلقوا في النطفة
واحوالنا وابنائنا وآبائنا واعمامنا واحوالنا وبني اعمامنا واحوالنا واقاربنا فهل
كانوا بهذه الصفة في ذلك الوقت الذي كانوا فيه شبه الذر لان هذه
الاعيان هي تلك الاعيان على زعم هذا الزاعم فترى تحول الذر نطفة
ثم علقة او امثال الذر كلما وخلق خلقا جديدا او هذا اشي لا ينكر العاقل
ان يعتقد فيه شيئا على الصحة او يتصور له وجها يقبله العقل ونعوذ بالله
من الجهالة ويدل على بطلان قولهم سياق الاية وهو ان الله تعالى
اخبر ان الاشهاد لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ويقولوا
انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون
ومعناه اخذنا العهد لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
ولئلا يقولوا اشرك آباؤنا من قبل وان كان هذا العهد هو ما قالوه
في حال ما كانوا شبه الذر ولم يكن شيئا لهم آباء مشركون وهم غافلون
الان عن تلك الحال فكيف يصح ما قالوه هذا وقد قال الله تعالى
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والرسل انما اتوا الخلق بعد

بلوغهم وكمال عقولهم وانما يعتبر ذلك في حال ما كانوا فيه الذر
لم يأتهم رسول ومن سماهم بين قبل البرهان فكان من الغابرين ٥
فرانا فيه دربا لهم على الحجج وقوله يقولوا انا قد وقوله جل اسمه وكذلك نفصل
الايات لعلهم يرجعون ٥ معناه نفصل الايات لكي يرجعوا الى الحق الذي
يلزمهم الرجوع اليه ٥ وقوله جل اسمه واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ
منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ٥ معناه واخبرهم يا محمد خبر
الذي آتيناه آياتنا ونحن اعطيناه آياتنا لطفنا له حتى تعلمها وفهم معانيها
وصار عالما بها وبدين الله ثم انسلخ عنها بان كفر بآيات الله وترك
العمل بدين الله واتبعه الشيطان اي كفار الانس فكانوا اتبعه على الغي
وقيل اتبعه الشيطان للوسوسة لذلك الضلال حتى اغتبط به وتمسك
بحبله والغاوي هو الخائب من رحمة الله ولا يكون كذلك الا ضالا
ذاهبا عن دين الله وهذا الذي آتاه الله آياته قيل هو بلعم بن باعورا وكان
رجلا من المتقدمين وقيل هو امية بن ابي الصلت ٥ وقيل المراد
بآيات الله ههنا دين الله ٥ وقيل لما كفر هذا الانسان نزع
عنه العلم وقص علينا قصته ليحذرنا عن مثل فعله ولا يحل بنا ما حل به
ودلت الاية بهذه على بحوثهم بقلد من لا يؤمن عليه الارتداد واذا
كان كذلك صح قول اهل الحق ان امام المسلمين من حقه ان يكون
معصوما لانه لا بد من الرجوع اليه في معالم دين الله والعوام والخواص
في الاشياء ايضا ومن لم يكن بهذه الصفة لم يؤمن من الارتداد وقوله
جل اسمه ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه ٥ معناه
ولو شاء الله ان يرفعه بهذه الايات التي اوتيها قبل ان يكفر بان يميته
او يحول بينه وبين الكفر لرفعه حين استحق الرفعة بالايمان بتلك الايات
ولكنه اخلد الى الارض معناه واتقاه الله لم يزدد ايمانا وركن الى الارض ومال
الى طول البقاء والاقامة في الدنيا موثرا للحياة فيها الدنيا على الاخرة تاركا
لدين الله واتبع هواه وقوله جل اسمه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه

نسلخ

معناه

يلهث ٥ واللهث التنفس الذي يلحق الانسان من شدة الاعيا
وهو تنفس شديد وهذا في الكلب طباع فصير الله هذا
الانسان مثلا وشبهه بالكلب لانه لما كفر سلك الاياب وعادى
المومنين وقصد الى ايذائهم فان طلبوه وزجروه اذاهم وان
امسكوا عنه وسكتوا اذاهم ايضا كالكلب ان زجروه صاح
صاح وان كف عنه صاح لاهثا دالع اللسان ٥ وقوله جل اسمه
ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ٥
معناه هذا المثل الذي ضربناه مثل المكذبين باياتنا فاقصص القصص
اي يا محمد على الناس ليعتبروا به ويتفكروا فيحذروا عن مثل حاله
وقوله جل اسمه ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا
يظلمون ٥ انتصب مثلا انه تفسير الضمير الذي في ساء وهو كالاضمار في
بئس اذا قلت بئس رجلا زيد ٥ وتقديره ساء مثلا مثل القوم الذين كذبوا
باياتنا ثم بين تعالى انهم ضروا بما فعلوا انفسهم ولم يضروا الله شيئا ٥ وقوله
جل اسمه من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ٥
قال بعض العلما الهدى ههنا الحكم بالهداية والاضلال هو الحكم
بالضلال ٥ ومعناه من حكم الله له بالاهتدا الى الحق فهو المهتدي على
الحقيقة ومن حكم الله عليه بالضلال كان ضالا خاسرا ٥ والله تعالى
لا يحكم بالهدى الا للمطيعين له ولا يحكم بالضلال الا للعاصين ٥ وقال
غيره الهدى ههنا بمعنى الثواب وهو الهداية الى طريق الجنة والاضلال
العقاب وهو الاضلال عن طريق الجنة ٥ ومعناه من اثابه الله تعالى كان
مهتديا ومن عاقبه بالنار كان خاسرا ٥ وقد ثبت بالدليل ان الله تعالى
لا يثيب ولا يعاقب الا المستحق للثواب والعقاب ٥ كما دل قبل الثاني

المستوفي لانه لما عاقبته الا الغرق واللام رجعت اللام الى اصلها كما
رجع في الاضافة ٥ وقوله جل اسمه ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ٥
ذهبت المجبرة في تاويل هذه الاية الى ان الله تعالى خلق كثيرا من الجن
والانس فخلقهم لجهنم من غير ان فعلوا ما استحقوا لاجله
ان جهنم وقالوا اللام في قوله لجهنم لام كي ٥ وهذا قالوه ضروب من
الفساد ٥ احدها انهم ابطلوا بما قالوا ذلك حكمة الله وعدله لان
العادل الحكيم لا يخلق خلقا ويدخلهم نار جهنم من غير استحقاق ٥
والثاني انهم ابطلوا بما قالوا معنى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون فلو كان خلق كثيرا منهم للنار على الوجه الذي ذهبوا
اليه لبطل قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان اللام في قوله
ليعبدون لام كي معناه لكي يعبدون ٥ والثالث انهم ما عرفوا لام كي
وما ميزوها من غيرها من اللامات ولام كي يدخل على الافعال دون
الاسما وجهنم من الاسما لا من الافعال ٥ والرابع الزام السفه على الله
وذلك ان الله تعالى يعقب هذا لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم اعين
لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولائك كالانعام بل هم اضل
سبيلا وهذا ذم للقوم الذين يدخلون نار جهنم ويقرع ويذم من
لم يفعل ما يستحق الذم عليه سفه والله تعالى عنه ٥ فاذا بطل
هذا صح ما قاله اهل الحق وهو ان هذه اللام لام الاضافة في اللغة
والعلما يسمونها لام العاقبة فمرة تستعمل على معنى العلة ومرة على
شبه العلة كما قال تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
فال فرعون لم يلتقطوا موسى عليه السلام ليكون لهم عدوا وانما التقطوه
ليكون لهم قرة عين كما حكى الله عنهم بقوله وقالت امراة فرعون قرة
عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ٥ الا انه لما كان
المعلوم من حاله ان عاقبة امره معهم ان يصير عدوا لهم وحزنا
فكانهم التقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ونظائر ذلك في اللغة لا يحصى

منه قول فالمره اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
وقد علما انهم لم يجمعوا المال للورثة ولم يبنوا للخراب ٥ وقال الاخر
فام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالده ٥ والمراه لا تلد الولد
للموت الا انه اذا كان عاقبة امره الموت وكانها ولدته لذلك
فاذا صحت هذه الجمله كان تاويل الايه لقد خلقنا كثيرا من الجن
والانس وخلقناهم ليصلوا الى ثواب الله فخالفوا وعصوا ولم
يقوموا بحق ما كلفوا واستحقوا العقاب وصار المعلوم من حالهم
انهم يصيرون عقيبه الى الممات فيكون عاقبة امرهم دخول النار
فكانهم خلقوا للنار فحذف جميع ذلك لدلالة الكلام عليه وقوله
جل اسمه لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم
اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم
الغافلون ٥ بين الله تعالى حال القوم على وجه الذم لهم والتوبيخ
بانهم لم يفقهوا ما وجب فقهه بقلوبهم ولم يسمعوا ما وجب سمعه
باسماعهم ولم يبصروا ما ينبغي لهم ان يبصروا بعيونهم ثم زاد في الذم
بان نسبهم الى الغفلة وشبههم بالانعام فلولا انهم كانوا مكلفين
بالمعرفة واستماع الحق والنظر في الادلة ولو لم يكن الالات لهم موفره
وعللهم مزاحه لم يكن لهذا التوبيخ والذم والتشبيه بالانعام معنى
والله تعالى عن السفه والعبث وحكم الله عليهم بانهم اضل من الانعام
لما قلنا لانه تعالى لما اكمل عقولهم ومكنهم بها من اكتساب المعارف
والتمييز بين الحق والباطل ولم يعط الانعام العقل ولم يمكنهم من شيء من ذلك

فلما لم يستعملوها ولا اغنى لهم عن انفسهم والى لا لد لجعلهم اضل من [illegible]
الانعام لبين من عقل فجعل نفسه بصفة من لا عقل له كان اضل منه ولا
فرق بين ان تصرح بالنفي ان القوم كانوا عقلاء مكلفين مزاحي
العلة موفري الالات فلم يستعملوا عقولهم ولم يستعملوا الالات وصيروا
انفسهم من الغافلين حتى استحقوا العقاب ودخول النار ابدا ٥
وبين ان يضمن الكلام ما يدل العاقل الناظر فيه عليه بحيث لا يخفى عليه
شيء من ذلك جل الله تعالى عما يقول الجاهلون به علوا كبيرا وقوله تعالى
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ٥ بين تعالى في هذه الايات ان له اسما حسنه
وعلم خلقه ان يدعوه بتلك الاسما الحسنه اذا اراد وادعاه ٥ واسماوه
لا تعدو احدى منزلتين اما ان تكون تابعة لصفاته الذاتيه او مشتقه
من افعاله ٥ فالتابعه لصفة الذات كالقديم والباقي والعالم والحي
والسميع والبصير ٥ وفايده قول الله تعالى ترجع الى الفايده ٥ والمشتقه
من افعاله كالمنعم والمفضل والمحسن والرازق والعدل والرحيم وما
اشبه ذلك ٥ فاذا كانت اسماوه حسنه سوا كانت تابعه لصفات
ذاته او مشتقه من افعاله ٥ فلو كانت القبايح من فعله كالظلم والكذب
والكفر والزنا والسرقه لكانت له اسما تابعة لها ٥ ثم لم تكن تلك الاسما
حسنه وكانت قبيحه فدل ذلك على ان الفواحش ليست من فعله كما انها
ليست باراداته ٥ وذكر في حد الاسم وجوه قيل هو ما دل على معنى
مفرد ثم ذلك المعنى يكون شخصا او غير شخص فالشخص نحو رجل وزيد وغير الشخص نحو
الضرب والاكل ٥ وقيل الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشاره ٥ والفعل
كلمة تدل على المعنى دلالة الافاده ٥ وقد يذكر اشيا كثيره كلها من حق الاسم وليست
حدا لها كجواز ان الالف واللام تدخل عليه دون الفعل وكذلك حروف
الخفض وكجواز ان الاسم يجوز ان يخبر عنه وكجواز قد وسوف يمنع من الدخول عليه
وكجواز ان الاسم يصغر ويكنى عنه دون الفعل وكجواز ان الاسم ما صلح معه ان يصغر
ويثنى فهذا وان كان الحرف يشارك الاسم في بعضه ويختص الاسم

بعض دونا وكذلك لكن تفرقت على المتعلم دون لحقيق حده ٥٥
وقوله جل اسمه وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا
يعملون ٥ معناه واعرضوا عن الذين يلحدون في اسمائه فانه الله
مجازيهم ما كانوا يعملون تهديدا لهم ووعيدا قال بعض العلما
كان الحادهم في اسمائه تسميتهم الصنم باللات اشتقاقا من
اسم الله والعزى اشتقاقا من العزيز ٥ وقال غيره هو تسميتهم
الاوثان الهة وتسميتهم لله اب المسيح وما شاكل ذلك وقوله تعلى
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ٥ بين الله تعلى ان في الخلق
الخلق الذي وصفه فرقة هادية عادلة قال بعض العلما هم العلما
الاتقيا وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال انها هذه الامة وقيل
انما دخلت البا في الحق الموصلة لانهم يوصلون الى تعريف الصواب
بالحق الذي هو البرهان وكذلك يوصلون الى العذاب بالحق الذي لا يدل
عليه الا الباطل الذي يموه به ٥ ودلت هذه الاية على ان الاجماع صحيح في
كل زمان لين في كل زمان من خلق الله امة هادية ٥ واتصلت
هذه الاية بما قبلها اتصال طريق المودي الى الغرض لانه لما قال الله عز
ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وبين الغرض الذي يجب ان يطلب
من الطريق اليه ايضا وقوله جل اسمه والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون اصل الاستدراج الاخذ بطي منزلة بعد منزلة وهو من
الدرجة الذي يطوى الدرج وقيل اصله من الدرجة كانه يحط درجة
بعد درجة حتى ينتهي الى حال العقوبة والهلاك ٥ ومعناه ان الذين
كذبوا بايات الله واخذهم بالعقوبة من حيث لا يشعرون ٥ والذي قاله
المجبرة ان الله يستدرجهم الى الكفر والضلال فباطل لانه لا يجوز

على الله ولمن الله ذكر الاستدراج بعد تكذيبهم بايات الله و
وطرد نقمته طريقه الخزاد الملك فاه ٥ وقوله جل اسمه واملي لهم ان كيدي
متين ٥ اصل الاملا الامهال بين الله تعلى انه يمهلهم ويبقيهم ليتوبوا
فاذا لم يتوبوا عاقبهم وكيد الله اخذهم بالعقوبة من حيث لا يشعرون
به والمتين القوي وقوله جل اسمه اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة
ان هو الا نذير مبين ٥ معناه اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من
جنون وما هو الا نذير وحجة الله تعلى ونزلت الاية على سبب وهو
ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قام على الصفا يدعو قريشا فخذا
فخذا يقول يا بني فلان ويا بني فلان ويحذرهم بامر الله وعقابه
فقال قايلهم ان صاحبكم لمجنون بات يصرخ حتى الصباح
فانزل الله تعلى الاية وقوله جل اسمه اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شي ٥ الملكوت الملك الاعظم ٥ ومعنى الاية
اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وفي اصناف ما خلق الله
فيستدلوا بذلك على توحيد الله وعدله وحكمته وذكر هذا على وجه
التوبيخ للكفار الذين تقدم ذكرهم وهم الذين اعرضوا عن ايات
الله وقوله جل اسمه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث
بعده يومنون ٥ معناه اولم يتفكروا في ان عسى ان يكون قرب
اجلهم وهو وقت موتهم واذا جاء ذلك الوقت فباي حديث بعد
القران يومنون والكناية التي في قوله بعده راجعة الى القران
ودلت هذه الاية على صحة النظر ووجوبه في دين الله تعلى وعلى
ان كلام الله محدث ودلت على ان افعال العباد ليست مخلوقة
لله وليست المعاصي بمشية الله تعالى وعلى انه لا يمنع احدا
من الايمان والطاعة لانه لو كان الامر خلاف ذلك كان هذا
الذم والتوبيخ عبثا جل الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا

و

وقوله جل اسمه من يضلل الله فلا هادي له ٥ معناه من حكم
الله عليه بانه ضال فلا الحكم له بالهدى ٥ ومعنى الضلال
هاهنا الحكم بالضلال وما لم يضل العبد عن دين الله فالله
لا يحكم عليه بانه ضال ٥ وقيل من يضلله الله عن طريق الجنة
عقابا له على ضلاله وكفره فلا هادي له الى طريق الجنة وقوله جل اسمه
ويذرهم في طغيانهم يعمهون ٥ معناه ويتركهم وتخليتهم وبين ما
يفعلونه وهم متحيرون في طغيانهم ٥ وقد مر بيان نظيره في سورة
البقرة في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله جل اسمه يسألونك
عن الساعة ايان مرساها ٥ اصل المرسى مستقر الثقل من قولهم
ارسيت السفينة في الماء ومعناه يسألونك يا محمد عن القيامة متى مرساها
اي كونها ووقتها وحصولها وهذا كان سؤال اليهود على وجه
الامتحان والاستعجاز وقوله جل اسمه قل انما علمها عند ربي لا يجليها
لوقتها الا هو ٥ معناه قل لهم لا يعلم ذلك الا الله وحده لا يظهرها
لوقتها الا هو وقوله جل اسمه ثقلت في السموات والارض
لا تأتيكم الا بغتة ٥ معنى بغتة فجأة ومفاجأة ٥ ومعناه ثقل علمها
على اهل السموات والارض فلم يطيقوا ادراكه ٥ وقيل عظم وصف
القيامة على اهل السموات والارض من انتثار النجوم وتكوير الشمس
والعجز عن ذلك من اتيان القيامة ٥ وقيل ثقلت على السموات
والارض على معنى انها لا تطيقها السموات والارض لعظمها
وهذا على وجه المثل ٥ وقوله جل اسمه يسألونك كأنك حفي
عنها ٥ قيل معناه يسألونك عن وقت القيامة كأنك عالم بها
وقيل هو على التقديم والتأخير على تقدير يسألونك عن الساعة
كأنك حفي بها اي لطيف بها من قوله انه كان بي حفيا اي
لطيفا وقوله جل اسمه قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا

يعلمون ٥ معناه قل يا محمد علم القيامة عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك ٥ وقيل الاول علم بوقتها والاخر علم بكنهها ٥ قيل السائلون
عنها اليهود وقيل قريش وهو الاصح ٥ وقوله جل اسمه قل لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا الا ما شاء الله ٥ اي لا املك النفع والضر له القدرة عليها
مع عجز من جهة ضد ولا تمكين ٥ ومعناه لا اقدر على النفع والضر الا ما
شاء ان يمكنني منه ويملكني اياه وقوله جل اسمه ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ٥ معناه لو كنت اعلم الغيب لاعددت
من السنة المخصبة للمجدبة ومن الرخص للغلاء وما شاكل ذلك ٥ وقيل
لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من العمل الصالح على حسب علمي بها لكن من
يعلم الغيب يعمل الافضل لعلمه يعلوا الافضل على الادون ٥ ووجه
اتصاله بقوله ولو كنت اعلم الغيب بما قبله على تقدير لا املك الا ما ملكني
ولا اعلم الا ما علمني ٥ ومعنى وما مسني السوء ما اقول هذا عن شبهة
ولا علة وكانه قال ما مسني شيء من العلل لاجله قلت ما قلت ٥ وقيل
معناه ما بي جنون كما قاله المشركون وقيل ما مسني الضر لاستكثاري
من الخير وقوله جل اسمه ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ٥
معناه ما انا الا نذير بخوف لعباد الله بعقابه اذا هم عصوه ومبشر
لهم بالثواب الجزيل ان امنوا واطاعوه ٥ وقال لقوم يؤمنون تشريفا
لهم بالذكر يعني لهم ذلك منه وكان جاء اليهم نذيرا وبشيرا وان
كان صلى الله عليه نذيرا وبشيرا لكافة المكلفين وقوله تعالى هو الذي
خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ٥ المراد
بالنفس الواحدة ادم عليه السلام خلق الله تعالى جميع البشر منه على
التناسل المعهود الا انه لما كان هو اصل البشر جاز ان يقال
خلق البشر منه وجعل من ادم حوى ٥ ومعنى ليسكن اليها لياتنس بها ويميل
اليها اذ الاشياء تحن الى اشكالها وتنفر من اضدادها ومر في

سورة البقرة كيفية خلق حوى من ادم عليه السلم ولا وجه
لاعادته هاهنا والضمير في قوله منها راجع الى نفس واحدة وهو
ادم عليه السلام وقيل جعل من كل نفس زوجها يعني وقيل وجعل
من النفس زوجها على طريق الجنس لا انه اضمر لعدم الذكر وعلى
هذا الوجه يرجع الضمير الذي في قوله جعلا له شركا فيما اتاهما الى
ادم المشركين منهم وقوله جل اسمه فلما تغشاها حملت حملا خفيفا
فمرت به معناه فلما تغشى الذكر الانثى حملت الانثى منه حملا
خفيفا فمرت بالحمل لخفة ذلك الحمل امكنها التصرف الى ان
ثقلت وقيل لخفة ذلك الحمل سكنت في انها حملت او لم تحمل
وقوله جل اسمه فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا
لنكونن من الشاكرين معناه فلما ثقل حملها بنزول النطفة في المراة
لئن رزقنا الله تعلى ولدا صالحا نشكر الله تعلى على ذلك حق
الشكر ومعنى صالحا هاهنا معافا في بدنه سويا وقيل صالحا
في باب الدين وقوله جل اسمه فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما
اتاهما فتعالى الله عما يشركون فلما اعطاهما الله ما تمنيا لا جعلا بدل
الشكر الذي لزمهما الشرك بالله والضمير الذي في قوله اتاهما وفي
قوله جعلا راجع الى ولد ادم عليه السلام وحوى لان الشرك لا يجوز
على ادم ومن تاول وجعل منها زوجها انه جعل من كل نفس زوجها
على طريق الجنس كما بيناه في الابتداء اولى رد الضمير في قوله جعلا الى
ولد ادم من حيث الظاهر ومن قال ان المراد بقوله وجعل منها
زوجها ادم وحوى رد الضمير الذي في قوله جعلا الى ولد ادم باضمار

الى الرسل عليهم وذلك ان الرواية وردت بان حوى كانت
تلد في كل بطن ذكرا وانثى فولدت خمسمائة بطن كذلك فنذرا ان
رزقهما الله نسلا صالحا ان كانا لله من الشاكرين فلما اتاهما
صالحا يعني نسلا وكان النسل ذكرا وانثى وكان كل بطن كذلك
جعل النسل له شركاء فيما اتاهما وانما قال جعلا لان النسل كان
ذكرا وانثى وكانا اثنين واشرك كثير من بني ادم يدل على صحة
هذا قوله تعلى فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع ولو كان
ذلك راجعا الى ادم وحوى لقال يشركان لكنه لما رجع الى بني ادم وكانوا جمعا
يشركون ومن قال ان هذا راجع الى ادم وحوى فانهما جعلا لله شركا في
التسمية بان سميا ذلك الولد عبد الحرث طاعة للشيطان وكان اسمه الحرث
فعبد فقال قولا شنيعا فضيعا لا يليق هذا القول على الانبيا عليهم السلام
ومثل هذه الاقاويل لم تخرج الا من وضع الملحدين والمنافقين والملبسين على الجهال
لقلة معرفتهم لصفات الله وصفات حجج الله وانبيائه وامنائه على
خلقه وقوله جل اسمه ايشركون ما لا يخلق شيا وهم يخلقون هذه الالف
الف انكار في سوال احتجاج فكانه انكر عليهم ان يشركوا بالله تعلى
ما لا يقدر على خلق شي وهو مخلوق وقيل قوله وهم يخلقون راجع الى
العابد لغير الله والمعبود فيدخل فيه ما لا يعقل على التغليب ولانهم
قدروا الاوثان تضر وتنفع وقيل انما قالوا دون من تخصيص الاوثان
بالذكر على ما هم عليه من حكم العقلا وقوله تعلى ولا يستطيعون نصرهم
ولا انفسهم ينصرون معناه ان هولا العبدون الاوثان عبادة من
لا يقدر على نصرهم ونفعهم وعلى ما يكون من شد حالهم وهم لا يقدرون على
شي من ذلك ومعنا ولا انفسهم ينصرون لا يدفعون عن انفسهم مكروه من
اراد بهم ذلك من كسر وغيره الا انه لما جا الكلام على سبيل المراد جمع في وصف
الاجسام وقيل يحتمل ان يكون المراد به العابدون للاوثان على نصر
وهم مع حاجتهم الى النصرة لا يجدونها من قبل من عبدوه ولا من قبل انفسهم

ولا يصح ان ينصر الواحد نفسه على الحقيقة لانه لا يصح اضعاف
زيد يعوق عمرو ولا يصح اضعاف زيد يعوق نفسه وقوله جل اسمه وان تدعوهم
الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام
انتم صامتون ٥ معناه وان دعوتموهم الى الحق لم يقبلوا منكم
وسواء عندهم دعاؤكم اياهم وسكوتكم عنهم وهذا مثل قوله تعالى
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقيل الكناية في تدعوهم
راجعة الى قوم من المشركين كان المعلوم من حالهم انهم لا يفلحون ابدا
وقيل الكناية راجعة الى الاصنام التي عبدوها ٥ وقيل انما قال
ام انتم صامتون ولم يقل صمتم افادة للماضي والحال لان المعاملة قد
دلت على معنى الماضي واللفظ دل على معنى الحال وقوله تعالى ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم
صادقين ٥ بين الله تعالى ان الذين يعبدون من دون الله مخلوقون
كما ان العابدين مخلوقون وكلهم عباد الله لانهم مملوكون مربوبون
لله معناه من غير الله وكانه قيل كل من تدعوا الها غير الله فهو
عباد امثالكم والعقل لا يقتضي عبادة من هو مثل العابد والدعا
الاول تسميتهم الاصنام آلهة كانه قيل ان الذين تدعون آلهة من
دون الله والدعا الثاني وهو فادعوهم لطلب المنافع مع كشف
المضار من جهتهم وذلك ما يؤمن من قبلهم وعبادة من هذه صفته
جهل وسخف ومن ههنا لابتدا الغاية فابتدا الدعا دون الله الى حيث
انتهى بما هو لغير الله ٥ ومعنى فادعوهم فليستجيبوا لكم قيل اللام في قوله
فليستجيبوا لام الامر على معنى التعجيز كما قال قل هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين وقيل ان كنتم صادقين انها آلهة فادعوهم فليستجيبوا لكم
فكان هذا استهزاء بهم على كذبهم في دعواهم لانهم اذا لم يقدروا
على الاجابة ولا على النفع والضر واتخاذهم معبودا او ادعا الالهية

حركة في باطنه وقوله جل اسمه الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها ٥
هذه الايات الفاظ انكار وانما عليهم عبادة من لا رجل له ولا يد
ولا بصر ولا سمع ان من عبد خشبا هذه صفته فقد عبد ما لا يشبه عند
العقلا في ان عبادته تستحق الانسان من نفعه وضره فيكون هذا
لو من عبد من لم جارحة فيمكنه ان ينفع ويضر بها ٥ وقيل عرفهم
الله بذلك انهم مفضلون هذه الالات فكيف يعبدون من هم افضل
منه وذهب بعض المشبهة الى ان لله تعالى رجلا ويدا وبصرا وسمعا
محتجا بان الله تعالى انكر عليهم عبادة من لا رجل له فيجب ان يكون
له رجل ويد اذا كان معبودا وهذا جهل عظيم من وجوه احدها
انهم لم يعرفوا مجازي هذه الايات ووجوب الانكار عليهم ٥
والثاني لم يعرف الله حق معرفته ولم ينف عنه شبه خلقه ٥ والثالث
انه جهل طريقة الاستدلال ٥ ومن اجتمعت فيه هذه الفضايل كان
من اسخف الناس وقوله جل اسمه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
فلا تنظرون ٥ الانظار الامهال قيل انهم خوفوا رسول الله صلى الله عليه
وآله بآلهتهم فلذلك قال لهم ادعوا شركاءكم ثم كيدون على وجه التقريع
والتعجيز وقيل دلهم بضعفهم وضعف من عبدوه على فساد دينهم
عبادتهم لها ٥ وقيل وجه اتصال قوله قل ادعوا شركاءكم بما قبله اتصال
واستكمال الحجة عليهم لانهم لما قرعوا العبادة ما لا يملك ضرا ولا نفعا ٥
وقيل لهم معبود لا يملك الضر والنفع لا يستحق العبادة وانما يستحقها
من يملك الضر والنفع وهو خالقي وخالقكم واجهدوا في كيدي لن
تصلوا اليه لدفعه عني وقوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب
وهو يتولى الصالحين هذه حكاية قول الرسول انه قال لهم
ان وليي الله ومعناه ان الله ناصره وحافظه والمدبر له

ووصفه له بانه نزل الكتاب اعترافا منه بنعمة الله في انزال الكتاب
مع الدلالة على انه يتولاه وينصره ه ومعنى وهو يتولى الصالحين
يتولى حفظ الصالحين ونصرهم وقد يتولاه الله في كل حال بالحكم بانه
ينصره لرضاه بفعله كما انه يعادي الكافر بالحكم بانه يخذله لسخطه لفعله
وقوله جل ثناؤه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون ه قد مر بيان نظيرها في هذه السورة وليس هذا بتكرار لان
هذا انما تقدم مذكورا على وجه التقريع وهاهنا مذكور على وجه
الفرق من صفة من لا يجوز له العبادة وكانه قال ان ناصري الله الذي هو
معبودي ولا ناصر لكم ممن تعبدون وقوله تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ه معناه وان دعوتم من تعبدونه
الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم ه وقد مر بيان نظيرها ايضا في هذه السورة
ليس معادا ايضا لانه بين صفات النقص التي عليها الاوثان لمن يدعوها الى
الهدى ولم يذكر هنالك [illegible] فلم يتبعه فهو على صفة من دعا الى الهدى فلم
يسمعه فهو على صفة نقص ومعنى فتراهم ينظرون اليك تراهم يقابلونك
وهم لا يبصرون شيئا ه وقيل وتراهم على وجه تتوهم انهم يرونك وهم لا
يرونك وهذا يدل على ان النظر ليس هو الرؤية وقيل انما جاءت الكناية
على الاوثان على حسب ما يجري من العقلاء بقوله وان تدعوهم وتراهم
لان عبادة الاوثان انزلوها منزلة من يسمع ويبصر كما يكون ذلك
لما يعقل وقيل لانهم صور وتماثيل على صورة من يعقل وقيل هو في قوله
وان تدعوهم الى الهدى ه تاويل اخر وهو وان تدعوا المشركين
الى الهدى لا يسمعوا ولم يقبلوا والقائل بهذا صرف الدعاء عن
الاوثان الى القوم الذين عبدوها وقوله جل اسمه خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين جمع الله تعالى في هذه الخصال الثلث
جميع مكارم الاخلاق والاداب ه ومعنى العفو هاهنا الفضل الذي

يكون عن طيب نفس من غير تعنيف فقد يكون ذلك في قبول الاعتذار وفي كل
ما يسهل عطاؤه ولا يجهد بذله ه وقيل هو العفو من الاموال
قبل ان نزل فرض الزكاة ه وقيل ما فضل فاعرض عن الجاهلين
مع وجوب الانكار عليهم لم يجب [illegible] في حال الياس من صلاحهم
فيعمل ذلك على طريق الاستخفاف بهم وصيانة النفس عن مقابلتهم ه
واصل العرف المعروف لانه يعرف صوابه عند ذوي العقول وقوله
جل اسمه واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع
عليم ه اصل النزغ الازعاج بالاغراء واكثره يكون عند الغضب
ومعناه اذا ازعجك الشيطان فتعوذ بالله عند نزغه وافزع اليه
لدفعه فان الله سميع عليم وقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ه الطائف
اللمم وقيل الوسوسة وقيل النزغ ه ومعناه ان المتقين اذا مسهم
نزغ من الشيطان تذكروا ما اوجب الله عليهم ما يلزمهم لاجل المعاصي
ان عصوا فانتهوا عن المعاصي وهذا معنى قوله فاذا هم مبصرون
مبصرون نعم الله وتوابع المعاصي فانتهوا ان حضرهم داعي الشهوة
فهو مدح للمؤمن المتقين وابانة عن منزلة التذكر في الابصار بما
طرقوا لرشده ه وقوله جل ثناؤه واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ه
الاقصار الكف عن الشيء معناه واخوان الشياطين وهم الغواة الضلال
من الانس يمدهم الشياطين في الغي الضمير راجع الى الشياطين
وقيل واخوان المشركين من الشياطين يدعونهم الى الغي والضلال
ولا يقصرون عنه فكانهم وقفانهم على حق لتمسكهم به وقوله
جل اسمه واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها ه الاجتباء
لاستخلاص الشيء ه ومعنى لولا هاهنا واذا لم تجئهم باية جديدة
قالوا لك هلا جئت باية تستخرجها فكانت شبهتهم في مطالبته

انه زايده الله لما بعد عليهم اتيان امثالها توهموا ان لما
انتهى نهايه لا يمكن عليه زياده ٥ وقيل كانوا يطلبون الايات فاذا
جاءت كذبوا بها واذا ابطأت طلبوا مجيها وكان غرضهم
بذلك القدح في الوحي فاذا لم تاتهم باية مما طلبوا تعنيتهم من نحو
احياء ميت يسمعون كلامه قالوا لولا اجتبيتها بيبتولك ذلك
اياها وانما الحجه ان يوتوا بالايات على حكمه لما في ذلك من المصلحه
لهم ولغيرهم كما قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون ٥ قوله جل اسمه قل انما اتبع ما يوحى الي من
ربي معناه قل لهم اذا سالوا الايات من قبل نفسي الزمني بحسب ما يطلبونه
مني لكني ليس الامر كذلك لاني اتبع وحى ربي ما ينزله على انفع الكم
وما لم ينزله لشى له سبيل قوله تعالى هذا بصائر من ربكم
وهدى ورحمه لقوم يومنون ٥ معناه هذا القران دلايل
الله يعود الى الحق لمن استدل به دون من اعرض عنه فلهذا
قال وهدى ورحمه لقوم يومنون ٥ معناه لمن لم يومن ولو
استدل كان معرضا عنه قوله جل اسمه واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا الانصات السكوت لاستماع الشي لكي
ترحموا وسعر عليكم [illegible] هذا الانصات في الصلوه وهو ان يقوم
الامام جهر فاستمع ان ينصت لذلك ٥ وقيل في الصلوه والخطبه
يوم الجمعه والاختلاف ان على الماموم ان ينصت للامام اذا جهر
قوله جل اسمه واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفه ودون
الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين ٥ معناه
واذكر ربك في نفسك ايها المستمع للقران اذا قرئ عليك ٥ وقيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه واله والمراد عام لسائر المكلفين وحب

ان يكون ذلك الذكر على طريق التضرع والمخافه من الله وان لا
يجهر فيهو سان ما لا يحسن في الانسان ان يفعله بالغداه والعشي
من ذكر الله بالتعظيم الذي لا يوازيه شي والحمد لله على نعمه الشامله
والايه المتظاهره ٥ وتصغير الاصيل اصيلا اصيلا وواحدها اصيل
وجمعها اصل ثم اصال ثم جمع اصل اصيل مثل تمر وانمار قوله جل اسمه
ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله
يسجدون ٥ هذا النبي جاعلى بعدى من اعراب لمن استكبر من
الناس عن عباده الله فقيل من هو اكبر منك اجل لا يستنكف
عن عباده الله وهم الملئكه المقربون المكرمون ومعنى عند ربك
بالمكان الذي شرفه الله وعظمه ولذلك قال عند ربك وقيل
الملئكه رسل الله الى الناس ولذلك قال عند ربك كما يقال عند خليفه
جيش كثير وان كانوا متفرقين في البلاد ٥ وبين تعالى ان الملائكه كما
يعبدون الله ينزهونه عن كل قبيح ويسجدون له في الصلوه ٥ ومعنى
السجود التواضع وروى ان هذه السوره مكيه وروى ابي بن كعب
من قرا السوره الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا وجعل ادم
عليه السلام شفيعا له يوم القيمه السوره التي يذكر
فيها الانفال مدنيه خمس وسبعون ايه ٥ والف وماتان واحدى
وثلثون كلمه وخمسه الاف وماتان واربعه وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه يسالونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول ٥ الانفال الغنايم وقيل الانفال الخمس الذي
جعله الله لاهل الخمس ٥ [illegible] الجعفري
جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قوله تعالى واعلموا انما غنمتم
من شي فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى الايه فقال اما خمس
الله والرسول فيصرف في سبيل الله كيف شاء ٥ واما خمس الرسول فلاقاربه

وحمير ذوي القربى فهم اقرباء رسول الله وروى ابان بن تغلب عن
الصادق عليه السلام في الرجل يموت ولا وارث له ولا مولى قال هو
من اهل هذه الآية يسألونك عن الانفال وروى عبد الله بن سنان
قال سمعت الصادق عليه السلام يقول ليس الخمس الا في الغنائم
خاصة فكانه جعل المعادن بكل ما يثبت فيه الخمس من الغنائم وقيل
كانت الانفال من السرايا التي تتقدم امام الجيش الاعظم والفرق
بين الغنيمة والنفل ان الغنيمة هو ما يرجع على المسلمين من اموال المشركين
من غير قتال والنفل يكون ما اخذ بقتال ينفله الامام من يرى في احبا
كان وزيادة على الواجب ومعنى الآية ان النبي صلى الله عليه
وآله سئل عن الانفال لمن هي فامر الله تعالى بان يجيبهم بقول
ان الانفال لله والرسول وقيل انما سئل عن هذا لان الانفال كانت
حراما على من قبلهم فارادوا ان يعرفوا حكمها فيهم وقيل نسخها
قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول وقيل ليست بمنسوخة
وهو الصحيح لما بيناه اولا وحكم الائمة عليهم السلام حكم رسول صلى الله
عليه وآله في الانفال وقيل نزلت الآية في اهل بدر وكان النبي صلى الله
عليه وآله قال من اتى مكان كذا وفعل كذا فله كذا فسارع اليه
الشاب وبقي الشيخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون
ما جعل لهم فقال الشيوخ لا تذهبوا به دوننا فانا كنا ردءا لكم فانزل
الله تعالى الآية الى قوله ان كنتم مؤمنين وروى عبادة بن الصامت
قال لما اختلفنا يوم بدر وساءت اخلاقنا نزع الله النفل من ايدينا
وجعل حكمه الى رسوله صلى الله عليه وآله فقسمه بيننا على السواء
وهو معنى قوله تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا
الله ورسوله في ذلك ان كنتم مؤمنين بالله ورسوله معناه
فاتقوا عقاب الله بترك معاصيه واصلحوا ما بينكم مطيعين

لله ورسوله في ذلك ان كنتم مؤمنين بالله ورسوله وانما
انث لفظ البين لانه بمعنى ذات الشيء كقولك بعت له الشيء وقيل هو
نحو واصلحوا الحال ذات بينكم وقوله جل ثناؤه انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم
ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الوجل الخوف والحزن الشديد
وقد مر بيان فائدة الايمان في اللغة والشرع في سورة البقرة
فلا وجه لاعادته ههنا والتوكل هو الثقة بالله في كل امر
فبين الله تعالى في هذه الآية صفة المؤمنين المحققين
وبين انهم عند ذكر الله توجل قلوبهم خوفا من عقاب الله واذا
قرئت عليهم الآيات زادتهم ايمانا وهم يثقون بالله في كل امر يحتاجون
اليه وعند الرسول الله صلى الله عليه وعليهم الايمان يزيد وينقص
لانه خصال كثيرة وسئل الرضا عليه السلام عن الايمان فقال معرفة
بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان والى هذا ذهب بعض
علماء الامة فهذه الزيادة قد تكون فرضا وتكون نفلا لانه يعرض
للمكلف شبهة يجب عليه النظر في حلها وقد يعرض له دلائل يؤكد
بها مذهبه عند نظره فيها وقيل زاد ان الايمان عند نزول الآيات
بالتعدي على التفصيل وقوله جل اسمه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون هذا اخبار صفة المؤمنين الذين تقدم ذكرهم ووصفهم
الله باقام الصلوة على الحد الذي وجب عليهم وبالانفاق في سبيل
الله من المال الذي آتاهم واعطاهم وملكهم وقوله جل اسمه اولئك
هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم
بين الله تعالى ان المؤمن حقا يكون من صفتهم ما ذكر الله عنه
في الآية ومن كان مؤمنا حقا فان له عند الله درجات ومغفرة
ورزقا في الجنة وهذا ابطل قول من قال من النوابت مثل الكرامية
ومن نحا نحوهم ان الايمان هو القول المجرد ومن اتى به كان ايمانه مثل

ايمان جبرئيل عليه السلام ٥ وان المنافق يكون مؤمنا باظهار مجرد
القول كافرا بابطانه **وقوله جل اسمه** كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ٥ معنى الاخراج ههنا
هو الدعاء الى الخروج والامر به وهذا كقولك اضربت زيدا عمرا
وهو ان دعوته الى الضرب به فضربه فكان الخروج الى زيد ٥ ووجه
التشبيه في قوله كما اخرجك قل الانفال لله وكانه قيل الانفال لله
والرسول مع المشقة التي لحقتهم فيه لانه اصلح لهم كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وكل هذه الوجوه متقارب في الجواب والاحتمال
والعامل في كاف التشبيه مع الفصل الذي يدل عليه في قوله قل الانفال
لله والرسول لان فيه معنى نزعها من ايديهم بالحق كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق ٥ وقيل وجه آخر وهو يجادلونك في الحق كما كرهوا
اخراجك من بيتك بالحق لان فيه هذا المعنى فان تقدم ذكر الاخراج
وقيل يعمل فيه معنى الحق فيتقدر هذا الحق كما اخرجك ربك من
بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون وكانت الكراهة كراهة
الطباع وهذا هو الاقرب ٥ وقيل كانت الكراهة على الحقيقة
الا انها كانت قبل ان يعلموا ان الله امر به او قطع النبي صلى الله عليه وسلم
العزم عليه فلما علموا ذلك ارادوه ولم يكرهوه لانه ليس من صفة المؤمن
كراهية ما اراده الله ورسوله والاقرب ان يكون الكراهية
كراهة طباع وسياق الاية يدل عليه وهو قوله كانما يساقون
الى الموت وهم ينظرون ومثل هذا لا يكون الا فيما لا يجمع على الطبع ٥
وقوله جل اسمه يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت
وهم ينظرون ٥ المجادلة المنازعة واصل الجدل شدة الفتل والحق
الذي كانوا يجادلون فيه هو قتال عدوهم لانهم كانوا اخرجوا ابتدا
العير التي اقبلت من الشام مع ابي سفيان لا لاحد وهاعنه فهوزوا
بها فلما فاتهم ذلك وبين لهم انه لا بد من قتال المشركين شق ذلك

عليهم فنازعوا فيه لم قبل ان الذين جادلوه وقالوا كانوا قوما
من المؤمنين الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا ان
النبي عليه السلام لم يعلمنا انا نلقى العدو حتى كنا نستعد له وانما خرجنا
للعير فجادلوا فيه طلبا للرخصة لا ردا لامر الله ٥ وقيل هم قوم
من المشركين جادلوه ذكره ٥ والوجه الاول اصح لان الله تعالى وصف
المؤمنين بالكراهة **وقوله تعالى** كانما يساقون الى الموت وهم
ينظرون ٥ وهذا مثل يضرب في صعوبة الامر وشدة الكراهة
لشرط المستقبل **وقوله جل اسمه** واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ٥ معناه ان الله
وعدكم ان يكون احدى الطائفتين لكم اما العير واما الظفر بالعدو
عند القتال وانكم تحبون ان يكون الاسهل لكم وهو الظفر بالعير
من غير قتال ولا الحرب القتال والشوكة السلاح ههنا والعامل
الاعراب في انها لكم على البدل من احدى ونظيره قوله هل ينظرون
الا الساعة ان تأتيهم بغتة **قصة** بدر قيل كانت عدة اهل
بدر من المؤمنين ثلاثمائة وثلاثة عشر ولم يكن لهم سلاح تام ولا دواب
وكان **سبب** مسيرهم ان ابا سفيان اقبل من الشام واقبلت
قريش من مكة لحماية العير وطمع صلى الله عليه وآله وسلم في العير لضعف
اصحابه فشاور الاصحاب فيه فقال سعد بن معاذ يا رسول الله
قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك
فنشط لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لهم
سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدكم احدى
الطائفتين ٥ اما العير واما جمع قريش الذين خرجوا لحماية العير والله
لكاني انظر الى مصارع القوم واشار الى تلك المواضع مصرع كل

كل واحد منهم في المكان الذي اشار اليه وكان ذلك احدى
معجزاته لانه اخبر قبل المحاربة بمصارعهم وكان يخبره على
ما اخبر به **وقوله جل اسمه** ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع
دابر الكافرين ٥ لما اخبر الله تعالى ان المؤمنين احبوا الفوز
بالعير دون القتال لا اولئك الذين كانت لهم الشوكة بين ان
الله يريد سببا اخر وهو انه يريد ان يظهر الحق ظاهرا او يقطع
دابر الكافرين ف هو خير من الفوز بالعير ومعناه يريد الله ان
يكون ما قد اخبر به من اظهار الحق واعزازه في وقته على ما تقدم
من وعده به وهذا معنى قوله ويريد الله ان يحق الحق بكلماته
قيل يريد ان يحق الحق بامره اياكم ان تجاهدوا عدوكم ويريد ان
يقطع اخر عدوكم بستاصلهم بان يهلكهم على ايديكم وهو معنى قوله
ويقطع دابر الكافرين **وقوله جل اسمه** ليحق الحق ويبطل الباطل ولو
كره المجرمون ٥ معناه ليظهر الحق الذي هو دين الله لطف للمسلمين
حتى يعلموا الكافرين وان كره المشركون ذلك وروي عن الحسن البصري
انه قال هذه الاية نزلت قبل قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
وهي في القراءة بعدها فوعدهم الله اظهار الحق واعدام الباطل على
كره من المشركين واعزاز للمسلمين **وقوله جل اسمه** اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين ٥ الاستغاثة
طلب الغوث والعونة ٥ والمردف الذي يجيء بعد ردف يقال ردفه اذا
صار ردفا له وارده جعله له ردفا ويقال ردف وارداف
بمعنى ٥ وقيل معنى مردفين متتابعين وقيل كان مع كل واحد
من الالف ملك اخر ردفا له فكانوا الفين ولهذا قال مردفين والعامل
في اذ قوله ويبطل الباطل اذ تستغيثون وقيل العامل فيه واذكر

والاول اقرب لاتصال الكلام به ٥ ومعنى الاية اذ يستمدون بالله
من عدوكم واجاركم بامداد الملائكة وكان ذلك حين فاتهم العير
التي خرجوا لها ولحقوا بالكفار يدعونهم للقتال فجزع عند ذلك ضعفاء المسلمين
فاستغاثوا ولما فاتت العير نزل النبي صلى الله عليه واله وكان ببدر
ضمادا بذفران حين خرجوا لحماية العير فلما سلمت العير اختلفوا فمنهم من
اشار عليهم بالانصراف الى مكة ٥ ومنهم من حالف كابي جهل لما حلف
باللات والعزى انه لا ينصرف حتى يرد بدرا ويقيم بها عشرا ويشرب
بها خمرا فلما كان كذلك حصلت مناظرة بين ابي جهل وعتبة وغيره امدوا
الى بدر وكان النبي صلى الله عليه قد سبق الى بدر على المياه ونزل الكفار
باعلى الجبل فنظروا الى اصحاب رسول الله عليه فراوهم نفسا قليلا ورأى
المؤمنون الكفار ايضا نفرا قليلا لانهم كانوا على الجبل والمؤمنون
بالحضيض وهذا معنى قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
ويقللكم في اعينهم ٥ واصحاب النبي عليه السلام ملكوا الحياض فمنع الكفار
بمعزل من الماء فلما نزلوا من التل وتقدموا للقتال فزع ضعفاء المسلمين
عند ذلك فاستغاثوا فاجابهم الله بانه يمدهم بالف من الملائكة مردفين
والملائكة نزلوا عليهم السلام لنصرة النبي صلى الله عليه واله وسلم والمؤمنين
وقاتلوا يوم بدر **وروي** ان الملائكة عليهم السلام لم يقاتلوا قط الا
يوم بدر وروي ان عبد الله بن مسعود قعد على صدر ابي جهل لما صرع يوم
بدر فقال له ابو جهل يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا لمن الامر
فقال عبد الله لله ولرسوله فقال له ابو جهل من الذي كان يضربنا الصوت
ونحن لا نرى الشخص فقال ذلك من الملائكة فقال هم غلبونا لا انتم **وروي** ان
النبي صلى الله عليه واله وسلم لما نزل بدرا وجه عليا عليه السلام مع عمره
الى بئر الماء فوجدوا غلاما اسود لكفار قريش قد جاء ليستقي الماء فاخذه
علي عليه السلام وجاء به الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فساله النبي

وفلان حتى عدهم جمعاً

عليه السلم عن قريش فقال له خرج فلان منكم مكه بافلاذ كبدها ۵ وإذ ادراك
تعالى النبي صلى الله عليه وسلم
انه مانع شجاع وكان الجبلا وقد خرج للقتال وقوله جل اسمه وما جعله
الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ۵ والكناية راجعة الى الامداد
وقيل الى الارداف وقيل الى الخبر بامداد الملئكة بشارة لهم ومعناه
ما جعل الله الامداد وتقدم الخبر بالامداد الا بشارة لكم ولتسكن قلوبكم
ويزول عنها الخوف الذي خامرها وقوله جل اسمه وما النصر الا من
عند الله ان الله عزيز حكيم معناه وليس النصر الا من قبل الله
والله قادر لا يمانع حكيم في اقواله وافعاله وقوله جل اسمه
اذ يغشيكم النعاس امنة منه ۵ العامل في قوله امنة يغشيكم بمعنى
المفعول له كقولك جئت حذر الشر ولما ازعج الخوف المؤمنين القى
الله عليهم النعاس تلك الليلة حتى ذهب الخوف عنهم وباتوا امنين
والامنة الدعة التي تنافي الخوف وقوله جل اسمه وينزل عليكم من السما
ما ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم
ويذهب عنكم رجز الشيطان ويثبت به الاقدام ۵ روي انه اصابتهم
الجنابة تلك الليلة احتلاما وكان الموضع الذي فيه رملا لا تثبت عليه
القدم فمطرت السما حتى تلبد الرمل واشتدوا واغتسلوا وشربوا
وهو معنى قوله وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به ويذهب عنكم رجز
الشيطان وانما قال رجز الشيطان لان ذلك الاحتلام كان بوسوسته
وقيل هو انه اراهم بوسوسته انه قد غلبكم المشركون وانتم
تصلون مجنبين وقيل وسوسهم بانه لا طاقة لكم بهم ومعنى وليربط
على قلوبكم يقويها بافراغ الصبر واللطف الذي معه يزول الخوف
وكان تثبت القدم بتلبيد الرمل حتى تثبت القدم عليه وكان بافراغ
الصبر عليهم يثبتوا لعدوهم وقوله جل اسمه اذ يوحي ربك الى الملائكة اني

معكم فثبتوا الذين امنوا ۵ معناه اذ يوحي ربك الى الملئكة عليهم السلام
اني الله معكم بالمعونة والنصرة لكم فثبتوا انتم المؤمنين بالحضور
معهم وقت المحاربة ۵ وقيل بالقتال معهم نصرة لهم على العدو وقيل
ثبتوهم بالاخبار لهم انه لا بأس عليهم من عدوهم وقوله جل اسمه
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب ۵ بشر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله
والملئكة عليهم السلام بانه يلقي الرعب في قلوب الكفار حتى ينهزموا وكان
عدد المسلمين الذين حضروا القتال ثلثمائة وبضع عشر رجلا وعدد المشركين
تسعمائة وخمسين ۵ وقيل الف رجل شاكين في السلاح فقتل منهم من
قتل واسر من اسر وانهزم الباقون واكثر المقتولين والمأسورين
كانوا الشاكرة والشجعان ولهذا قال صلى الله عليه نصرت بالرعب وقوله
جل اسمه فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ۵ فوق الاعناق
اعلى الاعناق والبنان اطراف الاصابع فعلمهم الله تعالى المضرب
لان فوق الاعناق مقتل وفي ضرب البنان قطع عن الحرب وقوله جل اسمه
ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب ۵ معناه انما امر الله تعالى فيهم ما امر من ضرب الاعناق
والبنان لانهم عادوا الله ورسوله ۵ ومعنى معاداة الله معاداة
اوليائه من المؤمنين لان المعاداة لا تصح على الله تعالى وبين ان من عادى
رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين فان الله يعاقبه اشد العقاب
يقال في اللغة شاقه مشاقة وشقاقا اذا خالفه وعاداه وقوله تعالى
ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار ۵ تضمنت الاية الوعيد على الكفر
بعقاب النار بعد ما نزل بهم من ضرب الاعناق والبنان ۵ والوجه
الكاف في ذلكم لانه حرف الخطاب والعامل في قوله ذلكم الابتدا او تقدير
الامر ويحتمل موضع ان الرفع والنصب فالرفع للعطف على ذلكم والنصب
على تقدير وبان للكافرين عذاب النار ۵ وقيل هو على تقدير واعلموا
ان للكافرين عذاب النار وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين

كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ٥ اصل الزحف في اللغة الدنو
القليل قليلا قليلا ومنه زحف الصبي اذا مشى على اربع نهى الله تعالى المؤمنين
عن الفرار وترك القتال اذا لقوا الكفار على هذه الحالة وقت
القتال ٥ ومعنى يولوهم الادبار صرف الوجه عنهم هزيا وقوله جل اسمه
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله
ومأواه جهنم وبئس المصير ٥ اصل الفئة الجماعة من الناس والتحيز طلب حيز
وهو موضع التمكن فيه ومعنى الاية من صرف وجهه عن الكفار وقت
الزحف بان كان القتال من غير عذر وهو ان يكون غرضه في صرف الوجه
الا الانحياز الى جماعة المسلمين او يتحرف للقتال [illegible] لان الصولة عليهم والكر
فقد باء بغضب من الله ومأواه النار ٥ وبين ان الفرار من الزحف اعظم
الكبائر وقيل هذا الفرار خاص في يوم بدر ٥ وقيل عام وهو الاصح
وفي هذه الاية [illegible] ومدح تام لامير المؤمنين علي عليه السلام
لانه باجماع الامة لم يفر من الزحف قط وفي غيره بالخلاف ومن فر عن الزحف
لم يستحق الرتبة فضلا عن الامامة بل يستحق من الله ان يبوء بغضب من الله
وقوله جل اسمه فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ٥ انما نفى الله القتل عنهم لانه
لم يعتد بقتلهم مع ما فعل الله تعالى من اسباب قتلهم وكذلك حكم ما لا
يعتد به مع غيره فعل الله يوم بدر بانزال الملائكة من السماء مقاتلين
وروي في الخبر ان الملك كان يضرب الكافر ولا يفصل العضو واذا
ادركه المسلم وضربه انفصل العضو عنه من غير ان يلحق المسلم
وقتلهم بتشجيع المؤمنين والقاء الرعب في قلوب الكفار حتى لا ثباتهم وعقابا
على شركهم فلما كانت هذه الاسباب هي التي اهلكتهم نفى القتل عن
المؤمنين واضافه الى نفسه وقوله جل اسمه وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى ٥ قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم تلك الرمية التي رميتها لم
يكن تعبيها ولكن الله رماها لانه لم يعتد برميه مع ما فعل الله تعالى
موجود في المعارف وروي في الخبر ان تلك الرمية كانت قبضة من

تراب رماها رسول الله صلى الله عليه وآله في وجوه المشركين يوم بدر
وقال شاهت الوجوه [illegible] فبعث الله تعالى على ابصارهم فما شيء
الا اصاب ابصارهم على طريق التفصيل وشغلهم بانفسهم بذلك لم يكن
ذلك في مقدور النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قال وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وكان ما فعله الله تعالى معجزة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وقوله
جل اسمه وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ٥ معناه وليبلي
الله ذلك بنعم على المؤمنين بالنصرة والتقوية واهلاك عدوهم ٥ وبين ان
الله تعالى سميع عليم ٥ لانه كان يسمع اقوالهم ويعلم اعلانهم واسرارهم
وقوله جل اسمه ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ٥ معناه ذلك
ليحصل به كيد الكافرين ضعيفا [illegible] او هنه ووهنه بمعنى
وقوله جل اسمه ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ٥
الاستفتاح الاستنصار ٥ وقيل
هذا الخطاب للمشركين
لانهم استنصروا على ما وقع منهم من الامور التي ادت الى
قطيعة الرحم والظلم ٥ وقيل الخطاب للمؤمنين ٥ ومعناه ان تستنصروا
على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي صلى الله عليه وآله وقوله جل اسمه
وان تنتهوا فهو خير لكم ٥ واذا كان الخطاب للمشركين وان
تنتهوا عن قتال محمد والمؤمنين فهو خير لكم واذا كان الخطاب
للمؤمنين فمعناه وان تنتهوا عما كان منكم يوم بدر في الاسر والغنيمة
فهو خير لكم وقوله جل اسمه وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا
ولو كثرت ٥ الفئة الجماعة ومعناه على خطاب المشركين وان تعودوا الى
قتال محمد نعد الى النصر له ولا تغني عنكم كثرتكم وعددكم ٥ ومعناه
على خطاب المؤمنين وان تعودوا الى ما كان منكم يوم بدر في الاسر
والغنيمة نعد الى الانكار عليكم وقوله جل اسمه وان الله مع المؤمنين ٥ معناه
ناصرهم ومعينهم وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا

تولوا عنه وانتم تسمعون حث الله المؤمنين في الذكر بالامر
بالطاعة لله ورسوله في جملة المكلفين لان غير المؤمن منزل
لا يعتد به ومعنى انتم تسمعون هاهنا وانتم تسمعون دعاء النبي صلى
الله عليه واله والاعراض عنه في هذه الحال وقيل وانتم تسمعون
الحجة وقوله جل اسمه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون
معناه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون سماع عالم قابل
ولم يكونوا كذلك وهذه صفة المنافقين وقيل المعني به اهل الكتاب
وقيل هو من صفة المشركين لجعلوا منزلة من لا يسمع لانهم لم ينتفعوا
بالمسموع وقوله جل اسمه ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين
لا يعقلون بين الله تعالى ان شر الاحيا الذين جعلوا
انفسهم بمنزلة الاصم الابكم الذي لا يعلم شيا
فاثبات الايه على الصمم عن الحق
والبكم عن التكلم
بالحق والذهاب عما يوجبه العقل ونظير هذه الايه صم بكم
عمي فهم لا يعقلون وقوله جل اسمه ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون معناه ولو علم الله فيهم خيرا
انهم يصلحون بما يورده عليهم من الحجج واياته لاسمعهم اياه ولم
يوخر عنهم بيانه وفي هذا حجة على اصحاب اللطف
ومعنى ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ومعنى اسمعهم جواب
كل ما يسالون عنه وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وقيل طلبوا الموافقة
للداعي فيما دعا اليه ومعنى لما يحييكم اذا دعاكم الى احيا امركم
بجهاد عدوكم مع نصر الله اياكم وقيل لما يحييكم بالعلم الذي
يهتدون به وقيل لما يؤدي بكم الى الحيوة الدائمة ونعيم الاخرة وقوله تعالى
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون معناه

واعلموا ان الله يحول بتبديل قلبه من حال الامن الى حال الخوف فيقلبه
من حال الى حال تارة من حال الخوف الى الامن وتارة من حال الامن
الى الخوف على ما يشاء ويعلم جل وعلا من المصلحة فيه ثم بين
انهم يحشرون بعد هذه الاحوال الى الجزاء على الاعمال وقوله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وهذا الخطاب خطاب
لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه واله وسلم والفتنة هاهنا البلية
وقيل الضلالة وقيل العذاب وكانه قيل لهم اتقوا البلية
والعذاب بترك ما يجلب العذاب فدل ذلك على استحقاق فيمن
ظلم منهم امر الله عنه وقيل امر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكرين
المشتهرين فيعمهم الله بالبلا والعذاب وفيه حجة للشيعة فيما قالوا من
تهيج الفتنة ووقت البيعة وعلى من قال انه لا يجوز ان يقع منهم ذلك
ويحتمل قوله لا تصيبن العموم لان الهرج اذا وقع دخل ضرره على كل واحد
ويحتمل الخصوص بالظالمين لان العذاب انما يقع لعقوبة للغرض الذي يصل اليه
ودخلت النون في قوله لا تصيبن لانه نهي بعد امر كقوله تعالى يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وقد معنى الجزاء ومثله في
النهي ان يكون هاهنا وقيل هو على الخروج جواب القسم وقوله تعالى واعلموا
ان الله شديد العقاب فيه تهديد ووعيد وقوله جل اسمه
واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم
الناس فاواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون
التخطف الاخذ بسرعة انتزاع والمراد بالناس هاهنا مشركوا
قريش وقيل فارس والروم ومعنى الايه ان الله تعالى ذكرهم
ما فعل بهم من انواع النعم من تقويتهم بعد الضعف وامانهم بعد
الخوف ونصرة اياهم على عدوهم وبسط ارزاقهم وانهم كانوا قليلين
فلطف لهم حتى كثروا وعزوا وقل اعداؤهم وجعل لهم ماوى يرجعون
اليه اما المدينة من الخوف وانه اطعمهم حلالا طيبا لتشكروا الله على ذلك

وتعزروه ٥ وقوله جل اسمه يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ٥
معناه ولا تخونوا مال الله الذي جعل لعباده وقيل لا تخونوا الله
كما صنع المنافقون على معنى لا تعاملوه معاملة الخائن ٥ وقيل معناه
ان الله تعالى نهاهم عن الخيانة في الغنائم وقوله جل اسمه وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون ٥ صار قوله تخونوا مجزوما بالنهي على تقدير ولا تخونوا اماناتكم
وقيل نصب على الصرف على تقدير انكم اذا خنتم الرسول فقد خنتم اماناتكم
وانتم تعلمون انها امانة من غير شبهة ٥ وقيل تعلمون ما في الخيانة من البلا
الذي يؤدي الى سوء العاقبة ٥ وقيل تعلمون ما في الخيانة من قبيح خلاف
الجهال بتلك المنزلة وقوله جل اسمه واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة
وان الله عنده اجر عظيم ٥ الفتنة المحنة هاهنا وقد بينا في غير موضع
من هذا الكتاب حقيقة هذا اللفظ في اللغة والاصطلاح في الابيان
عن حال الاموال والاولاد في الافتتان بها حتى ان الانسان ليترك كل
عظيم لغلبة الهوى حتى يخسر عظيم الاجر لما يقع عليه من عاجل النفع
فكانه قيل لهم لا تشتغلوا بالاموال والاولاد واشتغلوا بما يوجب لكم
عند الله الاجر والثواب وقوله جل اسمه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل
العظيم ٥ وعد الله تعالى وعد الله تعالى المؤمنين ان لهم فرقانا
ان اتقوا عذاب الله بترك المعاصي ٥ وقيل الفرقان هاهنا
هداية يجعلها الله تعالى في قلوبهم يعرفون بها بين الحق والباطل
وقيل فرقانا مخرجا في الدنيا والاخرة ٥ وقيل نجاة وقيل فتحا ونصرا
كما قال الله تعالى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ٥ وقيل فرقانا
نصرا وعزا وثوابا بالصبر على اعدائكم حتى لا تنالوا عقابا وكل
ذلك يفترق فيه شكركم وسيركم في الدنيا والاخرة ٥ وقد مر بيان تكفير السيئات
في غير موضع ٥ ومعنى ذو الفضل العظيم هاهنا انه ابتدا اكرم بالفضل
العظيم هاهنا لانه كثيره ٥ وقيل معناه هو الذي الفضل هاهنا
يملك

الله ابتدا اكرم بالفضل العظيم فينبغي ان يطلبوه من جهته وقيل انما دخل
الشرط في خبر الله في قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا لان الله يعامل
عباده في الجزاء معاملة الشاك للمظاهرة في العدل في اجرى المعاملة
على الوجه ادخل الشرط في الخبر وان كان عالما بما يكون منهم قبل كونه
وقوله جل اسمه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او
يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ٥ اخبر الله تعالى
عما كان يفعله الكفار ويدبرون من المكر بالنبي صلى الله عليه
فقال احدها شرهم فتلك والثاني اثباتك في الوثاق ٥ وقيل معنى
ليثبتوك ليحبسوك وقيل ليخرجوك يرفعوك بهم النية في الحرب اذا اخرجته
والثالث اخراجك من وطنك اخراج من ينفى من بلد الى بلد ٥ وكان
سبب ذلك انهم تآمروا في دار الندوة فقال بعضهم قيدوه وتربصوا
به ريب المنون ٥ وقال بعضهم اخرجوه من وطنه الى طرف من الاطراف فتستريحوا
من اذاه ثم قال ابو جهل ما هذا برأي ولكن اقتلوه بان يجتمع عليه من كل
بطن رجل فيضربونه باسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم
بالدية فاوحى الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فخرج
الى الغار ٥ وبين الله تعالى انهم يمكرون والله يجازيهم على مكرهم
لانه خير الماكرين فسمى جزاء المكر مكرا مجازا او اتساعا
وقوله جل اسمه واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين ٥ المراد بالاساطير الترهات
والاباطيل وقد مر بيان ذلك في سورة الانعام اخبر الله تعالى بما
قالوا عند ما نزلت عليهم آيات الله ذما لهم على دفع الحق بالباطل
بدعوى كاذبة لانهم لو قدروا على ذلك لعارضوا واستراحوا من اذاه
ونفر بعد اباهم وسعيه احلامهم وقوله جل اسمه واذ قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ٥ معناه واذكر اذ قالوا ذلك لبغضهم لك وكراهتهم

[illegible]

كونك من ظهر ابيه فقالوا ان كان محمد جا من عندك رسولا
فامطر علينا حجارة من السما يهلكنا بها او ائتنا بعذاب اليم
ما اتوا بذلك على قول اجابة لمحمد صلى الله عليه واله وسلم ويحتمل ان
يكونوا قالوا هذا عنادا او يحتمل انهم قالوه لشبهة تمكنت منهم ٥
وقيل كان القايل بهذا النضر بن كلدة لعنه الله وقوله جل اسمه
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون ٥ معناه ان الله تعالى لا يعذبهم وانت بين اظهرهم
مقيم لانه بعثك رحمة للعباد ٥ ولا يعذبهم لا امر الجحود لا يعذبهم
ايضا وفيهم من يستغفر الله وقيل بسبب ذلك لما خرج النبي صلى
الله عليه واله وسلم من مكة بقيت بمكة بقية من المومنين المستغفرين
يستغفرون الله فلم يعذبوا او لا يكن الكل ايضا وقيل معناه لا يعذبهم الله
بعذاب الاستيصال في الدنيا وهم يقولون يا رب غفرانك ويعذبهم
على تركهم في الاخرة ٥ وقيل معناه لو استغفروا لم يعذبوا فهو استدعا
الى الاستغفار وقيل نسخها الاية التي بعدها وهذا غلط لان الخبر
لا ينسخ لما قبله من المناقضة وقوله جل اسمه وما لهم الا يعذبهم الله
وهم يصدون عن المسجد الحرام قيل ما هاهنا دخلت لايجاب العذاب
وان كان لفظها لفظ الاستفهام ٥ ومعناه لم لا يعذبهم الله وهذا
فعلهم وهو صدهم الناس عن المسجد الحرام وجنايته قال ولم لا
يعذبهم الله في الاخرة وهم يفعلون مثل ذلك كان ولا الكل الهار
ادعوا انهم اوليا المسجد الحرام فلهذا انما يصدون غيرهم عنه فرد الله
ذلك عليهم بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولا
كن اكثرهم لا يعلمون ان اوليا المسجد الحرام هم المتقون دون
من كانوا عصاة وقوله جل اسمه وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية
اخبر الله تعالى ان الصلوة من الكفار لم تكن عند البيت الحرام الا
المكا والتصدية والمكا الصفير والتصدية التصفيق وكان بعضهم يقعدا

ليعطي ليس ذلك المعنى وكان يصفر له وقيل يعني صدهم الناس
عن المسجد الحرام وقيل كانوا يخلطون بذلك على النبي صلى الله عليه واله
وقيل يصفقون في صلوته لانهم كانوا يخلطون بذلك على النبي صلى
الله عليه واله ٥ وقيل يصفرون في صلوته لانهم كانوا يقيمون الصفير
والتصفيق مقام الدعا والتسبيح وقوله جل اسمه فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون ٥ قيل معناه فذوقوا عذاب السيف يوم بدر بكفركم
وقيل يقال لهم هذا اللفظ في الاخرة تقريعا وقوله جل اسمه ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ٥ معناه ان قوما
من الكفار ينفقون اموالهم ليصدوا الناس عن دين الله وسبيل الله
هاهنا دين الله الذي اتى محمد صلى الله عليه واله وسلم ٥ وقيل المراد به الانفاق
في يوم بدر وقيل المراد بالمنفق هاهنا ابو سفيان لانه استاجر يوم احد
ليقاتل الاحابيش من كنانة وقوله جل اسمه فسينفقونها ثم تكون عليهم
حسرة ثم يغلبون ٥ ذكر هذا على وجه التهديد وكانه قيل سيصير
الانفاق حسرة ثم يعقبه الغلبة عليهم وقوله جل اسمه والذين كفروا
الى جهنم يحشرون ٥ معناه وهولا الكافرون الذين ينفقون اموالهم
ليصدوا عن دين الله يغلبون في الدنيا ويحشرون الى جهنم في الاخرة
وقوله جل اسمه ليميز الله الخبيث من الطيب ٥ قيل معناه ويفعل الله ذلك
ليميز المومن من الكافر والمخلص من المنافق وسمى المومن طيبا والكافر
خبيثا وقوله جل اسمه ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله
في جهنم اولايك هم الخاسرون ٥ اخبر الله تعالى بذلك على سو حال هولا
الخبيثا لهم والخبيث اذلالهم وهوانا واخبر الله تعالى انه يجعل بعضهم
على بعض فيركمه جميعا ومعناه تراكب بعضهم بعضا كالرمل فيجعلهم
في جهنم ٥ وقوله يركمهم مع ما انفقوا كما قال الله تعالى يوم يحمى عليها في
نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون وقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر

لهم ما قد سلف ۝ معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار ان ينتهوا عن كفرهم
غفر الله لهم ما تقدم من ذنوبهم وقوله جل اسمه وان يعودوا فقد
مضت سنة الاولين ۝ معناه وان عادوا الى الكفر ولم يتوبوا
فيعلمون انهم يعاملون معاملة من تقدمهم ممن سلكوا طريقهم
ومنهاجهم بتعجيل عذاب الاستيصال وما جرى مجراه من الاسر
والقتل كما كان يوم بدر نصرة من الله تعالى لنبيه وللمؤمنين
وقوله جل اسمه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله
معناه وقاتلوا الكفار حتى لا يكون شرك من غير اهل العهد وما
يجري مجراه ۝ والفتنة الشرك لان الكفار كانوا يدعون الناس
الى مثل حالهم ويعرضهم على اهل الحق يتطاولهم فيفتنوهم عن دينهم
وقيل معناه حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويجتمع اهل الحق واهل
الباطل على دين الله فيما يعتقدونه ويعملون به فيكون الدين
حينئذ كله لله بالاجماع على طاعة الله لان المراد بالدين ههنا
الطاعة والانقياد وقوله جل اسمه فان انتهوا فان الله بما يعملون
بصير ۝ معناه فان انتهوا عن الشرك والفتنة فان الله يجازيهم
عن ذلك مجازاة البصير باعمالهم العالم باحوالهم ظاهرا او باطنا لا
يخفى عليه شيء منها وقوله جل اسمه وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى
ونعم النصير ۝ المراد بالمولى ههنا الناصر والحافظ والمدبر ۝ ومعناه
فان اعرضوا عن دين الله ولم ينتهوا عن الشرك فاتقوا الله ايها
المؤمنون وتذكروا ما وعدكم به ربكم وهذا تسكين لنفوسهم
وتقوية للحق عندهم وقيل معناه فاعلموا ان الله ينصركم عليهم
فاخرجه على طريق الامر بالعلم ليكونوا على بصيرة في ان الغلبة
لهم وقيل انما جاز الامر في جواب الشرط لانه بمعنى الخبر فلم
يخرج من ان يكون الثاني بالاول فكانه قيل فواجب عليكم العلم بان
الله مولاكم وانه نعم المولى ونعم النصير اي نعم الناصر لكم وقوله تعالى

واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على
عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ۝ جعل
الله تعالى اخراج [illegible] من شرط الايمان ۝ والمراد بقوله يوم
الفرقان يوم [illegible] الجمعين الذي التقى المؤمنون والكافرون ببدر وكانه
قيل ان كنتم امنتم بالله وبالذي انزل على محمد يوم الفرقان فارضوا بهذا الحكم
الذي حكم الله في [illegible] طريقة في الخمس وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم [illegible] فقال بعض فقهاء العامة الغنيمة والفيء واحد وعند اهل
البيت عليهم السلام الغنيمة ما اخذ بالقتال والفيء ما اخذ بغير قتال وقال
بعض علماء العامة هذه الاية ناسخة للتي في سورة الحشر وهي قوله تعالى ما
افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين الاية وقالوا انقسم الخمس خمسة اسهم لان سهم الله وسهم الرسول واحد
وقال بعضهم يقسم على اربعة اقسام سهم لبني هاشم وبني عبد المطلب
وقال بعضهم يقسم على ثلثة اقسام لان ما كان للنبي عليه السلام يصرفه
الذي يولى الامر من بعده في الكراع والسلاح وقال اكثرهم يقسم الخمس
على من ذكرهم الله في الاية ۝ وعن ابن عباس ذوو القربى بنو هاشم وقيل
بنو عبد المطلب وهذه الجملة التي ذكرتها في طريقة العامة ۝ فاما طريق
ال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم في الخمس من الغنيمة وغيرها فما روي
عن الباقر محمد بن علي وابي عبد الله جعفر وموسى بن جعفر وعلي بن موسى عليهم السلم
ان في الغنيمة وفي كل ما يخرج من اللالي وقيم الكنوز وجميع معادن الذهب
والفضة والحديد والرصاص وما جرى مجراها الخمس ۝ وسهم الله كان
للنبي صلى الله عليه واله يصرفه فيما يراه وسهم الرسول له وذو القربى قرابة
رسول الله واليتامى المذكورون في الاية يتامى ال رسول الله ومساكينهم وابن
السبيل منهم ۝ وبعد رسول الله صلى الله عليه واله الحق الخمس في جميع ما
ذكرناه ثابت لهم ولا مانع ذلك عنهم ظالم [illegible] حق الخمس لمستحقه

وجعل اخراج الخمس من شرط الايمان ٥ وقيل انما فتحت أن في قوله
فان لله خمسه لان تقديره فعلى ان لله خمسه الا انه حذف حرف الجر
وقيل عطف على ان الاولى وحذف خبر الاول لدلالة الكلام عليه
تقديره واعلموا انما غنمتم من شيء يجب قسمته فاعلموا ان لله خمسه ٥
وزعم بعض النحويين انه يجري مجرى قوله الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
فان له نار جهنم وهذا غلط لان ان لا تدخل على الجزاء [illegible] ٥
وقوله جل اسمه اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب
اسفل منكم ٥ المراد بالعدوة هاهنا جانب الوادي واصلها الجهة
التي يتجاوزها الشيء من احد جانبيه ٥ والدنيا معناه ادنى الى المدينة
والقصوى اقصى منها ٥ والمراد بالركب ابو سفيان واصحابه وكانوا في موضع
اسفل من موضع الفريقين الى ساحل البحر وهو الذي ساق العير التي
اقبلت من الشام وعسكر النبي صلى الله عليه واله وعسكر قريش [illegible]
الوادي والعير كانت اسفل منهم على الصفة التي ذكرها الله تعالى
والفريقان كانا بالعقنقل من الوادي ٥ وانما قلبت الواو ياء في الدنيا
ولم تقلب في القصوى لانه ذهب في الدنيا مذهب الاسم في قولهم الدنيا
والآخرة فان كان اصلها صفة فخفف لان الاسم احق بالتخفيف
وترك القصوى على حالها فلم يذهب بها مذهب الاسم وقوله جل اسمه
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ٥ قيل
معناه ولو تواعدتم لاختلفتم لذهاب كل واحد من الفريقين [illegible]
يكون فيه بعض الميعاد من التقدم والتاخير والزيادة والنقصان
فيما انعقد له الميعاد ٥ وقيل معناه ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عددهم
وقلة عددكم لتاخرتم ونقضتم الميعاد ٥ وقيل معناه ولو تواعدتم
من غير لطف الله تعالى لكم لاختلفتم بالعوائق والقواطع فذكر الميعاد
لتاكيد امره في الاتفاق لولا لطف الله في ذلك لوقع على طرق الاختلاف
وعلى هذا النهج قول القائل جرت الرياح على محل ديارهم فكانهم كانوا على ميعاد

واشباه ذلك قوله ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ما حل بقريش
يوم بدر ومعنى قوله ليقضي الله امرا كان مفعولا كائنا لا محالة من اعزاز
الاسلام [illegible] الاوثان وعبدتها من الكفار بتدبير
الله ولطفه وقوله جل اسمه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
وان الله لسميع عليم ٥ معناه ليهلك من هلك عن حجة عن قيام دليله
وحجة بما رآه من المعجزات والآيات للنبي صلى الله عليه واله وسلم في
حرب بدر وسواه ويحيى من حي عن بينة عن قيام دلالة الحجة ايضا ٥ ومن
[illegible] ذلك عليم بما يضمره ٥ وقوله جل اسمه اذ يريكهم
الله في منامك قليلا ٥ هذا خطاب للنبي صلى الله عليه واله وذلك
ان الله تعالى اراه الكفار في منامه قليلا والرؤية هي المشاهدة
والرؤيا في المنام والرائي راى الامر وذهب بعض العلماء الى ان معنى قوله في
منامك في عينك التي تنام فيها وهذا خروج عن ظاهر الكلام من غير ضرورة
ومثله لا يصح وقوله جل اسمه ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر
ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ٥ معناه ولو اراكهم كثيرا
واخبرت به اصحابك لفشلوا وضعفت نياتهم واختلفت كلمتهم
فبين تعالى ان الذي اراه في منامه كان لطفا للمؤمنين في الثبات للجهاد
ولكن سلم الله ذلك للمؤمنين بلطفه لهم واحسانه حتى بلغوا ما ارادوا
من عدوهم وقوله جل اسمه واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور
هذا خطاب للمؤمنين اخبر الله انه لطف لهم بان قلل الكفار في اعينهم
وقلل المؤمنين في اعين الكفار ٥ وروي عن ابن مسعود انه قال
لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم
المائة فلما اسرنا رجلا منهم سالناه فقال كانوا الفا وقلل الله اولئك
في اعينهم بان منعهم عن رؤية جميعهم فقام ستر بعضهم ولم يستر الباقين
وانما اشبه القيام ما منع من الرؤية وكان الغرض بتقليلهم في اعينهم

يجسر المومنين ويجرئهم عليهم وقلل المومنين في اعين الكفار ليلا
يستعدوا لهم وقيل حتى ليقضي الله امرا الاختلاف الفايدة ومعنى
الاول ليقضي الله امرا كان مفعولا من الالتقا على الصفة التى حصل
عليها ومعنى الاخر تعليل فعل غير تقى في غير صاحبه ليقضي الله امرا كان
مفعولا من اعزاز الدين لجهاد المومنين ما دبره الله لهم من حيث النصر
الجميع الى حيث الله الذى وعدهم وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون امر الله تعالى المومنين
بالثبات في جهاد العدو وعند اللقا وبذكر الله كثيرا لعلكم تفلحون
عند ذلك لانه داع الى النجاح بما فيه من تعظيم الله وداع الى الثبات
وتوقع ما وعد الله من النصر والفية الجماعة فاطلق لفظ الفية لان
المومنين لا يحاربون الا فية الا فية من الكافرين او الباغين ونحو ذلك
للاعانة ومعنى لعلكم تفلحون لكي تظفروا بما تطلبونه من عبد الله
وقوله جل اسمه واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين امر الله تعالى المومنين
بطاعته وطاعة رسوله فيما يامرهم به وينهاهم عنه ونهاهم
عن التنازع والاختلاف فيما بينهم لئلا تفشلوا وتضعفوا
من ان التنازع طريق الى الفشل والضعف ولئلا تذهب ريحكم
ومعناه دولتكم من قولهم ذهبت ريحه اى دولته وقيل ذكر هذا
على وجه المثل كانه قيل لهم ان لكم ريحا تنصرون بها فان تنازعتم
ذهبت ريحكم وقد يقال ذهبت ريح فلان على معنى انه كان جرى
امره على السعادة بريح علته اليها وقيل هي ريح النصر التي يبعثها
الله مع من ينصره ودعاهم الى الصبر على طاعة الله وعلى مجاهدة العدو
بقوله واصبروا وبين انه مع الصابرين باللطف لهم والتوفيق
والثواب الجزيل وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا
ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط البطر

والاشر واحد وهو الخروج عن موجب النعمة والمراد بالذين خرجوا
من ديارهم قريش وذلك انهم خرجوا لحماية العير فلما احرز ابو سفيان
بالعير بعث اليهم انا نجينا العير فارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو
جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وننحر جزورا ونشرب خمرا ويرانا
من غشينا من اهل الحجاز فنهاهم الله عن مثل ما فعله قريش وبين ان الله
محيط بما يعملون من حيث انه عالم واحاطه اقتدار وقوله جل اسمه واذ
زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار
لكم اخبر الله تعالى ان الشيطان زين للكافرين اعمالهم التي قدموا عليها
واطمعهم ومناهم انه جارهم وانه لا يغلبهم احد وانه ههنا الدافع
عن صاحب البيوت ودلت الاية على بطلان قول من يقول ان الله زين
الكفر والمعاصي للكفار والعصاة لان الله تعالى اخبر ان الشيطان
زين لهم ذلك وورد في القصة ان الشيطان ظهر للكفار حين
زاوه في صورة سراقة بن مالك الكناني في جماعة من جنده وكان
ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه واله لان احدا لا يقدر على
احداث الصورة وتغييرها وقلبها الا الله تعالى وقال لهم
لما ظهر لهم هذه كنانة اتتكم وكانت قريش خوفت على انفسها منهم
وقوله جل اسمه فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني
بريء منكم معناه فلما التقى الجمعان وراى ابليس الملئكة عليهم السلام
رجع هاربا وتبرأ من الكفار لما راى الملئكة والنكوص الرجوع
القهقرى وقوله تعالى اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
والله شديد العقاب معناه ان الشيطان قال للكفار
اني ارى ما لا ترونه من حضور الملئكة ولم يرد بقوله اني اخاف الله
انه خاف عذاب الله وانما خاف ان يناله مكروه في ذلك المشهد من
جهة الملئكة فجعل خوفه الملئكة خوفا من الله تعالى وعلى هذا الوجه

يجب ان يكون قوله والله شديد العقاب ابتدا كلام لا
حكاية ٥ وقال بعض العلما ان ذلك الذي في القول وسواس من
جهته ولم يكن يتحول في صورة انسان وقوله جل اسمه اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولا دينهم ٥ معناه ان
المنافقين قالوا ذلك اليوم غر المومنين دينهم فلهذا ما دنوا المحاربة
لهولا ودخلت الواو في قوله واذ زين وسقط من قوله اذ يقول
لان الواو عطف حال المومنين على حال حزبهم بطريق اورد يا الناس
والثاني وهو قوله اذ يقول ابتدا كلام من جهة المنافقين وعامل
الاعراب فيه الابتدا على معنى ذلك اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض قيل شك ٥ وقيل نفاق وقيل عم لعلو سار النبي صلى الله عليه
واله وسلم والمومنين وكان هولا القوم الذين في قلوبهم مرض شك
مترايين وكلهم في معنى المنافقين لان الشك في الاسلام كفر وقوله تعالى
ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ٥ اي ومن يتوكل على الله فهو
يكفيه لانه القادر الذي لا يعجزه شي والحكيم في افعاله واقواله وقوله جل اسمه
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا
عذاب الحريق ٥ جواب لو محذوف تقديره ولو تراهم ايها السامع لرايت
منظرا عظيما وامرا عجيبا او عذابا شديدا ٥ ومعنى يتوفاهم الملائكة يقبض
ارواحهم على استيفايها لان الموت انما يكون باخراج الروح وكانت الملائكة يتوفاهم
وتضرب وجوههم واستاههم لان الادبار كناية عن الاستاه وقيل المراد
بادبارهم ظهورهم وهذا كان يوم بدر عند قتال الملائكة وورد في الخبر ان
رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم اني رايت في ظهر ابي جهل مثل
الشوك فقال ذلك من ضرب الملائكة ٥ وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
واله اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه فسقط راسه فقال
سبقك اليه الملائكة عليهم السلام وروي ان الملك كان يضرب الكافر

في الاسن العضو الذي ضرب به من جسده حتى لحق المسلم بمضرته فتنفصل
ذلك عند قصده الى ضربه ٥ وقال بعض العلما معنى يضربون وجوههم
يستضربه الملائكة عند الموت وهذا خلاف الظاهر واجماع المفسرين ٥
والمحذوف من قوله وذوقوا يقولون وتقديره يقولون ذوقوا عذاب
الحريق يعني تعذبا ولحريق يحترق منه الاجسام الكبيرة بالنار العظيمة وقوله جل اسمه
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ٥ معناه ذلك بما علم
وهو اشارة الى ما حل بهم يوم بدر ٥ وموضع بما قدمت يحتمل الرفع والنصب
فالرفع لانه خبر ذلك والنصب على معنى اتصاله بمحذوف ٥ وتقديره ذلكم
جزاؤكم بما قدمت ايديكم ومن فعل الله انه لا يظلم احدا من عبيده ٥ وعامل
الاعراب في قوله وان نصب على معنى وبان الله ويحتمل الرفع على معنى ذلك
ان الله [illegible] ليس بظلام للعبيد في المبالغة في الظلم
دون نفي الظالم [illegible] واضاف [illegible]
جميع الظلم ولان [illegible] لو لم يكن على وجه الاستحقاق لكان ذلك ظلما
عظيما وقوله جل اسمه كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله
فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ٥ الداب العادة
والقوي صفة الله يعني القادر ٥ وقد يكون القوي بمعنى الشديد الا انه لا
يكون في صفة الله لان الشديد هو المتداخل على صعوبة تفكيك ٥ وال فرعون اتباعه
ومعنى الاية عادة هولا الكفار كعادة ال فرعون ومن كان قبلهم لما كفروا
بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم فاهلكهم والعامل في قوله كداب لابد على تقدير
دابهم كداب ال فرعون وموضعه رفع لانه خبر الابتدا كما ان قوله خلقك
يكون خلقك رفعا لخبر الابتدا وقوله جل اسمه ذلك بان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم ٥
الاشارة بقوله ذلك الى ما تقدم ذكره من الاخذ بالعقاب وكانه قال ذلك
العقاب المدلول عليه بان الله لا يغير النعمة الى النقمة الا بتغيير النفس الى

الحالة القبيحة ٥ وقوله ذلك ابتدا وخبره بان الله وهذا كقولك
العقاب بذنوب العباد فدلت الاية على ان الله لا يجوز العقاب
من غير قبيح فيبطل به مذهب المجبرة ومذهب كل من يقول ان العقاب
يجوز من غير قبيح وقع ممن يعاقب ٥ وقد مر بيان قوله وان الله سميع
عليم في غير موضع وقوله جل اسمه كداب ال فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون وكل كانوا
ظالمين ٥ معناه عادتهم كعادة ال فرعون ومن كان قبلهم ممن
سلكوا منهاجهم لما كذبوا بايات الله اهلكهم الله واهلك فرعون
واتباعه بالغرق بين ان جميعهم كانوا ظالمين بما ارتكبوه من القبائح ٥
وقوله كداب ال فرعون ليس بتكرار ولكنه تفصيل للقول في الذين
كانوا عليه من قبح الفعل ومثله لا يكون تكريرا معيبا وقيل انه ليس
بتكرار لانه على نوعين (?) يحلفه للعقاب عجل عقوبته يوم المصلحة ولو
لم يفعل مثله بغيرهم في الوقت لغير المعلوم فيهم انه ليس بمصلحة
لو فعله وقوله جل اسمه ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا
يؤمنون ٥ بين الله تعلى ان شر الخلق عنده الذين كفروا واعرضوا
عن الايمان بالله ورسوله والفا في قوله فهم عطف جملة على جملة
وهو في الصلة وكانه قيل كفروا مصرين على الكفر فهم لا يؤمنون
وقد مر بيان نظيرها في هذه السورة وقوله تعلى الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ٥ بين الله تعلى ان الكفار
الذين تقدم ذكرهم الذين نقضوا عهد النبي صلى الله عليه واله وسلم ولم
يراقبوا الله فيه ولم يخافوا عقابه بترك الكفر ونقض العهد ٥
ونزلت الاية في بني قريظة لما نقضوا عهد النبي صلى الله عليه واله
لانهم كانوا عاهدوه بان لا يحاربوه ولا يمالوا عليه ولا يعاونوا اعداءه
ثم مالوا عليه يوم الخندق فنقضوا عهده ٥ وقيل عطف المستقبل

على الماضي في قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون للبيان ان من شانهم
نقض العهد بعد مرة [illegible] انهم لا يفون انهم ينقضون العهد
من غير ان يتقوا عقاب الله في عاجل امرهم واجله وقوله جل اسمه
فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ٥ اصل
الثقف المصادفة فقيل اذا ادرك كل واحد منهما امر صاحبه
بسرعة في المصادفة [illegible] والتشريد التفريق على اضطراب ٥ ومعنى
الاية فان ظفرت بهم في الحرب فنكل بهم ان تشريدهم تنكيلا
تشرد بذلك من خلفهم من ناقضي العهد خوفا منك فهذا معنى تشريدهم
من خلفهم وقيل افعل بهم من القتل ما تفرق به من خلفهم ٥ ومعنى لعلهم
يذكرون لكي يتذكروا او يعتبروا وقوله جل اسمه واما تخافن من قوم
خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ٥ معناه وان
خفت خيانة قوم من نقض عهد وغيره فاعلمهم انك لست مقيم على
العهد الذي كان من قبل والنبذ هاهنا القاء الخبر الى من لا يعلم
ومعنى سواء استوا [illegible] الى اخر ضرب وجوه العذر للاعدا
حتى يحيطوا كل النبي [illegible] الى العدل [illegible] عند الخوف ٥ والنبذ
نقض العهد خوفا باتيان الخيانة الدالة على نقض العهد من غير شهوه
لانه لو كان سهوه لم يجب النبذ كما جا رسول علمه صلى الله عليه واله وسلم
قبل نقض العهد ظاهرا اغنى عن النبذ ٥ ومعنى ان الله لا يحب الخائنين
لا يريد ثوابهم ولا يعطيهم مدحهم وقوله جل اسمه ولا يحسبن الذين
كفروا سبقوا انهم لا يعجزون ٥ معنى يعجزون لا يفوتون على الله حتى
لا يعنيهم بعقابهم ٥ وقيل لا يفوتون حتى يظفر الله بهم ٥ من
قرا لا يحسبن بالتا وفتح السين فيه وجهان احدهما حذف المفعول
بتقدير ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا وقيل يحذف انهم بتقدير ولا
تحسبن الذين كفروا انهم سبقوا ٥ وقيل هو كقوله تعلى ومن اياته يريكم

البرق خوفا وطمعا بعدبزه انه انا اكره والوجه الثاني ولا
يحسبن المومنون الذين كفروا سبقوا وقوله تعلى واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم ٥ الاعداد اتخاذ الشي لغيره مما يحتاج اليه في امره
ومعنى الاية واعدوا لاعدائكم السلاح والكراع اخافة لهم
حتى تمتلي صدورهم من الاستعداد خيلا وسلاحا والرباط الخيل
لاعدادها للقتال ٥ ومعنى ترهبون تخيفون يقال ارهبه
اذا اخوفه وقوله جل اسمه واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ٥
معناه ويكونون مما تعدونه ابصاس لا تعرفون عداوته والله
يعلم ذلك ولا احتاج يعلمونهم لانه تعدى الى مفعول ثاني لانه معنى
لا تعرفونهم الله يعرفهم ٥ قال الشاعر ٥

فان الله يعلمني ووهبا وانا سوف يلقاه كلانا

وقيل في تعيين الاعدا الذين لا تعرفهم المومنون وجوه قيل
هم بنو قريظة ٥ وقيل اهل فارس وقيل المنافقون وقيل هم من
لا تعرفون عداوته وقوله تعلى وما تنفقوا من شي في سبيل الله يوف
اليكم وانتم لا تظلمون ٥ معناه وما انفقتم في سبيل الله وفر الله عليكم
جزاوه ولا تنقصكم شيا وقوله تعلى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل
على الله انه هو السميع العليم ٥ معناه فان مالوا الى الصلح والمسالمة
فمل انت اليها وتوكل على ربك في جميع امورك كلها فان الله يسمع ما يقول
عباده ويعلم ما يضمرونه ويظهرونه ويعلم مصالحهم وهم لا يعلمونها
وقال بعض المفسرين هذه الاية منسوخة بقوله تعلى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم الاية وبعضها من امثالها وقال غيره ليست
منسوخة لان هذه الاية موادعة اهل الكتاب والثانية في قتل عبدة
الاوثان وقوله تعلى وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو ٥

الذي ايدك بنصره وبالمومنين ٥ اصل الخديعة اخفا الشي
ومنه المخدع في البيت لخزانه ٥ والخاسد المتكبر من الفعل على اتم ما
يصح فيه ٥ ومعنى الايد التقوية قصدوا الى خديعتك فثق انت بالله
اذا خدعتم فان الله يكفيك شرهم وقد ايدك الله بنصره ونصرك
بالمومنين وقوله تعلى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ٥ التاليف
الجمع على المشاكلة ٥ بين تعلى انه الف بينهم وانه لم يكن في
امكان النبي عليه السلم ذلك التاليف ببذل الاموال فكانه قال
لو انفقت ما في الارض جميعا لما اجتمعوا على الالفة لم تملك ذلك
الله الف بين قلوبهم بلطفه قال بعض العلما هذا في الاوس والخزرج
وقال غيره هو في كل متحابين في الله ولله وقوله تعلى يا ايها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المومنين ٥ هذه بشارة من الله نبيه عليه السلم
متضمنة للتشجيع والتحسين والتسلية من الغم والحزن فكانه قال له
لا تحزن ولا تخف فان الله تعلى يكفيك شر كل ذي شر وقوله تعلى
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ٥ فهذه كفاية
الخدع خاصة فاعيد حسبك الله في قوله يا ايها النبي حسبك الله لانه تضمن
كفاية عامة في كل شي وموضع من اتبعك يحتمل وجهين في الاعراب
احدهما النصب على معنى ذكر يكفيك الله ويكفي المومنين لتابعيك
وهو كقوله تعلى انا منجوك واهلك قال الشاعر ٥ اذا كانت الهيجا
وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند ٥ والوجه الثاني في الرفع
عطفا على اسم الله تعلى ومعناه يكفيك الله تعلى ناصرا والمومنون الذين
اتبعوك وصدقوا بك واول من دخل في هذا المدح امير المومنين علي عليه
السلم باجماع اهل القبلة لانه اول من امن به وصلى قبل الناس معه سنين
كما قال صلى الله عليه واله صلت الملائكة علي وعلى علي قبل الناس سبع سنين
وذلك انه لم يرتفع شهادة ان لا اله الا الله الا مني ومن علي فبصره قبل كل امر

وصلى القبلتين وتابع البيعتين وهاجر الهجرتين ولم يشرك بالله طرفة
عين صلى الله عليه وآله وسلم وقوله جل اسمه يا أيها النبي حرض المؤمنين على
القتال أمر الله نبيه صلى الله عليه أن يحث المؤمنين على مجاهدة
الكفار ويرغبهم فيه بالوعد الجميل والثواب الجزيل
وإن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة
يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون وقوى الله قلوب
المؤمنين لما علم فيهم من قوة البصيرة في الدين فعلم أنهم إذا جاهدوا
الكفار وصبروا عليها قاوم الواحد منكم عشرة من الكفار
وذلك لبصيرتكم في الدين وفرط جهل الكفار وقوله جل اسمه الآن خفف
الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ومع قوله الآن على التخفيف
ولم يقع على العلم حتى اقتضى حدوث علم الله لأن الله تعالى عالم بذاته
بسائر المعلومات لا يعلم المعلومات بعلم قديم ولا بعلم محدث كما قال
الجهال لأن المعلومات تنقسم قسمين قسم معدوم وقسم موجود
فالمعدومات كلها معلومة لله تعالى فيما لم يزل ولا يجوز أن يوصف
بأنه عالم فيما لم يزل بوجود معدوم بل يصير موجودا في المستقبل
فإذا صح هذا المعنى فقوله الآن واقع على التخفيف لأن الله تعالى
خفف فرض الجهاد في الابتداء على كل عشرة من المؤمنين أن يقاتلوا مائة
من الكفار وعلى المائة قتال الألفين من الكفار لقوة أولئك المؤمنين
وقوة بصيرتهم في الدين وتوطين أنفسهم على الجهاد وعلم الله تعالى
جميع ذلك منهم ثم حصل في الإسلام بعد ذلك قوم لم يكن لهم من القوة
والبصيرة ما كان لأولئك فخفف فرض الجهاد على الوجه الذي نطقت
به الآية وقوله جل اسمه فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين وبين
في الآية الأولى مقاومة الواحد لعشرة وبين في الآية الأخرى مقاومة
الواحد لاثنين للعلة التي بيناها ولما خفف عنهم لا المتأخرين خفف

الضعفاء أو لأولئك [illegible] فرضه للجهاد مختلفا ويحتمل
أن يكون معنى الآن خفف الله [illegible] لطفا لله ويحتمل بتخفيف الله
ويحتمل [illegible] نسخ الآية الأخيرة حكم الآية الأولى وورد في الرواية
أنه كان بين نزول الآية الأولى وبين نزول الآية الأخرى مدة طويلة [illegible]
في النبوة [illegible] وقوله جل اسمه ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في
الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم الإثخان
بغلبة أي الكثرة في القتال وعرض الدنيا حطامها ومتاعها وتضمن معنى الآية
الإنكار على المؤمنين الذين في المواقعة يوم بدر لا على النبي صلى الله عليه لأن الرواية
وردت بنزول الآية في أسارى بدر وكان ذلك قبل أن يكثر أهل الإسلام
فأمر بقتل الكفار يوم بدر بقوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل
بنان فأسروهم ولم يقتلوهم طمعا في المال وطلبا للفداء وهو معنى قوله تريدون
عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم فلما كثر أهل الإسلام نزلت
الآية التي قوله فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها فقيل بعد ذا
كل واحد بأربعة آلاف درهم فقيل لهم كان الواجب عليكم أن تثخنوا الأسرى ولا
تطمعوا في الفداء فقيل الإثخان في الأرض المبالغة في القتل الذي يصد الناس
عن الشرك ويدعو إلى الحق فاخترتم عرض الدنيا وأردتموه وأراد الله لكم
عمل الآخرة بالطاعة المؤدية إلى ثواب الجنة والترتيب في معنى الآية ما كان
لنبي أن يكون له أسرى قبل تغليظ الحال من القتل الذي يكون فيه الاستيصال
للكفار ليصير ذلك عبرة لغيرهم وصادا عن الشرك وداعيا إلى الحق وفي الآية حجة
على المجبرة في بيان أن إرادة الله تعالى مباينة لإرادة الخلق لأنه لو كان الله تعالى
مريدا لما أرادوه من الفداء لما صح هذه الآية والفصل فلما فصل إرادته من إرادتهم
بان صح أن الله تعالى لم يكن مريدا لما أرادوه وقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم معناه لولا كتاب الله سبق وهو ما كتبه
في اللوح المحفوظ أنه لا يعذبكم على ذلك لمسكم فيما أخذتم من فداء الأسرى وأخذ

العنيمة عذاب عظيم ٥ وقيل لولا ان الله تعلى وجد في حكمته انه لا يعذبهم الا
بعد المظاهرة في البيان كما قال تعلى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
لمسكم عذاب عظيم ٥ وقيل انه كان سبق من الله عز وجل انه يحل لهم
فلما فعلوا ذلك قبل ان يوذن لهم قيل لهم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم ٥ وقيل لولا كتاب من الله سبق وهو القران الذي
امنتم به واستحققتم لذلك غفران الصغاير لمسكم فيما اخذتم من الله
عذاب عظيم لا ومن ذهب الى هذا قال لا يجوز ان يكون هذا الا صغيرا
لانهم لم يكونوا اهل الغفران فسقا بالاجماع ٥ وقال ايضا قد كان من النبي
صلى الله عليه الصغيرة باجماع من غير تعمد ذلك وقال اظن انها نزلت في قتل
الاسرى ٥ وروي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال احلت لي الغنايم
ولم تحل لنبي قبلي وقوله جل اسمه فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله
غفور رحيم ٥ قوله فكلوا اباحة لاكل الغنايم بالفصل لا اذن بعد الحظر
ودخلت الفاء في قوله فكلوا على تقدير قد احلت لكم الفدا فكلوا
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ
منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ٥ الخير هاهنا المراد به البصيرة في دين
الله وحسن اليقين امر الله نبيه صلى الله عليه ان يقول للاسرى
الذين كانوا في ايدي المومنين ومعنى في ايديكم في وثاقكم من الاسرى فجعل ذلك
بمنزلة ما يقبض عليه القابض في يده لاستيلا عليه ٥ ومعنى ذلك قل لهم
ان علم الله في قلوبكم بصيرة في الدين وسدى الى الاسلام يوتكم خيرا مما اخذ منكم
من الفدا في الدنيا والاخرة ويغفر لكم ذنوبكم وقوله جل اسمه وان يريدوا
خيانتك فقد خانوا الله من قبل معناه وان عزم هولا الاسرى على
نقض عهد الطاعة لله ورسوله وكان النبي صلى الله عليه واله وسلم لما
اطلقهم بالفدا اخذ العهد عليهم بان لا يحاربوه ولا يعاونوا الكفار
عليه فقال وان خانوك كما خانوا في ابتدا امرهم من اظهار الكفر

والعداوة لاوليا الله فقد خانوا اوليا الله من قبل فذكر الخيانة لله
هاهنا توسعا مجازا ٥ ومعنى قوله تعلى فامكن منهم والله عليم حكيم
اي امكنك الله منهم لما خانوا فاعفو بنكث لهم على ما كان منهم من اظهار الكفر والعداوة
لاوليا الله وقوله جل اسمه ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اوليا بعض من
الله تعلى ان المومنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بالمال والنفس
والمومنين من الانصار الذين اووا المهاجرين بعضهم اوليا بعض في الارث
وكان المهاجرون والانصار في بدو الاسلام يتوارثون كما يتوارث
المسلمون الان وكان توارثهم بسبب الهجرة ٥ والنصرة فكانوا
يتوارثون دون ذوي الارحام ثم نسخ الله ذلك وقوله جل اسمه والذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا ٥ معناه ومن
امن ولم يهاجر فليس له هذه الولاية حتى يهاجروا وان كانوا قرابة
وقوله جل اسمه وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
والله بما تعملون بصير ٥ معناه ان استنصركم المومنون الذين لم يهاجروا
وان لم يكن هذه الولاية المخصوصة على من يحاربهم فعليكم ايها المهاجرون
والانصار نصرهم عليهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق لانه كان من المومنين
والاسير عهد فانه ليس لهم ان ينقضوا ذلك العهد لاجل استنصار المومنين
غير المهاجرين عليهم وكان هذا في ابتدا الامر ثم نسخ ذلك في حجة الوداع
يجعل عليه السلام المومنين يدا واحدة وهو قوله صلى الله عليه المسلمون تتكافا
دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم ٥ ومعنى بصير هاهنا عالم
وقوله تعلى والذين كفروا بعضهم اوليا بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ٥
قيل معناه بعضهم اوليا بعض في الميراث ٥ وقيل في النصرة والمعاونة ٥ والضمير
في قوله الا تفعلوه عايد الى معنى ما امروا به في الاية الاولى والثانية ومخرجه
مخرج الخبر ومعناه الامر فكانه قيل لهم الا تفعلوا ما امرتم به من التعاون
والتناصر والتبري تكن فتنة في الدنيا وفساد ٥ والفتنة هاهنا المحنة بالميل الى

الضلال قوله جل اسمه والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ٥
معناه والذين كانوا بهذه الصفة التي ذكرها الله تعالى هم المؤمنون حقا ٥
معناه انهم حققوا ايمانهم لما انقطعوا من الهجرة والنصرة خلاف من اقام
بدار الشرك ٥ وقيل هم المؤمنون حقا لان الله حقق ايمانهم بالبشارة
التي بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا اذ انقطعت
الهجرة بعد الفتح وقيل انقطعت هجرة الاعراب الى الانصار الى يوم القيمة
ومن بعد ان لهم مغفرة ذنوبهم ولهم رزق كريم والرزق الكريم
هاهنا طعام الجنة لانه لا يستحيل في اجوافهم نجوا ولكنه يصير كالمسك ريحا
والكريم الجود العظيم المشرف قوله جل اسمه والذين امنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله ان الله بكل شيء عليم ٥ معناه ومن امن بعد وهاجر وجاهد الكفار معكم
فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث ٥ ومعنى في كتاب
الله قيل في اللوح المحفوظ وهو كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ٥ ومعناه في اللوح المحفوظ ٥ وقيل
في كتاب الله معناه هاهنا في حكم الله ٥ فدلت الاية على موارثة
ذوي الارحام وهم الذين ليس لهم سهم ٥ وكان زيد بن ثابت يجعل
المال لبيت المال ولا يورثهم ٥ وعند ال رسول الله عليهم السلم لا يكون لبيت
المال ما دام يوجد واحد من ذوي الارحام ٥ وقيل كان في الابتدا يلقى الرجل
الرجل فيقول ترثني وارثك فلما نزلت هذه الاية ترك ذلك وروى ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال من قرا سورة الانفال وسورة براة
فانا شفيع له وشاهد يوم القيمة انه بري من النفاق واعطي من الاجر بعدد
كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر
سيات ورفع له عشر درجات وحملة العرش يصلون عليه ايام
حياته في الدنيا ٥

السورة التي يذكر فيها براة وتسمى سورة التوبة مدنية
مائة وتسع وعشرون اية ٥ والفان واربعمائة وسبع وتسعون كلمة
وعشرة الاف وثمانمائة وسبعة وثمانون حرفا قوله جل اسمه براة
من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ٥ قيل انما ترك هاهنا
بسم الله الرحمن الرحيم ولم يذكر في اول هذه السورة لانها ضمت الى الانفال فكانتا
سورة واحدة لان السورة الاولى في ذكر العهد والثانية في رفع العهد
وقيل انما ترك لان بسم الله الرحمن الرحيم امان ونزلت سورة براة لرفع الامان
ورفع براة لانه بمعنى هذه براة من الله ورسوله ٥ وقيل هي مبتداة
والخبر الظرف الى والقول الاول اصح واظهر ٥ واصل البراة انقطاع
العصمة وهي النبذ الى المشركين برفع الامان ولا يخلو السبب في
رفع الامان من غدر وقع منهم او لانه كان مشروطا الى ان
يرفعه الله عنهم وكان بين النبي صلى الله عليه واله وسلم وبينهم عهد
فاعلموا برفع ذلك العهد قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم
غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين ٥ السيح السير ٥ والاعجاز الفوت
والاخزاء الاذلال بما فيه من الفضيحة وكان ابيح لهم السير في الارض اربعة
اشهر وكان اولها يوم النحر العشرين من ذي القعدة الى العشرين من ربيع الاول
لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في عشر من
ذي الحجة وفيها حجة الوداع وكان سبب ذلك النسيء الذي كان في الجاهلية وقد بين
نصه في موضعها من هذه السورة ٥ وقيل كان التاجيل الاربعة الاشهر
لانها الاشهر الحرم الى اخر المحرم من اول شوال ٥ وقيل كان التاجيل
لمن فيهم من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فحط اليها وفيهم من كان اقل فرفع
اليها قوله جل اسمه واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر
ان الله بري من المشركين ورسوله ٥ الاذان الاعلام وارتفع لانه عطف
على براة ٥ وقيل ارتفع لانه بمعنى عليكم بنفسه معنى الامر ٥ وقيل الحج الاكبر الذي
فيه الوقوف بعرفة والاصغر العمرة ٥ وقيل الحج الاكبر يوم عرفة نهاره وكـ

عن امير المومنين عن النبي صلى الله عليهما وعلى اهلهما ٥ وقيل هو يوم النحر
وروى ذلك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه واله وسلم ٥ وقيل ايامه
كلها ٥ ومعنى الاية واعلام من الله ورسوله يوم الحج الاكبر ان الله
برى من المشركين ورسوله وهو اجل اسمه فان تبتم فهو خير لكم وان
توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم
معناه فان تبتم فهو انفع لكم بما لكم من الثواب والكرامة وان اعرضتم
عن الحق واصررتم على الكفر فاعلموا انكم لا تفوتون الله فانه حاكم
على اعمالكم وامر نبيه صلى الله عليه ان يبشرهم بعذاب في الاخرة ٥ ٥
قصة براة روى حديث براة الثقاة من رواة العامة ورواة ال
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فالذي روي من طريق العامة
فهو ما رواه ابو جعفر محمد بن ابرهيم بن عبدان بن جبلة الهمستاني قال
حدثنا ابن سمرة بن محمد بن مروان قال اخبرنا ابو حليفة قال حدثنا محمد بن عبد الله
الخزاعي قال حدثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعث الله براة مع ابي بكر الى
اهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث اليه فرده وقال لا يذهب بها الا رجل
من اهل بيتي فبعث عليا عليه السلم ٥ وروى الفقيه ابو القسم الحسن
احمد بن ميران بعاس في ذي الحجة سنة سبع وسبعين وثلثمائة قال
اخبرني ابو القسم الحسن بن علي بن عمرو الزجاج بالرقة قال اخبرني الحريرك
قال حدثنا الحسن بن اسمعيل قال حدثنا الهيثم بن عبيد ابو كهل السيار
وسعيد بن ابرهيم والوليد بن الرهيب قالوا حدثنا عبد المومن بن
القسم الانصاري عن عبد الله بن شريك عن سعد بن ابي وقاص قال
قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في علي اربعة احد لمن احب
الي من الدنيا قال سعد بنا في المسجد فاتينا ليلا فقيل اخرجوا غير النبي
من خرجنا فلما اصبحنا اتاه عمه العباس فقال يا رسول الله اخرجت اصحابك
واعمامك وتركت هذا الغلام معك في المسجد فقال ما انا امرت باخراجكم

ولا باسكان هذا الغلام ولكن الله امر بذلك قال قلنا
الثانية قال ثم بعث رسول الله صلى الله عليه براة مع ابي بكر
فسار بها يوما وليلة او ما شا الله ثم اتبعه عليا على ناقته العضبا
فلحق ابا بكر فبكى وقال يا علي هل نزل في شي قال لا الا خير ولكن رسول
الله صلى الله عليه واله قال لا يودي عني الا انا او رجل مني فرجع
ابو بكر الى النبي صلى الله عليه فبكى ثم قال يا رسول الله هل نزل في شي
قال لا الا خير ولكن لا يودي عني الا انا او علي ٥ قلنا الثالثة قال
ثم بعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عمر بن الخطاب وسعد
بن عبادة فرجعا منهزمين فقال رسول الله صلى الله عليه لاعطين
الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع
حتى يفتح الله على يديه ادعوا لي عليا وكان ارمد فتفل في عينه ثم
اعطاها اياه ففتح له ٥ قلنا الرابعة قال ثم خرج رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم الى غزوة وخلف عليا في اهله فقالت
قريش انما خلفه من بغضه فلحقه علي فقيل الصلوة جامعة فاجتمعنا
الى رسول الله صلى الله عليه فقال يا علي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة
هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي ٥ وروى محمد بن عيسى بن عبيد
اليقطيني الكوفي عن الحسن بن سعيد عن عيسى بن عبد الله قال
سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم يقول ان رسول الله
صلى الله عليه بعث ابا بكر براة الى اهل الموسم فسار حتى نزل
الجحفة فنزل جبريل عليه السلم وقال يا محمد لا يبلغها الا انت او رجل
منك فبعث رسول الله صلى الله عليه عليا في طلبه فادركه
فاخذ الصحيفة ثم مر بها الى اهل الموسم فلما وقف عليهم انشا الخطبة
فبلغه اولها الحمد لله المتفرد الى حلقه الذي كان ولا شي يكون
لم يكونه شي فيكون قبله ولم يكن من شي فيكون له والد ولم يشبهه

شيء يكون له بد ثم قال في آخر الخطبة وهذا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله يدعوكم إلى الدين وهو فيكم الأمين فأجيبوا
داعي الله وآمنوا به واسمعوا إليه فقد دعت الرسل من كان قبلكم
ولم يكن الله ليدعكم سدى حتى بين لكم وهذا كلام الله ورسالة
محمد صلى الله عليه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم براءة من الله
ورسوله فقرأها إلى تسع آيات ثم قال وقد بلغت الرسالة
عن سيد النبيين وقامت عليكم الحجة فاستجيبوا لله وللرسول إذا
دعاكم لما يحييكم سبيل السعادة فإن تولوا فلن تعجزوا الله هربا فإنه
لا يطلب مثل طلبه طالب ولا أسرع منه هارب ولكم ميعاد يوم لا
تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ثم تعرض هلاك غضب
من الله والتلف والحسرة بعده فقالوا له يا ابن أبي طالب لولا مكان
أبيك لم تسلم وقد قمت مقاما تعرضت فيه لنفسك فانصرف وقد سمعنا
مقالتك وعصيناك والفتنا حرما تدعونا إليه ا وروى محمد بن عيسى
عن عبد بن إسحق عن يحيى بن اليمان عن سفين عن أبي إسحق عن يوف
صاحب أمير المؤمنين عليه السلام قال يوف قلت له بم بعثك
رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكة فقال ببراءة لا أقرأها عليهم
فقمت فناديت فيهم لا يدخل الجنة إلا نفس زكية ولا تطوفن بالبيت عريان
بعد يومك إلا ضربت عنقه ولا يحج بعد عامه مشرك ومن كان بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فمدته
إلى أربعة أشهر فسيحوا في الأرض أربعة أشهر الآية قال فطاف
بالبيت قوم عراة بعد ذلك فضربنا عنقهم ثم أمرت أبا أيوب الأنصاري
أن ينادي في الناس ألا إن الله قد أظهر دينه فلا يعبد اللات والعزى
يوم القيامة يا أهل مكة لا أدب لكم عندي غير السيف فمن تأهل هذه

الفضل والنصف [illegible] من أصلح في حيوة رسول الله صلى الله عليه وآله
لا داد ان [illegible] ولا أصلح بعد وفاة النبي صلى الله عليه
أن يكون [illegible] أمنا عليها وهذا يعلي باولد وكره
وهذه وفي قوله صلى الله عليه لا يبلغها إلا أنا أو رجل مني بيان
عظيم وخطب جليل [illegible] لأن قوله أو رجل مني ليس المراد به
أنه من المؤمنين [illegible] فقد شاركه فيه ولا أنه من قرابته ومن أصحابه
لمشاركة غيره له فيه وإنما المراد به مثله عصمة وطهارة وكمالا وقدرة
وحكمة وعلما وحلما وزهدا وشجاعة وسائر الخصال الحميدة ونحوه
ذكره في قول الله تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران
على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ا فأخبر أنه اصطفى
آدم صفوته وكل من ذكره بعده ولا يتخذ أحدا صفوة إلا من كان
صفيا فدخل فيه جميع الأنبياء والأئمة والأوصياء من لدن آدم
إلى محمد صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وقوله تعالى إلا الذين عاهدتم من
المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم
إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ا المظاهرة المعاونة ووقع الاستثناء من
براءة الله ورسوله من المشركين إلا الذين عاهدتم منهم ولم ينقصوكم شيئا
وقيل وقع الاستثناء من قوله اقتلوا المشركين إلا الذين عاهدتم فعلى
إلى هاهنا أمر الله وفيه خلاف ا ومعنى ولم ينقصوكم من شروط العهد
شيئا ولم يعاونوا عليكم أحدا من أعدائكم ولم ينقصوكم من حقكم شيئا
في عهدكم فمن كانت هذه صفته فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم فإنه
من شرط التقوى وإنه يحب المتقين وقوله تعالى فإذا انسلخ الأشهر
الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واحصروهم واقعدوا لهم
كل مرصد ا معناه فإذا انقضى الأشهر الحرم التي حرم فيها القتال
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم مأسورين وضيقوا عليهم
محصورين ولا أشهر الحرم قيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم

ثلثة سرد وواحد فرد ۞ وقيل هي الاربعة الاشهر التي جعل
الله لهم ان يسيحوا فيها اولها من عشرين من ذي الحجة والمحرم
وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر ۞ ومعنى واقعدوا
لهم كل مرصد ترصدوا لهم حتى تتمكنوا منهم وتقطعوا اثرهم ۞
والنصب كل مرصد على الحذف تقديره على كل مرصد ۞ وقيل
هو ظرف كقولك ذهبت مذهبا ۞ والمرصد المكان الذي
يرصد فيه وقوله جل اسمه فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة
فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ۞ معناه فان تابوا عن الشرك
وتمسكوا بالشريعة باقام الصلوة وايتاء الزكاة فلا سبيل لكم عليهم
فان الله يغفر لهم ما قد سلف وقوله جل اسمه وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ۞ معناه فان
استامنك يا محمد احد من المشركين فاعطه الامان وامنه حتى يسمع كلام
الله ثم ردهم الى مامنهم لينظروا في امرهم ويتفكروا ويختاروا ما يصلح لهم
وقوله تعالى ذلك بانهم قوم لا يعلمون ۞ بين الله تعالى انما امنهم على هذا
الوجه لانهم قوم لا يعلمون دين الله ولا يعلمونه وما قراه النبي صلى الله عليه
واله عليهم هو كلام الله على الحقيقة لانه حكاية كلام الله وان كانت القراءة
فعل النبي صلى الله عليه واله وهو كما تقول هذه قصيدة امرئ القيس وخطبة امير
المؤمنين وكلامه وان كان ما تقول انت الكلام والخطبة فعلك وعلى هذا
تقول هذا دين محمد على الحقيقة وان كان ما فعله غير ما فعله لما
كانت حكاية له ۞ ودلت الاية على ان كلام الله هو هذه الحروف المنظومة
التي انزلها على الانبياء عليهم السلام لانه لو لم يكن بهذه الصفة لم يكن
مسموعا فلو كان كلام الله سبحانه وتعالى صفة قائمة بذات الله
كما قاله الجهال لم يكن ذلك مسموعا والله سبحانه يقول حتى يسمع كلام
الله فبان بذلك ان الكلام المسموع هو هذه الحروف المنظومة

وهذه الحروف يكون من افعال الله وما كان فعلا لم يكن قديما
وانما يكون محدثا وقوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند
رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ۞ بين الله تعالى انه لا
ينبغي ان يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا من جرى له
العهد عند المسجد الحرام فاستثناهم من جملة المشركين ۞ وفي الاية محذوف
وذلك المحذوف هو العهد لانه على طريق الانكار ان يكون لهم عهد والجار
هذه والاستثناء في قوله الا الذين عاهدتم على الايجاب لان الذي
قبله في معنى النفي وكانه قيل ليس يكون للمشركين عهد الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام والذين جرى لهم العهد قيل هم قوم من كنانة وقيل
جملة قريش وقيل قبيل خزاعة ۞ والمسجد الحرام سمي بحظر صيده
وحظر سفك الدماء فيه وحظر استدلال ما يستدل به غيره من المساجد
وقوله جل اسمه فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ۞
معناه فاوفوا بعهدهم ما داموا مستقيمين على العهد غير ناقضين
له لان الله يحب المتقين وقوله جل اسمه كيف وان يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة ۞ الظهور العلو والغلبة والال العهد
وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى ۞ وقيل الال القرابة وقيل الجوار
وقيل اليمين والاصح العهد واصله اللمعان يقال ال يال الا اذا لمع
وفي الاية محذوف وتقديره كيف لهم عهد وان يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقوله تعالى يرضونكم بافواههم وتابى
قلوبهم واكثرهم فاسقون ۞ معناه يقولون لكم بافواههم ما ليس في
قلوبهم ويطلبون بذلك القول مرضاتكم في الظاهر والاعتماد
على قولهم كونهم فاسقين متمردين في كفرهم وقوله واكثرهم والمراد
كلهم موضع الخصوص موضع العموم توسعا ومجازا وقوله جل اسمه اشتروا
بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون ۞ معناه

اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ۝ وهو انهم باعوا آيات الله بثمن
قليل وهو ما اخذوه من المال وقيل ان الآية في الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان
على طعامه لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل نزلت في قوم من
اليهود دخلوا في العهد وصدوا الناس عن دين الله ۝ والفاء في قوله فصدوا
معناها معنى جواب الجزاء اي لما اشتروا اداهم ذلك الى الصد عن سبيل
الله ۝ ثم بين الله تعالى ذما لهم وتوبيخا انه ساء ما يعملونه على سوء وهو من
الافعال السيئة القبيحة وقوله تعالى لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك
هم المعتدون ۝ المعتدي المتجاوز عما حد له ۝ بين الله تعالى في هذه الآية
انهم لا يراعون عهدا ولا ذمة في المؤمنين وانما اعيد ذكر المراقبة للعقد
لان الاول كان في صفة جميع الناقضين للعهد ۝ والثاني في صفة الذين اشتروا
بآيات الله ثمنا قليلا وقيل الاول في صفة الناقضين عامة والثاني في
اليهود خاصة وقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة فاخوانكم
في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون ۝ بين ان هؤلاء الذين تابوا ان داموا على
فعل الصلوة التي وردت بها شريعة محمد صلى الله عليه وآله واعطوا زكوة اموالهم
على الحد الذي بينه الله تعالى كانوا اخوانكم في دين الله وانما اعيد ذكر
فان تابوا لاعادة ذكر لا يرقبون وقد بينا وجه اعادة ذلك ۝ فصل
ومعنى الآيات بيانها مخصوصة لتمييز كل واحدة منها من غيرها
فتظهر مدلولها على ابين ما يكون من الظهور وقوله جل اسمه وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا
ايمان لهم لعلهم ينتهون ۝ معناه وان نقضوا عهدهم وايمانهم بعد ان
عقدوا العقد واعطوا صفقة اليمين فقاتلوا ائمة الكفر من رؤساء
قريش مثل ابي جهل وامية بن خلف وابي سفيان وسهيل بن عمرو وغيرهم
وهم الذين هموا باخراج الرسول كما نطقت الآية التي بعد هذه
بها ۝ وبين تعالى انه لا وفاء لهم بما يحلفون وما يعقدون من عهد

وبين فقاتلوهم لكي ينتهوا عما هم عليه وقوله جل اسمه الا تقاتلون
قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم اول مرة اتخشونهم
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين ۝ ذكر الله تعالى هذا
على سبيل الحث للمؤمنين على قتال هؤلاء الكافرين الذين نكثوا ايمانهم
وهموا باخراج الرسول من وطنه وهم الذين بدؤوا بنقض عهد الرسول
والمؤمنين ثم قال اتخشونهم هؤلاء الكافرين تحسبون انهم ان
الخشية من الله بالعذاب الدائم اولى واحرى في جميع
التمسك من المؤمنين بشروط الايمان وقوله جل اسمه قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ۝
قيل في يعذبهم الله بايديكم انكم اذا اتيتم وقاتلتموهم بالسلاح من
السيف والنبل والرماح انزل الله بهم العذاب ۝ وقيل هذا
على وجه التوسيع والمجاز ۝ بين الله تعالى انهم اذا قاتلوهم عذبهم
الله بايدي المؤمنين واخزاهم وشفى صدور المؤمنين ونصرهم
على الكافرين ۝ وقيل انه شفا صدورهم بخزاعة لانهم
نقضوا العهد بقتالهم ۝ وقيل في اعراب ويخزهم اوجه
احدها الجزم على العطف والنصب على الظرف والثالث الرفع على
الاستيناف وقوله جل اسمه ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله
على من يشاء والله عليم حكيم ۝ بين الله تعالى انه يذهب غيظ
قلوب المؤمنين وهو عطف على قوله ويشف ۝ وبين انه يتوب على
من يشاء ومعناه ويقبل توبة من يشاء ۝ ووجه اتصال قوله ويتوب
الله بما تقدم اتصال البشارة بان منهم من يتوب ۝ وقيل اتصل
به لانه لشرح قتالهم اطماع لاحد منهم من التوبة ۝ وارتفع ويتوب
لخروجه عن موجب القتال وقوله جل اسمه ام حسبتم ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا
رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ۝ الوليجة الدخيلة في القوم

بهم

ث

من غيرهم وليجة ولما يعلم الله طريقه النفي وهو ابلغ في بابه ويقدر
الآية ام حسبتم ان تتركوا ولما تجاهدوا ومنعوا ان تتخذوا وليجة من
دون الله ليعلم الله ذلك منكم فجاء بالعلم النفي للمعلوم وهذا مثل قوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وقد مر بيانه في سورة آل عمران ومعنى ولما يعلم الله لم يحصل المعلوم موجودا
منكم ونهاهم الله ان يتخذوا غير الرسول والمؤمنين بطانة يفشون
اليهم اسرارهم فكانه قيل لهم لا تحسبن ان الله يترككم من غير جهاد
ويرضى منكم ان تتخذوا غير الرسول خواصا وبطانة وبين انه عالم
بما تعملون لا يخفى عليه خافية وانه يجازي كلا بما فعل وقوله جل اسمه
ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر
معناه ليس للمشركين ان يعمروا المسجد وهم يشهدون على انفسهم بالكفر
ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر اخباره به لين فيا لخبره دليل على
كفره لا انهم يقولون بلسانه انه كافر الا انه كما يقال للرجل كلامك يشهد
بالظلم وقيل معنى شهادته بالكفر على نفسه ان النصراني اذا
قيل له ما انت قال نصراني واذا قيل لليهودي ما انت قال يهودي
والعابد الوثن ما انت قال مشرك وقوله جل اسمه اولئك حبطت
اعمالهم وفي النار هم خالدون منع الله تعالى المشركين من عمارة
المسجد تنزيها للمسجد من نجاسته وبين انما يعمله المشرك يحبط لا ثواب
له عليه لشركه وانه يكون خالدا في النار ان مات على كفره
وقوله جل اسمه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام
الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين لما منع الله تعالى المشرك عن عمارة المسجد بين صفة
من له ان يعمر المسجد وهو من آمن بالله وصدق بالبعث والقيمة
واقام الصلوة التي فرضها الله واتى الزكوة التي اوجبها الله واتبع
صفقة هذه لم يخش الا الله والخشية من الله انما تكون بترك

المعاصي خوفا من عقاب الله ومن كان كذلك كان من المهتدين وانما
قال فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ولم يقل فاولئك هم المهتدين
فقيده بلفظ عسى ليكونوا على حذر مما يحبط اعمالهم فيحسبه يخرجون
من صفة المهتدين وقد يدخل في جملة عمارة المساجد عمارتها بالصلوة
لمن يجد بها احوال الطاعة لله من اولي الالباب التي يكون المسجد عامرا
بها لانها الطاعة المؤدية الى الجنة وقوله جل اسمه اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في
سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين
جاء هذا البيان على وجه الانكار على من يترك من العامر للمسجد الحرام
والقائم بامر سقاية الحاج وبين من آمن بالله واليوم وجاهد في سبيل
الله لان قوله لا يستوون عند الله يدل على ذلك وفي الآية محذوف
وهو كايمان من آمن بالله فاقيم الاسم مقام المصدر وهو كقول القائل
السخي حاتم وقيل فيه اخر وتقديره وصاحب سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام فقام المصدر مقام الاسم على ان اصل السقاية مصدر
قال الشاعر لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندي
وتقديره ما الفتيان فتيان نبات اللحى وسبب نزول الآية
فيما رواه محمد بن عيسى القطعي والكوفي عن الحسن بن محبوب رفعه الى
ابي الطفيل صاحب امير المؤمنين علي عليه السلام قال بينا العباس
بن عبد المطلب واسمعيل بن شيبة بمسجد الرسول صلى الله عليه
اذ خرج علي بن ابي طالب عليه السلام من بيته فقال لاسمعيل لا تدع لهذا
الغلام فصغر اليه نفسه فقال اسمعيل هذا ابن اخيك وانت احق به
فاقبل علي حتى جلس اليهما وسلم على عمه واساء الحديث بسم اذ قال
العباس انا سيد قريش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولنا سقاية
الحاج لا يليها غيرنا فقال بن شيبة بل جدي اعظم قريش خطرا واعزهم
نسبا ولنا مفتاح البيت لا يليه غيرنا فقال علي بن ابي طالب اقلا

العباس

اذ اكبا على من هو خير منكما ما لا ومن اكل قال من ضربكما اسعد
حتى قادكما الى الاسلام فقاما الى النبي صلى الله عليه وآله يشكوان
عليا فاخبر العباس النبي صلى الله عليه وآله بقوله فقال صدقت يا عم
النبي ايك كذلك واخبره بن شيبه بما قال فقال كذلك انتم اهل البيت
فاخبره على بما قال فلم يقل النبي عليه السلام صدق على ولا كذب حتى انزل
الله تعالى الاية فتلا جبرئيل صلى الله عليه على النبي صلى الله عليه وآله الاية
الى اخرها فقال النبي صلى الله عليه وآله ثلاث مرات فقد قضى الله بينكم
ثم تامل ذلك على بما فيه ٥ ومعنى والله لا يهدي القوم الظالمين
لا يهديهم الى طريق الجنة التي هي ثواب الله وقوله جل اسمه الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم
درجة عند الله واولئك هم الفائزون ٥ معناه ان من كانت هذه
صفته كان اعظم درجة عند الله وانه من الظافرين بما يطلب ٥ وقيل
انما قال اعظم درجة عند الله وان لم يكن درجة عنده لمن كان
بخلاف هذه الصفة على نحو قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
واحسن مقيلا ٥ وان لم يكن في مستقر اهل النار خير كان المراد به
بيان ان للمؤمنين منزلة عند الله وقوله جل اسمه يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ٥ معناه يبشر الله
هولاء الذين لهم درجة عند الله في وقت البشارة ان الله ينعم عليهم
ويرضى عنهم وانه يثيبهم جنات النعيم وقوله جل اسمه خالدين فيها ابدا
ان الله عنده اجر عظيم ٥ بين الله تعالى انهم يكونون في ذلك النعيم
خالدين ابدا وان الله عنده ثواب جزيل للمؤمنين وقوله جل اسمه
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على
الايمان ٥ يقال في اللغة استحب بمعنى احب ويقال استحب طلب المحبة
وعلى الوجهين جائز في تاويل الاية فنهى الله المؤمنين عن موالاة ابائهم
واخوانهم اذا كانوا كفارا اعداء الله ورسوله وقوله جل اسمه ومن يتولهم

منكم فاولئك هم الظالمون ٥ معناه ومن تولى المشرك فهو مشرك ومن
تولى الظالم فهو ظالم وقوله جل اسمه قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين ٥
الاقتراف الاكتساب ٥ فتربصوا انتظروا ٥ بين الله تعالى ان من كان
مؤمنا فمن حقه ان يختار طاعة الله وطاعة رسوله والجهاد في سبيل
الله فيؤثرها على الاباء والابناء والاخوان والاهل والقرابات والوطن
والاموال والتجارات ٥ وبين ان من اختار شيا من ذلك على دين الله
والجهاد في سبيله فهو المستحق للعقاب وهو عن الايمان بعيد
الذهاب ٥ ومعنى فتربصوا حتى ياتي الله بامره انتظروا حتى ياتي امر الله
وهو فتح مكة وقيل معناه حتى ياتي امره من عقوبة عاجلة او اجلة
وبين ان الله لا يثيب الفاسقين ولا يلطف لهم بما يلطف للمؤمنين
جزاء على ايمانهم واعمالهم ولا يهديهم الى طريق الجنة والذي اقتضى نزول
هذه الاية محبتهم الاباء والابناء والاخوان والعشيرة والاموال
والاوطان اي منعتهم وشغلتهم عن الجهاد والهجرة وقوله جل اسمه
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ٥ من الله عليهم بانه نصرهم على
الكفار في مواطن كثيرة وكان ثمانين موطنا كما وردت الرواية وقوله تعالى
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا ٥ حنين واد بين
مكة والطائف ٥ وقيل واد الى جنب ذي المجاز ٥ ومعنى نصركم
يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم اي كثرة عددكم فلم تنفعكم كثرتكم
وكان بلغ عدد المؤمنين اثنى عشر الفا ٥ وكان السبب في انهزامهم
اعجابهم بكثرتهم حتى قال قايلهم لن نغلب اليوم ٥ وعود تركن صف
حنين على ابن البقعة ٥ قال الشاعر ٥ نصروا نبيهم وشدوا
ازره بحنين يوم تواكل الابطال وقوله تعالى وضاقت عليكم الارض

بما رحبت ثم وليتم مدبرين ٥ الرحب السعة في المكان ٥ ومعناه
ولم يكن لكم موضع للفرار من عدوكم مع سعة الاماكن ثم انهزمتم
اخزا وقوله تعلى ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين
السكينة الرحمة التي تسكن اليها القلوب ٥ وقيل هي الامنة والطمانينة
وقيل الوقار ٥ ومعناه ثم من الله تعالى بانزال السكينة على رسوله
وعلى المومنين بعد انهزامهم وقوله تعلى وانزل جنودا لم تروها
معناه وانزل من السما ملايكة وانتم لم تروها ٥ وروي ان الملئكة عليهم
السلم لم تقاتل الا يوم بدر ونزلت في يوم حنين وغيره من المواطن
من جهة الخواطر التي تشجع قلوبهم وتحسن عندها اعدايهم لتقع الرعب
في قلوبهم وقوله جل اسمه وعذب الذين كفروا وذلك جزا الكافرين
قيل العذاب ها هنا الاسر والقتل وسلب الاموال مع الصغار
والاذلال وقوله تعلى ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشا
والله غفور رحيم ٥ معناه ثم يقبل الله التوبة ممن يسلم منهم
لانه غفور رحيم ٥ وجا ثم ها هنا للعطف على الفعل الاول كرر
ذكر ثم في بعض مواضع متفاوته للعطف وشرطت التوبة بالمشية
ها هنا لان منهم من له لطف يصلح به والله تعلى يشا ان يلطف
له ومنهم من لا يلطف في المعلوم يصلح به فلذلك شرطنا التوبة
بالمشية وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا
يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ٥ انما سمي المشرك نجسا
لان الشرك يجري مجرى القذر الذي يجب تجنبه سمي باسمه لهذا المعنى
وقيل لا اصاحبهم وان من صاحبهم فانه نجس رجس ٥ ونهى الله تعلى
المشركين على ان يقربوا المسجد الحرام وامر المومنين بمنعهم من ذلك
اذا امكنوا منه ٥ والمراد بالعام هو العام الذي بلغ فيه امير المومنين عليه
السلم سورة برآة وكان ذلك لتسع مضين من الهجرة وكانت بعده

حجة الوداع وقوله جل اسمه وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله ان شا الله ان الله عليم حكيم ٥ العيلة الفقر ٥ ومعناه
وان خفتم فقرا فان الله يغنيكم من فضله وقيل كانوا خافوا انقطاع
المتاجر والمنافع اذا منعوا المشركين عن ان يقربوا المسجد الحرام
ويدخلوا مكة فوعدهم الله تعلى بالفضل والغنى وامنهم من الفقر وشرط
الغنى بالمشية لان منهم من لا يبلغ هذا الغنا الموعود به ٥ وقيل ليقطع
الامال الى الله عز وجل كما قال تعلى لتدخلن المسجد الحرام
ان شا الله امنين ٥ واختلف العلما في انه هل يجوز ان يقرب
المسجد الحرام مشرك على وجه فقال بعضهم لا يجوز الا ان
يكون عبدا او واحدا من اهل الذمة ٥ وقال غيره لا يجوز
ذلك على وجه ولا يدخله احد من اليهود والنصارى ايضا وهذا
هو الاصح لعموم الظاهر ٥ وقال هذا القايل لا يدخلون شيا
من المساجد ايضا ٥ وروي رخصة لاهل الذمة في دخوله قدر ما
يترافعون فيه الى الحكام فاذا حكموا بينهم خرجوا وقوله تعلى
قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ٥ امر الله تعلى المومنين
بقتال من لا يومن بالله وبالبعث بعد الموت ويستحل ما حرم الله
ورسوله ولا يطيعوا الله في الدين الذي اتى به محمد صلى الله عليه
واله وسلم وهو دين الحق والمعنى بذلك اهل الكتاب فلهذا ما قال
من الذين اوتوا الكتاب فدلت الاية على انه قد كان فيهم
من لا يقر بالبعث ولا يتاول ٥ فامر الله تعلى بقتالهم الى ان

يعطوا الجزية وهم اذ لا صاغرون في تلك الحال ٥ ومن حمله
على العموم منهم قال انما قيل لاهل الكتاب انهم لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر مع اقرارهم بذلك على طريق الذم لهم
لانهم بمنزلة من لا يقرّ به في عظم الجرم كما انهم بمنزلة المشرك في
عبادة الله بالكفر ٥ وقيل انما وصفوا بذلك لان اقرارهم بذلك كان
من غير معرفة فليس اذًا بايمان واكثرهم بهذه الصفة والعطا
الجزية يجب ان يكون واليا واحده يجب ان يكون جاليا وقيل عن
يد [illegible] ونحال العصب لا اخذه ومعنى الصغار الذل وقيل الصغار
الذي يصغر مقدار صاحبه وقوله تعلى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين
كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون ٥ المضاهاة المشاكلة
وروي ان جماعة من اليهود قالوا عزير ابن الله والدليل عليه ان
اليهود في وقت نزول هذه الاية سمعوا ذلك ولم ينكروه لانهم لو كان
منهم انكار في ذلك لكان بعلمه ظاهرا اسمعون به وجعلوه شيئا
لتكذيبه كما كانوا يسمعون في كثير من الاشياء وانما انكر اليهود ذلك
في هذا الوقت [illegible] معذب لا [illegible] وانما قالته [illegible] قوم
منهم فاضيف ذلك الى الجميع ٥ وقيل كان القائل لذلك من اليهود
سلام بن مسلم ونعمان بن اوفى وابن قيس ومالك بن الصيف [illegible]
الله تعلى فيهم الاية واما النصارى فقد قالوا كلهم بان المسيح ابن الله
على الوجه الذي [illegible] وسنذكر ذلك فيما مضى وقيل [illegible] كصرف عزير
على قراءة من قرأه لانه معرفة اعجمي ولان الابن هاهنا صفة من علم
والخبر محذوف [illegible] معبودا او نبيا ٥ وقيل حذف النون لالتقا

الساكنين [illegible] الذي وقوله تعلى جده ذلك قولهم
بافواههم ٥ معناه ليس يرجع قولهم الى معنى صحيح وهو لا يجاوزوا
افواههم [illegible] قول الذين كفروا وقيل [illegible] عبدة الاو
ثان
وقيل يشبه قولهم في عبادتهم اللات والعزى وقيل يشبه قولهم ان
الملائكة بنات الله وقيل هو في تقليدهم اسلافهم في هذا القول
ومعنى قاتلهم الله لعنهم الله ٥ ومعنى يؤفكون كيف يصرفون عن
الحق الى الافك والتكذيب ٥ وقيل معناه قتلهم الله فجا قاتلهم
[illegible] فعل كقولك عافاه الله اذا اعفاه الله ٥ وقيل هو كالمقاتل لغيره
في عداوة الله وقوله تعلى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله والمسيح ابن مريم ٥ الحبر العالم الذي صناعته تحبير المعاني
بحسن البيان والراهب صاحب الخشية ذمهم الله تعلى باتخاذهم
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ٥ وروي عن جعفر بن محمد
عليهما السلم انه قال ما عبدوهم ولكن استحلوا ما حللوا لهم وحرموا على
انفسهم ما حرموه عليهم ٥ فعلى هذا الوجه اتخذوهم اربابا لان
التحليل والتحريم لله تعلى وهكذى حال المقلدين اذا قبلوا ما يجب عليه
[illegible] واما النصارى فانهم اتخذوا المسيح عليه السلم معبودا ٥ وقد
مر طرف من مذهبهم في سورة البقرة والنسا والمايدة فلا وجه لاعادته
وقوله تعلى جده وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه
عما يشركون ٥ معناه وامرهم الله تعلى بان يعبدوه وحده ولا يشركوا
بعبادته احدا ثم نزه نفسه عما يشركون به بقوله سبحانه وقوله تعلى جده
يريدون ان يطفيوا نور الله بافواههم ٥ واحد الافواه فوه في اصل الكلام
فحذفت الهاء وابدل من الواو الميم لانه حرف صحيح يخرج مخرج الواو مشاكل

لها فقيل في الاستعمال والمراد بنور الله القرآن وقيل اهل
الاسلام وقيل المراد بنور الله الدلالة والبرهان لانه يهتدى
بها كما يهتدى بالضياء والانوار وخرج هذا الكلام ايضا على وجه
الذم لهم انهم يريدون اطفاء ما انار الله من الايات والدلايل
والبراهين بافواههم وهو تكذيبهم بها وتحجبهم لها وايراد الشبه
عليها وقوله جل اسمه ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
اصل الامتناع ما يطلب وليس لا بامن الكراهة في شي ومعناه
فلا يمكنهم الله مما ارادوه ويريد الله ان يتم نوره على كراهة
منهم وهو كما قال الله تعلى هو الذى ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقوله
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون في هذه الاية ٥
وقيل انما جاز ان يقال يابى الله الا ان يتم نوره ولم يجز في الله
ضربت الا الحمار لان فيه معنى الاباء معنى النفي واذا ذكر في اللفظ مستثنى
منه لم يدخل الا في الايجاب فدخل النفي على معنى الحذف فكانه
قيل من قصد الى ابطال دين الله فان الله لا يمكن منه وقوله جل
اسمه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون المراد بالهدى هاهنا البيان
والمراد بالدين هاهنا العمل الذي يستحق عليه الجزاء وهذه
بشارة بشر الله بها نبيه صلى الله عليه واله ٥ ومعناه ان
الله تعلى ارسل رسوله صلى الله عليه الى خلقه بالبيان والدلايل
النيرة والاعمال التى يستحق على فعلها الجزاء والله تعلى يعلى دين
الاسلام على كل دين بالحجة والغلبة فدلت الاية على صحة

نبوة محمد صلى الله عليه واله لانه اخبر بظهور دينه على
الاديان كلها فكان مخبره على ما اخبر وقوله تعلى يا ايها
الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ٥ بين الله
تعلى انهم ليأكلون اموال الناس بالباطل معناه انهم اخذوا
اموال الناس من كل وجه حرام اخذه مما لا يكون له وجه
يأكلون موضع يملكون وقد كانوا يأخذون الرشا على
الحكم ٥ وقيل كانوا يأكلون متاع اموال الناس من الاتباع
فكانهم يأكلون الاموال لانها من الماكول وقوله تعلى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم ٥ الكنز هو الباقي من المال المكنوز له فبين الله تعلى
حالهم على وجه الذم فقال من كنز الذهب والفضة ولم
ينفق ذلك في سبيل الله فلهم عذاب اليم في الاخرة والمراد
به دفن ذلك ولم يخرج الزكوة منه والحق اللازم فيه لانه لو
دفن الانسان مالا وقد اخرج زكوته وادى حقه لم يكن مذموما
بالاجماع وروي عن جعفر بن محمد عليهما السلم انه قال الكنز
منع الزكوة وروى عن ابن عباس رحمه الله مثله فهذا يدل
على صحة ما قلناه من ان المراد بالكنز هاهنا دفن ما لم يخرج
زكوته وموضع الذين يكنزون من الاعراب نصب بالعطف على اسم
ان ومعناه ويأكلها الذين يكنزون وقيل هو رفع على الاستيناف
وقيل انما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونهما يعني الذهب والفضة
لانه يرجع الى المدلول عليه كانه قيل ولا ينفقون الكنوز وقيل [illegible]

يذكر احدهما عن الآخر كما قال تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها وقوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم ٥ الآية جعل الشيء حارا احاميا وقوله قبل
يوم القيمة يذوب الذهب والفضة الذي كنزوها في نار جهنم فتكوى
بها جباه الكافرين وجنوبهم وظهورهم تقول لهم وقوله تعالى
هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ٥ معناه يقال لهم
الكي تقريعا لهم ذوقوا ما كنتم تكنزون وقوله تعالى ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض ٥
معناه لما خلق الله السموات والارض جعل عدة الشهور التي
كتبها واوحى بها الى رسوله صلى الله عليه وآله اثنى عشر شهرا ٥ وقوله تعالى
منها اربعة حرم ٥ معناه ومن تلك الشهور اربعة حرم كان اهل الجاهلية
يعظمون حرمة الاربعة الاشهر لا يتحاربون فيها ثلثة منها متواليات وواحد
فرد وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فاباح الله تعالى للمسلمين
القتال فيها وبقي تعظيمها في باب الطاعات وترك المعاصي فيها
لانه يجوز ان يجعل الله تعالى في بعض الشهور من الترغيب في الطاعة
والترهيب جزاء عن المعصية اعظم مما يجعله في شهور اخر
كما عظم حرمة يوم الجمعة من بين الايام وعظم حرمة مسجد مكة
ومسجد الرسول عليه السلام من بين المساجد والبقاع فيكون معنى الاربعة
اشهر حرم ويعظم انتهاك الحرام فيها اعظم مما يعظم في غيرها وكانت
العرب يعظمها حتى لو لقى الرجل فيها قاتل ابيه او ابنه لم يهجه
ولم ينفر عنه وقوله تعالى ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم ٥
بفعل المعاصي وانتهاك المحرمات في هذه الاشهر وضمير فيهن قيل
يرجع الى الشهور كلها وقيل يرجع الى الاربعة الاشهر وقوله جل اسمه

وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين ٥
امر الله تعالى المؤمنين بان يقاتلوا المشركين جميعا ولا يبقوا عليهم وصار قوله
كافة من المصادر واقعة موقع الحال المؤكدة كقولك اجمعين واتصل
ذكر الشهور فعلها اتصل ذكر وعيد الظالم لنفسه
بتكرار النهي عن مثل الظلم في الشهر الحرام فهذا الظلم
وقوله جل اسمه انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه
عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم
الله ٥ النسيء التاخير ومنه انساه الله اجله اي اخره وكان بنو
كنانة وقريش يحجون في كل سنة يبادرون بها الى الموسم وكانوا يؤخرون
الحج بعد الاشهر الحرم عن الوقت الذي وقته الله ويثبت عليه وكان
الحج يقع في غير وقته ويقع احيانا في حرمة الشهور في غيرها والا انه اذا
اخروا رجب الى شهر اخر بغير الوقت الذي وقته الله وقيل كانوا
يؤخرون الحج في كل سنة شهرا حتى كان يقع تارة في ذي الحجة
وتارة في المحرم ٥ وقد قال قائل من كنانة ٥ السنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما ٥ وكانوا يراعون عدد الشهور ولا يراعو ن
الوقت الذي وقته الله فيجعلون شهرا مكان شهر وهذا معنى
قوله ليواطئوا اي ليوافقوا وكان في ذلك تحليل ما حرم الله وتحريم
ما احله الله لان الله كان قد حرم رجب لا المحرم شعبان وهولاء
كانوا يحلون ويحرمون بدله شعبان او شهرا اخر ليحرموا ما حرم الله فبين
الله تعالى ان النسيء الذي يفعلونه زيادة في الكفر وانهم يضلون به
غيرهم من الكافرين وقوله جل اسمه زين لهم سوء اعمالهم والله
لا يهدي القوم الكافرين ٥ ذكر ذلك على ما لم يسم فاعله ومعناه زين

لهم انفسهم سوء عملهم ٥ وذكر السلطان زين لهم سوء عملهم
ولكن ما زين الله كان حسنا ولم يكن قبيحا هذا قبيح من اعمالهم
وقد قال الله تعالى بل سولت لكم انفسكم امرا وقال
لهم السلطان ان اعمالهم ٥ وفي الاية دليل على ان الايمان قول وعمل
لانه اذا كان الشيء كفرا كان ضده ايمانا ٥ ومعنى لا يهدي ها هنا
لا يثيب ولا يلطف لهم بلطفه للمؤمنين ٥ النسيء غير مشدد مهموز
اتفاقا عليه من القراء الا ما روي عن ورش بالتشديد من غير همز
وقوله تعالى جده يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل
الله اثاقلتم الى الارض ٥ الثقل الخروج الى الشيء لا من صحيح عليه والتثاقل
تعاطي اظهار ثقل بقيل ويطيره التباطي وقرئ اثاقلتم تثاقلتم وادغمت
التاء في الثاء لما بينهما من المناسبة ودخلت الف الوصل عليه للابتداء بها
وروي ان هذا التثاقل انما كان منهم حين امروا بالخروج لغزوة تبوك
ومعنى اثاقلتم الى الارض اي الى الاقامة بدياركم ووطنكم ٥ وقيل
كان هذا النفر في وقت ادراك النخل والزرع والثمار فكانه قيل
اثاقلتم الى الارض التي تخرج منها الزروع والثمار وكان الوقت وقت
القعود في الظلال وهذه الاية مخصوصة لانه ليس كل المؤمنين كانوا
متثاقلين اذ دعوا الى الجهاد فكانه قيل لبعضهم ما لكم اذا دعيتم الى
الجهاد اثاقلتم وقوله تعالى جده ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل ٥ الالف في قوله ارضيتم
الف انكار ٥ ومعناه اخترتم الحيوة الدنيا على الاخرة وركنتم الى الدنيا
ثم بين الله لهم ان متاع الحيوة الدنيا في الاخرة شيء قليل تزهيدا
لهم عن الحيوة الدنيا لكن ما لهو لهم من ملك الاخرة ولا يزن ملك الدنيا

في جنبه شيئا لا يعبا به ٥ ولما بلغ امير المؤمنين عليه السلم ان
اصحاب معاوية لعنه الله دخلوا الانبار واغاروا على اهلها واخذ
عاملها وسلبوا المسلمين قام خطيبا ودعا الناس الى قتالهم
هذا اللعين فقال لهم اذا استنفرتكم الى الجهاد في الشتاء قلتم
هذا اوان البرد واذا دعوتكم اليه في الصيف قلتم هذا اوان الحر
كما حكى الله تعالى عن غيركم في مثل ذلك وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم
اشد حرا لو كانوا يفقهون ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
وما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل ثم قال لهم في اخر الخطبة يا اشباه
الرجال ولا رجال وهذا يدل على امر عظيم لانه لو لم يكن فيهم معونة
واصحابه متابعته قال اهل الكفر لم يجسر اصحاب امير المؤمنين عليه السلم
استضعاف المسلمين على هذا الوجه وقوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذابا
اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير ٥
معناه ان لم تنفروا الى الوجه الذي يدعوكم اليه النبي صلى الله عليه وآله
من الجهاد في سبيل الله يعذبكم الله عذابا اليما ويهلككم ويات
بقوم اخرين بدلكم ٥ ومعنى ولا تضروه شيئا ان المنافع
والمضار لا تجوز على الله تعالى لانه غني لا تجوز عليه الحاجة
وهو قادر على كل شيء وهذه الاية وعيد وتهديد والضمير
في قوله تضروه عائد على اسم الله تعالى ٥ وقيل عائد على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه ولا تضروه لان الله عصمه من
الناس وقوله تعالى جده الا تنصروه فقد نصره الله اذ
اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار ٥ معناه الا تنصروا
النبي صلى الله عليه وآله فان الله قد نصره حين اخرجه

الذين كفروا من مكة وتوجه الى الغار وهذه النصرة نعمة من الله
تعلى وليس كل نصرة نعمة لان من نصر احدا طاعة لله كان ذلك
احسانا الى نفسه كنصرة المومنين لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم
ومن نصر انسانا لينفعه او يدعوه اليه وكانت الحكمة تقتضي ذلك
كان نعمة عليه كنصر الله تعلى لنبيه صلى الله عليه وآله ودلت الآية على
ان النبي خرج تلك الليلة من مكة وحده ولم يكن معه غيره فلذلك لو كان
كذلك لقيل اذ اخرجهما الذين كفروا فصح بذلك ان صاحبه في الغار لم
يخرج معه من مكة وانه لقيه في الطريق فذهب به معه وكان كفار
مكة خرجوا تلك الليلة في طلب النبي صلى الله عليه وآله ومعنى قوله ثاني
اثنين اذ هما في الغار احد اثنين اي كان النبي احد اثنين وللعرب فيها
مذهبان قد يقولون خامس خمسة وهو احد الخمسة على قياس
ثاني اثنين لانه مشتق من المضاف اليه ويقولون خامس اربعة لانه
الذي خمس الاربعة وكان الغار في جبل مكة يقال له ثور
وقيل مكث النبي صلى الله عليه وآله فيه ثلثا وقيل نبتت على باب الغار
ثمامة وهي شجرة صغيرة وقيل الهم الله العنكبوت فنسجت على باب
الغار وكان الكفار فوق الجبل تلك الليلة فدخل النبي صلى الله
عليه وآله وسلم الغار وكان صاحبه اظهر الجبن والهلع
من نفسه فقال له النبي صلى الله عليه وآله لا تحزن ان الله معنا
وقوله جل اسمه لا تحزن نهي في الظاهر ويحتمل ان يكون قال له
ذلك على وجه تسكين القلب كالناصح المشفق ويحتمل
ان يكون نهاه عن مكروه والقطع على واحد منهما سبيله
الدليل فدل على انه نهي عن معصية وقوله جل اسمه فانزل الله سكينته

عليه وايده بجنود لم تروها معناه فانزل الله السكينة على
رسوله وايده بالملائكة عليهم السلام ويحتمل ان يكون نصرهم له
بالبشارة او بنصرهم من بعد والقاء الرعب في قلوب المشركين
والناس حتى انصرفوا خائبين ولو كان ما حكى الله من قول النبي لصاحبه
على طريق الشفقة وتسكين القلب الذي لاجل النصح والود
لكان ذلك لكل الصاحب التي هي حالة لا تعري عن السكينة ووجدنا
الله تعلى انزل السكينة على رسوله وعلى المومنين يوم حنين
وكان مقام الغار اصعب من مقام حنين فرجح الله من نصر في
هذا ولم يكن على التعليل وحسن الظن وقوله تعلى جده وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم هذا
ظاهر لانه خاب الكافرون ولم ينفع مرادهم فيما قالوا ودبروا
وصارت كلمة الله هي العليا باسلام النبي صلى الله عليه وصدق
الوعد بالبشارة والنصر والتاييد وقوله تعلى جده انفروا خفافا
وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون معناه اغزوا في سبيل الله في حال خفة النفس وثقلها
وهذا اجري مجرى التمثيل وقيل في تاويله وجوه احدها شبانا وشيوخا
والثاني اغنياء وفقراء والثالث مشاغيل وغير مشاغيل والرابع
نشاطا و[illegible] والخامس ركبانا ومشاة والسادس ذا صنعة وغير
صنعة فهذه جملة ما قيل في قوله خفافا وثقالا والوجه في ذلك
الحمل على العموم فامر الله تعلى بالجهاد بالنفس مع الاعداء
والانفاق في سبيله وبين ان الجهاد خير من تركه الى المباح وقيل
معناه ان الخير في الجهاد لا في تركه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة

فاعلموا ان هذا خير لكم ومعناه انفعوا وقيل معنى ان كنتم تعلمون
ان علمتم ان الله صادق فيما وعد المجاهدين من الثواب في الجنة
وقوله جل اسمه لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك معناه
لو كان ما تدعوهم اليه يا محمد عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك
من الغنيمة وما تطمع فيه من المال وسفرا سهلا لاطاعوك وتابعوك
ولم يتخلفوك وقوله جل اسمه ولكن بعدت عليهم الشقة اصل الشقة
القطيعة من الارض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها
ومعناه ولكن شق عليهم الخروج لبعد المسافة وقوله جل اسمه وسيحلفون
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم
لكاذبون معناه وهولاء الذين قعدوا عن الجهاد يحلفون بالله انهم
لا يقدرون على الخروج معك الى الجهاد ولو قدروا عليه لخرجوا
وهم يهلكون انفسهم بما يفعلونه من النفاق واليمين بالله كذبا
ومن يعلم بانه عالم بانهم كاذبون في يمينهم وقولهم لا نستطيع الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه واله وقد دلت هذه الاية على بطلان قول
المجبرة فيما ذهبوا اليه من الاستطاعة لان هولاء قالوا لو استطعنا
الخروج لخرجنا فكذبهم الله تعالى في ذلك ومن انهم كانوا يستطيعون
ومذهب المجبرة انهم لو كانوا يستطيعون لحصل الخروج منهم لان
الاستطاعة مع الفعل فاذا شهد الله تعالى انهم كانوا قادرين
على الخروج دل ان القدرة تكون قبل الفعل والثاني انها غير
موجبة للفعل كما قالته المجبرة ودلالة اخرى وهي على صحة نبوة
محمد صلى الله عليه واله لانه اخبر عن الشيء قبل كونه فكان كما اخبر وهو
الغيب الذي لا يطلع الله عليه الا من ارتضى من رسول كما قال تعالى عالم

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا وقوله جل اسمه
عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
الكاذبين معناه عفو عنك ما كان منك من الاذن لهم
في التاخر عن الجهاد لما استاذنوك ليتبين لك المومن من المنافق
والصادق من الكاذب وقد دلت الاية على انه وقع من النبي صلى الله عليه
واله اثم ما اقتضى من العفو وهو صغير كانه استعمل العجلة في الاذن
قبل التبين لانه لا يجوز ان يقول له لم فعلت ما كان لك فعله
وقيل بعض العلما يجوز ان يقول له لم فعلت ما جعلت لك فعله
ما غيره اولى منه فالاية تدل على جواز وقوع الصغاير من الانبيا
صلوات الله عليهم اجمعين وقوله جل اسمه لا يستاذنك الذين يومنون
بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم
بالمتقين وفي هذه الاية مدح للمومنين وعذرهم وتعيير المنافقين
وذمهم حين استاذنوك في القعود عن الجهاد وفي هذا الكلام
حذف وهو لئلا وكراهة ان يجاهدوا كانه قيل لا يستاذنك
المومنون لئلا يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمتقين اخراج
للمنافقين من صفة المومنين لعلم الله بانهم ليسوا منهم وقوله تعالى
انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اصل الارتياب الاضطراب
في الاعتقاد من جهة التحير والشك عن الله تعالى ان الذين يستاذنوك
في القعود عن الجهاد من غير عذر هم المنافقون الذين لا يومنون
بالله واليوم الاخر واضطرب اعتقادهم فيها وبهم تحيرا وشكا فهم

نك

يترددون في الحيرة والشك فدلت الاية على بطلان قول اصحاب
المعارف لانهم لو كانوا عارفين بالله وبدينه ما كانت هذه صفتهم
قوله تعلى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ٥ العدة والاهبة
والالة بطاير وهي الوصلة المهياه للامور المستقبلة ٥ معناه ولو
ارادوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه واله لاخذوا لذلك عدة
فتركهم العدة دليل على انهم لم يريدوا الخروج معه قوله تعلى ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ٥ الانبعاث الانطلاق في الامر بسرعة
والتثبيط التوقف عن الامر بالتزهيد فيه ٥ ومعناه ولكن كره الله خروجهم
لما علم من وقوع الفساد منهم في خروجهم والتضريب بين الناس المؤدي الى اعظم
الفساد وقيل لهم اقعدوا مع النساء والصبيان يحتمل ان يكون اصحابهم قالوا
لهم ذلك ويحتمل ان يكون في الكلام جهة اذن النبي صلى الله عليه واله فيه قوله تعلى
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ٥ اصل الخبال الاضطراب والاسنا
ها هنا مقطع ويقدر به ما زادوكم قوة ولكن طلبوا لكم الخبال فكانهم
كانوا على حال في الراي فقووه حتى ازداد قوله جل اسمه ولاوضعوا
خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ٥
الايضاع الاسراع في السير ٥ والفتنة ها هنا المحنة باختلاف الكلمة
والفرقة ٥ معناه ولاوضعوا خلالكم بالنميمة لافساد ذات بينكم فكان
اسراعهم في الدخول بينهم للتضريب ٥ وبين الله تعلى انه كان فيهم قائلون
منهم ما يقولون عند سماع قولهم ٥ وقيل معناه وفيكم عيون وجواسيس
لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم ٥ وقيل وفيكم عيون منهم ينقلون اخباركم
الى المشركين ٥ واخبر الله تعلى انه عالم بما يفعله الظالمون وبما هم عليه من
الاحوال هذا وعيد بالغ قوله تعلى جده لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا

لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون التقليب
تصريف الشي بجعل اسفله اعلاه مرة بعد اخرى ٥ ومعناه انهم
المنافقين طلبوا الذل لعسكرك من قبل وبغوا الاختلاف الموجب للفرقة بعد
الالفة وسلم الله المؤمنين من كيد المنافقين ما طلبوه لهم حتى جاء
المنافقون ما ارادوه ونصرهم على امر الله ما وعدك من النصر حتى ظهرت
بعدوك ورد كيدهم باعزازك واعلاء امرك وهم كارهون وهو معنى
قوله حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون قوله جل اسمه ومنهم
من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا ٥ معناه ومنهم
من يقول ائذن لي في التخلف ولا تفتني بالعصيان في المخالفة التي
توجب الفرقة فانك ان لم تاذن لي ما اكرهه اثمت فيه وعصيت وهذا
معنى قوله ولا تفتني وقيل نزلت الاية في الجد بن قيس قال للنبي صلى الله عليه واله
ائذن لي ولا تفتني ببنات الاصفر ودامن مشتهرا بالنساء فرد الله عليه
بقوله الا في الفتنة سقطوا معناه الا وقعوا في الكفر والنفاق
ثم بوعيده بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين ومعناه ظاهر قوله تعلى
ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ٥ معناه ان اصابتك يا محمد نعمة
وحالة تحسن موقعها عليك ساءهم تلك النعمة واستولى عليهم الغم
والحزن وان اصابتك مصيبة قالوا قد اخذنا حذرنا من قبل مما وقع
به فكانهم قالوا اخذنا امرنا في المواضع المهلكة فسلمنا مما وقعوا
فيه ويتولوا عنك وهم فرحون بما اصابك قوله تعلى جده قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٥ هذه التسلية
مما كان ينالهم من الغم من قولهم فكانه قال لهم يا محمد قل لهم ان كل ما يصيبنا

من ضر او نفع فهو ما كتب الله في اللوح المحفوظ من امرنا فهذا بيان
ان العباد ليسوا مهملين من غير ان يرجع امورهم الى التدبير من ربهم
وقيل يحتمل ان يكون معناه قل لن يصيبنا في عاقبة امورنا الا ما كتب
الله لنا من النصر الذي وعدنا او الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ
امر العباد وقيل ان يكون ذلك فهو عبرة للملائكة عليهم السلم ٥ ومعنى
مولانا اي الله مالكنا وسيدنا وحافظنا والذي يدفع الضر عنا ٥
وامر الله المومنين بالتوكل عليه في كل حال ٥ وقوله عز وجل قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين ٥ معناه قل لهم لستم تنتظرون بنا الا ان تربصوا
الا احدى خصلتين كلاهما لنا فيهما نفع وثواب اما ان يقتلونا
فيكون لنا الجنة ونعيمها ٥ واما ان نقتلكم فيكون لنا الظفر
والغنيمة في الدنيا وقوله جل اسمه ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون ٥ اصل التربص
الانتظار ٥ ومعناه ونحن ننتظر بكم ان يصيبكم الله بعقوبة او موت
من عنده او بعذاب بايدينا بان يامرنا بقتالكم فاذا كان عاقبة تربصكم
بنا ما النافية الحسنى وعاقبة تربصنا بكم العذاب النازل بكم في الدنيا
والاخرة فتربصوا انا معكم متربصون ٥ وهذا ضرب من التحذير والتهديد
وقوله جل اسمه قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين ٥
صيغة الامر بقوله انفقوا طوعا هاهنا لتعبيد البيان عن توسعة التمكين
من الطاعة والمعصية وهو كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا
للظالمين نارا ومعناه انا اقدرناكم ومكناكم وازحنا عليكم فمن امن اوجبنا له
الثواب ومن كفر اوجبنا له العقاب ٥ وقيل معنى هذه الصيغة الحذف الذي
يدخل لسان الجزاء ومعناه ان انفقتم طوعا او كرها وحالكم حال النفاق ما الله

يقبل منكم ذلك لانه اوجب لكم عليه ثوابا لانكم فاسقون فدلت الاية
على ان الفاسق لا يستحق بالفعل من الطاعة الثواب وقوله تعالى وما
منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ٥ عامل
الاعراب في انهم كفروا منعهم تقديره ما منعهم من قبول نفقاتهم الا انهم كفروا
بالله وبرسوله وقوله جل اسمه ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون
الا وهم كارهون ٥ بين الله تعالى انهم لا يصلون الا وهم كسالى ولا
ينفقون الا وهم كارهون لذلك فكانهم صلوا على غير الوجه الذي امروا به
للنفاق الباعث على الكسل عن الصلوة دون الايمان الباعث على
النشاط لها ٥ وسبل منع الانفاق منهم في حال الكراهة وهذا
ليس صفة المومنين ٥ وقيل انما جاز ان يقع الانفاق من الكافر طاعة لله
لان العقل يدعو الى التفقه في وجوه البر فهو مطيع لموافقة الارادة
الحادثة الى الفعل بالعقل وليس كذلك الصلوة لان الداعي اليها السمع وقوله تعالى
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا ٥
وتزهق انفسهم وهم كافرون ٥ تقديره لا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا
انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة ٥ وقيل معناه ليعذبهم في الزكوة
والانفاق في سبيل الله ٥ وقيل ليعذبهم في المصائب وقيل قد يكون في
الحمل على الكفار التسبي وغنيمة الاموال وهو معنى قوله انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا فلما اباح تعالى للمومنين سبي اولاد الكافرين
واستعبادهم وغنيمة اموالهم كان ذلك من اشد العذاب لهم
ويحتمل ان يكون ذلك لانهم سالبوا العقول والالام في الدنيا باخراجهم الحقوق
الواجبة من اموالهم وبحملهم اولادهم على الكفر فيعذبون مما يرتكبون
بسبب اولادهم واموالهم وقيل ليعذبهم بها على الوجه ويكون اللفظ

مجاز او جاز القول ليعذبهم فيكون اللام لام العاقبة وقد ثبت
لام العاقبة في اخر سورة الاعراف وغيرها من المواضع ٥ وقد
تعاقب اللامات كتعاقب بعض الحروف بعضا وقوله جل اسمه وتزهق انفسهم
وهم كافرون ٥ الزهق الخروج بصعوبة واصله الهلاك ٥ ومعناه
تزهق انفسهم وهم على كفرهم ٥ وتعلقت المجبرة في هذا الموضع بان الله
على ان الله يريد الكفر باطلا لان الكلام في موضع الحال ٥ ومعناه يريد
الله ان يعذبهم في حال كفرهم وتزهق انفسهم وهم كافرون تعلقت الارادة
بالعذاب والازهاق لا لاجل انهم كافرون وهذا مثل قول القايل اريد
ان تلقيه فهو كافر ويديه فهو عاص وقوله جل اسمه ويحلفون بالله انهم
لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ٥ الفرق الخوف والفزع ومعناه ان
المنافقين يحلفون بالله لكم انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ٥
انما لا يظهرون الكفر خوفا من القتل ٥ ومعنى وما هم منكم في الايمان والطاعة
لله ٥ وقيل في الدين والاباء وكل ذلك متقارب فاكذبهم الله تعالى في ذلك
لانهم كانوا اهل كفر ونفاق وصار جواب الحلف ان المكسورة لاستيناف
المحلوف عليه مع وصله بالمحلوف كما دخلت لام الابتداء في هذا الموضع
وقوله تعالى جده لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم
يجمحون ٥ المغار المدخل الذي يستتر من دخل فيه ٥ وقيل المغارات
الغيران والمدخل المسلك الذي يتدسس بالدخول فيه والملجا الموضع
الذي يلجا اليه كالحرز والحصن ٥ والجماح المضي في الامر والاسراع
فيه ٥ ومعناه لو وجد هولا المنافقون ملجا او موضعا يستترون فيه
لاسرعوا اليه فرارا من الجهاد وما تدعوهم اليه وقوله جل وعز ومنهم
من يلمزك في الصدقات ٥ اللمز العيب ومعناه منهم من يعيبك

في الصدقات فيقول يأخذها ويعطيها لمن يشا من قرابته واهل
مودته وقوله جل اسمه فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا
هم يسخطون ٥ ومعناه فان اعطي هذا العايب من الصدقة ما يرضيه
ترك العيب وان لم يعط منها سخط فهذا بيان غلبة شرهم وحرصهم
على حطام الدنيا حتى يعيبوا الجليل من لا عيب فيه اذا لم يعطهم ما يرضيهم
وقوله جل اسمه ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله
سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون ٥ حذف
جواب لو وتقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم واعود عليهم وحذف
الجواب في مثل هذا ابلغ ٥ ومعنى الاية ولو انهم رضوا بما قسم الله لهم ورغبوا
اليه في كل مهم من الامر كان اصلح لهم واعود عليهم وفوضوا اليه امرهم لكان
خيرا لهم وقوله جل اسمه انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل
فريضة من الله والله عليم حكيم ٥ الفقير المحتاج الذي كسرت
الحاجة فقاره يقال فقر الرجل فقرا فهو فقير والمسكين هو الذي
اسكنته الحاجة عن حال اهل الثروة وفرق بينهما بوجوه فقيل الفقير الذي
له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شي له كما قال الشاعر ٥
اما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد ٥
وجاء القران بخلافه وهو قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر ٥ وقيل الفقير المتعفف عن السوال والمسكين
الذي يسال وكان قايله ذهب الى ذلك المسكنة المسلة وقيل
الفقير ذو الزمانة من اهل المسألة والمسكين الصحيح منهم ٥ وقيل
الفقير هو المسكين الا انه ذكر بالصفتين لتاكيد امره ٥ والعاملين

عليها هم العاملون على الصدقة اجباة لها والسعاة عليها ه والمؤلفة
قلوبهم هم الذين كان النبي صلى الله عليه يعطيهم من الصدقات استمالة
لقلوبهم الى الاسلام وهل بعد رسول الله صلى الله عليه واله وفيه
الخلاف فذهب بعض العلما الى انهم كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه
خاصة وذهب بعضهم الى انهم في كل زمان ه وروى ذلك جابر
عن الباقر محمد بن علي عليهما السلام من ذهب الى هذا احتج بان الله تعالى
جعل الصدقة لامرين احدهما سد الخلة والثاني التقوية على الاسلام
فاذا كان كذلك صح بقاء حكم المؤلفة قلوبهم في كل زمان ه واما الرقاب
فهم المكاتبون يعطون من الصدقات لفك رقابهم ه ويجوز عند
جل الجعفرية به اشترا العبد بالزكوة واعتاقه ه والغارمون هم
اهل الديون في غير سرف ولا معصية ه والمراد بقوله وفي سبيل
الله الوجوه التي فيها عز الاسلام وتقويته وهم الغزاة ومن جرى
مجراهم ه وابن السبيل هو المسافر المنقطع به فيحل له اخذ الصدقة
وان كان له مال في وطنه ه واختلف العلماء في قسم الصدقات
على هولا جميعا اذا وجد واذا كان واحد فقال بعضهم يجب ان يقسم
على الجميع لقول الله تعالى فريضة من الله فاذا لم يوجد جميعا
في موضع واحد فرق عليهم في مواضعهم وقال بعضهم يعطى من
يوجد منهم في كل بلده وليس على المعطي للصدقة طلبهم في البلاد وهذا
هو الاقرب وقوله جل اسمه ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن
اصل اذن اذا استمع ه معناه ومنهم يعني من المنافقين من يؤذي النبي
بقوله ه اذن معناه صاحب اذن يصغي الى كل احد وقوله جل اسمه
قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين امنوا منكم ه قرا

نافع اذن خفيفه وثقل القراء في الاصل قوله تعالى يؤمن بالله
ويؤمن للمؤمنين قال اهل التفسير معناه انه كايمانه بالله ويصدقه
للمؤمنين لعلمه انه يسمع ومن قبل ان يصغي الى الوحي من قبل الله
ودخلت اللام ها هنا كما دخلت في قوله ردف لكم وقيل
دخلت للفرق بين ايمان التصديق وامان الايمان وكون النبي رحمة
للمؤمنين نعمة عليهم وقوله تعالى والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم ه معناه ومن اذى الرسول فقد استحق من الله
العذاب الاليم وهو وعيد وتهديد وقوله تعالى يحلفون بالله لكم
ليرضوكم ه معناه ان هولا المنافقين يحلفون بالله لكم انهم
على طريقتكم طلبا لمرضاتكم وكذلك اذا انكرتم عليهم فعلا
فعلوه وقالوا وحلفوا بالله كاذبين لترضوا به فيؤثرون رضاكم
على رضى الله لجهلهم وشقوتهم وقوله جل اسمه والله ورسوله
احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين ه وكان الاولى ان يطلبوا رضى
الله ورضى رسوله وقد يكون احق من صفة غير الفعل كقولك
زيد احق بالمال وقولك اصلح لا يقع هنا الموقع لانه من صفات
الفعل وقد يقال والله ورسوله احق ان يطاع وقيل انما قال
ان يرضوه ولم يقل يرضوهما لان رضى الرسول رضى الله فترك
ذكره لذلك لحسن بيان الدلالة عليه وقيل ترك ذكر النبي صلى
الله عليه لعظيم الله بافراد الذكر وقوله جل اسمه الم يعلموا
انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك
الخزي العظيم ه المحادة المجاوزة الحد في العداوة ه والالف
في قوله الم الف انكار ه وقيل انما جاز ان يقال لمن لا يعلم

الى تعلم اسقاطا له في التخلف عن العلم الذي يمكنه تحصيله
ويجب ان يعلمه في وقت الاحتياج اليه ومعنى الاية من عادى
رسول الله صلى الله عليه وآله وعادى اولياء الله فجزاؤه نار جهنم خالدا
خالدا فيها الخزي مهانا وعامل الاعراب في ان الثانية العامل في
ان الاولى على التكرير للتوكيد مع طول الكلام بعده فله نار جهنم
وقيل هو على حذف لام الاضافة على تقدير وبان له نار جهنم او فان
له نار جهنم والخزي هو الهوان باستحقاق فعله وقوله تعالى يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ٥ قيل هذا
على وجه الخبر عنهم بانهم كانوا يحذرون نزول سورة تظهر للناس
ما اضمروه وانطووا عليه بعضهم لبعض ذلك وتهتك سترهم وقد يحتمل
ان يكون ذلك بمعنى الامر كانه قيل ليحذر المنافقون نزول
سورة ويصح ذلك لان معنى هذا الكلام مقارن للتهديد
وقوله جل اسمه قل استهزؤوا ان الله مخرج ما تحذرون ٥ قوله
استهزؤوا تهديد وان كان صيغته الامر وهذا كما قال الله
تعالى لابليس لعنه الله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب
عليهم الاية وكانه قيل لهم انما تحذرونه كائن والله مخرج لذلك
ومظهره للناس وفي استهزائكم استحقاق العذاب الاليم وقوله جل اسمه
ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ٥ هذه الاية سؤال على
وجه اللوم والتوبيخ وهو كقولك لمن ارتكب قبيحا لم فعلت هذا
وسبب ذلك من نزولها ان المنافقين قالوا عند خروج رسول الله
صلى الله عليه وآله الى غزوة تبوك اترجو هذا
الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع

الله نبيه صلى الله عليه وآله على ذلك فلما سئل المنافقون عن
ذلك اجابوا بانا كنا نخوض ونلعب في ذلك فكان الجواب بما صار وبالا
عليهم ولم ينفعهم عذرهم وهو معنى قوله تعالى قل أبالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزؤون ٥ وقد بينا في سورة البقرة وغيرها حقيقة
الاستهزاء بالله انه ضرب من التوسع المجاز فلا وجه لاعادته هاهنا
وقوله جل اسمه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ٥ معناه لا تعتذروا بما قلتموه من
والله ٥ لا عبرة بذلك ومعنى ان نعف عن طائفة منكم ان عفى الله
عن طائفة منكم بتوبتهم فانه يعذب طائفة اخرى منكم
باقامتهم على نفاقهم وكفرهم وقوله جل اسمه المنافقون والمنا
فقات
بعضهم من بعض ٥ معناه بعضهم يضاف الى بعض بالاجتماع على النفاق
والكفر وهذا هو الكبر كان يقول انا منك ومعناه امرنا واحد
لا ننفصل وقوله جل اسمه يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف
ويقبضون ايديهم ٥ وصفهم الله تعالى بانهم يامرون الناس بما وجب
النهي عنه وهو المنكر وينهونهم عما يجب الامر به وهو الامر
بالمعروف وهذا صفة للمؤمنين ويقبضون ايديهم عن الانفاق في
سبيل الله وقيل يقبضونها عن كل خير ٥ وقيل يقبضونها
عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله جل اسمه
نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون ٥ معناه تركوا
امر الله حتى صار الامر بمنزلة المنسي لاعراضهم وسهوهم
عنه مجازاهم الله تعالى على تركهم امره بان صيرهم بمنزلة
المنسيين في نار جهنم من ثواب الله ورحمته خلودهم فيها وجاهدا

من اوجه الكلام فيسمى هزؤا باللسان سيانا وصف المنافق
وان كان كافرا بالقلب هزؤا وجد من دين الله قوله جل اسمه
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها ۵ معناه وعدهم الله جهنم في الاخرة جزاء على كفرهم
ونفاقهم وانهم يكونون خالدين في العذاب ابدا وفصل بين
النفاق والكفر ليبين الوعد على كل واحد من الصنفين لانه
قد يتوهم المتوهم ان الوعيد عليه من احد الوجهين دون الاخر
قوله جل اسمه هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم
معناه حسبهم نار جهنم جزاء على نفاقهم وكفرهم لشدة احدهما
وتضاعف الامها وهذا هو النهاية في باب الوعيد ۵ وبين انه
يلعنهم مع ذلك وفي اللعنة غاية الاستخفاف والاهانة والاذلال
في العاقبة ۵ وبين ان عذابهم يكون دايما مقيما كما قال تعالى لا يفتر
عنهم وهم فيه مبلسون قوله جل اسمه كالذين من قبلكم كانوا اشد
منكم قوة واكثر اموالا واولادا ۵ وجه التشبيه في قوله كالذين
هو انه شبه المنافقين في عدولهم عن امر الله تعالى الى الاستمتاع
بلذات الدنيا بمن كان قبلهم ممن كانوا على مثل هذه الطريقة
معناه ان امرهم جميعا يؤول الى العقاب في الحشر انه مع ان من
كان قبلهم اشد قوة وتمكنا منهم واطول اعمارا واكثر اموالا واولادا
ثم كان عاقبتهم الهلاك والخسران قوله جل اسمه فاستمتعوا بخلاقهم
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي
خاضوا ۵ معناه فاستمتع اولئك بنصيبهم من لذات الدنيا
كما استمتعتم انتم بنصيبكم منها وخضتم في الباطل كما خاضوا

اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك
هم الخاسرون ۵ معناه كما نزل العذاب باولئك فلا تامنوا
من نزوله بكم ۵ كما حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة فكذلك تحبط
اعمالكم حين كما سمعوا بسبب متبعا قوله جل اسمه الم ياتهم نبا الذين
من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين
والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۵ الالف في قوله الم ياتهم الف تقرير
للتنبيه والتحذير ۵ ووجه الاحتجاج عليهم باحوال الاقوام
الذين تقدموهم انهم اذا هلكوا بعلة تكذيب الرسل وخروجهم
من دين الله فكل قوم تساووهم في هذه العلة فتاملوا احوالهم
لا يامنوا ان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك ۵ والمؤتفكات قوم لوط
ائتفكت بهم الارض اي انقلبت وقيل في جمع المؤتفكة وهي موضع
المؤتفكات لانها كانت ثلاث قريات تجمع تارة وتوحد على
الجنس تارة ۵ ومدين اسم البلد الذي كان فيه قوم شعيب
عليه السلام ۵ بين الله تعالى ان هؤلاء الاقوام اتتهم الرسل
فكذبوا بايات الله فاهلكهم الله بضروب من العذاب ۵
اهلك قوم نوح بالغرق وقوم هود بالريح واهلك ثمود بالرجفة
والصاعقة ۵ وقوم ابرهيم بالبسيت وسلب الملك ۵ وقوم
لوط بانقلاب الارض بهم ۵ وقوم مدين بعذاب الظلة انه كان عذاب
يوم عظيم ۵ وبين تعالى ان جميع ما نزل بهم كان عدلا من الله
تعالى لانه كان على وجه الاستحقاق لظلمهم انفسهم بما فعلوا من الكفر
والتكذيب بايات الله وما ظلمهم الله بما فعل بهم ولكنهم ظلموا انفسهم

طريق

وفي هذه الآية تحذير للمنافقين أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك وفيها
دليل على أن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد ولا يريد منهم المعاصي
والفواحش لأنه لو خلق الكفر فيهم ثم عذبهم على ذلك لكان قد ظلمهم
وقد نفى الله عز وجل عن نفسه ذلك ولو أراد منهم الكفر والمعاصي كانوا
مطيعين له بذلك لأن الطاعة للشيء أكثر من موافقة الفعل لإرادة
المريد منه ذلك إذا كان المريد فوقه في الرتبة أو لم يكن وتعالى عن الظلم
ظلم والله تعالى عنه وقوله جل اسمه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم
لما بين الله تعالى صفة المنافقين في الآية الأولى وما يريد أن يجازيهم
بين في هذه الآية صفة المؤمنين وما يريد أن يثيبهم من الثواب في المنزلة
وقوله جل اسمه وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من
الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ۵ قد بينا كيفية جري الأنهار تحت
الأشجار في غير موضع ورضوان الله أكبر الثواب وأعظم لأنه يوجد
من الثواب لا بالرضوان وهو الداعي إليه والموجب له ۵ وقيل [illegible]
أكثر ما يصل إلى قلوب المؤمنين من السرور ورضوان الله تعالى
أكبر من جميع ذلك ۵ وروي أن هذه المساكن قصور من اللؤلؤ
والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وإذا وصفها الله تعالى
بالطيب فلا يعرف أحد قدرها ۵ وبين تعالى أن من نال ما أعده
الله للمؤمنين فقد فاز فوزا عظيما وقوله جل اسمه يا أيها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ۵

أصل الجهاد ما يشتد من الأمر الشاق أمر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وآله أن يجاهد الكفار والمنافقين وأن يغلظ عليهم الغلظة
في نفسه ومبين أن مأوى المنافقين والكافرين جهنم وأنها
بئس المأوى والمصير ۵ والجهاد على ثلاثة منازل الجهاد باليد فإن لم يستطع
فباللسان فإن لم يستطع فليكفهر في وجه من يجاهده
وقيل جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان وقيل
جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين بإقامة الحدود وكانوا
أكثر من يصيب الحدود ۵ ومعنى فاغلظ عليهم أي اغلظ عليهم بالقول
والفعل ولا تهم بمن يمسك لينا وقوله جل اسمه يحلفون بالله ما
قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم
ينالوا فأخبر الله تعالى عن جسارتهم على اليمين بالله ۵ وبين أنهم
يحلفون أنهم ما قالوا ما ادعى الرسول والمؤمنون عليهم أنهم قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إيمانهم وقصدوا إلى ما لم ينالوه وكلمة
الكفر كل كلمة فيها جحد النعمة لله تعالى أو يكون قد بلغت منزلتها في العظم
وقد كان المنافقون يطعنون بمثل هذه الكلمة في النبوة والإسلام
وروي أن الذي قال هذه الكلمة الجلاس بن سويد فقال إن كان
ما جاء به محمد حقا فنحن شر من الحمير ثم حلف بالله أنه ما قال ذلك
وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سلول حين قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن
الأعز منها الأذل ۵ وقيل كان جماعة من المنافقين قالوا ذلك
وقيل قد قال بعضهم لبعض وكانوا يعبدون صنما فقالوا إن كان
الظفر لقريش لنظهرن لهم أظهرنا لهم عبادة صنم وإن كان الظفر
لمحمد صلى الله عليه وآله فنحن في جملته فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله

على سيرهم يحلفوا بالله انهم ما قالوه فانزل الله الاية قيل كانوا
هموا بقتل من انكر عليهم ذلك ۝ وقيل هموا بقتل النبي صلى الله عليه وآله
وقيل هموا بما اخبر الله عنهم بقوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل فلم يقع لهم تمكن منهم وقوله جل اسمه وما نقموا الا ان اغناهم
الله من فضله ۝ تعالى نقم منه اذا عابه ومعناه لم يجدوا شيئا يعيبونه
على رسول الله صلى الله عليه وآله الا ان الله اغناهم بما قالوه من
الغنائم التي فتحها اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله فجعلوا بدل
الشكر الكفران [illegible] والتصرف بين الناس وهذا هو النهاية
في باب الذم وفي العرف يذكر مثل هذا في نفي العيب وهو كما قال
الله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله ولم يكن ايمانهم عيبا قال الشاعر
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ۝
وكان ذلك مدحا لهم وشجاعة لا عيبا ۝ وقال اخر
ولا عيب فيها غير عرق لمعشر كرام وانا لا نخط على النمل ۝ وقد يقول
القائل لا اعرف لنفسي عيبا الا الحلم والزهد والقناعة وكل ذلك
فضل ومدح ۝ وقيل بطروا النعمة فنقموا اشرا وبطرا وقوله تعالى
فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة
وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ۝ معناه فان تابوا من نفاقهم وكفرهم
كان ذلك خيرا لهم والله يتوب عليهم ويغفر ذنوبهم وان تولوا
واقاموا على كفرهم فان الله يعذبهم في الدنيا والآخرة ۝ وقد مر
بيان عذاب الدنيا وعذاب الآخرة معلوم ظاهر ثم لا يكون لهم
ولي ولا نصير ولا ناصر يدفع عذاب الله عنهم وقوله جل اسمه ومنهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ۝

معناه ومن جملة المنافقين من عاهد الله بالايمان المغلظة ان الله
ان اعطاه الغنائم والاموال تصدق منها وبشارة ومما يشير الصالحين
ويكون ان يعاهد الله من لا يعرفه اذا ذكره باحسن اوصافه لان العقد
قد يتعلق بهذا الذكر واللامان كلتاهما لام القسم الا ان الاولى
وقعت موقع القسم ووقعت الاخرى موقع الجواب يعني علي عهد
الله لنصدقن ان آتانا من فضله ولا يجوز ان يقال ان اللام الاولى
لام الابتداء لان لام الابتداء لا تدخل الا على الاسم المبتدا وقوله جل اسمه
فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ۝ قيل لما معناه
اذ الا ان لما علم على الجزاء وهو اسم لانه يقع في جواب متى على تقدير
الوقت كقول القائل متى كان هذا فيقول لما كان كذا وقيل كان
اسم هذا المعاهد ثعلبة آتاه الله ما تمناه على الله فلما اجتمعت
له المواشي بخل باخراج الصدقة منها ۝ فاخبر الله تعالى عن سريرته
وسوء فعاله وبين انه اعطاه ما يتمنى فلم يف بالعهد واعرض عن
ذلك كانه لم يكن له عهد وقوله جل اسمه فاعقبهم نفاقا الى يوم يلقونه
بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ۝ الاعقاب
مصير الشيء الى حاله مخصوصة في العاقبة واعقبهم هذا النفاق
بخلهم بما آتاهم الله واعراضهم عن امر الله لئن فعلهما اذ اعقبهم ذلك
الشك بما ادى اليهم النبي صلى الله عليه عن الله وتقديره هذا البخل
والاعراض عما عاهدوا اعقبه نفاقا الى يوم القيامة وهو اليوم
الذي يلقون فيه الله اعقبهم ما وعدوه به فجعله على الحقيقة اعقبه ذلك
وحكم به عليه لانه بفعله ظهر نفاقه ونفاقه اداه الى الشك
من الله ۝ وقيل فيه وجه آخر وهو ان الله اعقبهم ذلك جزاء

التوبة كما جزم ابليس لما اصر على كفره ووجه هذا القول بهذا الدليل
على ان هذا المنافق لا يتوب ابدا وانه يكون مصرا على النفاق الى
العاقبة ردا على ما جنته يده وكسبه فيكون معنى اعقبهم الله النفاق
الحكم على المنافق بنفاقه وضمير يلقونه من ذهب الى ان البخل يعقبهم رده
اليه فيقدر الى يوم يلقون جزاء بخلهم ومن ذهب الى ان الله اعقبهم
رد الضمير الى اسم الله ومعناه الى يوم يلقون ما وعدهم ربهم وهذا
مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم معناه ووقفوا على الموضع الذي
وعدهم ربهم للمحاسبة فيه وقد بينا ذلك في موضعه في سورة الانعام
فدلت هذه الاية على ان للقائلين معناه الرؤية على حسب ما ذهب
اليه المشبهة لانهم وان قالوا يرى بالابصار فلم يقولوا ان المنافق يراه
فلو كان معنى اللقاء الرؤية لكان يجب ان يكون المنافق رائيا له يوم القيمة
لقوله الى يوم يلقونه فلما لم يصح هذا عندهم وعند الجميع صح ان معناه يلقون
ما وعدهم وكل ما في القران من هذا اللفظ فمعناه يؤول الى ما قلناه ولا اتساق هذه
الاية يدل على الجزاء لان الله تعالى قال فاعقبهم النفاق لاخلافهم الوعد وكذبهم فهو
يدل على لما تأولناه وهو ما ذكره اهل الحق وقوله تعالى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم
ونجواهم وان الله علام الغيوب الالف في قوله الم الف انكار دخلها معنى
التقريع ومعناه الم يعلموا ان الله عالم الغيب والشهادة فلا يخفى عليه
السر والاعلان الذي يقتضي ذكر العلم هاهنا حال المنافقين في
ابطانهم الكفر سرا واظهارهم الايمان جهرا وكانه قيل لهم ان
المجازي لكم يعلم سركم ونجواكم لانه علام الغيوب وقوله جل اسمه
الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات الاية اللمز العيب
والمطوع المتنفل باعطاء الصدقة وزنه متفعل فادغمت التاء في الطاء

لانها من مخرجها وهي علة منها في الاستعلاء والجهد مقدار ما فيه
الطاقة ومعنى الاية ان الذين يعيبون المطوعين من المومنين في
الصدقة ويسخرون من الذين لا يجدون الا جهدهم فان الله يجازيهم
على سخريتهم بعذاب اليم وقيل نزلت الاية في بعض الصحابة جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم باربعة الاف دينار شطر ماله في الصدقة وجاء
ابو عقيل بصاع من تمر فقال المنافقون لصاحب الدنانير انه عظيم
الرياء وقالوا للاخر ان الله لغني عما اتى به وهو معنى قوله والذين لا يجدون
الا جهدهم وقوله جل اسمه يسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم
معناه هولاء المنافقون يسخرون من المومنين والله يجازيهم على سخريتهم
بالعذاب الاليم فسمى جزاء الشيء باسمه وقوله جل اسمه استغفر لهم او لا تستغفر
لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقيل معنى صيغة الامر
هاهنا في قوله استغفر لهم للمبالغة في الياس من المغفرة وروي
انه قال صلى الله عليه واله وسلم لازيدن على السبعين فانزل الله
تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
فلما ايسه من ذلك كف عنه وفي هذا الخبر نظر لان من يتعلق به
بين ان لك ان ما بعد السبعين خلافه وانه علقه بدليل الاية ليس كذلك
ليس في هذا الخبر ما يوجب فساده لانه لا يجوز ان يكلف النبي ان لم يستغفر
لهم وهو لا يفعل ذلك لو فعل ذلك لم يخل من ان يجاب اليه او لا يجاب
فان اجيب دل على ان الله يغفر للكفار او لا يجاب له ففيه استعارة
للكفار لانه يودي الى التنفير عنه ومن العلة في حرمانهم المغفرة
بقوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم
الفاسقين معناه لا يحكم لهم حكم المهتدين ولا يهديهم الى طريق الجنة

من الله تعالى ان العلة في حرمان مغفرتهم اصرارهم على نفاقهم
وكفرهم واعراضهم عن التوبة وقوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله الاية
خلاف هاهنا مصدر خالف يخالف مخالفة وخلافا ومعنى الاية على
هذا الوجه فذم الذين تخلفوا عن الجهاد خلافا لرسول الله ٥ وقال بعض اهل
اللغة خلاف هاهنا بمعنى بعده واحتج بقول الشاعر

عقب الربيع خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا ٥

اراد عقب الربيع بعدهم فعلى هذا الوجه معناه فرح الذين تخلفوا
بمقعدهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكرهوا الجهاد بالمال والنفس
وقوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا
يفقهون ٥ معناه وقال المنافقون للناس لا تنفروا الى الغزو
في الحر وكانوا يثبطونهم عن الجهاد في الحر فامر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وآله ان يقول لهم اذا تخلفتم عن الجهاد في الحر استحققتم
عذاب النار التي هي اشد حرا من الحر للذين يتخلفون عن الجهاد لاجل
ان يحترزوا من ذلك وقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا
يكسبون ٥ امرهم الله تعالى بالبكاء ونهاهم عن الضحك فدخل في
هذا الكلام معنى التهديد البليغ لا انه امرهم بذلك كما هو لائق
بكسبهم ٥ واللام في قوله فليضحكوا وكذلك في قوله فليبكوا لام الامر
وصيغة الامر فيه معناه البيان عن حالهم في الضحك كحال المامور
به فيما يؤول اليه من خير او شر على صاحبه فنهوا عن الضحك وامروا
بالبكاء وقوله جل اسمه فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ٥ معناه اذا انصرفت يا محمد الى نفرك

وخرجت الى الجهاد بعد ذلك فاستاذنك طائفة من المنافقين الذين تخلفوا
عن الجهاد اولا في الخروج معك ثانيا وقوله جل اسمه فقل لن تخرجوا معي ابدا
ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين

لغن ٥

معناه فلا تاذن لهؤلاء الذين يستاذنوك في الخروج معك واقطع
من ذلك بان بين لهم العلة فيه وهي ان تقول لهم انكم رضيتم بالقعود
مع النساء والصبيان وهم الخالفون اثرتم ذلك على الخروج معي الى الجهاد
ولاجل انكم رضيتم بالقعود اول مرة لا اذن لكم في الخروج معي ابدا الى الجهاد
وقيل الخالفون هاهنا هم المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه واصل الخالف كل من تاخر عن الشاخص ٥ وفي قوله
فاقعدوا مع الخالفين ابلغ الوعيد والتهديد وقوله تعالى ولا تصل
على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره ٥ معناه ولا تصل على احد من
المنافقين اذا مات ولا تقم على قبره واكد ذلك بلفظ الابد فنهاه عن
الصلوة عليهم على الوجه الذي كان يصلي على المومنين ونهاه ايضا عن
القيام على قبورهم كقيامه على قبور المومنين وقوله جل اسمه انهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ٥ معناه بيان علة
النهي انهم كفروا بالله وماتوا على كفرهم ونفاقهم فلذلك لا يجوز ان يصلي
عليهم ٥ وموضع مات من الاعراب جر لانه صفة لاحد كانه قال
ولا تصل على احد منهم ميت ٥ وابدا نصب بقوله ولا تصل ٥ وروى
انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وآله اراد ان يصلي على عبد الله
بن ابي سلول فاخذ جبرئيل عليه السلام بثوبه وقال ولا تصل على احد
منهم مات ابدا ٥ وروى من وجه اخر وهو ان النبي صلى الله عليه وآله
فقال له عمر الست قد نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا فقال مه يا عمر

قصد الصلوة عليه ع

وما اذ ذلك ما اقول وانما اقول اللهم املا قلبه نارا او جوفه
نارا واجعل مصيره الى النار فمن انه ليس يصلي عليه وانما
يلعنه ويعنت عليه وهكذا الصلوه على كل من مات
وهو عدو لله عند الرسول عليه السلم وقوله تعلى
ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ٥ قد مر بيان نظير
هذه الاية في هذه السوره فلا وجه لاعادتها ٥ وقيل انما كرر
ولا تعجبك للسان عن قوه هذا المعنى فما يسع ان يحذر منه
مع ان التذكير في موطن بعد احدهما عن الاخر [illegible]
بامره ٥ وقيل يحتمل ان يكون في [illegible] من المنافقين يجري مجرا
قول القائل لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو وقوله جل اسمه
واذا انزلت سوره ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم ٥ اي اولوا السعه والغنا ٥ معناه واذا
انزل الله سوره عليك يامرهم بها بالايمان والجهاد مع الرسول
استاذنك اولوا الطول الاقويا منهم والاغنيا في التاخر عن الجهاد
مع من قعد من النسا والصبيان وهو معنى قوله وقالوا ذرنا
نكن مع القاعدين ٥ وموضع ان في قوله ان امنوا من الاعراب
نصب بحذف حرف الجر على تقدير بان امنوا بالله وقوله تعلى
رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون
قد مر بيان قوله وطبع على قلوبهم في سوره البقره وغيرها من
السور فلا وجه لاعادته هاهنا وقوله جل اسمه لكن الرسول
والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم

الخيرات واولئك هم المفلحون ٥ لما ذم الله تعلى المنافقين على
التاخر عن الجهاد مدح المومنين والرسول صلى الله عليه على جهادهم
بالاموال والانفس وبين جزاهم بان لهم الخيرات واولئك هم
الظافرون بما يطلبونه من عند الله والخيرات جمع خير
وقوله جل اسمه اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ٥ معناه هيا الله لهم بساتين
تجري من تحت اشجارها الانهار وانهم يكونون خالدين فيها
لا يخرجون عنها ابدا ٥ ثم بين ان مثل هذا الثواب فقد
والفوز اعطيها وقوله تعلى وجا المعذرون من الاعراب
ليوذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين
كفروا منهم عذاب اليم ٥ المعذر المقصر مع طلب اقامه العذر
فكان هاولا الاعراب قاموا العذر كذبا واصله من عذر في
الامر تعذيرا اذا قصر ٥ وقيل المعذرون هم اهل العذر ٥
ووجه هذا القول ان يكون معنى المعذرين المعتذرين فادغمت
التاء في الذال ويقال اعذر واعتذر بمعنى وهو الذي يعتذر ومنه
قول لبيد ٥ الى الحول ثم اسم السلم عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر ٥
اي فقد اتى بالعذر ٥ والوجه الاول هو الاقرب وقوله تعلى
سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ٥ معناه ومن اعتذر
كذبا وقعد عن الجهاد وهو كاذب فيما يعتل فيه لكفره ونفاقه
فله عذاب اليم ٥ وحاصل معنى الايه ان الاعراب الذين قعدوا
في امر الجهاد وجاوا يعتذرون العذر كذبا ليتاذن لهم في الخروج
وكانوا قعدوا عن الجهاد وكذبوا فيما اعتلوا به واعتذروا وانا لهم

عذاب اليم من الله تعالى وقوله جل اسمه ليس على الضعفاء ولا
على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا
لله ورسوله ه معناه ليس على المرضى صنف ولا على الذين
ضعفوا عن الجهاد ولا على الذين لا مال لهم لينفقوا في سبيل
الله ولا ياثمون في قعودهم عن الجهاد اذا كانوا ناصحين لله ولرسوله
وكانوا مخلصين للعمل وقوله جل اسمه ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم ه معناه ليس للعقاب سبيل الى المحسنين المخلصين
وقوله جل اسمه ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما
احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما
ينفقون ه معناه ولا اصيب ايضا على الذين جاوك ليعطيهم ما يقوون
به على الجهاد من النفقة والالة ويزيح عللتهم فما احتاجوا اليه
فهم لا يقدرون عليه ولا يتمكنون منه فاذا لم تجد وامن عندك
ما طلبوه ولم يكن عندك ما يزيح عللهم به بكوا على ما فوتهم
من الجهاد غما وحزنا وحسرة على انهم لا يقدرون على ما يبذلون
النفقة في سبيل الله وذكر ان الاية نزلت في نفر من مزينة وقيل انها
في سبعة نفر من قبايل شتى وقيل نزلت في ابي موسى واصحابه وقوله تعالى
انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف
وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ه المعنى انما من الله تعالى الا سبيل
للعقاب الى من كانت صفته ما نطقت الاية الاولى به من حال من
للعقاب اليه سبيل عما نطقت به الاية الثانية وهو ان هولا الاغنيا
يتمكنون من الخروج معك الى الجهاد وجاوك يستاذنونك في القعود
عن الجهاد ثم اختاروا بان يكونوا مع النساء والصبيان فلم يخصوا

من العقاب بالخروج الى الجهاد اخلاصا ولا نفاقا في سبيل الله
طلب مرضاته كما يحصر هو امنه باخلاص الايمان والطاعة ولا يجوز
ان يكون الخوالف من جمع المذكر لانه لا يجوز ان يقال للرجل خالفه
على المبالغة في الذم فاما على فواعل فلم يجي الا فارس وفوارس وهالك
وهوالك وقد مر بيان معنى الطبع في غير موضع انه علم على القلب لا
على وجه الابتدا وقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم ه معناه
اذا رجعت بالجد واصحابك الى وطنك من الجهاد وجاءوا اليك هولا
الذين تخلفوا يعتذرون اليك والى المومنين وقوله جل اسمه قل لا
تعتذروا لن نومن لكم قد نبانا الله من اخباركم ه معناه ولا
تقبل عذرهم اذا اعتذروا وقل لهم لا تعتذروا فانا لا اصدقكم
في اعتذاركم ان الله قد اخبرني بخبركم واطلعني على سرايركم
وكذبكم وقوله جل اسمه وسيرى الله عملكم ورسوله ه قيل معناه
ان عملكم جاري الظهور على ما ترى حتى كان يراه الرسول والمومنون
وقيل معناه ان الله يرى اعمالكم ويعلمها والرسول صلى الله عليه
والمومنون ايضا يعلمونها باعلام الله تعالى اياهم واحاتهم عنها
وقوله جل اسمه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم
تعملون ه معناه يوم اخر تعيدون الى عالم الغيب والشهادة بعد
الاما تصاير حكم في عملكم وما انطويتم عليه وما انكتمتموه وقوله تعالى
سيحلفون بالله اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم
انهم رجس وماواهم جهنم جزا بما كانوا يكسبون ه معناه هولا
المنافقون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم من مقصدكم
بايمان كاذبة لتعرضوا عنهم ه وكان هذا عند انصراف النبي

صلى الله عليه واله من غزوة تبوك الى المدينة وكان القتال
مع الروم فمن كان تخلف من المنافقين اعتذروا بما حكى الله
عنهم واذن الله لنبيه والمومنين في الاعراض عنهم ووصفهم بانهم
رجس وان ماواهم في العاقبة جهنم جزاء على ما كسبوه وارتكبوه ٥
وقوله تعلى فاعرضوا عنهم انهم رجس ضرب تلويح من الله بذلهم لا
المنافقين وقوله جل اسمه يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ٥ معناه يحلفون لكم
بالله كاذبين ويطلبون بذلك رضاكم عنهم فان رضيتم عنهم لسبب
ما قدموه من الايمان الكاذبة فان الله لا يرضى عنهم لانهم قوم
فاسقون قد اقاموا على كفرهم ونفاقهم وخرجوا عن دين الله ولهذا
سماهم فاسقين مع كونهم منافقين وليس يوجب الرضى الا التوبة والاقلاع
عما هم عليه وقوله جل اسمه الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر
الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ٥ هذا
اخبار من الله تعلى عن غلظ اكباد الاعراب وقساوة
قلوبهم وفرط جهلهم بما يلزمهم من الحق وما يؤول اليه عاقبتهم
من الوبال والنكال وهو معنى قوله واجدر الا يعلموا حدود
ما انزل الله الاية ٥ ومعنى اجدر اقرب الى الامر واولى ٥
وموضع ان نصب على تقدير حذف حرف الجر كانه قيل واجدر
بان لا يعلموا وقوله جل اسمه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ٥
المغرم هو الغرم واصل الغرم لزوم الامر ومنه قوله تعلى ان عذابها
كان غراما ٥ ومن الاعراب من اذا انفق ينتظر الوجه الذي
ينفقه المومنون عند ذلك غرما اصابه واصر به

ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ٥ اصل
الدائرة الحال المنقلبة من النعمة الى النقمة ومن الحال السنية
الى البلية ٥ واصل التربص التمسك بالشيء لعاقبة ما هي ومعناه
ولينتظروا احوال الدهر بكم فجعل الله دائرة السوء عليهم والله
سميع اقوالهم وعليم ما في ضمائرهم يجازيهم على جميع ذلك وقوله تعلى ومن
الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند
الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته
ان الله غفور رحيم ٥ لما وصف الله تعلى بعض الاعراب بالنفاق
النفاق وعابه وصف بعضهم باخلاص الايمان وهم المومنون
منهم ٥ معناه ومن الاعراب من امن بالله وامن بالبعث والقيمة وما
ينفقه في سبيل الله يطلب به القربة والرضى من الله ويطلب صلوات
الرسول ٥ ومعنى صلوات الرسول لهم دعاؤه لهم بالخير والبركة وقيل
استغفاره لهم من الله تعلى وجوب القربة والرحمة والنعيم لهم
بقوله الا انها قربة لهم الاية وقوله تعلى والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم
ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا ذلك الفوز العظيم ٥ قيل نزلت الاية في القوم الذين بايعوا
بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية وقيل نزلت في الذين صلوا
القبلتين واولهم علي بن ابي طالب عليه السلم لانه بلا خلاف صلى

العملين وهاجر الهجرتين وبايع البيعتين والاخبار في ذلك كثيرة
منها ما رواه ابو الفتح الحسن بن احمد بن علي بن مهران لعابر وكان
ذا فنون من العلم قال حدثنا ابو حفص عمر بن ابرهيم القاضي
قال حدثنا اسمعيل بن محمد قال حدثنا محمد الصلت قال الحسين العطر
الحراني قال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله يقول صلت الملائكة علي وعلى علي قبل
الناس سبع سنين وذلك لانه لم يكن يصلي غيرنا و اخبرنا الشريف
ابو محمد الحسين علي الزاهد قال حدثنا ابو جعفر محمد بن ابرهيم
بن محمد بن عبدان بن حلبة القهستاني قال حدثني ابو عبد الله
عسان بن محمد بن عسان قال حدثني ابو سعيد الحسن بن علي بن
زكريا البصري قال حدثنا كامل وطلحة قال عباد بن عبد الصمد
ابو معمر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم ترتفع شهادة
ان لا اله الا الله الا مني ومن علي وهذا ادل على انه سبق الناس كلهم
كلهم الى الايمان ومعنى الايمان لله تعالى من السابقين الاولين الى
الايمان من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان هم الذين
جروا على منهاج المهاجرين والانصار وسلكوا طريقتهم رضي الله عنهم
بسبقهم الى الايمان سعتهم بعد الرضوان ورضوا عنه بما اوجب لهم
من الثواب واعد لهم جنات الى اخر الاية وقوله جل اسمه وممن حولكم

من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة قد بينا معناه
في هذه السورة وفي غيرها من السور ومعناه حول مدينتكم
منافقون من الاعراب ومن المدينة ايضا منافقون وقوله تعالى
مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون
الى عذاب عظيم معنى اللغة مرد على الشيء اذا عتا فيه ومعناه
هولا المنافقون عتوا في نفاقهم وطغوا فيه وانت يا محمد لا تعلمهم
باعيانهم والله يعلمهم والله يعذبهم مرتين في الدنيا وفي القبر يعذبهم
في الدنيا بالفضيحة لان النبي صلى الله عليه وآله ذكر جماعة منهم باعيانهم على حسب
ما عرفه الله والمرة الثانية في القبر وقيل يعذبهم بالقتل
او السبي والجوع ثم يردون الى عذاب عظيم في الاخرة وقوله تعالى
واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى
الله ان يتوب عليهم والله غفور رحيم معناه ومنهم من اعترف
بذنبه واقر بخطيئته فخلط عملا صالحا بعمل سيء والله يتوب عليهم
بان يقبل توبتهم ويتجاوز عنهم ما عملوا وجاء هذا على طريقة العرب
في قولهم خلطت الماء واللبن ويجوز ان يكون على وجه الجمع بين العملين
من غير خلط وفي قوله عسى بان انه حب ان يكونوا بين الطمع والاشفاق
وقيل عسى من الله واجبة وقيل نزلت الاية في عشرة انفس
تخلفوا عن غزوة تبوك فيهم ابو لبابة وقيل في سبعة نفر
وكانوا ربطوا انفسهم باسوار المسجد الى ان نزلت توبتهم
وقيل كانوا سبعة وفيهم ابو لبابة وقوله جل اسمه خذ من اموالهم
صدقة تزكيهم بها اصل التطهير ازالة النجاسة معناه
هاهنا ازالة الذنوب واعطاء الصدقة تكفير لها امر الله

نبيه صلى الله عليه وآله ان ياخذ من اموالهم الصدقة لتزول عنهم
ما استحقوه على ذنوبهم فجعل زواله بمنزلة التطهير لهم
وقيل هذه الصدقة ليست الزكوة الواجبة وانما هي كفارة
الذنوب التي اصابوها ۞ وقيل هي الزكوة المفروضة وقيل
انما ارجع يطهرهم بها لانها صفة الصدقة ايضا الا انه
لما احتزي بذكرها في الثاني حذف لاول ۞ وقيل يجوز ارتفاع على
الاستئناف وقيل الاحسن الانقطاع مع امكان الاتصال ۞
وقوله جل اسمه وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع
عليم ۞ السكن هو ما سكنت اليه النفس فامر الله نبيه صلى
الله عليه وآله ان يدعو لهم عند دفعهم الصدقة اليه لان دعاه
لهم ما يسكن به قلوبهم وتطيب به انفسهم ۞ وقيل يسعى للمصدق
ان يدعو للمتصدق عند اخذ الصدقة منه لما ذكره الله تعالى
وبين انه سميع لاقوالهم وعليم باحوالهم وقوله جل اسمه الم يعلموا ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وان الله هو
التواب الرحيم ۞ الالف في قوله الم الف تنبيه على ما يجب ان يعلم
به وان كان في صورة الاستفهام ۞ ومعنى اخذ الصدقات
في صفة الله مجاز لانه يضمنها الجزاء عليها وقيل جعل الله اخذ
النبي صلى الله عليه وآله بالصدقات واخذ المومنين اخذا له توسعا
ومجازا وروي ان الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل ان يصل الى
السايل ومعناه ان الصدقة تنزل هذا المنزل توبة وترغيبا للعباد
في فعل الصدقات ويرجع معناه الى تضمن الجزاء لان هذه
العبادة لها موقع جليل في الدعاء الى الصدقة وقوله جل اسمه وقل

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون ۞ قد مر بيان
تطهير هذه الاية في هذه السورة ۞ وصيغة اعملوا هاهنا
تهديد ووعيد خوفوا بالمغفرة بين سطعت الاية وقوله جل اسمه
واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم
حكيم ۞ الارجا التاخير الامر الى وقت ۞ بين الله تعالى ان
الاخرين والاية الذين تقدم ذكرهم مؤخرا امرهم الى وقت
وان اهل معاصيه هم الصنفان اللذان ذكرهما والصنف
الاول الذين اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
والصنف الثاني المرجون لما احدث الله فيهم من امره ولم يحكم
عليهم بحكم في الحال فاما ان يتوبوا فيتوب الله عليهم واما لا
يتوبوا فيعذبهم الله فدلت الاية على انه انما يعفو لهم اذا تابوا
لانه ليس للمكلف الا هذان الحكمان ۞ وروي ان هولا المرجين
هم هلال بن امية ومرارة بن ربيع وكعب بن مالك من الاوس والخزرج
وقوله جل اسمه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين
وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ۞ الضرار محاولة
الضرر والارصاد الاعداد ۞ هولا قوم من المنافقين بنوا مسجدا
روي انهم كانوا اثني عشر رجلا من الاوس والخزرج منهم خذام
بن خالد وثعلبة بن حاطب ومعتب وابو حبيبة بن الازعر وعباد بن
حنيف وجارية بن عامر وابناه مجمع وزيد ونبتل بن الحارث
وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت بنوا مسجدا بالمدينة على سبيل الضرار
بالرسول صلى الله عليه وآله وان ارادوا بذلك ان يقطعوا

عن مسجده ويكون مجمعاً لهم في التدبير لهم على النبي صلى الله عليه
والمؤمنين وكانوا ينتظرون أن يجيئهم أي ذلك المسجد أبو عامر
وهو أبو حنظلة الراهب غسيل الملائكة يوم أحد وإنما قيل له
الراهب لأنه التجأ إلى قيصر ملك الروم وتنصّر وترهّب وكان
أبو عامر هذا أحد رؤساء الأوس وكان معادياً للنبي صلى الله عليه
لأنه يرى أنه ذهب برياسته فهو مرتد وهو لا يس المؤمنين لحاربهم ذلك المسجد
ليصلي فيه قوم وقوم في غيره لتختلف الكلمة وتذهب الألفة وتبطل
الجماعة فقصدوا ببناء المسجد إلى هذا وليكفروا فيه بالطعن
على النبي والمؤمنين ومعنى إرصاداً لمن حارب الله ورسوله إعداداً
والعد ولله أبو عامر ليكون متى أراد الاجتماع معهم حضرهم وكان
وعدهم أنه سيأتي بجند ويخرج محمداً وأصحابه من المدينة
فبنوا المسجد على انتظار أبي عامر ورفقه وكان أبو عامر عدواً
لله ورسوله والمؤمنين من أول أمره إلى آخره وهو معنى قوله لمن حارب
الله ورسوله من قبل والأقوى لتعلق من قبل عندنا ما كان عند قيصر
وقوله جل اسمه تعالى وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم
لكاذبون ٥ معناه وهؤلاء المنافقون الذين بنوا هذا المسجد
لا للقصد إلى طاعة الله وطلب الثواب في الجنة فأكذبهم الله تعالى
في قولهم ويمينهم بالله بقوله والله يشهد إنهم لكاذبون وقوله جل اسمه
لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن
تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين ٥
نهى الله تعالى نبيه والمؤمنين أن يقوموا في المسجد الذي بنوه
أبداً ٥ وبيّن أن المسجد الذي بني على إخلاص الإيمان والتقوى أولى

بالقيام فيه وهو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد
الذي بني على النفاق بناه المنافقون للمضاهرة في الجهة فكأنه قيل
لو كان من الحق الذي يجوز لكان هذا أحق ويجوز أن يكون هذا على
بعد من قول القائل هذا الأمر أصلح من تركه والمسجد الذي بني من أول
يوم هو مسجد النبي [illegible] وقيل في مسجد قبا والأول أقرب
فإنه روي عن أبي سعيد الخدري وأبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وآله
قال هو مسجدي هذا وقيل إنما قال في أول يوم مع أن أفعل
بعض لما أضيف إليه بمعنى أول الأيام إذا ميزت يوماً يوماً كما يقول أعطيت كل رجل
في البلد أي كل الرجال إذا ميزوا رجلاً رجلاً وقوله جل اسمه فيه رجال يحبون
أن يتطهروا الآية ٥ معناه في المسجد الذي بني على التقوى رجال يحبون
أن يتطهروا بالتوبة من الذنوب وقيل يتطهروا بالماء من الغائط والبول
وأن يكون على العموم أولى وبين تعالى أنه يريد ثواب المتطهرين وتعظيمهم ٥ وقوله تعالى
أفمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله
لا يهدي القوم الظالمين الآية الألف في قوله أفمن [illegible] للإنكار في صورة
استفهام ومعنى خير ها هنا أفضل وهو على وزن فعل وقد ذكر
هذا اللفظ ولا يراد به أفضل مع أن أفضل بعض لما أضيف إليه وقد
بيّنا ذلك في غير موضع ٥ ومعنى الآية أن من أسس البناء على تقوى
الله ورضاه أفضل ممن يؤسسه على أصل منهار لا ثبات ولا استقرار
والجرف الوادي جانبه وشفا كل شيء حرفه ٥ ومعنى هار منهار وانهار
الشيء إذا انصدع بالتهدم وخرج هذا الكلام على وجه المثل فكأنه
قال إن هؤلاء أسسوا قاعدة مسجدهم على معصية الله تعالى فاستحقوا
بذلك الخلود في نار جهنم لأن بناهم وإنما هم ليس على أساس ثابت [illegible]

لأنه لا يحب الظالمين ولا يهديهم الى طريق الجنة وقوله تعالى لا يزال
بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ٥
لا يزال عبارة على الدوام ومعناه بنيانهم ابدا يكون ريبة في قلوبهم و
وحكم الذي بنوا مع قوله بنيانهم حكم الاضافة على معنى الماضي اذ قد يجوز
الاضافة على جهة المستقبل كقول القايل اقبل على عملك ٥ وقيل
الريبة التي في قلوبهم هي التردد في العجزة ٥ وقيل حزازة في قلوبهم وقيل
شك واضطراب ٥ وموضع ان تقطع نصب في الاعراب على تقدير الا ان
تقطع قلوبهم الا ان حرف الاضافة يحذف مع المصدر ٥ ومعناه
حتى تقطع قلوبهم وجاز وقوع الا ان موقع حتى كانها استثنا من الزمان
المستقبل والاستثنا منتهى اليه فاجتمعت مع حتى في هذا الموضع على
هذا المعنى وقوله جل اسمه ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه
حقا في التورية والانجيل والقرآن ٥ معناه ان الله تعالى يضمن الجزاء
لمن جاهد بنفسه وماله من المؤمنين الجنة والنعيم الدايم فجعل قيامهم
بما كلفهم من الجهاد بالمال والنفس بمنزلة بيع انفسهم وما لهم من الله وجعل
ما وعدهم عليه من الثواب بمنزلة اشترى الشي وتوفير الثمن ٥ ثم بين
ان هذا الجزاء واجب لهم سواء كانوا مقتولين بايدي العدو او كانوا
قاتلين للعدو وهذا معنى قوله فيقتلون ويقتلون ٥ وانتصب وعدا
عليه حقا بما دل عليه لفظ اشترى لانه يدل على وعد ومنه قوله تعالى
فطرة الله التي فطر الناس عليها ٥ وقوله صنع الله الذي اتقن كل شي
ومعنى حقا هاهنا من الوعد الحق الواجب في حكم الله ان
يفعله فكانه اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بما فعل تعالى

من الثواب الحق الواجب في حكمته ان يفعله بمن كلف المشاق
ومن انه كما وعد به اهل القرآن المجاهدين وفي القرآن وعد مثله
اهل التورية والانجيل ٥ وقوله جل اسمه ومن اوفى بعهده من
الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك الفوز العظيم ٥
معناه ومن بايع نفسه وماله من الله فليستبشر به فان له من النفع
والسرور وانواع اللذات ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وقوله جل اسمه التائبون العابدون الحامدون السايحون
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن
المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ٥ السايحون
الصايمون وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال سياحة
امتي الصوم ٥ مدح الله هولا المذكورين في الآية ومن اتصف
استحق اطلاق كل واحد من هولا الصفات باصلاحها ما يعطيها
فله الجنة والمنازل الشريفة والدرجات الرفيعة وقال
لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بشر المؤمنين بذلك وقيل ارتفع التائبون
على المدح تقديره هم التائبون ٥ وقيل ارتفع على الابتدا وخبره
محذوف تقديره التائبون الحامدون السايحون الراكعون الساجدون
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله
لهم الجنة ٥ وقيل ارتفع التائبون على البدل من الضمير الذي
في يقاتلون كانه قيل انما يقاتل في سبيل الله من هذه صفته وقيل
دخلت الواو في قوله والناهون دون ما تقدم من الصفات لان هذه
الصفات على صاحبه الفعل الثاني بالواو حتى لا يكاد يذكر على
الانفراد بل يذكر الامر بالمعروف مع النهي عن المنكر وانما دخلت

الواو في والناهون عن المنكر دون ما قبلهم من الصفات لأن
هذه الصفة على مصاحبة الفعل الثاني وإنما دخلت الواو في قوله
والحافظون لحدود الله لقربه من المعطوف عليه وهو الناهون
وقوله جل اسمه ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ٥ قوله ما
كان للنبي حظر وبيان أنه من فعل بالسرك فعله فقد أتى أمرا منكرا ٥
ومعناه ليس للنبي والمؤمنين أن يستغفروا للمشركين وإن كانوا أولي أرحام
بعد أن تبين لهم وظهر من حالهم أنهم أعداء الله قد استحقوا عقاب
الله وقوله جل اسمه وتعالى جده وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا
عن موعدة وعدها إياه لأنه لما حظر الله على النبي والمؤمنين الاستغفار
للمشركين بين عذر إبراهيم صلى الله عليه في استغفاره لأبيه وأنه كان
استغفر له لأنه كان وعده التوبة والرجوع إلى طاعة الله ولم يكن تبين
لإبراهيم عليه السلام أنه عدو لله لأنه كان منافقا معه ٥ وقيل كان
إبراهيم عليه السلام استغفر له طمعا في إيمانه ووعده بالاستغفار ٥ له
استغفارا على شرائط الحكمة ومقتضى الدين وهو قوله تعالى إلا عن
موعدة يدل على الانفصال من الشيء كقولك رميت عن القوس إذا أولت
لموعدة ذلك اللازم على سبب في أي الفعل المؤدي إليه وقوله جل اسمه
فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ٥ معناه فلما
تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله وأنه كان منافقا كان يعد له تبرأ منه
وترك الاستغفار له وبين الله تعالى أنه كان محظورا على إبراهيم كما كان محظورا
على النبي صلى الله عليه وعلى المؤمنين وإن إبراهيم عليه السلام إنما استغفر
له لسبب فلما ظهر له أنه عدو لله عاد إلى الحظر وترك الاستغفار

وقيل إنما تبين له أنه عدو لله لموته على كفره وقيل تبين له ذلك
باليأس من فلاحه إما بإخبار الله وإما بالأمارات الظاهرة من
أحواله ٥ ومعنى الأواه التواب وقيل الرحيم وقيل هو الذي إذا ذكر
النار صرخ فقال أوه وقيل هو المتوجع المتضرع إلى الله تعالى
خوفا وإشفاقا من عذاب الله تعالى في اللغة تأوه تأوها إذا توجع
ووصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام بأنه أواه حليم وقوله جل اسمه
وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن
الله بكل شيء عليم ٥ معنى لا يضل هاهنا الحكم بضلال من عدل
عن طريق الجنة لكفره وفسقه على جهة الذم ومعنى الهداية
هاهنا الحكم [illegible] باهتداء من يسير على طريق
الإيمان والطاعة ٥ ومعنى الآية وما كان الله ليحكم بالضلال على عبد بعد
أن حكم له بالهدى إلا من بعد أن بين له طريق التقوى وما يجب عليه منه فإذا
لم يتق حكم عليه بالضلال ٥ ووجه اتصال الآية بما قبلها أن الله تعالى
لما حظر الاستغفار للمشركين كبر على المؤمنين ذلك وخافوا أمنه فبين تعالى
لهم أنه لا يؤاخذهم بذلك إلا بعد أن يدلهم على ما يجب أن يتقوه فهذا
شأن ما خاف من ذلك الحال وقيل كان ذلك في تحويل القبلة وتحريم
الخمر وحكم ذلك في ذلك من الأول وقوله جل اسمه إن الله له ملك السموات
والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ٥ أصل الملك
اتساع المقدور ٥ بين الله تعالى أن له ملك السموات والأرض وهو
القادر على إحياء الخلق وإماتتهم ٥ وقد مر بيان قوله وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير في غير موضع ٥ ووجه اتصال الآية بما قبلها
على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين مملوكهم وغير مملوكهم لأنهم عبيد

من له ملك السموات والارض علم فهو بالاستنصار به وقوله جل اسمه لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة
العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم
رؤف رحيم ٥ العسرة صعوبة الامر وكان ذلك في غزوة
تبوك لانه لحقتهم فيها مشقة شديدة من قلة الماء والزاد والظهر
لان ذلك كان قد قلّ ٥ وقال عمر بن الخطاب اصابنا في غزوة
تبوك عطش شديد فاستمطر الله لنا حتى دعا النبي صلى الله عليه فسقينا
بذلك واخبر الله انه تاب على النبي صلى الله عليه وعلى القائمين معه في
العسرة من المهاجرين والانصار ٥ ومعناه انه قبل توبتهم
وعفى ذنوبهم وقد علمنا بالدليل القاطع انه لا يقع من الانبياء عليهم
السلام كباير وانما يقع منهم صغاير وان كانت مغفورة
فانه يحب التوبة منها ٥ وقوله تعالى لقد تاب الله على النبي يدل عليه
انه قد كان وقع منه صغيرة واما المهاجرون والانصار فان
الكباير والصغاير جايزة عليهم ولا يدرى وقوع الكباير او الصغاير
وكبايرهم في تلك الحال لكن الله تعالى لما تاب عليهم لما بعد توبتهم
وتوبتهم لا بد ان يكون لاجل قبيح ارتكبوه فبين الله انهم تابوا
بعد ان كاد يميل قلوب فريق منهم عن حسن النية في الجهاد
فتداركوا ذلك بالتوبة فقبل الله توبتهم ٥ وجيش تبوك يسمى
جيش العسرة وذلك لعوز وعذر العسرة واخبر الله تعالى
انه قبل توبتهم لما تابوا لانه رؤف بهم رحيم عليهم وقوله تعالى وعلى الثلثة
الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم ٥ معناه وتاب الله ايضا على الثلثة الذين خلفوا

وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن ربيع ٥ وقيل معنى خلفوا
انهم خلفوا عن التوبة بعد التخليف عليهم في ذلك وقيل
خلفوا عن غزوة تبوك حتى ضاقت عليهم الارض بسعتها وضاقت صدورهم
همّاً وغمّاً وقوله جل اسمه وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم
ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ٥ الظن ههنا بمعنى العلم ومعناه ايقنوا
ان لا ملجا من الله الا اليه ولا ملجا من عذاب الله الا بالفزع الى التوبة مما ارتكبوه
ثم لطف الله بالتوبة ليتوبوا فسمى لطف التوبة توبة وهو كالداعي في الدعاء
للغير تاب الله عليك ٥ وقيل معناه قبل توبتهم ليستمسكوا بها في مستقبل
عمرهم وقيل ثم قبل توبتهم ليرجعوا على الرضى عنهم فجعل رجوعهم الى
الرضى توبتهم ٥ وكان سبب ضيق الارض عليهم وضيق انفسهم
ان المؤمنين منعهم الله من كلامهم ومتابعتهم ومعاملتهم وامر
ازواجهم باعتزالهم وكان النبي صلى الله عليه معرضا عنهم حتى انزل
الله توبتهم وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ٥
امر الله تعالى المؤمنين بالتقوى وهو ان يجتنبوا المعاصي وامرهم بالكون مع
الصادقين والصادقون هم الانبيا والايمة عليهم السلام والصديقون
من المؤمنين ٥ والفرق بين كن من الصادقين وبين كن مع الصادقين
ان مع تفيد المصاحبة ومن تفيد التبعيض
وهي عن الظرف في الوعاء من كان في جملتهم فقد حصل المعاني للثلثة وقيل
انما قيل للمؤمن كن مع الصادقين وان كان صادقا على معنى الزم الصدق
ولا تعدل عنه اذ لم يرخص الكذب رخصة بوجه من الوجوه ٥ وقيل
معناه كن مع النبي والصادقين في الجنة بالاعمال الصالحة والطاعات
الجليلة في الدنيا من غير ان تحبطها لانها الطريق الى نيل صحبتهم لا الى احد

وكان زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام اذا تلا هذه الاية بكى وناح على
نفسه وله دعاء طويل في هذا الباب متصلة بالمواعظ البديعة والحكم
البديعة واولها اللهم ازعجني في درجة هولا واعرضت عن ذكرها فالتطول
وقوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه معناه لا يحل لاهل المدينة اهل المومنين ومن الاعراب الذين هم
حول المدينة ان يتخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه الى العدو ولا
لهم ان يطلبوا المنفعة لنفسهم سواه لنفسهم دون نفسه فيجوز ان يكون نفسه وقال بعضهم
وهو معنى قوله تعالى ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه وهذه فريضة الزمهم الله اياها في النبي وفي
الدعا الذي اهتدوا اخرجوا من ظلمة الضلال الى نور الايمان وقوله تعالى ذلك بانهم
لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار
ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر
المحسنين الظما العطش والمخمصة المجاعة والنصب التعب بين الله تعالى
وجوب هذه الفريضة عليهم فقال انما الزمهم ذلك لانهم اذا خرجوا مع الرسول
صلى الله عليه واله فلا يصيبهم عطش ولا جوع ولا تعب ولا يطئون باقدامهم
موضعا يكون في ذلك غيظ للكفار وغمهم ولا يسعادتهم نكاية بقتل
او طعن او ضرب وغيرها مما يكون فيه نكاية العدو الا كتب الله لهم ذلك
في الاعمال الصالحة التي يستحق عليها افضل الثواب في رفع الدرجات
وانه لا يضيع ثوابهم عنده لانه يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وانما
يضيع ثواب الكافر والفاسق لكفره وفسقه وقوله تعالى ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما
كانوا يعملون معناه ولا ينفقون في سبيل الله شيئا قليلا كان او كثيرا ولا
يقطعون واديا بالمشي فيه الى العدو الا كتب الله لهم الاجر وفقا لاعمالهم

ليجازيهم يوم القيامة باحسن ما كانوا يعملون فدلت الاية على
بطلان قول من يقول لا يكون في الافعال حسن وقوله تعالى وما كان
المومنون لينفروا كافة معناه وما كان زمنا للمومنين ان ينفروا في
السرايا اجمعا ويتركوا النبي صلى الله عليه وحده بالمدينة ولكن
ينبغي ان يقيم بعضهم ليتفقه الباقون ثم ينذرون المتاخرين وقوله تعالى فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم لعلهم يحذرون موضع لولا للتحضيض اذا دخل على
الفعل واذا دخلت على الاسم فهو بمعنى امتناع الثاني لاجل الاول
والفقه العلم واصل الفقه العلم علم مخصوص بالعرف وهو العلم بالاحكام
الشرعية ولهذا لا يوصف الله بانه فقيه وان كان عالما بجميع المعلومات
لا بها ومعنى الاية فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقه النافرة
ثم ينذرون المتاخرة ليحذروا ما يجب الحذر عنه وقيل معناه الا يتفقه
الطائفة من كل قوم وتكون حيا الى النبي صلى الله عليه لاستماع كلامه
وفقه ما يخبر به ويامر وينهى ويعلم بالاحكام ثم يعلمونه لقومهم
اذا رجعوا اليهم وهذا يدل على ان فرض تعلم العلم من فروض الكفايات
اذا قام به قوم سقط عن الباقين وقوله تعالى جل ذكره يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع
المتقين امر الله تعالى المومنين بقتال الكافرين الذين هم بالقرب
منهم ولم يدل ذلك على سقوط القتال منهم مع من كان بالبعد لانه امرهم
ان يبتدوا بالجهاد من يليهم قبل جهاد من بعد لما في ذلك من حسن
التدبير ومقتضى الحكمة ولما في ذلك من يظفروا الا قرب الى بلاد
الاسلام على تدرج وقوله تعالى جل ذكره واذا ما انزلت سورة فمنهم

من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ه قيل إنما جاءت ما هاهنا
تسلط إذا على الجزاء وصلتها كذه والضمير في قوله فمنهم
عائد على المنافقين ه ومعنى الآية وإذا أنزلت سورة فمن المنافقين
من يقول لصاحبه على سبيل الإنكار والاستهزاء أيكم زادته
هذه السورة إيمانا ه وقيل قال المنافقون لضعفة المؤمنين
على وجه الاستهزاء ه قوله جل اسمه فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم
يستبشرون ه بنزول الآية ونزلتهم الآية إيمانا على معنى أنهم يزدادون
الإيمان عند نزول السورة ويزدادون الإخلاص والتعيّن وفي تلك الآية
على بطلان قول من يقول إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ه قوله جل اسمه وأما
الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم
كافرون ه ومن كان منافقا زادته السورة رجسا إلى رجسه الذي
كان عليه قبل ذلك ه ومعناه أنه يزداد الرجس عند نزول السورة
لكن السورة لا تزيد الرجس فأضيف الزيادة إليها لأنها كانت عند نزولها
توسعا ومجازا ه وقد بينا في سورة البقرة معنى المرض في قوله تعالى
في قلوبهم مرض بما فيه كفاية وبين الله تعالى أنه إذا هم مرض قلوبهم
إلى أن ماتوا على كفرهم وهو سان أن الموت لحقهم وهم على حال كفرهم
وقوله تعالى أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
هذا متصل بذكر المنافقين ه والرؤية هاهنا رؤية القلب وهو العلم
ومعنى الآية أولا يعلمون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين زجرا لهم عن
الكفر والمعصية ثم لا ينزجرون ولا يتذكرون ما يجب تذكره
وهذا إنباء عن قساوة قلوبهم وجرأتهم على المعاصي ه وأصل
الفتنة الامتحان وقد بينت ذلك في غير موضع من هذا الكتاب

وقيل هذه المحنة كانت بالقتل والسبي وبنصرة الله نبيه صلى الله
عليه حتى استعلى على كل من ناواه وعاداه ه وقيل كانت ذلك بالقحط
والجوع وقيل كان ذلك بالمرض النازل بهم وقيل كانوا قوله جل اسمه وإذا ما أنزلت
سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف
الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ه وجه اتصال قوله نظر بعضهم إلى
بعض بما قبلها أنه في الحال الدالة على دلالة القول لأن النظر قام مقام القول
هل يراكم من أحد في المفهوم ه ومعنى الآية وإذا أنزلت سورة نظر
بعض المنافقين إلى بعض على سبيل الاستهزاء والإنكار وقالوا أفيوكم
هل يراكم أحد إن قمتم مخافة أن تقفوا على أحوالهم وتطلعوا عليها
ثم انصرفوا على تلك الحالة والله يصرف قلوبهم عن السورة بالفائدة
التي تحصل بالسورة فيحرمونها للمؤمنين من الاستفادة فلتلك الحال عقوبة
على انصرافهم عن تلك الحال ه وبين تعالى أنهم يستحقون ذلك لأنهم قوم
لا يفقهون من دين الله ما يفقهه المؤمنون لأنهم يصرفون عن موضع
الحجة حتى كان بين المنافقين وبين الحق عداوة لشدة نفورهم عنه وجاء قوله
ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم على ازدواج الكلام كقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها لأن المراوح يعود فيه الصنعة والمجانس
تصرف عن صنعة أخرى ه قوله جل اسمه لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ه امتن الله
عليهم ببعثة الرسول إليهم من أنفسهم لأنه أقرب إلى الألفة
وأبعد من اللجاجة والمخالفة فهو صلى الله عليه وآله من أنفسهم في شرف
النسب والقرب منهم والاختصاص بهم والعنت إلحاق الأذى
المشق للصدر الذي لا يهتدي للمخرج منه ه ومعناه هاهنا شديد عليه

من الصدقة من اتباعه في امكانك زواله . والعزيز المنيع
اصله ذلك وقد بينت ذلك في غير موضع وبينا لحريص
عليكم ان تومنوا وانه رؤوف رحيم بالمومنين مشفق عليهم
وقوله جل اسمه بالمومنين رؤوف رحيم على الاستيناف وهذه
كلها صفة للنبي صلى الله عليه وقوله جل اسمه فان تولوا فقل
حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .
قيل معناه فان تولوا عن طاعة الله فقل حسبي الله . وقيل
فان تولوا عنك فقل حسبي الله اي كافي الله لا اله الا هو عليه توكلت
وفوضت موكلا اليه والله رب العرش العظيم . وموضع الجملة
من الاعراب في قوله لا اله الا هو نصب لانه في موضع الحال تقديره
فقل حسبي الله مستحقا لاخلاص العبادة والاقرار بان لا اله
الا هو وفي تخصيصه بالذكر بانه رب العرش العظيم اقوال
احدها انه لما ذكر الاعظم دخل فيه الاصغر فاشتمل على الكلام
الثاني انه خص بالذكر تشريفا له وتفخيما والثالث انه ذكر ذلك
ليدل على انه مالك الملوك لانه رب العرش العظيم . وقد اشبعت
الكلام في العرش فيما مضى فلا وجه لاعادته هاهنا وروى ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه انه قال من قرا سورة الانفال وبراءة فانا
شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بري من النفاق واعطي من
الاجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات
ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته
يصلون عليه ايام حيوته . السورة التي يذكر فيها يونس
عليه السلام مكية مائة وتسع ايات والفان ومائتان و[illegible] كلمة

وسبعة الاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا ۝ ۝ ۝
بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه تعالى الر تلك
ايات الكتاب الحكيم . قد بينا في اول السورة سورة البقرة
الغرض في ذكر حروف التهجي في اوايل السور بما فيه كفاية فلا
وجه لاعادته هاهنا وقيل انما قال تلك ولم يقل هذه الايات
لتقدم الذكر في الر فكانه هذه هي الكريمة . وقيل المعنى هذه
ايات . وقيل المعنى الايات التي تقدم ذكرها واضيفت الايات
الى الكتاب لانها ابعاض الكتاب في القران متصل بالايات بالحكم
النافية للشبهات في وصف الكتاب بانه حكيم لانه دليل على الحق
بالحكمة . وقيل حكيم هاهنا بمعنى محكم كما قال ابو ذويب
وقوله جل اسمه اي عن لكم يسد ولم يسعر خليف . اي مخلف من
اخلاف الوعد . وقيل انما لم يعد الر كما عد المص لان اخره لا يشاكل
رؤوس الاي التي بعدها انها بمنزلة المردف بالباء كما طه فعد
لانه يشاكل رؤوس الاي التي بعده وقوله تعالى اكان للناس عجبا
ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس خرج هذا الكلام على بيان
حال الجهال في التعجب من ذلك على جهة الانكار كانه قيل اعجبوا
ان اوحينا الى رجل منهم لينذرهم وقوله تعالى وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم . امر نبيه صلى الله عليه ان يبشر
المومنين بان لهم سابقة باخلاص الطاعة كاخلاص الصدق
من شايب الكذب وقد يقال لفلان قدم في الجاهلية والاسلام
قال حسان بن ثابت لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع
وقال ذو الرمة لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر

وقوله جل اسمه قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ٥ معناه
ان كفار قريش نسبوا القرآن الى السحر ٥ وهذا يدل على
تعظيمهم وفصاحته ونسبوا النبي صلى الله عليه وآله الى السحر
وهو انه سحره بقول يشتد ذلك ويعظم موقع نظم القرآن في النفس
قالوا ذلك فهذا يدل على فساد قول من قال ان العرب تركوا
القرآن لم يشتغلوا بمعارضته ٥ وذلك يضاعف بطلان قول
من يقول ان وجه الاعجاز فيه من جهة المنع لانه لو كان كذلك لم
يكن كان التعجب الا على الوجه الذي يعجب منه حتى انه ينسب الى السحر معنى
بل كان كلما كان اذكر كان اعجب في باب المنع وقوله جل اسمه ان ربكم
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر
الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا
تذكرون ٥ بين الله تعالى في هذه الاية خلقه وافعاله التي تدل على
الاهيته وحكمته وقد مر هذه الجملة في سورة الانعام وغيرها فلا
وجه لاعادته ها هنا واذا كان الله تعالى اثبت الهيته عند الخلق
بالاوصاف واثبت السوء بالوصف ايضا فالاصنام بصورة الحمادون
الالهية من يسمي بها ولم تكن لصفة الاصنام كان كمن يسمي بالاسم
ولكن لصفة الالهية وقوله جل اسمه ما من شفيع الا من بعد اذنه
تطيير وتعالى من الذي يشفع عنده الا باذنه ٥ وقد مر سالاني
سورة البقرة في اية الكرسي وقوله جل اسمه ذلكم الله ربكم فاعبدوه
معناه ان الذي خلق السموات والارض وفعل كيت وكيت كما ذكره
في الاية هو الاهكم وخالقكم والمنعم عليكم فاعبدوه ثم ذكر
قوله افلا تذكرون على وجه الانكار عليهم والتعجب من جهالتهم لا

تتفكرون في خلق السموات والارض لتعرفوا خالقهما ومنشيهما
وقوله جل اسمه اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا ٥ المرجع
ها هنا الرجوع ومعناه الى الله رجوعكم ٥ وتفسيره انه يرجع
المكلفين الذي يمكن اعادتهم في دار الدنيا وقيل يرجعون بعد الموت ت
احياء الى موضع جزائه وقيل المرجع هو موضع الرجوع كانه قال الى
الله موضع رجوعكم ٥ وانتصب وعد الله حقا لانه لما لم يذكر الفعل
اضيف المصدر الى الفاعل ٥ وقوله انه يبدأ الخلق ثم يعيده
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط هذا بيان جائز النشاة الاولى ل
والاخرى ٥ بين تعالى انه ابتدأ الخلق وانه يحييهم بعد الموت والافنا
لان من قدر على احداث المخلوقات قادر على اعادتهم وبين ان اعادتهم
ليجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعدل وهو انه يكافيهم على مقدار
اعمالهم ولا ينقص منه شيئا بل يزيدهم من فضله ويكون جزاؤهم ما تشتهي
انفسهم وتلذ اعينهم وقوله جل اسمه والذين كفروا لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ٥ لما بين الله تعالى جزاء المؤمنين بين
جزاء الكافرين انه انواع من العذاب كما ان جزاء المؤمنين انواع
من اللذات والحميم الماء الحار وقوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ٥ بين الله تعالى
موقع نعمته في خلق الشمس والقمر وتقديره منازلها انه ينفع للعباد في
معاملتهم ومعاشهم دنيا ودينا لان الاهلة والاوقات التي يؤدى فيها
الواجبات داخلة ايضا فيها ولا يتأتى فيها التعدد مع تفصيل ضروب المنافع
في الشمس والقمر وفي طول الليل والنهار وقصره وما يتصل به فلا وجه
لاعادته ها هنا ٥ وقيل انما افاد في قدره منازل الضمير الى القمر لانه

وقدرناهما لمن احصا سنون الاهلة التي يعمل الناس عليها في المعاملات
بالقمر فكانه قال وقدر القمر ٥ وقيل هو في معنى التثنية الا
انه وحد للاختصار اكتفا بالمعلوم كما قال تعالى والله ورسوله احق
ان يرضوه ولم يقل يرضوهما قال الشاعر   رماني بامر كنت منه
ووالدي بريا ومن جول الطوي رماني ٥ معناه كنت منه والدي بريين
وقوله جل اسمه ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون
معناه ما خلق الله الشمس والقمر وقدرهما منازل الا بالحق لانه
لا باطل في خلقه وصنعه وبين انه يفصل الايات والدلايل لمن ينظر
فيها ليعلم ما دلت عليه وقوله تعالى ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا
بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون ٥ معناه
ان الذين يخافون عقابنا ٥ وقد جا الرجا بمعنى الخوف قال الشاعر
اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عوامل ٥
ومعناه لا يخاف لسعها وقيل معنى لا يرجون لقانا لا يطمعون في ثوابنا
فجعل لقا ما وعدهم لقاية وجاز ذلك وان كانت الملاقاة من صفة
الاجسام لان ما لا يقدر عليه الا الله يجوز ان يجعل لقاية
تفخيما للشان كما جعل اتيان حمايل اياته لله في ظلل من الغمام والمليكة
والرضى بالحيوة الدنيا القناعة بها دون غيرها من نعيم الاخرة ومعنى
اطمانوا بها ركنوا الى الدنيا فسر الله تعالى انه يركنوا بهذه صفتهم وكانوا
غافلين عن اياته فماواهم النار وهو وقوله تعالى اولائك ماواهم النار
بما كانوا يكسبون وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية
يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم ٥ المراد بالهداية
هاهنا الثواب لا بهاهدا اسالي طريق الجنة ٥ ومعنى الاية ان المومنين

الذين اطاعوا بالاعمال الصالحة يهديهم ربهم على ايمانهم وطاعتهم جنات
تجري من تحتها الانهار وقد بينا وجوه الهداية والضلال في اول سورة
البقرة فلا وجه لاعادته هاهنا ٥ وقيل في معنى بايمانهم هاهنا وجه اخر
وهو ان الله تعالى وصفهم بالهداية على جهة المدح لانه يهديهم الله وقيل في معنى تجري
من تحتهم الانهار وجهان احدهما انها تجري بين ايديهم وهم يرونها من علو
وهو كقوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا يعني نهرا او هو كقول فرعون
حكاية الله عن ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي اي من تحت
بساتينهم وقصورهم وقوله جل اسمه دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام ٥ الدعوى قول دعا امر ومعنى الاية دعواهم في تلك الجنان سبحانك
اللهم تنزيها لله تعالى عن القبايح ٥ وقيل انما يقولون سبحانك اللهم لما يرون
من الصورة العجيبة وذلك انه قد مر بهم الطير ٥ وروي انه قد مر بهم الطير
يشتهونه فيقولون في حال شهوتهم فيسالون منه شهوتهم فيقولون
سبحانك اللهم فيحضرون الله عليه لقولهم الحمد لله رب العالمين ٥ واصل التحية
التكرمة بالحال الجليلة حتى ان العرب تسمي الملك التحية كما قال
ولكل ما نال الفتى قد نلته الا التحية ٥ يعني الملك   ومعنى قوله وتحيتهم
فيها سلام يحيي بعضهم بعضا بالسلام ويحيون من جهة الله بالسلام
وقوله جل اسمه واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ٥ قرى
ان بالتشديد وقرى بالتخفيف على سبيل الفعل قال الشاعر
في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل ٥
ومعناه اخر دعواهم قولهم ان الحمد لله رب العالمين على تعديد واخر
كلامهم يجري لهم الحمد لله رب العالمين ٥ والميم في قوله اللهم بمعنى يا
فكانهم قالوا يا الله ولم يجعل في موضع يا لئلا يكون كحرف النداء

يجزى في كل اثم وقوله جل اسمه ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم ٥ معنى هذا الكلام انهم يطلبون
الخير لقطع اجلهم وفزع منه بآمالهم وطلبهم للشر كقول الرجل
داعيا على ولده واهله اللهم لا تبارك فيه والعنه واهلكه وما
جرى هذا المجرى من الالفاظ ونظيره قوله ويدع الانسان بالشر
دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وقوله جل اسمه فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا في طغيانهم يعمهون ٥ الطغيان الغلو في باب الظلم والمعصية
والعمه شدة الحيرة ٥ ومعناه نخلي الطاغي وطغيانه ونحن
له بالمرصاد نهدده بالوعيد ٥ ومعنى لا يرجون لقاءنا لا
يخافون ما اوعدناهم من الجزاء على طغيانهم ونحن نخلي بينهم وبين
طغيانهم ونحيرهم من دون فهذا معنى قوله فنذر الذين لا
يرجون لقاءنا الاية وهذا انباء عن خلافهم ولو كان لهم في المعلوم
لطف لفعله استعجله فلما لم يكن في المعلوم لهم لطف ولم يتوبوا
عاملهم بما صاروا المخذولين وقوله جل اسمه واذا مس الانسان الضر
دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم
يدعنا الى ضر مسه ٥ معناه واذا اصاب الانسان الضر دعانا
لكشفه عنه على اي حال كان مضطجعا او قائما او قاعدا فاذا
استجبنا دعاءه وكشفنا عنه ضره مر بوجهه ناسيا ما كان
منه من الدعاء والتضرع حتى كانه لم يدعنا قط لكشف الضر عنه
وفي الاية دلالة على صحة الدعاء لله لكشف البلاء بقوله كان لم
يدعنا الى ضر مسه مع قوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء
وقوله جل اسمه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ٥ ح هذا

اللفظ على ما لم يسم فاعله فاضافته الى الشياطين والغواة
لقيام الدلالة على ان الله لا يزين المعاصي واعمال المسرفين
وقد قال في كتابه وزين لهم الشيطان والغواة زينوا لهم
اعمالهم ٥ وتفسير التزيين هاهنا هو التحبيب بالشهوة فعلى
هذا الوجه يصح اضافة التزيين الى الله لان الشهوة من فعله تعالى
وقد مر الكلام في ذلك في سورة ال عمران في قوله زين للناس حب
الشهوات الاية وقوله جل اسمه ولقد اهلكنا القرون من قبلكم
لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا كذلك
نجزي القوم المجرمين ٥ معناه ولقد اهلكنا بالعذاب قبلكم من
كان ظالما بعد ما اكد الحجة عليهم ببعثة الرسل بالدلائل والايات
فلما لم يؤمنوا اخذناهم بالعذاب وكذلك نجزي المجرمين ٥ وهذا
تحذير لهم ان ينزل بهم اذا كفروا وظلموا مثل ما نزل باولئك
الذين كانوا من قبلهم وقوله جل اسمه ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم لننظر كيف تعملون ٥ معناه ولما اهلكنا من كان
قبلكم جعلناكم خلفاءهم في الارض بان خلقناكم بعدهم وبلغناكم
وابقيناكم حتى ورثتم مساكنهم وسكنتم ديارهم ومنازلهم ثم
كلفناكم لننظر كيف تعملون على معنى عاملناكم معاملة من يطلب
العلم بما يكون منكم ليجازيكم وقد بينا في غير موضع تحقيق هذا
الكلام لان الله تعالى عالم بجميع المعلومات لذاته ولا حدث

لقاءنا شيء وقوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن
أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ٥ معناه
وإذا قرئ عليهم آيات القرآن قال الذين ينكرون البعث والنشور وهم
الذين لا يخافون لقاءنا وعدهم ربهم في الآخرة على نسك البعث والتحكم
والإيهام أن ما تقول حجة قالوا للنبي صلى الله عليه وآله ائت بقرآن غير
هذا الذي أتيت به فطلبوا بذلك ما يطلبه الجاهل المتعنت بأن
يقول ليست أيد هذه الحجة التي أقمتها فهات حجة أخرى غيرها فإن
كان ما يدعيه خفاء وبعد ذلك إنكار ما يلزمه وإيهام الناس أن الذي
أتى به ليس بحجة فقل أنت يا محمد لهم ليس لي أن أبدل ما أتيت به من تلقاء نفسي
لأني متبع الوحي الذي يأتيني من ربي وهذا الذي تلوته عليكم هو كلام الله
تعالى فإن أوحى إلي غيره تلوته عليكم وإن لم يوح إلي شيء ما تلوته اتبعت
أمره ودعوتكم إلى ما دعاكم إليه لأني لا أنقص ولا أخالفه لأن من خالف الله
وعصاه عاقبه يوم القيامة عقابا أليما فينبغي أن لا يأمن عذاب ذلك اليوم العظيم
لأنه يوم الجزاء والمكافأة وقوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولا أدراكم به ٥ معناه قل لهم يا محمد لو شاء الله أن لم يبعثني وأيده ما
أتلو عليكم لما أمرني بتلاوته ولا أعلمكم به ٥ ومعنى قوله ولا أدراكم
به هو من الدراية وقوله تعالى فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ٥
معناه فقد لبثت فيكم سنين ولم أدع ما أدعيه الآن من النبوة ٥

ولم أتل عليكم شيئا فلما ثبت أنه وحي من عند الله لنزل الله لم يكن أزد
إلى شيء ولم يأمرني بأداء شيء ولو شاء الله لما أعلمكم لفعل مثل ما فعل
قبل أن أوحى إلي أفلا تعقلون ٥ وجه ذلك أن عقولكم تدعوكم إلى معرفة مثله
وهذا احتجاج بليغ لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أن الآية على صحة
المناظرة والحجاج في دين الله وقوله جل اسمه فمن أظلم ممن افترى على الله
كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ٥ معناه لا أحد أظلم لنفسه
لنفسه ممن افترى على الله الكذب وكذب بآياته وإنما كان كذلك لأنه
ظلم وكفر بالله وهو أعظم ظلم من ليس بكافر ومن ادعى الربوبية فهو
داخل فيه ٥ ثم بين الله تعالى أن من كان مجرما لا يفلح ومعناه لا يظفر بما يطلبه
من رحمة الله وإنما يظفر بما أعد الله لأوليائه المطيع لربه المؤمن به
وقوله جل اسمه ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ٥ هذا توبيخ لعبدة الأوثان على عبادتهم
ما لا يستحق العبادة لأن الوثن على صفة تمنع تلك الصفة من عبادته لأنه لا يضر
لا ينفع من طلب الخير منه فقد طلبه ممن لا يملكه ومن قدر على النفع والضر
فليس على صفة تمنع من عبادته ٥ وإنما قال من دون الله لأن من عبد
الوثن وعبد الله فقد عبد من دون الله خلاف العبادة لله ٥ وقيل
وجه الشبهة من قولهم إن الأوثان شفعاؤنا عند الله أنهم قدروا أن
عبادتها أزيد في تعظيم الله تعالى فهي إسراف في تعظيم الله فقصدوا بالعبادة
تخلف من هذه الدرجة محل الشافع لهم عند الله ٥ وقيل شفعاؤهم في إصلاح
معاشهم في الدنيا لأنهم كانوا ينكرون البعث لقوله تعالى وأقسموا بالله جهد
أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا وقوله جل اسمه قل أتنبئون
الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ٥ خرج هذا

الكلام على وجه الالزام لهم ان فيه انكار ما كانوا يخبرون به من
عبادة الاوثان كونها شفعاء والمعنى ابطال ما يخبرون به ما لا حقيقة
له ولا يعلمه الله وما لا يكون معلوما لله محال الاعتقاد والالف التي في قوله
اتنبئون الله الف انكار في معنى التوبيخ فكانه قيل لهم اتخبرون الله بما
لا يعلمه وما لا يعلمه الله من حقيقة خبرهم كان باطلا وكذبا ثم نزه نفسه
عما اشركوا به بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون لانه الذي يستحق عبادة الشكر والعبادة
ولا يستحقها غيره وقوله جل اسمه وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا
الامة ها هنا الجماعة المجتمعة على امر واحد وقيل كان اجتماعهم على
الاسلام ثم اختلفوا وقيل كانوا مجتمعين على الشرك والكفر
الوجه الاخير بعض العلماء لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقد مر بيان طرف ذلك في سورة البقرة
في قوله كان الناس امة واحدة وقيل اختلفوا اشد الاختلاف
حتى انهم قالوا ان ادم اخ وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت
من ربك اي انه لو عاجل العصاة بالعقوبة لاهلكهم
وقيل لقضى بينهم في اختلافهم بما يضطرون الى علم المحق من المبطل
وهذا يكون في وقت رفع التكليف وسبقت الكلمة بتأخير ذلك
والاختلاف يكون على ثلاثة اوجه اختلاف التضاد واختلاف
التلازم واختلاف التناقض في الحق وهو الحق والباطل حتى اذا ادى ذلك
الى العداوة والمنازعات وفي الاية تصبير المؤمنين على ما يقولون
من اذى الكفار وشرهم وقوله جل اسمه ويقولون لولا انزل عليه
آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين
معناه وهم يقولون هلا انزل على محمد صلى الله عليه وآله آية

من ربه فكأنهم طلبوا انه يضطر الى المعرفة ولم يطلبوا معجزة
لانه صلى الله عليه قد اتاهم بها وقيل طلبوا اية غير القرآن وقد
تقدم الكلام فيه في هذه السورة وغيرها فامر الله نبيه صلى الله عليه
واله وسلم ان يقول لهم لا يعلم الغيب الا الله فسلموا لله ما لا علم لكم به
وكلوا امره الى تدبيره فانه من الغيوب وقيل هو امر راجع
الى التكليف فلا يعلمه وقوله فانتظروا تهديد وقد مر بيانه
نظيره في غير موضع وقوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة من بعد
ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا معناه واذا انعمنا عليهم بعد البلاء
بالضر والشدة مكروا ولم يقابلوا النعمة بالشكر وجواب
اذا الاولى في اذا الثانية كانه قيل اذا مستهم الضراء مكروا في آياتنا
وقوله جل اسمه قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون
معناه فلا تسارعوا الى المكر فان الله اسرع عقابا لكم على مكركم
فسمى العقاب على المكر باسم المكر توسعا وفيه غاية التهديد والوعيد
وبيان ان الملائكة الذين هم رسل الله عليهم السلام يكتبون عليهم ما
يفعلونه وهو معنى قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ما تفعلون وقوله جل اسمه هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها اصل التسيير التحريك
في جهة معناه ان الله هو الذي يسر لكم سلوك البراري وركوب
البحار واعطاكم آلة ذلك حتى انكم تركبون السفينة فتجري بكم جريا
على وجه السلامة لين الريح اذا كانت طيبة اخرجت السفينة وحركتها
على سبيل الاعتدال فمن عليهم بانه يرسل الرياح طيبة تحرك السفينة
لهم حركة على احسن حال فانهم يكونون في اتم سرور وحبور واما

رجع من الخطاب الى الكناية للتصرف في الكلام مع انه كان
خطابا لمن كان في تلك الحال وخبرا لغيرهم من الناس ٥
وقوله جل اسمه جاءتها ريح عاصف ٥ معناه وهبت بعد ذلك
ريح شديدة مخوفة يقال ريح عاصف اذا كانت مخوفة شديدة
الهبوب وقوله جل اسمه وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط
بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ٥
معناه واضطرب البحر بالامواج لشدة تلك الريح وبلغ ذلك مبلغا
غلب في ظنهم انهم من اهل الغرق وهو معنى قوله وظنوا انهم
احيط بهم فدعوا الله عند ذلك على امر اخلص دينهم لله وقالوا
لله لئن سلمنا من هذا الامر الذي وقعنا اليه لنشكرنك على
ما بها انعمت علينا واجبناك الى ما دعوت ٥ ووجه اتصال قوله تعالى
دعوا الله مخلصين بما قبله اتصال الاحق به فكانه قيل لما ظنوا
انه احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى فلما انجاهم اذا
هم يبغون في الارض بغير الحق ٥ معناه فلما خلصهم مما دعوا اليه
واجاب دعاهم وسلموا اما لاجله كانوا اسرعوا عادوا الى البغي والمعصية
وارتكاب الباطل الذي هو نقيض الحق وقوله جل اسمه يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم
بما كنتم تعملون ٥ من الله تعالى وقال بغيهم راجع اليهم وعاقبة
طغيانهم العذاب الذي لم يعدوا انفسهم على انما يفعلونه تمتع قليل
في الدنيا وما يستحقون عليه من العذاب دائم لا انقطاع له وهو معنى
قوله ثم الينا مرجعكم الابد ٥ وبين تعالى ان عاقبتهم المصير الى
عرصة القيامة فيجازى كل نفس بما كسبت ٥ وقيل قوله على انفسكم

خبر قوله بغيكم وارتفع متاع على معنى ذلك متاع الحيوة الدنيا
وقيل خبر بغيكم متاع الحيوة الدنيا وقوله جل اسمه انما مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس
والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها
انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان
لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون ٥ المثل الصفة
هاهنا والزخرف حسن الالوان كالزهر الذي يروق البصر ومن
هذا قيل زخرف الارض وزخرف الجنة لاهلها ٥ ومعنى ازينت اخرجت
زينتها ٥ ومعنى قادرون عليها هاهنا قادرون على استحصاد تلك
الحال ٥ والحصيد المحصود ٥ ومعنى كان لم تغن بالامس كان لم تقم على
تلك الصفة بالامس يقال غني بالمكان اذا اقام به ٥ ومعنى الايات
الله تعالى ضرب مثل الحيوة الدنيا تحقيرا لها وتزهيدا فيها عند اهلها
فقال صفة الحيوة الدنيا صفة ما انزل الله من السماء فصار في الارض منه
عند انواع النبات التي هي غذا الناس والانعام ومنافعهم حتى اذا بلغ مبلغا
وافي الاوصاف في الحسن وظن اهل الارض انهم قدروا على استحصاد تلك الحال وتمكنوا من
التمتع بما شاهدوه فلم يشعروا حتى بلغ ذلك الحال العلات في انواع النبات امر
الله ليلا او نهارا فازالها عن تلك الحال وبطل ما قدروا انه قد
حصل لهم فشبه الله الحيوة الدنيا بحصول النبات على تلك الاوقات
في باب الاغترار والمصير الى الزوال ٥ وقيل شبه الحيوة بالماء المنزل
على هذا الحد الذي بين فيما يكون به من الاستمتاع ثم الانقطاع ٥ وقيل
قرن الحيوة الدنيا بحيوة مقدرة على هذه الاوصاف ٥ والغرض جميع
ما وصف بيان فناء الدنيا بعد زينتها في سرعة كما يصير النبات احسن حصيدا

مغافصة حتى كأنه لم يكن فضرب المثل لشيء مشاهد ليقع
التفكر ثم بين تعالى انه انما يفصل هذه الآيات ليتفكر فيها
اولوا الالباب فيزجرهم ذلك عن الاغترار بالدنيا الفانية وايثارها
على الدار الباقية وقوله جل اسمه وتعالى والله يدعوا الى دار السلام
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ٥ قيل ان السلام اسم من اسماء الله
ودار السلام الجنة وتسمى الجنة بالسلامة لانها سلمت من كل آفة ولما زجر
الله الخلق عن الركون الى الدنيا المشتملة على الآفات والعاهات
والمصائب والعلات دعاهم الى دار هي سلامة كلها ونعيم مقيم وصفو
وراحة لا كدر فيها ولا نصب لا حزن ولا كرب هي الجنة ومعنى ويهدي
من يشاء قيل الهداية ههنا الألطاف الداعية الى طريق الجنة يفعلها
الله تعالى لمن علم انها لطف له وكانه قال ويلطف الله لمن علم
ان ما يفعله لطف له في فعل الطاعات الموجبة له الجنة ٥ وقيل
الهداية ههنا الاخذ بهم في الآخرة الى طريق الجنة وهو الصراط
المستقيم ويدخل الله الجنة من المكلفين من كان مستحقا للثواب
وهو الذي يشاء ان يدخله الجنة ٥ وقد مر في سورة فاتحة الكتاب هذان
الوجهان احدهما الهداية التي الطاف الى الدين والثاني الهداية الى
طريق الجنة ٥ وقيل الهداية ههنا نصب الدلائل لجميع المكلفين
دون الالطاف والمحاسن فلذا اخص من يشاء وقوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون ٥ معناه للذين احسنوا بفعل الطاعات الحسنى وهي
الجنة وسمي جزاء الاحسان باسمه لان جزاء الشيء قد يسمى في اللغة
كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ٥ وقيل الحسنى هي

جامعة للمحاسن من السرور واللذات على اتم ما يكون وافضله
واحسنه بامثال الحسنى فبين تعالى ان للمطيع المؤمن جزاء اعماله
وفق العمل والزيادة على فضلا من عند الله ٥ وبين تعالى انه لا يرهق
هولا المطيعين ذلة ولا هوان وانهم خالدون في الجنة ٥ واصل الرهق
اللحاق والقتر والغبار كنايتين الذلة والصغارة والزيادة التي
وعدها الله لهم هي المضاعفة المذكورة في قوله تعالى من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها في الحسن لان الجزء الواحد منها يكون جزاء والتسعة
تكون تفضلا وان كان ذلك الواحد الذي هو الجزاء اعظم قدرا وخطرا
من الاجزاء التسعة لانه لا يقترن به التبجيل والتعظيم من الله فكان
الله تعالى يوفي المؤمن في كل وقت ما يستحقه بعمله ويزيده من فضله ما
يشا كما قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فتلك الزيادة
تكون من جنس ما استحقه كما ان الاجير اذا اخذ اجرته ممن استاجره
مثلا عشرة دراهم واعطاه المستاجر تفضلا زيادة عليه عشرة
دراهم ٥ فاما ما ذهب اليه المشبهة من ان الزيادة ههنا
رؤية الله تعالى بالبصر فهذا كفر محض وذلك ان اللغة لا
تنطق بان الرؤية في اللغة لا تسمى زيادة وقامت الدلائل القاطعة
عقلا وسمعا على ان الرؤية بالبصر مستحيلة على الله والله تعالى ليس
بمرئي في ذاته فتاويل الرؤية على ما لا تحتمله العقل ولا يقبله الشرع
من اعظم الخطا وقوله جل اسمه والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ٥
لما بين الله تعالى حكم المطيعين المحسنين وجزاهم بين حكم المسيئين

ان قال ومن عصى وابى وظلم نفسه بترك الطاعة فله جزاء ما
عمل من المعصية مثله ولا زيادة عليه لان التفضل بالعقاب لا يحسن ولا
يصح والباء في قوله بمثلها زائدة فكانه قال ومن عمل سيئة فلا جزاء
الا مثلها والحكمة في مخالفة الحكم من اطاع لان التفضل بالنفع حسن والضر
قبيح لان الزيادة على المستحق من العقاب ظلم ٥ وبين تعالى ان
العاصين المسيئين ترهقهم الذلة والصغار والهوان ٥ ومعنى ترهقهم
تلحقهم وتغشاهم وانه لا عاصم لهم يدفع عقاب الله عنهم وقد
اسودت وجوههم حتى كانما اغشيت قطعا من الليل المظلم والقطع
جمع القطعة وصاروا ملازمين للنار خالدين فيها ابدا وخرج لفظ
المظلم على التوحيد لانه حال من الليل ولذلك ذكر اللفظ ايضا وقد
يذكر لفظ مظلما على معنى قول القائل ٥ لو ان مدحة حي منشر
احدا احيى اباكر والبلى الاماديح ٥ وقوله جل اسمه ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم ٥ وقد
يستعمل هذا اللفظ للتهديد بمعنى مكانكم اي الزموه ولا تبرحوه
تهديدا او وعيدا وقوله تعالى فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم
ايانا تعبدون ٥ معنى زيلنا فرقنا بينهم وفي قوله وقال شركاؤهم
اقوال في التاويل قيل ونطق الاوثان فتقول لهؤلاء المشركين ما
كنا نشعر انكم ايانا تعبدون ٥ وقيل هذا قول الشياطين الذين كانوا
يعبدونهم وقيل معنى هذه المجاحدة على جهة الاهانة لهم والرد
عليهم فكانهم قالوا لهم ما عبدناكم بذلك لكم ٥ وقيل انه يلوذ كذلك
منهم في حال الدهش فهو ككذب الصبي وقوله تعالى فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ٥ هذا تاكيد لجحد عبادتهم

فكانهم قالوا ان كنا غافلين عن عبادتكم كما قلنا وكفى بالله شهيدا
علينا لانه يعلم ذلك ٥ وقيل انما قال بيننا وبينكم ولم يقل علينا
لانه اذا قال بيننا فقد تضمن معنى علينا وزيادة فيكون اعم واحسن
في مثل هذا الموضع وتقديره وان كنا نعبد ان المخففة عن الثقيلة
ودليله لحاق اللام في اخبرها للفرق بين ان التي للجحد وبين ان التي للتاكيد
وقال بعض النحاة انتصب شهيدا على التمييز على معنى كفى بالله من الشهدا
شهيدا وقال غيره انتصب على الحال على معنى كفى بالله في حال الشهادة
شهيدا وقوله جل اسمه هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت ٥ معناه كل نفس
تختبر هنالك جزاء ما عملت وتراه وتجده على الحد الموعود به ومعنى اسلفت
قدمت وقوله جل اسمه وردوا الى الله مولاهم الحق ٥ معناه وردوا
الى الله مالكهم وسيدهم ٥ وانما قيل ردوا لانهم ذهبوا عن امر
الله واعتدوا عليه وجاز وصف الله بالحق كما جاز وصفه بالعدل
للمبالغة في الوصف لان كل حق من قبله عز وجل ٥ ودلت الاية على ان
اسم المولى يستعمل في معنى المالك والسيد وعلى هذا حمل قول النبي صلى الله عليه
واله وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون ٥
معناه وبطل ما كانوا يكذبون به في دار الدنيا وخاب فعلهم وضل عنهم
وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله
فقل افلا تتقون ٥ رزق السماء الغيث الذي يحيى به العباد والبلاد وهو
الحيوان التي تاتي من السماء باذن الله ما قسم للعباد ورزق الارض
النبات والثمار وما يصل الى العباد باذن الله ٥ ومعنى الاية قل لهم يا محمد
من الذي يملك الرزق في السمع والابصار حفظها من الافات ومن

يملك احتجاج الحي من الميت والميت من الحي وقد مر بيانه في غير موضع ومن
ملك يدبر الامور على وجه الحكمة والصواب فاذا اقروا بان الله هو
الملك الحكيم ذلك فقل لهم افلا تتقون او تقدرون الحجة عليهم افلا تتقون عذاب الله
بتركك وتعلى بترك الكفر والمعاصي فان الله الملك الحكيم ذلك هو الملك
لبعثكم ولحلدكم وهذه حجة لانها على سبيل التعظيم لطريقة المناظرة
واحتجاجا على القوم وتقدير الحجة بما لا يجدون وعن الاقرار به معدلا ولا
مصرفا وقوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق معناه ان الملك لما احتج
عليكم وبغيره من الامور التي لا يقدر عليها الا الله القادر لذاته وعقولكم
تدعوكم الى الاقرار به والاذعان له وهو الله الحق الحكيم وربكم وليس بعد
الحق الا الضلال وقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون
ما هاهنا معناها التقرير على موضع الحجة بما لا يجد المحتج عنه محيصا
الا بالتخليط الذي لا يلتفت اليه والذي يدعوا اليه الحكمة وتوحيده الظاهر
في الدليل من العلم حق وما ليس حق باطل وليس بعد الحق الا الباطل ٥
ومعنى فانى تصرفون توبيخ لهم وتعجيب للخلق من حالهم والصرف عن الحق
الذهاب الى الباطل وقوله تعالى كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا
انهم لا يؤمنون ٥ التشبيه في قوله كذلك لمعنى الذي في قوله ليس بعد
الحق الا الضلال شبه به كلمة الحق في الصحة انهم لا يؤمنون وقيل ما تقدم
من العصيان شبه به الجزاء بكلمة العدل في الوقوع على المقدار وفايده
الاية البيان عن الحال التي لا يطمع صاحبها الخير منها لانه لا يجوز ان يكون
في المعلوم انه من يبلغ ذلك الحد لم يصلح وانما اطلق على الذين فسقوا انهم لا
يؤمنون لان المعنى انهم تمردوا في كفرهم فلا يرتدون الا بما اكده وقواه
ودعا اليه وقوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده

لى الحله حميتها

قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون ٥ هذه طريقة في النظر
والاحتجاج على المعطلة بما لا يجد الثنوية بدا من الاقرار به فدلت الاية
الاولى وهذه على صحة الاحتجاج والمناظرة في باب الدين وشركاؤهم
قيل هم الذين جعلوهم شركاء لله في العبادة ٥ وقيل شركاؤهم الذين
جعلوهم شركاء في اموالهم من الاوثان كما حكى الله عنهم بقوله
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا الاية ٥ ومعنى الاية قل
لهم يا محمد هل من شركائكم من يقدر على ابداع الخلق وايجادهم من
العدم واعادتهم بعد افنائهم كما كانوا اولا فاذا علموا انهم لا يقدرون
على ذلك فليس عبادتهم للقادر عليه هو الله الواحد القهار ثم وبخهم وعجب
الخلق من حالهم بقوله فانى تؤفكون معناه فانى تصرفون من الحق الى
الباطل ودل ذلك على ان ذهابهم من الحق الى الباطل انما هو من جهلهم نعم
لشبهة او بدعا الشيطان واغواه لهم اليه وان ما تقوله المجبرة من اضافة
ذلك الى الله باطل لانه لو كان الله صرفهم لما ساغ في حكمته ان يوبخهم
عليه ويعجب الخلق من حالهم وقوله جل اسمه قل هل من شركائكم من
حجاج
يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق ٥ هذه طريقة اخرى في تعليم طريق الا
والارشاد الى الحق على الخصم والهداية للشيء الاخذ به في سلوك طريق
الرشد عن طريق الغي ومعناه قل لهم يا محمد هل من شركائكم من يقدر على
هداية احد فاذا عجزوا واعترفوا بان هذه الطريقة لشركائهم فقل لهم الله
يهدي للحق ويقدر عليه فان عجزوا لهم يدعوهم الى مثل ما يدعوهم ليعلموا
ان الذي يمسكوا به باطل بان الحق توحيد الله ومتابعة امره
وقوله تعالى افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان
يهدى فما لكم كيف تحكمون ٥ هذا ايضا وجه حسن في الالزام والزيهم

ان اتباع من يهتدي للحق ويهدي اليه اولى من اتباع من لا يهدي
ولا يقدر على هداية الغير الا ان يجعل بصفة المهتدي والهادي فيفتقر
الى من يجعله بهذه الصفة ثم انكر عليهم ما حكموا به من اتباع
من لا يهتدي ولا يهدي بقوله فما لكم كيف تحكمون ٥ ودلت الاية على
ان العالم الهادي اولى ان يتبع من المفتقر الى معلم وهاد ليعلمه ويهديه
وكل من وقع له العلم باحوال علماء الصحابة والصفة من تقديمه على الامام
بعد النبي صلى الله عليه وعلى اله اولى الاتباع من علي بن ابي طالب عليه السلم
لكمال علمه بدين الله وتمكنه من الهداية اليه ولهذا خصه النبي صلى الله عليه
من بينهم بان جعله باب علمه بقوله انا مدينة العلم وعلي بابها فلو كان غيره
يشاركه فيها او يقرب منه لم يكن لتخصيصه بها خصوص معنى وحاشاه من
المحاباة والمماثلة ٥ قوله جل اسمه وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني
من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون ٥ معناه ليس اكثرهم على ما
يذهبون اليه ويعتقدونه ويعملون به وانما اقتصروا على متابعة
الظن والظن يجوز وهو خلاف العلم وقد بين الله تعالى بقوله ان
الظن لا يغني من الحق شيئا لانه لا يقوم مقام العلم مع وجود العلم
وامكان وجوده ٥ واذا لم يعلموا لم يكن لهم دليل ولا حجة على
ما ذهبوا اليه واعتقدوه وحكموا به وعملوه وفي قوله تعالى ان الله عليم
بما يفعلون بلغ التهديد والوعيد ٥ قوله تعالى وما كان هذا القران
ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين ٥ بين الله تعالى منزلة القران بانه حق لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه فنزهه عن الفرية ووصفه بانه مصدق
لما بين يديه من الكتب وتفصيل له وقد مر بيانه فيما تقدم في غير موضع وما كان

بهذه الصفة لم يكن الا من عند الله كما قال تعالى ولو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فالله جل وعلا وانه
لكتاب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ٥
وانه ابدا بالاختلاف التناقض والاصل الافترا والاختلاف(?)
بالقطع لدعاء الكذب والتفصيل بين الفصل وبين المعاني الملتبسة
حتى يظهر كل معنى على حقيقته وقيل في تصديقه لما قبله معنى اخر
سوى ما ذكرناه فيما تقدم وهو انه تصديق بالبعث والنشور والجزاء
والحساب ٥ وبينا الضمائر في سورة البقرة معنى لا ريب فيه ٥ قوله تعالى
ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله ٥ معنى ام تقرير على موضع
الحجة بعد مضي حجة اخرى على تقدير بل يقولون افتراه فالزموا على هذا
الاصل الفاسد مكان ان ياتوا بمثله وفيه محذوف وتقديره فاتوا
بمثله سورة مثله في البلاغة وهذا احسن وهذا هو التحدي ٥ قوله تعالى
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ٥ هذا نظير قوله
وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ٥ وقد مر بيان ذلك
في سورة البقرة في قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله فلا وجه لاعادته هاهنا ٥ قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه ولما ياتهم تاويله ٥ التاويل المصير الذي يؤول اليه التفسير وهو
منتهى التصريح من التضمين فتاويله ما يصير اليه امره من حيث المراد
شيء ومعناه كذبوا بما لم يعلموا تاويله لاعراضهم عن النظر في
الدلايل ٥ قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
لميزه(?)
معناه لا ينبغي ان يامن هؤلاء المكذبون ان ينزل بهم مثل ما نزل بمن كان
قبلهم من المكذبين بان الله الظالمين لا يعصمهم بذلك ٥ قوله تعالى ومنهم

من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين وهذا
إخبار عن معلوم الله تعالى فيهم مما جرت عليه أحوالهم في التصديق
بالقرآن والتكذيب به وقال منهم من قد آمن بالقرآن وصدق به ومنهم
من جحده وكذب به والله أعلم بمن يقدم على الفساد ويصر عليه وقوله تعالى
فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم خرج هذا الكلام على وجه الصفة
في المناظرة على وجه الشك في عمله وعملهم معناه فإن كذبوك وأعرضوا
عن قبول ما تدعوهم إليه فقل لهم لي عملي ولكم عملكم وقوله تعالى أنتم
بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون يدل هذا على صحة ما قلناه في تأويل قوله تعالى
لي عملي ولكم عملكم لأنه لو كان على وجه الشك لم يكن ليقول لهم وأنا بريء مما
تعملون وهذا أمثل ما يبين للكافر من دينه الباطل ويخرج من تعيبه الحق
بمنزلة قال لكم دينكم ولي دين وقوله جل وقوله تعالى ومنهم من يستمعون إليك
أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون معناه منهم من يصغي إلى كلامك
وإلى ما تتلوه عليهم من الوحي طلبا للطعن فيه فإذا لم يجد ما يطلبه صير
نفسه بمنزلة من لا يسمع لصممه فلهذا قال الله أفأنت تسمع الصم
ولو كانوا لا يعقلون ذما لهم وتوبيخا لأنهم صيروا أنفسهم بمنزلة الصم
إعراضا عن فهم كلامك واستماعه على وجه الانتفاع فلا ينجع فيهم
كلامك لتركهم استعمال عقولهم وكأنهم لا عقل لهم وقوله تعالى ومنهم
من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون وهذا أيضا ذكر على
وجه الذم والتوبيخ لهم ومعناه ومنهم من ينظر إليك وإلى ما تفعله
نظر من يطلب تكذيبك والطعن عليك في طريقتك فهم بمنزلة العمي الذين
لا يبصرون ولا يهتدون إلى ما يهتدي إليه البصير وقوله تعالى إن الله لا
يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون نفى الله الظلم عن نفسه

ونزه ذاته عن فعله وبين أن الظلم من فعل العباد ودلت الآية على أن
الله تعالى لا يفعل الظلم ولا يخلقه في العباد كما قاله الجهال أنه يعاقبهم
على فعل نفسه لا على ما فعلوه وهذا عين الظلم وقوله ولكن الناس
أنفسهم يظلمون يدل على أن الظلم من فعل العباد لأنهم الظالمون
إلا أنما يقع ذلك من جهتهم من المعاصي التي يستحق عليها العقاب
وقوله تعالى ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار
يتعارفون بينهم أصل التعارف اعتراف كل واحد صاحبه
ومعنى الآية أنه يطول مقامهم في عرصة القيامة وإحاطة علمهم بدوام
بقائهم في الآخرة وقصر بقائهم في الدنيا كأن عندهم كأنهم لم يلبثوا
في الدنيا إلا ساعة من النهار وقوله تعالى قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله وما كانوا مهتدين معناه قد خسر من كذب بلقاء ما
وعده ربه في الآخرة ولم يكن مهتديا إلى ما اهتدى إليه من صدق
به فذكره به نفسه وأراد غيره وقد بينا في مواضع المراد باللقاء
فلا وجه لإعادته وهذا كما حكى الله تعالى عن إبراهيم صلى الله عليه إني ذاهب
إلى ربي ومعناه إلى حيث أمرني ربي وقوله تعالى وإما نرينك بعض الذي
نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
هذه الرؤية رؤية المشاهدة لأن الرؤية إذا كانت بمعنى العلم
تتعدى إلى مفعولين واحد وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله ومعناه
إن أريناك في حياتك بعض ما وعدناهم من العذاب في عاجل الدنيا
أو أخرناه عنهم إلى بعد وفاتك فعلى أي حال لا يفوتوننا ومعنى
فإلينا مرجعهم فهو تهديد ووعيد لحصول الموعود به وإنما
ثم ها هنا مقام الواو وتقديره والله شهيد على ما يفعلون

ومعناه يرجع الى العلم بما فعلوه والى الاحاطة به وانه يجازيهم

جازاهم على ما يقع منهم فلا يخفى عليه شي من اعمالهم جميعا **وقوله تعلى**

ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ٥ معناه

لكل قوم مكلفين رسول بعثه الله اليهم فاذا كان يوم القيمة حضر رسولهم

وشهد بما شاهد منهم وقضى الله بينهم بالعدل وهم لا يظلمون في جازي كل نفس

بما عملت ولا يظلم ربك احدا **وقوله تعلى** ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين

معناه ويقولون على وجه الاستهزا والانكار متى يكون ما تعدوننا

به من العذاب لانهم استبعدوا ذلك وكذبوا به **وقوله تعلى** قل لا املك لنفسي

ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ٥ معناه لا املك لنفسي الا ما شاء الله ان

يملكني اياه من نفع او ضر وذلك بتمكينه ما جعل اليه اخذه واوجب عليه

تركه ٥ واتصلت الاية بما قبلها اتصال انكار تمنيهم في قوله متى هذا

الوعد فقيل لا املك لنفسي الا ما ملكني الله فكيف املك لكم **وقوله تعلى**

لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ٥

معناه لكل قوم اجل موجل وهو وقت حتمه فاذا تم الاجل لم يتاخر ساعة

ولا يتقدم ٥ وقد مضى بيان نظيره فيما تقدم **وقوله جل اسمه** ارايتم ان اتاكم

عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون لزومه ها هنا معنى العلم

والبيات هو ما جا ليلا وخبر ان محذوف وتقدير الكلام ان ايتم ماذا

يستعجلون من العذاب المجرمون ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا وقع قوله

ان اتاكم بين الكلام موقع الاعتراض به ٥ ومعنا ما ها هنا الانكار

ان يكون في العذاب شيا يستعجل وجا اللفظ على صيغة الاستفهام لانه

لا جواب له يصح لصاحبه **وقوله تعلى** اثم اذا ما وقع امنتم به الان

وقد كنتم به تستعجلون ٥ دخلت الف الاستفهام على الفعل على ان معنى الجملة

الثانية بعد الاولى مع ان للالف صدر الكلام على تقدير اتامنون

حلوله بكم ثم اذا وقع العذاب وشاهدتموه قيل لكم الان امنتم به وقد

كنتم به تستعجلون بحلوله ونزوله وقيل عامل الاعراب في اذا ما وقع

امنتم به على ان يكون ما صلة ٥ وقيل ما مسلطة على الجزا **وقوله**

تعلى ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا ما كنتم تكسبون

عطف ثم على الايمان الواقع في حال الالجا فقيل لهم بعد ذلك هذا القول

على سبيل التوبيخ والتقريع وهو ذوقوا هذا العذاب الذي هو جزا

كسبكم وعملكم **وقوله جل اسمه** ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه

لحق وما انتم بمعجزين ٥ ويستخبرونك عن كون هذا العذاب الذي تهددهم

به احق هو فاخبرهم بانه حق يعذب ان يكفروا ثم يقسم بالله تحقيقا للخبر وان اخبرهم

ان العذاب لا يفوتهم ولا يفوتونه ٥ يقال اعجزه الشي اذا فاته **وقوله تعلى**

ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به ٥ الافتدا ايقاع الشي بدل

غيره ليدفع المكروه ٥ ومعناه لو كان ما في الارض ملكا للظالم وجعله

فدا لنفسه ليتخلص من عذاب الله لم يقبل ذلك منه ولم ينفعه وهو كقوله

تعلى ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ٥ والعدل الفدية **وقوله**

جل اسمه واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط

وهم لا يظلمون ٥ معناه اذا راوا العذاب ندموا على ما فعلوه من المعاصي

وقضى الله بينهم بالعدل لمجازاة ومكافاة **وقوله جل اسمه** الا ان لله ما في

السموات والارض بين الله تعلى ان له ما في السموات والارض وقد يفتتح

الكلام في اللغة بالا للتنبيه واتصلت الاية بما قبلها اتصال الاثبات

بعد النفي لان الذي قبله بمنزلة انه ليس للظالم حكم يفتدي به بل

جميع الملك لله عز وجل وقيل فيه وجه اخر وهو انه تقدر على ايقاع

ما توعدنا لين له ما في السموات والارض وقوله جل اسمه الا ان وعد
الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ۵ هذا اخبار عن جهلهم بحقيقة
وعد الله للمكلفين ووعيده لهم وقوله تعالى هو يحيي ويميت واليه ترجعون
معناه ان الله هو المحيي للخلق والمميت لهم وعاقبة امرهم الرجوع الى الموضع
الذي لا حكم فيه الا لله فدل بذلك على انه لا يقدر على الحيوة والموت احد
لانه معنى الا الله تعالى اعني الموت لانه قد يذكر ويراد به الاماتة والله هو
القادر على الاحيا والاماتة وقوله جل اسمه يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفا لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين المراد بالموعظة هاهنا
القران يقول لهم يا محمد قد جاءكم القران وهو موعظة لكم وشفا لما يخطر بالكم
من الوساوس ودلالة ونعمة للمومنين في القران وان كان دلالة للجميع فانما
خص المومنين لتشريفا لانهم يتلونه وانتفعوا وكان غيرهم ممن لا ينتفع
ليس ذلك دلالة لهم وقوله جل اسمه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون ۵ وهو القران والايات التي اتى من جهة الله خير لكم
من حكم ما تجمعون من حطام الدنيا ۵ وروي عن ابي سعيد الخدري وابن
عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا القران والاسلام
خير مما يجمعون من الذهب والفضة ۵ وقيل انما جا الاطلاق بانه فضل الله
وان كان هو من فضل الله لانه وقع موقع افضال الله كما وقع الناس موقع
الاناسي في قوله تعالى والله اسكن من الارض انا ۵ ووجه اخر وهو ان
اضافته الى الله على معنى الملك كما تضاف العبد الى الله بمعنى انه مالك
واللام في قوله فليفرحوا لام الامر واخبر ووقعه في الخطاب ايضا كوقوعه
في الخبر وقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا ۵ الالف في قوله ارايتم صيغتها الاستفهام ومعناها

في

الانكار لين الاية وردت في توبيخ الكافرين وذمهم على ما حرموه
على انفسهم من البحيرة والسائبة وغير ذلك مما قد احله الله وقوله تعالى
قل الله اذن لكم ام على الله تفترون ۵ هذا انصا على وجه التوبيخ والانكار
كانه قيل لهم اباح الله لكم ما تفعلونه وتضيفونه اليه ام تكذبون على الله
فهذا تقرير عليهم بانهم يكذبون على الله لانه لا دلالة لهم على صحة ما فعلوه
وقالوه وقوله تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله
لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون معناه ان الذين يفترون
على الله الكذب فاي شي ايهم يظنون انه يكون بحسبهم يوم القيمة ويحتمل
ان يكون معنى ما الاستفهام منصب بقوله انزل ۵ وبين تعالى ان فضل الله
على عباده ونعمه لديهم لا تحصى كثرة واكثرهم لا يقومون بشكرها وهو كقوله تعالى
وقليل من عبادي الشكور وقوله تعالى وما تكون في شان وما تتلو منه من
قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك
من مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ۵
الشان معنى معظم ۵ والافاضة الاخذ في العمل والدخول فيه والعزوب
الذهاب عن المعلوم ۵ وقيل العزوب الغيبة ۵ ومعنى الاية وما تكون
انت يا محمد ولا احد من عباد الله في شان مما امر الله به وغيره ولا تكون
من شانه وعمله تلاوة شي من القران الا والله عالم به ولا يخفى عليه شي في
الارض ولا في السما ولا مكان ولا اصغر من ذرة ولا اكبر منها ۵ والكناية
في قوله منه راجع الى القران في قول العلما كانت الكناية عنه قبل اظهاره
في الذكر لتفخيم ذكر القران لا اضمار ثم الاظهار على نحو التفخيم في قوله
اني انا الله العزيز ۵ وقال غيره الضمير في قوله منه عايد الى الشان
كانه قيل من الشان في قران وقوله تعالى الا ان اوليا الله لا خوف عليهم

ولا هم يحزنون ٥ ولي الله هو المستحق منه ثوابه وكرامته
لكونه مطيعا لله ومنقادا لامره وقيل المتحابون في الله ٥ وورد
في خبر عن النبي صلى الله عليه وقيل هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ٥ فاخبر
الله تعالى انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى الذين آمنوا
وكانوا يتقون ٥ موضع الذين نصب على انه صفة اولياء الله ٥ وقيل
رفع على المدح ٥ وقيل على الابتداء وخبره البشرى فوصف الله اولياءه
بانهم المؤمنون المتقون وقوله جل اسمه لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة ٥ اخبر الله تعالى ان لهؤلاء البشرى في الدنيا والآخرة
اما البشرى في الحيوة الدنيا فهي بشارة الملئكة عليهم السلام
للمؤمن عند موتهم ٥ وقيل هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى
له وجاء في هذا خبر مرفوع ٥ وقيل هي بشارة القرآن بصفة الامان
وقوله تعالى لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ٥ معناه لا خلف
لها ولا موضع غير ها به لانها لانها حق والحق لا اختلاف فيه بوجه ٥
ومن ان نيل ما وعد الله لهم فوز عظيم بقوله ذلك هو الفوز
العظيم وقوله تعالى ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هذه تسلية
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عما كانوا يؤذونه قولا فقوله لا يحزنك لفظه
لفظ النهي ورد النهي عن السبب المؤدي الى التأذي بالقول وفي تمام
الكلام لا ارتك ها هنا ومعناه لا انكر ها هنا وقوله تعالى ان العزة
لله جميعا هو السميع العليم ٥ العزة القدرة على كل جبار وكبرت
الا بالاستيناف والتذكير لما في الحزن لا انا بعد القول لانها ليست
حكاية عنهم والمعنى ان الله يعزك حتى تصير اعز من كل من ناواك والله
يسمع قولهم ويعلم ضمائرهم فيجازيهم بما تقتضيه حالهم وقوله تعالى

الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء ٥ موضع من للعقلاء وقد يضم اليه ما لا يعقل فيعبر
عن الجميع بمن معناه ان لله مالك من في السموات والارض فامنه بانه يملك دفع
شرهم عنه كما سلاه عن قولهم المؤذي له بقوله ولا يحزنك قولهم ووقع قوله
وما يتبع موقع اي ها هنا على تقدير واي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء بعبادتهم ٥ وقيل معنى ما ها هنا النفي كانه قيل ان الذين اتخذوا
الاصنام آلهة اشراكا بالله ما يتبعون شركاء على الحقيقة وحكم المعرفة
وانما سموا ذلك لشبهة ضعيفة وتقليدا الاسلاف وقوله جل اسمه ان يتبعون
الا الظن وان هم الا يخرصون ٥ معناه ما يتبعون الا الظن وما هم الا كاذبون
في ذلك الظن خلاف العلم كل ما كان على سبيل الظن لم يقع العلم به وما
لم يقع عن علم لم يكن عليه دليل وحجة وقوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ٥ معناه
ان الله تعالى جعل الليل والنهار نعمة من اعظم النعم عليكم لتسكنوا في الليل ويزول
عنكم التعب الذي يلحقكم وجعل النهار بحيث تهتدون فيه بالابصار
على مصالحكم وتسعون في مصالحكم وفي ذلك دلالة للمعتبر والآية تعني
الدلالة التي لا يقدر عليها الا الله جل ذكره وهذا مثل قوله تعالى وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ٥ والسكن
تابع للنعمة وقوله جل اسمه قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات
والارض ٥ هذا انكار على من قال ذلك وتوبيخ له فقالت قريش الملائكة
بنات الله ثم قالت النصارى المسيح ابن الله ٥ وقال بعض اليهود عزير
ابن الله ثم نزه الله نفسه عما اضافوه اليه وافتروه عليه بقوله سبحانه
ومن انه تعالى غني لا يجوز عليه الحاجة ومن لم يجز عليه الحاجة فكيف يجوز

له الصاحبة والولد وقوله جل اسمه له ما في السموات وما في الارض قد مر بيانه
في غير موضع وقوله تعالى ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما
لا تعلمون الالف في قوله اتقولون في صيغة الاستفهام الا انه دخلها معنى
الانكار ومعناه ما عندكم برهان وحجة على ما تقولونه وانما تقولون على
الله ما لا تعلمون وقوله تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
معناه اخبرهم ان الذين يفترون على الله انهم لا يظفرون بما يظفر به المؤمنون
ولا ينالون شيئا مما ناله المتقون وقوله تعالى متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ان ينفع متاع بعد من ذلك متاع
وهو متاع ويحمل لهم متاع ومعناه لهم في الدنيا ثم يردون الى اشد
العذاب بكفرهم وتمردهم وقوله تعالى واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت
معناه واخبرهم باقاويل نوح عليه السلام لقومه وهو انه قال لهم يا قوم
ان كان تعاظم عليكم مقامي وتذكيري بايات الله وثقل على طباعكم
معاني مجالسكم وكرهتم محاورتي فاني توكلت على الله وفوضت امري
اليه فانه يكفيني شركم ويدفع عني باسكم وقوله تعالى فاجمعوا
امركم وشركاءكم معناه قال لهم نوح على وجه التهديد والوعيد
دون الامر ليس اجماعهم وشركاؤهم كان كفرا ولا يجوز ان يامر
الله تعالى بالكفر والاجماع على امر العزم عليه وكانه قال لهم
على سبيل التهديد واعزموا انتم مع شركائكم على ما تريدون العزم
عليه وعامل الاعراب في قوله وشركاءكم محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقيل هو مفعول معه تقديره مع شركائكم وروى الاصمعي
عن نافع فاجمعوا من الجمع وقوله جل اسمه ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم

اقضوا الي ولا تنظرون الغمة ضيق الامر الذي يوجب الحزن فقال لهم
نوح عليه السلام على وجه التهديد والوعيد لا يكن امركم ضيقا فافعلوا
الي ما شئتم ولا تمهلون فاني فوضت امري الى الله الذي ارسلني الي
والانظار الامهال وقوله تعالى فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري
الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين معناه فان اعرضتم عما
ادعوكم اليه ولم تقبلوا نصحي فما احببتكم طمعا في مالكم ولا احد منكم شيئا
اجره على ما اتيت وانما اجري على الله بما حملنيه وقوله تعالى فكذبوه
فنجيناه ومن معه في الفلك معناه فلما كذبوا نوحا عليه السلام نجينا نوحا
ومن كان معه في السفينة من الغرق واغرقنا الباقين وورد في الرواية
الذين كانوا معه في السفينة ثمانين نفسا نجا من الغرق بهذا القدر وهلك
اهل الارض كلهم غرقا وجعلنا الناجين خلفا لهالكين في الارض وهو
معنى قوله وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين وقوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم
بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين
معناه ثم بعثنا من بعد نوح صلى الله عليه رسلا كل رسول الى قومه بالدلائل
والمعجزات فجاؤا بالايات على عادة من كان قبلهم في تكذيب الرسل والاعراض عن قبول
الحق فعاملناهم بما اجرينا العادة بهم في الاهلاك والعقوبة والطبع على
القلب ضرب من العقوبة كما قال الله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقد مر
بيان الطبع في غير موضع وقوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى
فرعون وملايه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين معناه وبعثنا من
بعدهم الرسل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون وقومه بالايات والمعجزات
فاستكبروا وعتوا ولم يؤمنوا بها لانهم كانوا مجرمين وقوله تعالى فلما جاءهم

الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين ٥ معناه ولما جاءهم
الحق من عند الله وهو ما اتاه الله تعالى موسى من المعجزات تعريفا
لدعواه نسبوا ذلك الى السحر وقالوا ان موسى وهرون لساحران
تموهانا على القوم ليلا يؤمنوا بهما وقوله جل اسمه قال موسى اتقولون للحق
لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون ٥ معناه قال لهم موسى
عليه السلم لما نسبوا ما ظهر عليه من المعجزات الى السحر والتمويه
اتقولون للحق انه سحر والساحر لا يفلح ابدا فقال لهم ذلك على وجه
الانكار والتقريع وانما اعيد الف الاستفهام في قوله اسحر بعد
ذكرها في قوله اتقولون على وجه التاكيد للتقريع وكانه قيل
اتقولون للحق لما جاءكم ان هذا لسحر اسحر هذا الا وقيل ذكر
ذلك على وجه التكرير كقول القائل اتقول عندك مال وقيل
اعيد على وجه حكاية قولهم كقول القائل لمن قراه اذا اتته الحق
هذا فيقول ذلك على وجه التعجب منه وقوله تعالى قالوا اجئتنا
لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما
نحن لكما بمؤمنين ٥ اللفت الصرف والالف في قوله اجئتنا الف
انكار على طريق الحجاج وقيل معنى الكبرياء هاهنا الملك ٥ وقيل
العظمة ٥ وقيل السلطان وكذلك يعرف بعضه من بعض ٥ ومعناه
ان قوم فرعون قالوا لموسى عليه السلم اجئتنا لتصرفنا عما وجدنا
عليه اباءنا وتريد ان تبدع امرا ليكون لك ولاخيك الملك والعظمه
والسلطان فلا نؤمن لكما ولا نصدقكما وقوله تعالى وقال فرعون
ائتوني بكل ساحر عليم ٥ معناه ان قوم فرعون بعد ما قال لقومه
ان موسى ساحر وليس بذلك عليهم امر بجمع السحرة الذين كانوا في

في مملكته الى حضرته مغالبة لموسى صلى الله عليه وتصديقا لعند القوم
لما قال لهم وقوله تعالى فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ٥
في هذا الكلام محذوف وهو فاتوه بهم بدلالة انهم جاءوا واجرى الله تعالى
ما كان منهم وليس قول موسى عليه السلم القوا امرا لهم بالالقا لان القاهم كان
كفرا او باطلا وانما قال ذلك لهم على وجه التحدي والالزام على تقدير
من كان عنده ما يقاوم المعجز فليات به معه حتى يظهر منزلته ٥
وقيل هو امر منه لهم بشرط ان كان معه دليل وحجة وكانه قال ان
كان معكم دليل وبرهان فاتوا به وقوله تعالى فلما القوا قال
موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ٥
ومعناه فلما القوا حبالهم وعصيهم قال لهم موسى ما جئتم به السحر
وتعلمون انه سحر وتمويه وعمل المفسدين لا يودي الى صلاح ولا رضاه
الله ولا ثناه ولا الحكم له بما يحكم به لاهل الصلاح وسيبطل الله
تمويهكم بما يفعله من المعجزات ويظهره من البرهان وقوله تعالى
ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون احقاق الحق اظهاره وتمكينه
بالدلائل الواضحة حتى يرجع الطاعن عليه متحيرا ٥ وقيل احق الحق وعد
لموسى صلى الله عليه ٥ وقيل احقه بكلامه الذي بين به معاني الايات
التي اتاها موسى صلى الله عليه وقيل احقه بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ
فدلت الاية على ان الله تعالى ينصر المحق بالحجة في كل وقت فاما بالغلبة
فلا يجب في كل وقت وقوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف
من فرعون وملائهم ان يفتنهم ٥ الذرية هاهنا الجماعة من نسل القبيلة ٥
وروي ان اباهم كانوا من القبط والامهات من بني اسرائيل ٥ وقيل سموا
ذرية لانهم اولاد الذين ارسل اليهم موسى صلى الله عليه فهلك الاباء

وأجاب لابنائه وقيل هم قوم من بني اسرائيل اخذهم فرعون يتعلم
للسحر وجعلهم من اصحابه وعائد الضمير في قوله وملائهم على الذرية
وعلى فرعون وقيل عائد على آل فرعون لانهم معلومون وان لم يذكروا والفتنة
في الدين هي المحنة التي تصرف عن الدين وقد يكون ذلك بالتهور وقد يكون بالاكراه
وقد يكون بالشبهة الداعية الى الضلال ومعناه هاهنا على خوف من فرعون
ان يكرههم على الانصراف عن الدين وقوله تعالى وان فرعون لعال في الارض
وانه لمن المسرفين معناه انه لمن المستكبرين المفسدين في الارض المعتدين
وقوله جل اسمه وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين معناه ان موسى قال لقومه ان كنتم امنتم بالله فمن حق
المؤمن بالله ان يتوكل عليه ويفوض امره اليه ويسلم له وقوله تعالى فقالوا
على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين معناه اجابه قومه
بانهم توكلوا على ربهم ودعوا الله بان قالوا لا تجعلنا فتنة للظالمين معناه
لا تمكنهم من ظلمنا بما يحملنا على الانصراف عن ديننا وقيل لا تمكنهم من
ان يظهروا علينا فيروا انهم خير منا وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين هذا انضاف دعائهم لله تعالى على وجه الخضوع فيدفع عنهم
شر الكافرين وقوله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما
بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين معناه
امرناهما بان يتخذا لقومهما بمصر بيوتا وان يجعلوا بيوتهم صلاة ومسجدا لانهم
كانوا خائفين فامروا ان يصلوا في بيوتهم وامرهما باقام الصلوة وامر موسى
ان يبشر امته بالجنة والثواب وقوله تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون
وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك الزينة ما
يتزين به من الحلي وغيرها وقيل الزينة هاهنا الصون واللام في قوله

ليضلوا عن سبيلك وقد بينا معناها في غير موضع من هذا الكتاب
وكان موسى قال ربنا انك اتيتهم الزينة ليشكروك ويتبعوا سبيلك لا
ان عاقبة امرهم الكفر بك والضلال عن دينك وكان اتيانا الزينة
والاموال كان كذلك وهو كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وهم انما التقطوه ليكون لهم قرة عين وولدا الا انه
لما كان عاقبة الامر العداوة فكانهم التقطوه لذلك وقيل فيه وجه
آخر وهو انك اتيتهم الزينة لئلا يضلوا عن سبيلك فحذفت لا كقوله
يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا عن سبيلك فحذف لا وقوله تعالى
ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين اي لئلا تقولوا وقوله تعالى
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم اصل الطمس محو الاثر دعا موسى وهارون عليهما السلم واجاب
الله دعاهما فقيل صارت اموالهم حجارة وهو الطمس عليها ومعنى واشدد
على قلوبهم صبرهم على الاقامة في بلدهم الذي يطمس فيها على اموالهم لئلا
يخرجوا الى البلاد المخصبة ومعنى فلا يؤمنوا اي لا يؤمنون الا ايمان
الجاء حين نزول العذاب الاليم وهم مع ذلك لا يؤمنون ايمان اختيار
اصلا وكان موسى عليه السلم علم ذلك باخبار الله تعالى وقيل
خرج هذا الكلام مخرج الجواب ومعناه الاخبار كما يقول اطلع الى
الشمس تغرب وموضع لا يؤمنوا من الاعراب على النصب والجزم فالنصب
على جواب صيغة الامر بالفا وعلى العطف على ليضلوا والجزم على سبيل
الدعاء عليهم وقوله تعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما اي استقيما
على دعائكما لفرعون وقومه الى دين الله على الوجه الذي امركما الله به
وروي ان موسى عليه السلم كان يدعو على فرعون وقومه وكان هرون عليه السلم

يقول آمين وقوله جل اسمه ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون معناه
لا تتبعان سبيل الجاهلين بوعدي ووعيدي ولا خلف لهما وقيل
مكث فرعون بعد هذه الآية اربعين سنة وقوله جل اسمه وجاوزنا
بني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا وقد بينا
هذه القصة في سورة البقرة فلا وجه لاعادته وقوله جل اسمه حتى اذا ادركه
الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من
المسلمين معناه ولما ادرك فرعون الغرق فزع الى الايمان بالله وبموسى
فلم ينفعه لانه كان حينئذ قد كانت زالت حالة الاختيار ولم يكن
الحال حال قبول التوبة بحصول الالجاء وزوال التكليف فلم يستحق على ما
فعل ثوابا ولم يكن بد امنه توبة وقوله جل اسمه آلآن وقد عصيت قبل
وكنت من المفسدين عامل الاعراب في الآية محذوف وتقديره الآن آمنت
لانه ظهر منه في تلك الحال ما كان يسمع منه قبل في حال الاختيار
فدل قوله الآن على تلك الحال فلم يكن في تلك تكليف واختيار لان الله قد
امره بالايمان من قبله وكان مخلفا فلو كانت تلك الحال التي اظهر
فيها الايمان حال تكليف اختيار لما ساغ في حكمة الله ابطاله ورده
وقيل المخاطب لفرعون بذلك ملك من الملائكة عليهم السلام بامره تعالى بذلك
وقيل خاطبه الله بذلك على وجه الاهانة له والتوبيخ وجعل ذلك معجزة
لموسى صلى الله عليه وقوله جل اسمه فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ليس قوله ننجيك من النجاة
لان تلك الحال كانت حال العبرة والنكال وانما معناه نلقيك على نجوة
وهي المكان المرتفع فالقاه الله تعالى من قعر البحر على رأس الماء ومعناه
فاليوم نلقي ببدنك دون روحك على نجوة من الارض لتكون علامة وعبرة لمن

يأتي بعدك فيرى ذلك على تلك الصفة بعد ما كنت تدعي الربوبية وقيل معناه
لتكون لبني اسرائيل وذلك انهم لما جاوزوا البحر قالوا لما [illegible] فرعون
فالقاه الله تعالى على رأس الماء فرأوه وهو معنى قوله واغرقنا آل فرعون
وانتم تنظرون ثم بين تعالى ان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون عن آيات الله
لاعراضهم عن النظر والتفكر فيها وقوله تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل
مبوأ صدق معناه انزلناهم منزل صدق ومكناهم احسن تمكين
ووصف المنزل بالصدق على معنى هو كالصدق في الفضل كما يقال هو حق
صدق وقيل انه صدق فيما دل عليه من جلالة النعمة وقوله تعالى ورزقناهم
من الطيبات اي الحلال اوسع ارزاقهم ونعمهم وقوله جل اسمه فما
اختلفوا حتى جاءهم العلم معناه كان اختلافهم بعد مجيء الحق بظهوره
والشاهد وفيه ضرب مثل لتوبيخهم وقوله جل اسمه ان ربك
يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون معناه ان الله يحكم بينهم
يوم القيامة فيما اختلفوا فيه فتوفي كلا ما استحقوا من الجزاء
وقوله جل اسمه فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون
الكتاب من قبلك قيل هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد غيره
كما قال تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ومعناه فان كنت في
شك ايها السامع مما انزلنا على رسولنا اليك فاسأل الذين يقرؤون
الكتاب من قبلك وهم من آمن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وكعب الاحبار وغيرهما عن صحة ذلك وعن ما اتضح لهم وقيل يسألهم
عن صفة النبي المبشر به في كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفة
وقوله جل اسمه لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
معناه لقد جاءك الحق اليقين من عند الله وهو النبي فلا تكن من الشاكين فيه

ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين
هذا انصاع على ما قال الاول كما بيناه وفيه زجر وتحذير عن التكذيب بآيات
الله وبيان ان من كذب بآيات الله كان من الهالكين الذين خسروا
انفسهم وقد بينا في غير موضع معنى خسران النفس **وقوله جل اسمه** ان الذين
حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم
معناه انهم لا الذين حقت عليهم كلمات ربك بان الله لا يؤمنون وهم قوم
باعيانهم من الكفار كان معلوم الله فيهم انه وان فعل لهم كل لطف
واتاهم كل آية فانهم لا يؤمنون ايمان اختيار واذا راوا العذاب امنوا
ايمان اضطرار وهو الايمان الذي لا ينفع وكانه قال وحقت كلمة الله على
المحقق بانهم لا يؤمنون وان فعل الله كل لطف وان اتاهم كل آية حتى يروا العذاب
الاليم فحينئذ يؤمنون ايمان الجاء وهذه الرؤية رؤية العين والالم لا
يرى وانما يرى اسبابه المؤدية اليه ونظير هذه الآية قوله تعالى ان الذين
كفروا سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون **وقوله جل اسمه**
فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين لولا بمعنى هلا وهو
على جهة التحضيض وتانيب وذهب اكثر اهل التاويل الى ان المراد به قوم
الذين اهلكهم الله بالعذاب وهم اهل القرية المذكورة في الآية ومعنى الآية
فلولا اهل قرية سوى قرية يونس آمنوا فنفعهم ايمانهم وزال به العذاب عنهم
كما آمن قوم يونس لما احسوا بنزول العذاب آمنوا فزال العذاب عنهم
والاستثناء هاهنا منقطع في اللفظ لانه بعد قرية متصل في المعنى لان معناه
فما كان اهل قرية آمنوا فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس فانتصب لانه منقطع
وهو كما قال النابغة اعيت جوابا وما بالربع من احد الا اواري

وقوله جل اسمه ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افا
نت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين معناه لو شاء الله ان يلجئ اهل الارض
الى الايمان لقدر عليه فهذه المشية مشية الالجاء واقتضى ذكر
ذلك ما تقدم من ذكره من اقامة من اقام على الكفر حتى الممات لم ينفعه لطف
ولا آية والذي يدل على صحة هذا قوله في آخر الآية افانت تكره الناس حتى
يكونوا مؤمنين معناه لا ينبغي ان تريد اكراههم على الايمان لان
الله يقدر عليه لو كان فعله حكمة محققة بذلك كما كان يلحق النبي صلى الله عليه
وآله من الغم والحزن الحرص على ايمانهم تسليه فدلت الآية على بطلان
قول المجبرة ان الله تعالى لم يزل شائيا والله لا يوصف بانه قادر على
ان يشاء **وقوله جل اسمه** وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون معناه لا يتمكن احد من الايمان الا باطلاق
الله فيه من جهة تمكينه ودواعي عقله الذي جعله الله له فالاذن هاهنا
جهة الاطلاق وقيل الامر والمعنى قريب الرجس العذاب هاهنا ومعناه
ويحل الله العذاب على الذين لا يعقلون عنه امره ونهيه وما يدعوهم
اليه وقيل الرجس السخط هاهنا وقيل فيه وجه آخر وهو ان
الرجس الكفر ومعناه على هذا الوجه ان الله يحكم الكفر حكمهم
بان يحكم بانه اهله ذما لهم وسبا فكانهم لا يعقلون فسادها
لهم وعيبا وليس معناه ان يخلق الكفر فيهم كما قاله اهل الجبر القائلين
بخلق الافعال **وقوله جل اسمه** قل انظروا ماذا في السموات والارض وما
تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون معناه تفكروا فيما فيها
من العبر والآيات في الليل والنهار وغيرها من العجائب ومن نبات
الارض ونباتها فانها تقتضي مدبرا لا يشبه الاشياء ومعنى وما تغني

الآيات والنذر ومن جعل ما نفيًا كان معناه ما تغني عنهم شيئا
دفع الضرر كما تقول القائل ما تغني عنك المال شيئا اذا لم
ينفعه في وجوهه ومن جعلها معنى الاستفهام كان معناه اي شيء
تغني عنهم اختلاف نفع او دفع ضرر اذا لم يستدلوا بهذه الآيات
وقوله جل اسمه فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل
فانتظروا اني معكم من المنتظرين ٥ معناه ان هؤلاء اذا اقاموا على
طريقة من كان قبلهم فما ينتظرون الا مثل ايام التي نزل فيها العذاب
بهم هددوا وعيد بقوله قل فانتظروا وقوله جل اسمه ثم ننجي رسلنا والذين
آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين ٥ معناه ننجي رسلنا ومن آمن بهم من
العذاب النازل بالامم الضالة كما انجينا نوحا وابراهيم ولوطا وموسى
وهارون ومن آمن بهم ووجه التشبيه في كذلك هو ان نجاة من نجي المؤمنين
كنجاة من مضى بحق على الله ٥ ومعنى حقا علينا نجيه المؤمنين من
عذاب الكافرين وجاء هذا اللفظ تاكيدا انه كذلك هذا اذ به حقا الا ان
قوله علينا يقتضي الوجه الاول ٥ وعامل الاعراب في كذلك يحتمل ان
يكون قوله ننجي الاول على تقدير ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء
ويحتمل فيه ننجي الثاني على تقدير وكذلك حقا علينا وقوله جل اسمه قل
يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله ٥ معناه من كان شاكا في امري وديني ومعتمدا على
امره ودينه فقيهم ان لا يطمعوا ان يشكوا في شككهم حتى اعبد
غير الله وقوله جل اسمه ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان
اكون من المؤمنين ٥ معناه ولكن اعبد القادر على احيائكم واماتتكم
وامرني الله ان اكون مسلما منقادا له مطيعا وقوله تعالى وان اقم

وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ٥ معناه وامرني ان استقم
بالاقبال على ما امرت به وهو عبارة عن الاقبال على الشأن بجميع الهمة ٥
وقيل معناه اقم وجهك في الصلوة بالتوجه نحو الكعبة وقوله تعالى ولا
تكونن من المشركين ٥ نهى عن الاشراك بالله وقوله تعالى ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين ٥ معناه
لا تدع من دون الله دعاء يقتضيه معنى لا تدع غير الله الها كما يدع المشركون
الاوثان الهة وقيل لا تدعه دعاء الاله في العبادة فانه لا ينفعك نفع الاله
وضره فانه لا يستحق العبادة فسواء نفع او لم ينفع لان عبادته من ينفع
احسن من الصفة وابعد من السفه من عبادة من لا ينفع ولا يضر
فان فعلت ما نهيتك عنه كنت من الظالمين لنفسك وقوله جل اسمه
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ٥ معناه ان جعل الله
الضر يمسك فلا يقدر على كشفه الا الله فصار يمس معه بادخول
الباء عليه القائمة مقام الفاء وقوله جل اسمه وان يردك بخير فلا راد
لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ٥ معناه
واذا اراد ان يتفضل عليك بضرب من النعمة فلا يقدر احد على رده
والذي اقتضى ذلك النهي المتقدم عن عبادة ما لا ينفع ولا يضر ٥ ومن
انعم بذلك يمنع العلوم انه مصلحة له وان الله يغفر ذنوب عباده
اذا تابوا واتابوا وقوله جل اسمه قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل ٥
المراد بالحق هاهنا جميع ما اتى به النبي صلى الله عليه من القرآن والاحكام
والآيات التي يهتدى بها الى الحق والصواب فمن تمسك بما اتى به فقد عمل
لنفع نفسه ونجاها من ضل عما اتى به النبي صلى الله عليه فقد سعى في هلاكه

فامر نبيه ان يقول لهم ولست عليكم بوكيل في منعكم من اعتقاد
الباطل فانظروا لانفسكم نظر من يطلب نجاته لانه قال لست
بوكيل لكم اي حفيظ من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك ٥
وقوله جل اسمه واتبع ما يوحى اليك فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ٥
معناه واتبع يا محمد ما يوحي الله اليك واصبر على طاعة الله وعلى ما
ينالك من اذى المبطلين الضالين الى ان يحكم الله بينك وبينهم وانه
اعدل الحاكمين ٥ فتح نافع حميري ياآت لي الى نفسي اني اخاف ان اجري
وفي رواية ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة
يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون ٥ ٥

السورة التي يذكر فيها هود عليه السلم مكية مائة وثلث وعشرون
آية والف وستمائة وخمس عشرة كلمة وسبعة الاف وسبعمائة وسبعة
وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه الر كتاب
احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ٥ قد بينا في اول سورة
البقرة ما قيل في معنى الحروف المقطعة المذكورة في اول السور ولا وجه لاعادته
هاهنا والمراد بالكتاب هاهنا القران ومعنى احكمت آياته انها لا تنتقض والمعنى
فصلت بالثواب والعقاب وقيل احكمت آياته منعت من الباطل ثم
فصلت بالحلال والحرام ٥ واصل الاحكام منع الفعل من الفساد وقيل احكمت
آياته بالحكمة ثم فصلت بالبيان والتفسير وقوله جل اسمه ان لا تعبدوا الا
الله انني لكم منه نذير وبشير ٥ يحتمل ان يكون ان بمعنى المصدر كقولك كتبت
اليه ان لا تخرج ويجوز ان يكون بمعنى اي ومعنى الا هاهنا الايجاب ٥ ويجوز في
العربية انا نعبد وا على خلاف الوجه الاول وهو الاخبار بانهم لا يعبدون

كما تقول كتبت اليك لا تخرج على معنى بانك لا تخرج ٥ ومعنى انني لكم منه
نذير انه رسول الله منذر للمطيعين لله بالجنة ومخوفا للعاصين
بالنار وقوله جل اسمه وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم
متاعا حسنا الى اجل مسمى ٥ معناه يمتعكم بالحياة والبقاء والنعمة في
الدنيا الى اجل مسمى وهو الوقت الذي اسمت الحيوة اليه ثم ينقطع ويكون
في الاخرة الى الابد وقوله جل اسمه ويؤت كل ذي فضل فضله وان
تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير ٥ معناه ويعطي كل مكلف على
قدر عمله في الاخرة من الثواب دون الدنيا لانها ليست دار الجزاء وهو
ترغيب في عمل الخير لانه على مقدار الجزاء صاحبه ثم قال فان اعرضتم
عما ادعوكم اليه ولم تقبلوه فاني اخاف عليكم من انتقام الله يوم القيمة
وقوله تعالى الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ٥ معناه الى الله مصيركم
بالاعادة للجزاء وقيل بالاعادة اياكم الى مثل الابتداء من انه لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا سواه وقوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا
منه ٥ اصل الاستخفاء طلب خفاء النفس ومعنى الاية انهم يثنون
صدورهم على عداوة النبي صلى الله عليه واله ويخفون ذلك منه وقيل يثنونها
على ما هم عليه من الكفر وقيل هو ثني صدره على سبيل الانحناء في
خطابه للكافر مثله وقوله جل اسمه الا حين يستغشون ثيابهم
يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ٥ الاستغشاء
بالثياب التغطي بها بالليل لا يراه احد ولئلا يرى ٥ معناه انهم يولون ظهورهم
اذا راوا النبي صلى الله عليه واله وحيث راى السهم لئلا يراهم والله تعالى
عالم بما يسرونه كعلمه باعلانهم وذات الصدر ورعاية عن الاسرار
والاحتمال ان يراد به القلب وفيه ضرب من الوعيد وقوله جل اسمه

وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها
كل في كتاب مبين ٥ معناه ما من نسمة حية في الارض الا من الله رزقه
وحده له وقد مر بيان نظير هذه الاية في سورة الانعام ٥ وما
فبلغ تاويل المستقر والمستودع فلا وجه لاعادته ها هنا وقوله
جل اسمه وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه
على الما ليبلوكم ايكم احسن عملا ٥ وقد مر بيان معنى قوله خلق السموات
والارض في ستة ايام في غير موضع من هذا الكتاب ٥ ومن تعلق ان
عرشه كان على الما في ابتدا الخلقة لها وخلق العرش على الما
ووقوعه عليه والما على غير قرار اعظم اعتبارا لذوي الافهام ٥
وقال بعض العلما هذا يدل على ان الله خلق الملائكة قبل خلق
السموات لمن خلق العرش على الما لا يستدل به ولا وجه له وهذا
مذهب من اجوز تقدم خلق جماد على الحيوان واجاز بعضهم
ذلك للمصلحة في تقديمه والاول اصح واقرب ٥ ومعنى ليبلوكم ليعاملكم
معاملة المختبر ايكم احسن عملا ٥ وقد مر بيان ذلك فيما في غير موضع
وفيه دليل على قول من قال ويكون فعل حسن احسن من حسن اخر
وقوله جل اسمه ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين ٥ معناه واذا اخبرتهم بالقيامة والبعث
قال الكافرون لكذبهم بالبعث هذا الذي يقوله تمويه وباطل ظاهر
وقوله جل اسمه ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما
يحبسه ٥ معناه ولئن اخرنا عنهم العذاب الى جماعة معدودة بانه ليس
فيهم من يومن فاذا صارت الى هذه الصفة اهلكوا بالعذاب
كما فعل بقوم نوح لما كذبوا العذاب ٥ ومعنى ليقولن ما يحبسه قالوا

على وجه الاستهزا او الانكار ما الذي يحبس العذاب عنا ان كان
الامر فيه كما تقول وقوله جل اسمه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ٥ معناه واذا اتى العذاب عليهم فلا
صارف ليعضهم واحاط بهم ما استهزوا به وانكروه فاخذهم بغتة
وهم لا يشعرون ٥ واللام في قوله ولئن لام القسم لا لام الابتدا
لدخولها على ان التي للجزا ولام الابتدا انما هي للاسم او مضارع
الاسم وجواب الجزا استغنى عنه بجواب القسم لانه اذا اتى في صدر
الكلام غلب عليه وقوله جل اسمه ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم
نزعناها منه انه ليؤوس كفور ٥ هذه صفة قليل التمييز الانسان وقليل
صبره في الشدة وترك اعتبار رجوع النعمة اليه بعد زوالها فكانه
قيل اذا زالت النعمة عنه لمصلحة بين المصلحة فلقلة تحصيله وسوء خلقه
قنط من رحمة الله تعالى وقوله جل اسمه ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور ٥ معناه ولئن
رددنا النعمة اليه بعد سلبها عنه وازالتنا كان قوله لقلة تحصيله
ذهب السيئات عني عاد الى حال التكبر والتطاول ولم يعتبر بسيئاته
مسته ولم يعتبر به ٥ واصل السيئات التي تسوء صاحبها والمراد بها هنا
المرض والفقر وما اشبه ذلك والفخر والتطاول بعد بها المنافق ٥
وقوله جل اسمه الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر
كبير ٥ صح الاستثنا بقوله الا الذين صبروا ولين لفظ الانسان ها هنا
تاويل الجمع دال قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر ٥ ومن كان مع مناجاته
يكون خلافا حاله من بعد وذكره لانه اذا انعم الله عليه شكر واذا نالت
منه نعمة صبر لانه يعلم ان ذلك مصلحة فثبت على حاله امانه وبهنه في سائر

عن الانسان

الا احوال من الله تعالى ان من كانت هذه صفته فله عند الله مغفرة
لذنوبه وثواب عظيم وقوله جل اسمه فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جا
معه ملك انما انت نذير والله على كل شي وكيل امر الله تعالى النبي صلى الله
حالى ما يلقاه من القوم تسلية له فكانه قال له قد يعظم عليك ما
يرد على قلبك من تخليطهم حتى تتوهم انهم يزيلونك عن بعض ما
انزل الله عليك وما انت عليه من امر ربك فدلت الاية على ان
النبي صلى الله عليه واله لو وقع بعض الاوقات في اظهار امر امره
الله تعالى باظهاره على وجه جاز التوقف فيه وهو انهم يصر على
وقت معلوم في اظهاره وتوقفا لضيق صدره بما كانوا يقولونه حتى
اتهموه وقالوا لو كان الامر كما تقوله وتدعيه فهلا اوتي من المال
ما تصير به غنيا وهلا انزل معه ملك من السما بحيث يشاهد فسلاه
الله عز ذلك الضيق بقوله انما انت نذير ومعناه وليس عليك الا البلاغ
ومعنى والله على كل شي وكيل مدبر لكل شي وحافظ له وفيصل الامر وبث
في الحكم الكبير بعد الجزاه والفرق بين الضائق والضيق ان ضائق عارض
خلاف اللازم وضائق هاهنا احسن لانه عارض ولانه اشكل بتارك
وقيل ان سبب ذلك كان في ورود الامر باظهار ولاية امير المومنين عليه
السلام فوقف فيه النبي صلى الله عليه واله وسلم لان قومه كانوا احدثي
العهد بالجاهلية وكان يشفق على نقطر دما لله وحي الله فاولئك
حقدوا عليه فنزلت هذه الاية ثم نزل بعدها الاية وهي قوله يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته
والله يعصمك من الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه عند نزول هذه الاية

وهو يقول يهدده ويعده ليس بهوى وتكذبوني احب الى من ان
يعد نبي الله ثم كان منه ما كان من امر الغدير وقوله جل اسمه
ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين هذه الاية انما التحدي
لمن ادعى ان القران ليس من عند الله وانه افتراه محمد صلى الله عليه
وقد مر بيان نظيرها في البقرة وهو قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله
ان كنتم صادقين ومعنى ام هاهنا التقرير بصيغة الاستفهام
على تقدير بل يقولون افتراه وقوله فاتوا ليس بامر وانما معناه التحدي
وان جا اللفظ على صيغة الامر فكانه قيل ان اصلهم في التكذيب
يوجب المعارضة ومطالبتهم بها على تقدير الافترا لما ادعوا على النبي
صلى الله عليه واله ومعنى مثله في البلاغة ولا يكون ان يكون مثله في
الجنس لان مثله في الجنس يكون حكايته وهو مقدور لهم وقوله تعالى
فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل
انتم مسلمون قال بعض العلما هذا الخطاب للمومنين فكانه قال لهم
فان لم يستجيبوا لكم الى المعارضة فليعلم الجميع بهذا الدليل
ان القران انزل بعلم الله على محمد صلى الله عليه واله وسلم على معنى انزله
الله وهو عالم به فاقيم لفظ العلم مقام العالم قال الشاعر
ترتع ما رتعت حتى اذا ادركت فانما هي اقبال وادبار اي مقبلة
ومدبرة وقال بعضهم هذا الخطاب للمشركين على معنى فان لم
يستجب لكم من تدعونهم الى المعاونة والمعارضة ولم يتهيا لكم المعارضة
فقد قامت عليكم الحجة فاعلموا انه كلام الله ومعنى بعلم الله فيه علم

قيل انه يعلم الله انه حق من عند الله ٥ وقيل يعلم الله بمواقع
التقدير في علو طبقته ٥ واعلموا ان لا اله الا هو واسلموا له لمن
قامت عليه مثل هذه الحجة لزمه الانقياد ٥ وقوله تعالى من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ٥ التوفية
تادية الحق على التمام والبخس نقصان الحق ومعناه ومن اختار الحيوة الدنيا
على الاخرة بعمل في الدنيا شيئا من انواع البر وفينا اليه جزاه في الدنيا
وليس له في الاخرة الا النار ٥ وقيل هذا العمل هو مثل ان يصل الكافر
رحما او يعطي سايلا او يرحم مضطرا او نحو هذا من اعمال البر فيعجل
الله له جزا عمله في الدنيا اما بسعة الرزق واقرار العين بالاحوال
والنوال او دفع المكاره عنه في الدنيا ٥ وقيل ان هذا في الغزو
مع النبي صلى الله عليه وآله يوخذ فيه سهم الغنيمة دون ثواب الاخرة وهذا
الوجه مختصر لانه في صفة المنافقين والاول عام ٥ وجزم نوف لانه
تعبير من يريد الحيوة الدنيا نوف وصار كانه في تعدية الزيادة
فلا تعتد بها ٥ وقيل العرب تصح له كان كقوله تعالى ان كان قميصه
قد من قبل الايه ٥ والحوار يملها في غير كان لانه امر الافعال وقد
جاء في الشعر ضرورته كما قال زهير ٥ ومن هاب اسباب المنايا ينلنه
وقال امير المومنين عليه السلم هذه الايه في كلام له ذكره في الزهد
في الدنيا وهو قوله والله ما دنياكم عندي الا كسفر على منهل حلوا اذ صاح
بهم سائقهم فارتحلوا ولا لذاتها في عيني الا كحميم اشربه غساقا
او علقم اتجرعه زعاقا او سم افعى اسقاه دهاقا او قلادة
من نار اوهقها خناقا ولقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من
راقعها وقال لي اقذف بها قذف الاتن لا يرتضيها ليرقعها فقلت

له اغرب ٥ عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم
غيابات الكرى ولو شيت لتسربلت بالعبقري المنقوش
من ديباجكم ولاكلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم ولشربت
الماء الزلال برقيق زجاجكم ولكن صدق الله جلت عظمته في
قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون اولايك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط
ما صنعوا وباطل ما كانوا يعملون فكيف استطيع الصبر على نار لو
قذفت بشررها الى الارض لاحرقت نبتها ولو اعتصمت نفس بقله
لانضجها وهج النار في قلتها ٥ وهذا الكلام طويل وانما
اخذت موضع الحاجة اليه ثم ذكر عليه السلم ما جرى بينه وبين
اخيه حين طمع ان يعطيه شيئا من بيت المال زيادة على نصيبه
فاحمى امير المومنين عليه السلم حديدة ومس بها جلد عقيل فتالم
منه عقيل فقال عليه السلم اتان من حديدة احماها انسانها للعبه
وتجرني الى نار سجرها جبارها من غضبه اتان من الاذى ولا اان
من لظى فسيان ما بين الحالين حال حبيب اخاه وقد طمع في شي قليل
ورحل يودي ... رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعطيه من بيت
مال المسلمين ما لا الفرض لهم للقرابه بينه وبينه وكفى بهذا عبره
للمعتبرين ٥ وقوله جل اسمه اولايك الذين ليس لهم في الاخرة الا
النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ٥ بين الله تعالى
ان من كانت هذه صفته ما ذكره في الايه الاولى فلا نصيب له في
الاخره وكان ثواب ما عمله باطلا وذكر لفظ باطل بعد ذكر لفظ
الحبوط ليحقق ذهاب ثوابه في الاخره وقوله جل اسمه افمن كان على بينة

من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك
يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ٥ خبر افمن محذوف وتقديره
افمن كان على بينة من ربه كمن لا بينة معه ومعناه افمن كان على دلالة وحجة من عند الله
ويتبعه شاهد منه يكون كمن لا دلالة معه ولا شاهد يتبعه فحذف [illegible]
واقسم لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا ومعناه لو
جاء رسول غيرك لدفعنا ولعلنا لكنك والذي على بينة من ربه هو النبي صلى الله عليه
ومعنى يتلوه شاهد منه قيل المراد جبرئيل عليه السلم يتلو القرآن وهذا عند
من تأول التلاوة على القراءة ٥ وقيل يتلوه شاهد منه هو لسانه وقيل
يتلوه بعده وهو وصيه وخليفته التابع له وهو امير المؤمنين عليه السلم يدلك
على صحة هذا التخصيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا المعنى في غير موضع منها قوله
عليه السلام علي مني وانا منه وفي خبر آخر هو خلق من طينتي وخلقت من طينته
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ٥ ومنها حديث براءة حين
قال جبرئيل عليه السلم لا يبلغها الا انت او رجل منك فدعا عليا عليه السلم ووجهه
خلف ابي بكر حتى رده وقد حكى الله عن موسى عليه السلم ما دعى به وهو قوله واجعل
لي وزيرا من اهلي هرون اخي ٥ وضمن الله تعلى هذا المعنى قوله ان الله اصطفى
آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم
وهذا يدل على ان خليفة رسوله شاهده على خلقه وقوله تعلى ومن قبله كتاب
موسى اماما ورحمة ٥ وهو التوراة يشهد بصحته لاجل البشارة التي فيه وانتصب
اماما على الظرف الذي في قوله ومن قبله كتاب موسى ٥ وقيل انتصب على معنى
ويشاهد من قبله كتاب موسى اماما ٥ ومعنى اولئك يؤمنون به ان المؤمنين الذين
تمسكوا بالبينة التي عليها رسول الله صلى الله عليه وآله هم الذين يؤمنون به ومن يكفر

به من الاحزاب وهم الذين اجتمعوا على عداوة رسول الله صلى الله عليه
وآله فالنار موعده ٥ وقيل الخطاب في قوله فلا تك في مرية للرسول والمراد
به سائر المكلفين وكانه قيل ولا تكونوا في شك ان القرآن من عند الله
وانه حق ويحتمل ان يكون المراد به فلا يكن ايها السامع في شك ثم بين ان
اكثر الناس لا يؤمنون بالله والنبي والقرآن وقوله تعلى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد ٥
معناه لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب يخرج الكلام مخرج
الاستفهام للمبالغة في انه اظلم لنفسه من كل ظالم اذ لا يصح
جوابه عمن هو اظلم منه ٥ ومعنى يعرضون على ربهم وقوفهم في الموقف
للمطالبة بالاعمال ٥ وقوله تعلى ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ٥ معناه ويقول الملئكة والانبياء
عليهم السلم لانهم يشهدون الله على خلقه على سبيل الذم لهم والتوبيخ هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله عليهم وفي ذلك غاية افتضاحهم في ذلك
الموقف وقوله جل اسمه الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم
بالآخرة هم كافرون ٥ هذه صفة الذين لعنهم الاشهاد وبين انهم هم الذين
صدوا عن سبيل الله وطلبوا العوج في دين الله وكفروا بالآخرة ٥
والعوج بكسر العين في الدين والعوج بالفتح فيما خالف الاستواء لكونه عودا
وقوله جل اسمه اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء
ومعنى الاعجاز هو الامتناع من المراد ٥ معناه لا يفوتون الله لانه قادر
على اخذهم بما كسبوا ولا ولي لهم من دون الله يدفع عذاب الله عنهم وقوله
جل اسمه يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون ٥ معنى يضاعف لهم العذاب على قدر كفرهم ومعاصيهم

في الدنيا وهو ان يعاقبوا عقابا بعد عقاب من غير ان يعاقبوا عقابا
لا يستحقونه وليس معناه ان الكافر اذا استحق جزاء من العذاب في وقت
على فعل فعله فالله يعاقبه جزائين من العقاب على ذلك الفعل بل هذا الكون
طبا فذكر مضاعفة العذاب بحسب مضاعفة الكفر والمعاصي الواقعة
منهم ه ومن قوله تعالى انه ثقل عليهم سماع الحق فما كانوا يعرفونه ولا يهتدوا علم
ولا بصيرة وهو من قول القايل لا استطيع ان امشي معك على معنى يثقل
وقوله جل اسمه اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
معناه انهم اولا الذين تقدم ذكرهم خسروا انفسهم بان اهلكوها بما فعلوه
من المعاصي ذهب عنهم الانتفاع بافترائهم الذي كان منهم في الدنيا ه وقيل ذهب
عنهم الاديان التي كانوا يؤملون بها الانتفاع ووجد الانصالات التي والاباء
صار خسروا صلة للذين وصار انفسهم مفعول الصلة وصار وضل معطوف
الصلة وصار عنهم متعلق معطوف الصلة وصار ما فاعل معطوف الصلة
وصار كانوا صلة فاعل معطوف الصلة وصار يفترون خبر فاعل معطوف
الصلة وهو تمام الاية وقوله جل اسمه لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
قيل هم فصل من الكلام والاخسرون خبران ه وقيل هم اسم مبتدا وخبره
الاخسرون والجملة خبر ان وهذا الفصل لا يقع في النكرة كقولك كانوا
في الدار هم قاعدون فها هنا لا يكون الا ابتداء ولو قلت كانوا في الدار هم
القائمين على الفصل جاز وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصا
لحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ه معناه
ان المؤمنين المطيعين لله الخاشعين المتواضعين له هم اصحاب الجنة
خالدين فيها ابدا ه والاخبات الخشوع وقيل الانابة وقيل الاطمينان
الى ذكر الله تعالى وقيل الخشوع للمحافظة للثبات في الفلك ه وقيل السكون

الجوارح على جهة الخشوع لله ه وقيل انما قال الى ربهم في موضع
لربهم لان حروف الاضافة يقوم بعضها مقام بعض اذا تقاربت
معانيها كما قال تعالى بان ربك اوحى لها اي اليها وقيل لانهم عدوا
باخباتهم الى الله قصدوا ونحوا وقوله تعالى مثل الفريقين
كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ه
ضرب الله تعالى مثلا للكافرين الذين تقدم ذكرهم والمؤمنين
الذين اخبتوا الى ربهم فشبه الكافرين بالاعمى والاصم وشبه المؤمنين
بالله بالسامع البصير [illegible] وجعلت الواو وفيه لعموم التشبيه
على العدين حال الكافر من حال الاعمى وحال الاصم وحال من جمع
العمى والصمم ه وقيل المعنى واحد وانما دخل الواو لاتصال صفة
الناس بالاولى بعلاقة وقوله جل اسمه ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه اني لكم نذير مبين ه اللام في قوله ولقد لام القسم لا تدخل
على الفعل والحرف الذي يختص بالفعل ما يصح معناه معنى قد ويقع
الخبر على التقريب من الحال كقول القايل قد ركب الامير [illegible] الله
تعالى انا ارسلنا نوحا عليه السلام الى قومه منذرا لهم ومخوفا
لعقاب الله وقوله جل اسمه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم ه معناه كان في [illegible] سال نوح عليه السلام
انه قال لقومه ان الله قد ارسلني اليكم بان امركم
الا تعبدوا الا اياه واخوفكم لعقابه ان كفرتم وعصيتم
وهو عذاب الاخرة لا نذار الجزا ويجوز ان يكون موضع ان
نصبا على معنى من غير ان لا تعبدوا الا الله ه ويجوز فيه الجزم
على النهي لا تعبدوا وانما قال عليه السلام اخاف عليكم ولم

كان عذاب الكفار على البعض لانه لم يبد الى ماذا يؤول حالهم من
كفر وايمان وتوبة والاليم بمعنى المولم فوصف اليوم به لان الالم
يقع فيه بسببه لا به وقوله جل اسمه فقالوا ما نراك الا بشرا مثلنا
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي الاراذل
من الناس المجهولون الذين جهل ذكرهم معناه ان قوم نوح قالوا
له عليه السلام لما دعاهم الى الايمان بالله ورسوله انت بشر مثلنا
وما نرى من اتبعك الا اراذلنا واذا كانت حالك هذه فمن اي وجه
يجب علينا متابعتك وهذا كان من فرط جهلهم بطريقة الاستدلال
لانهم عدلوا عن النظر في دلايله ومعجزاته المصدقة لدعواه الى الاحتجاج
بما طريقه مراعاة احوال الدنيا في الغنى والفقر والعز والذل عند اهلها
وقوله تعالى بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين
بادي الرأي اول الرأي على معنى اول ما نراهم يرونهم والرأي بالروية ومنه
قوله تعالى يرونهم مثليهم رأي العين وهو نصب على المصدر كقولك ضربته اول
الضرب وقيل انتصب بقوله اتبعك على معنى هو الا اتبعوك اول الرأي من غير
فكر وتأمل انهم اتبعوك اي اتبعوك بغير شيء يدل على تقدير برأي غير سديد هو على
سبيل التجوز والمجازفة ومعنى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم
كاذبين لا نرى لكم علينا زيادة على الخير واتاهم هذا الجهل ايضا
بطريق الاستدلال لانهم لو نظروا الى معجزة نوح عليه السلام لاداهم ذلك
الى العلم بان ما علمه القوم كله فضل ولم يقولوا انهم بل نظنكم كاذبين
وقوله جل اسمه قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني
رحمة من عنده فعميت عليكم هذه مناظرة حسنة جرت بين
نوح عليه السلام وبين قومه في باب التدرج الى الزام الحجة البينة

ها هنا هي البرهان من جهة المعجزة والرحمة ها هنا النعمة
بالنبوة وذكر الرحمة في هذا الموضع للتنبيه على انهم ما ادعوه
انه ليس له عليهم فضل وبين ان له ذلك من جهة هدايته الى الحق
بالبرهان المؤدي الى العلم وانا فاق فعميت عليكم وان كانوا هم
عموا عنها ليس تقديره خفيت عليكم لاجل انكم لم تستدلوا بالبرهان يق
المؤدي لها ويجوز ان يكون هذا ايضا على جهة التصرف في
الكلام من غير اخلال بالمعنى لظهوره في باب الافهام كما يقال
ادخلت الخاتم في اصبعي وان كانت الاصبع دخلت فيه
وقوله تعالى انلزمكموها وانتم لها كارهون معناه
انضطركم الى موجب البينة من العلم بكراهيتكم لذلك
نستطيع معه تكليفكم الا الاستدلال بالمعجزة المؤدية الى المعرفة
اذا اضطررتم الى حال الضرورة وقيل معناه انما علينا ان ندلكم بالبينة
ولسنا على ان نضطركم الى المعرفة وفي قوله انلزمكموها ثلثة
من الضماير ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغايب
ورتبت ترتيبا حسنا لانه بدا بالمتكلم لاختصاصه بالفعل
ثم بالمخاطب ثم بالغايب واجاز بعض النحويين انلزمكمها بالجزم
لجعله بمنزلة عضد وكتف وبينهما فرق لان الاعراب لا يلزم فيه
النقل كما يلزم في ابتدا الكلمة واحتمل مثله في الضرورة في الشعر
وقوله تعالى ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على الله معناه
لا اطلب منكم على ما اتيت به من الرسالة والديانة وتحملت من
المشقة مالا فليس اجري في ذلك الا على الله وقوله تعالى وما انا
بطارد الذين امنوا لانهم سالوه ان يطردهم اي يطرد من امن به

من اوسط الناس ليوهمنا الاسراف الفقه واستخفافا ان يكونوا
معهم وفي طبقتهم ۝ وتصديق ذلك قوله تعالى حكاية عنهم انؤمن لك
واتبعك الارذلون فقال لهم نوح عليه السلام لست اطردهم لا
المومنين وان كانوا عندكم ارذال الناس لان الله تعالى اوجب
تعظيمهم وان كانوا فقراء وحرم تعظيمكم وان كنتم اغنياء منظورين
لاجل انكم ابناء الدنيا بمقدار وان هولاء المومنين ملاقوا ربهم وعليهم
من الجزاء العذاب من طردهم ۝ ومعنى تجهلون هاهنا انكم
تجهلون انكم خير منهم لانهم مومنين بهم فاعرضتم عن النظر في هذا
واخذتم في طريقة التكاثر بالاموال والتنافس فيها وهذا
جهل مفرط وقوله تعالى ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ۝
لفظ النصرة اذا اقترن بحرف من كان معناها المنع من الشيء واذا
اقترن بحرف على كان معناه المعونة عليه حتى يغلب واذا اقترن بالى
كان معناه جامعا كما قال تعالى من انصاري الى الله اي مع الله ومعنى الاية ان
طردتهم فمن يدفع عذاب الله عني وقد دلت الاية على بطلان قول المجبرة لان الله
اذا كان يشفع لما قال من ينصرني من الله ۝ ومعنى تذكرون اي
تتذكرون ذلك فتعتبرون فيه ۝ وقوله تعالى ولا اقول لكم عندي خزائن
الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يوتيهم
الله خيرا ۝ خزائن الله مقدوراته لانه يوجد منها ما يشاء وكانه عليه السلام
قال لا املك نفعي فوق قدرتها فاقول عندي خزائن الله وقيل معناه لا اقول
عندي خزائن الله فادعوكم على ان اعطيكم منها ولا اقول اني اعلم الغيب
لان الله تعالى يعلم ولا اقول اني ملك لاني بشر ولا اقول ان الذين

تستحقرونهم وتستخفون بهم حين امنوا بي ان الله لا يوتيهم
ولا يعطيهم ولا يثيبهم وقوله تعالى والله اعلم بما في انفسكم اني اذا
لمن الظالمين معناه ان ظاهر حالهم يقتضي استحقاق الثواب
والله اعلم بما في ضمائرهم واني ان فعلت شيئا من ذلك من الظالمين ۝
وقوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين ۝ قالوا له هذا ضجرا من كلامه وسامة من احتجاجه
واستدلاله ثم قالوا على سبيل الاستبعاد لما تهددهم من
العذاب واستهزاء به فاتنا بما تعدنا وقوله تعالى قل انما ياتيكم به الله
ان شاء وما انتم بمعجزين ۝ فاجابهم نوح عليه السلام بما حكى الله عنه وهو
ان الله يصيبكم بما اوعدكم به اذا جاء وقته فلا تفوتكم ذلك ولا
تفوتونه وقوله جل اسمه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ۝ الاغوا
التخييب يقال غوى بمعنى خاب واغوى بمعنى خيب ۝ قال الشاعر
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وقال اخر
والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطي الهبل ۝ وهذا
الشرط في المعنى من الاول لن معنى الاول عنا لم تقبلوه مني واذا
لم تقبلوا اراد الله عقابكم وعذبكم وكيف ينفعكم نصحي ان كانت
الحال هذه وجعلت الارادة مشروطة وان كانت واقعة بالظاهرة
بالحجة لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا لما نفع من لا
يقبله فان كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته لكفركم به
فلا ينفعكم نصحي والاغوا هاهنا التخييب عن الرحمة ولو كان
الاغوا معناه الاضلال عن الدين كما قالت الجهال لصار الامر والنهي

وبعث الرسل عبثا والله تعالى عنه لانه اذا اراد الله اضلاله
فالنصح وغير النصح سواء وكيف ينفعهم قبول النصح والله يصرفهم
عن قبوله كما قال الجهال ولا المنصح هذا كان معنى الاية اذا كنتم لا
تتعظون بعظتي ولا تسمعون مني ان الله ليغويكم بذنبه ولا تصغون الى
الحق والله يعلم منكم ذلك فاذا كانت هذه حالكم استحققتم العذاب
على ما تفعلونه وكيف ينفعكم نصحي فان الله تعالى لا يخيب من رحمته
الا من ضل عن دينه واعرض عن قبوله ۵ ومعنى قوله هو ربكم واليه
ترجعون اي الله سيدكم ومالككم وانكم ترجعون الى جزائه
وتحصلون على عقابه حيث لا ينفعكم استدراك ما فات
والندم على ما سلف منكم وقوله تعالى ام يقولون افتراه قل
فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون ۵ معنى ضمن هذا الكلام
هو خبر نوح عليه السلم ووعيده وتهديده لقومه وكانه قال
ان كنت افتريته فعلي عقاب جرمي وان كانت الاخرى فعليكم
عقاب تكذيبي وتعلمون اوبال قولي وقيل هو خطاب محمد صلى الله عليه
واله وسلم وكانه قيل هو ذو مروه وصيانه ولا يستحق ذلك معا فيستبين
العذاب في الاخرة والعار في الدنيا فهو محتاج قوي ۵ ومعنى وانا بريء
مما تجرمون اي ليس علي من اجرامكم عائد ضرر بل عائد الضرر عليكم
وقوله تعالى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون ۵ معناه والله اعلم واعلم الله نوحا وعرفه انه لا يؤمن من قومه احد
ممن قد امن لانه لا يمكن معرفته من جهة العقول فلا تعترف بفعلهم
فانه لا يلحقك بؤس حزن لاجلهم وقوله تعالى واصنع الفلك باعيننا
ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ۵ معناه واصنع

الفلك باعيننا بحيث نراها فذكر العين على طريق البلاغه
لان العقول دلت على ان الله تعالى مستحيل عليه ذلك الجارحه
وقد يقال تعالى لك فلان بمراى ومسمع حيث اراه وقد قيل
لحفظنا اياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك ۵ ومعنى
ووحينا على ما اوحينا اليك ان اصنعها واتخذها وقيل على
انه لا ذا اهلاكهم اخاله لما في معلوم منهم لانهم لا يصلحون
البتة ولا يؤمنون كما نطقت الاية الاولى فلا تخاطبني في احد منهم
بشيء فان العذاب غير مردود عنهم وقوله تعالى ويصنع الفلك
وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه ۵ الفلك السفينه
والواحد والجمع فيه سواء ۵ والملا الجماعة من اشراف الناس
ومعناه كان نوح صلى الله عليه يصنع السفينة وقومه يمرون به
كانوا يسخرون منه لاجل ما يفعله ۵ وورد في الخبر ان
سخريتهم كان لاجل انه كان عليه السلم يعمل تلك السفينة في البر والما
هنالك فكانوا اذا مروا به يتضاحكون ويسخرون والفعله
ويعجبون مما هو بصدده لانهم لم يعرفوا عاقبة ذلك ۵ وقيل كان
طول تلك السفينة الف ذراع وعرضها ستمايه ذراع ۵ وقيل كان
طولها ثلثمايه ذراع وعرضها خمسون ذراعا وبابها في عرضها
وقيل كانت السفينة ثلاث طبقات طبقة للناس وطبقة للطير
وطبقة للدواب والوحوش وقوله تعالى قال ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم ۵ معناه ان نوحا عليه السلم قال لقومه ان
سخرتم منا بسبب اتخاذنا السفينة وصنعها فانا نسخر منكم
كما هذا على من اوجه الكلام مع ان السخرية قبيح لا ...

نجازيكم بالذم لكم على سخريتكم على قدر استحقاقكم للذم
ومثله قوله تعالى نسوا الله فانساهم انفسهم ؛ معناه نسوا طاعة
الله بان تركوها فجازاهم الله على نسيانهم اياها ؛ وقيل معناه
ان تستجهلونا فانا نستجهلكم كما تستجهلونا ؛ قوله جل اسمه فسوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ؛ قيل ان
من ها هنا بمعنى اينا وكانه قيل لهم تهددا وتوعدا فسوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويلزمه عذاب دائم ؛ وقيل من بمعنى
الذي وتقديره فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه

قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور ؛ قال ابن عباس
كان التنور تنور الخبز يخرج الماء من موضع لم يعهد الخروج منه
وهو معجزة لنوح عليه السلام وعلامة ليعلم به وقت مجيء العذاب
وقيل كان التنور تنور آدم عليه السلام ؛ وروي عن امير المؤمنين
علي صلوات الله عليه انه قال التنور وجه الارض ؛ ومعنى
فار ارتفع ما فيه وعلا ؛ وقيل معنى فار نبع ؛ ومعنى الآية
حتى اذا جاء امر الله وهو الطوفان وفار التنور بالماء
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ؛ معناه امر
نوحا عليه السلام ان يحمل في السفينة من كل صنف من الحيوان
زوجين ذكرا وانثى ؛ واصل الزوج واحد له شكل الا انه كثر
استعماله في الرجل الذي له امراة ؛ وقال بعض العلماء في تاويل
قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين ان السماء زوج والارض زوج
والشتاء والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج ؛ والفرد هو
الله تعالى ؛ قوله جل اسمه واهلك الا من سبق عليه القول ومن

آمن ؛ معناه واحمل اهلك ايضا في السفينة ومن آمن بك الا ابنك
حاما وامراتك فانهما كانا كافرين والمستثنى من الاصل ابنه وامراته
وهما المراد بقوله الا من سبق عليه القول ؛ قوله جل اسمه وما آمن
معه الا قليل ؛ ذلك اخبار من الله تعالى ان الذين آمنوا به كانوا عددا قليلا
وورد في بعض الروايات انهم كانوا ستة عشر نفسا وفي رواية كانوا
ثمانين وفي بعضها ثمانية نفر والاشهر في الروايات ثمانين وهي رواية
ابن عباس ؛ قوله جل اسمه وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها
ومرساها ؛ معنى ذلك ان نوحا عليه السلام قال لقومه لما
قرب وقت الطوفان اركبوا السفينة باسم الله مجراها ومرساها
ومعنى مجراها اجراؤها ومرساها اثباتها ووقوفها يقال اجرى
يجري اجراء ومجرى فهما مصدران من اجرى ؛ وقيل مجراها وقت
اجرائها ؛ وقيل هو موضع الاجراء ؛ وقيل في مرساها هذه الوجوه
الثلاثة واصل رسا ثبت ؛ وورد في الروايات ان نوحا عليه السلام
كان اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله فاذا هي جرت
واذا اراد ان تسكن وتقف قال بسم الله فاذا هي سكنت
؛ وقيل عامل الاعراب في بسم الله اركبوا على تقدير اركبوا
بسم الله ويحتمل ابتدؤوا بسم الله ويجوز باسم الله اجراؤها وارساؤها
ووجه اتصال قوله ان ربي لغفور رحيم بما قبله اتصال المعنى بما يشاكله
وكانه لما ذكر النجاة بالركوب في السفينة ذكر النعمة بالمغفرة
والرحمة لتجلب الطاعة كما اجلبت النجاة ؛ قوله جل اسمه وهي تجري
بهم في موج كالجبال ؛ معناه كانت السفينة تجري بهم في موج عظيم
كعظم الجبال ؛ قوله جل اسمه ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني

اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ٥ معناه ونادى نوح ابنه وهو
حام وكان قد اعتزل ناحية ولم يركب السفينة مع من امن بالله
لانه كان كافرا منافقا فقال له ابوه اركب في جملة المؤمنين ولا تكن
في حزب الكافرين ٥ وفي يابني ثلاث لغات بالتصغير وبالاكبر
وبالاضافة وقوله جل اسمه ساوي الى جبل يعصمني من الماء هذه
حكاية جواب حام لانه لما امتنع من ركوب السفينة فقال
اوي الى جبل لئلا يصل الماء الي فقال في اللغة اوى الى مكان كذا
اي رجع اليه ٥ ومعنى يعصمني يمنعني لان العصمة المنع في اللغة
وقوله جل اسمه قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ٥ معناه
ان نوحا عليه السلام قال له لا مانع اليوم من امر الله الذي يريد
ان يفعله الا من رحم الله بان ينجيه ٥ وقيل هذا الاستثناء
منقطع وكانه قيل لا عاصم اليوم لكن من رحم فهو معصوم ٥ وقيل
لا عاصم الا من رحمه بنجاته كانه قيل لا عاصم الا الله ٥ وقيل
الا من رحمه نجاه وهو نوح عليه السلام ولم يكن حام ملجا في تلك الحال
الى ترك الكفر لانه لم يكن حصل له العلم بان الغرق كاين لا محاله
ولم يحصل له توفر الدواعي الى السن اذ احصر بعض ايات الله تحصل
الا الجاه ٥ وقد دعاه نوح عليه السلام الى الركوب في السفينة مع
المؤمنين لانه كان ينافق ويعده باظهار الايمان ٥ وقد دعاه
ان يومن او لا يركب وقوله جل اسمه وحال بينهما الموج فكان من
المغرقين ٥ معناه منع الموج من نوح ومن ابنه لان الموج علا
فحال بينه وبين رؤيته فغرق وهلك وقوله جل وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي

وقيل بعدا للقوم الظالمين ٥ معناه خرج هذا الكلام مخرج
الامر المامور على جهة التعظيم لفاعله وهو كنحو قوله كن
فيكون وقد بينا معناه في غير موضع من هذا الكتاب ٥ ومعناه
امسك الله المطر من السماء ونزل الى بطن الارض ما فار
من العيون ٥ ومعنى غيض غاب والغيض غيبة الماء في الارض
ومعنى وقضي الامر اي وقع الهلاك بقوم نوح والقضاء وقوع الامر
على تمام واحكام ٥ واستوت السفينة على الجودي وهو جبل بناحية
املك ومعنى بعدا للقوم الظالمين بعدهم عن الخير ويجوز
ان يكون بعدا مذكورا على جهة الدعاء ويجوز ان يكون
الله تعالى قال ذلك لهم ويجوز ان يكون ذلك من قول المؤمنين
والنصب بعدا على المصدر ٥ وفي هذه الاية من البلاغة
وجوه كثيرة منها مخرج الكلام مخرج الامر على عظم ما بينه ٥
ومنها حسن تقابل المعاني ٥ ومنها حسن البلاغة في الالفاظ ومنها
حسن البيان في تعديد الحال ٥ ومنها الايجاز من غير اخلال ٥ ومنها
تسهل الفهم على اتم الكمال مما عليه هذا الكلام في النظم واللفظ
البديع وقوله جل اسمه ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني
من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين ٥ فعيل
استعمل نوح عليه السلام ما في طبع البشر من التعطف على
الولد وقد قال الله تعالى لنوح احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك الا من سبق عليه القول فدعا نوح ربه بانك قد وعدتني
انك تنجي اهل بيتي من الغرق وهذا الابن من اهل بيتي ومن
المؤمنين عندي وقد كان هذا الابن ينافق اباه ولم يبد ذلك

ولذا دعا نوح عليه السلام لابنه الذي قد يدعو بما يظهر فيه الشريطة
بدلالة الكلام او الحال فيعرف انه لم يقع الشرط في شرطه وقوله تعالى
قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح ٥ معناه قال الله
ان ابنك ليس من اهلك الذين وعدت ان انجيهم من الغرق
وكانه قال ليس من اهل دينك وليس هو على طريقة المومنين
الذين وعدنا تخليصهم من الغرق لانه كان ولده من صلبه
فلم ينفعه النبوة وانما نفى انه ليس من المومنين وقد قال بعض
المفسرين انه لم يكن ابنه من صلبه وكان لغير رشده وهذا
تشنيع لا يلحق الانبيا عليهم السلام والصحيح هو القول الاول
وقوله تعالى انه عمل غير صالح ٥ جا هذا على المبالغة من الصفة
كما قالت الخنسا ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ٥
اي هي مقبلة ومدبرة ٥ وهي تصف الناقة وحنينها الى فصيلها
وقيل سوالك هذا عمل غير صالح وقوله تعالى فلا تسالن ما ليس
لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين ٥ فنهاه عن ذلك
معناه فلا تسالني عن ان نجي من الهلاك من لا تعلم انه مومن
فاني اعظك او اعظي ان تسالني ما تجهل عنه لئلا تكون من
الجاهلين بامر نكره وحذف لئلا لدلالة الكلام عليه ٥
وقيل معناه لا تعلم ان هذا جائز في حكمتي لان هذا من سوال
الجاهلين فنهاه ٥ عن ذلك والصحيح هو القول الاول وقوله تعالى
قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي
وترحمني اكن من الخاسرين ٥ معناه ان نوحا عليه السلام
استعاذ بالله من سوال ما لا علم له ٥ ومعنى تعوذه سواله اياه

ان يلطف له حتى لا يقع منه في المستقبل مثل ما وقع فدلت الاية على جواز
وقوع الصغيرة من الانبيا عليهم السلام وبين تعالى انه كان في دعائه لربه
انك ان لم تغفر لي ما وقع مني كنت من الخاسرين وكان الدعا عادة ما تعوذ به
منه له ٥ وقوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم
ممن معك ٥ معناه اهبط من الجبل الى الارض بسلامة منا وبنجيتنا اياك قد
رزقناكها ٥ وبركات الله نعمته فكانه قيل انعمنا عليك وعلى جماعات
كانوا معك ٥ وقيل كانت معه جماعات من الحيوانات وعد الله تعالى بان
يبارك فيها حتى يكثر نسلها وقوله تعالى وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا
عذاب اليم هذا اخبار عما يكون في المستقبل ٥ معناه ويكون في الارض
جماعات نمتعهم في الحيوة الدنيا فيفعلون المعاصي ولا يتوبون منها
يستحقون عذابا شديدا فنعذبهم في نار جهنم خالدين فيها ابدا
تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ٥ الاشارة بقوله تلك الى
الانبا الذين تقدم ذكرهم على تقدير تلك الانبا من انبا الغيب ونحن
نوحيها اليك وهذه الانبا ما كنت تعلمها ولا تعلمها قومك ايضا ٥ قيل
احسان الله بها اذ لا سبيل الى العلم بها الا باحسان الله تعالى ثم
امر نبيه صلى الله عليه واله وسلم بالصبر على ما يرى من اعدا الله الى ان يحكم بينه
وبينهم وبين ان الجنة التي وعد الله انما هي لمن اطاع الله واتقى بان
جانب المعاصي خوفا من عقاب الله وقوله جل اسمه والى عاد اخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ٥ معناه وارسلنا
الى قوم عاد اخاهم هودا صلى الله عليه وكان اخاهم نسبا لا دينا
لانهم كانوا كفارا وكان هود عليه السلام مسلما وقد مر بيان ذلك في غير

موضع ٥ وانما صرف عادًا لانه ذهب الى معنى الحي ٥ فدعا هودًا عليه
السلم الى عباده الله وحده قومه ونهاهم عن عباده الاوثان وعباده كل
معبود من دون الله واختار بعض القرا حمل الصفه ها هنا اعني قوله غيره
على الموضع لان فيها معنى الاستثنا فكانه قيل ما لكم من اله الا هو ولا يجوز في
هذا الاستثنا الحمل على اللفظ الواجب لا تدخله من الزايده وقوله اسمه
ان انتم الا مفترون معناه ما انتم الا كاذبون في ادعايكم الاها غير
الله وقوله تعلى يا قوم لا اسالكم عليه اجرًا ان اجري الا على الذي فطرني
افلا تعقلون ٥ معناه ان هودًا قال لقومه لست اطلب منكم
شيا من حطام الدنيا على ما اتيتكم به من عند الله ودعوتكم اليه
وما اجري الا على خالقي الذي ارسلني اليكم ٥ وفي قوله افلا تعقلون تنبيه
وانكار ومعناه افلا تعلمون ان ما ادعوكم اليه وما اقول وافعل حق
فاذا فكرتم فيه واستدللتم بما يجب الاستدلال به علمتم ان جميع
ذلك حق وقوله تعلى ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل
السما عليكم مدرارًا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ٥
معناه ان هودًا عليه السلم قال لقومه توبوا الى الله من ذنوبكم
يوسع عليكم ارزاقكم ٥ والمدرار المطر الذي يدر شيا بعد شي دايما
ويزدكم الله قوة فدل ذلك على ان التوبه وطلب المغفره يجلب السعه في الرزق
والقوه ثم نهاهم عن الاصرار على المعصيه وعن الاعراض عن دين الله الذي
يدعوكم اليه مصرين على ما انتم عليه من المعاصي وقوله اسمه قالوا
يا هود ما جيتنا ببينه وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمومنين ٥
هذا حكايه جواب قوم هود له فقالوا ما جيتنا بحجه واضحه ونحن لا نترك
عباده هذه الاوثان لقولك ولسنا نصدقك في قولك وفيما تدعونا اليه

من عباده الله وحده وقوله تعلى ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسوء ٥ يقال اعتراه الشي اذا اجتاه واصابه ٥ ومعناه ما نقول
الا ان بعض الهتنا اصابك بجنون وخبل في عقلك فنسبوا كلامه
الى الهذيان والخبل انما قالوا انا ما نقول الا هذا وان كانوا يقولون
لنا اشيا كثيره من غير هذا ٥ معناه ما نقول في سبب اختلاف
ما وسبك الا هذا وقوله تعلى قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بري مما تشركون من دونه ٥ معناه اني اشهد الله على برائتي
منكم ومما تعبدون من دونه واشهدكم ايضا على ذلك وقوله تعلى
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ٥ فكيدوني ليس بامر وانما
هو اخبار عن الثقه بانهم لا يصلون اليه بسو وكيد وهذا موجود
في عرف الكلام ٥ وانما قلنا انه ليس بامر لان كيدهم يكون كفرًا
والامر بالكفر كفر وهذا لا يكون على الانبيا عليهم السلم ٥ والانظار
الامهال وانما جاز النصب في قوله من دونه لانه على التخيير في الوقف
والوصل يحسن الوقف على بري مما تشركون ويحسن ان يوصل
بما بعده والوقف وقفان وقف كافي ووقف تام والوقف
الكافي هو ان يحسن الوقف عليه ولا يحسن الاستيناف بما بعده
والوقف على بري مما تشركون من هذا الجنس ٥ والوقف التام هو
الذي يحسن الوقف عليه ويحسن الاستيناف بما بعده نحو قوله واياك
نستعين ثم استانف قوله اهدنا الصراط المستقيم ٥
وقوله تعلى اني توكلت على الله ربي وربكم ٥ معناه ان هودًا عليه
السلم قال لهم اني فوضت امري الى الله مالكي ومالككم وسيدي وسيدكم
وقوله تعلى ما من دابه الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط

مستعمره اصل الناصيه الاتصال من قولهم مفازه ناصي
معروفه مفازه قال الشاعر في ناصيها بلاد ره
والله اخذ ناصيه كل دابه من بصرها على عاده معروفه
في اذلالها وكل دابه بهذه المنزله في الذله لله تعالى ثم قال ان
امر ربي يجريه لخلقه على صراط مستقيم لا خلل فيه ولا اضطراب
فهو يجري على سبيل الحكمه والعدل والصواب وقوله تعالى
فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم معناه فان
اعرضتم عما ادعوكم اليه فليس ذلك لتقصير من جهتي في ابلاغ
الوحي لله وانما هو لسوء اختياركم في الاعراض عن نصحكم
وقوله جل اسمه ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي
على كل شي حفيظ معناه فان الله يهلككم وياتي بقوم اخرين
بعدكم يورثهم دياركم واموالكم ولستم تضرون الله بكفركم
شيئا وانما تضرون به انفسكم والله حفيظ على كل شي فيحفظ من
الهلاك من يشا ويهلك من يشا فهذا معناه هاهنا وقيل
حافظ لاعمال العباد حتى يجازيهم عليها وقيل يحفظكم من ان تضروا
بشي وقوله جل اسمه ولما جا امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمه
منا ونجيناهم من عذاب غليظ معناه ولما انزل الله العذاب بقوم هود
عليه السلم وكان عذابا غليظا شديدا نجا هود ومن امن معه من
ذلك العذاب فامنهم الله من عذاب الدنيا والاخره وقوله جل اسمه
وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد
العنيد العاتي الطاغي يقال عرق عنيد اذا كان لا يرقي دمه
معناه ان عادا كذبوا بايات الله وعصوا هودا عليه السلم

كما عصوا الرسل الذين كانوا قبله وكانت حجتهم قامت عليهم
لانهم دعوا الى عباده الله كما دعا هود عليه السلم الى ذلك
فخالفوا الرسل على هذا الوجه واتبعوا في ذلك رؤساهم
الضالين الطاغين وقوله جل اسمه واتبعوا في هذه الدنيا
لعنه ويوم القيامه معناه لعنهم الله في الدنيا والاخره
وقوله جل اسمه الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود
ذكر هذا على وجه الذم والتوبيخ لهم وانتصب بعدا باضمار
الفعل وتقديره بعدهم الله بعدا فوقع بعدا موقع الابعاد كما
وقع نباتا موقع الانبات في قوله والله انبتكم من الارض نباتا
وقوله جل اسمه والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره معناه ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وكان
اخاهم نسبا لا ديانه وقد مر بيان ذلك في الايه الاولى وبيان
دعوته لقومه ولا وجه لاعادته وقوله تعالى هو انشاكم من الارض
واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب
قيل معناه ان الله خلق اباكم ادم من التراب فلما كانوا ولده
صح ان يقال لهم ان الله انشاكم من الارض يقول معناه خلقكم
في الارض فاقيم من مقام في كما تتعاقب حروف الصفات بعضها بعضا
ومعنى استعمركم فيها جعلكم عمارها بان مكنكم فيها واقدركم
على عمارتها وقيل استعمركم هاهنا بمعنى اعمركم وكانه قال
اعمركم على معنى ان الارض جعلها لكم طول اعماركم فهو من
العمرى ثم دعاهم الى طلب المغفره والتوبه من الذنوب بقوله
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب اي قريب

اي قريب الرحمة والاجابة وهو من قرب الاسراع لا قرب المكان لان
الله تعالى يستحيل عليه الكون في المكان ويعلم ذلك عقلا ۝ وكان
مستقر ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكان عاد باليمن
وقوله جل اسمه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا
ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ۝
معناه ان قوم صالح عليه السلام قالوا له لما دعاهم الى عبادة الله
وحده والى خلع الانداد قالوا له قد كنت فينا مرجوا من قبل هذا
وقالوا له ذلك لانه كان منه لهم قبل الدعاء مبرة ومعروف
بالامانة والخير فلذلك توهموا واعتقدوا ان عبادة الاوثان
قربا الى البر والخير فلما نهاهم عن ذلك قالوا له قد كنت عندنا برا تقيا
امينا فلم تنهانا عن فعل البر والخير الذي كان يفعله اباؤنا وانا
لفي شك مما تدعونا اليه مريب ۝ وجعل المريب من صفة الشك مجازا
لان المريب هو الذي فعل ما يوجب الريبة وانما قالوا له انا لفي شك وان كانوا
قد اعتقدوا خلافه على تقدير انما اشبه لا يوجب العلم وانما
يقتضي الشك وكانوا قالوا ذلك بجهلهم بطريقة الاستدلال واعراضهم
عن النظر فيما اتى به صلى الله عليه وقوله جل اسمه قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربي واتاني منه رحمة ۝ خرج هذا الكلام مخرج الالزام
ويغني عن الجحد وليس لقوله ارايتم مفعول لانه ملغى كما يلغى اذا دخل عليه
لام الابتداء في قول القائل ارايت لزيد خير منك ۝ ومعنى الاية كانه
قال ان كنت على بينة من ربي واكرمني بالنبوة فمن اجابتكم الى ما تدعوني
اليه فقد عصيته ۝ والرحمة النعمة والمراد بها النبوة هاهنا لا يكون
لي ناصر يدفع عذاب الله عني وقوله تعالى فمن ينصرني من الله ان

عصيته فما تزيدونني غير تخسير ۝ دخلت ان في هذا الكلام
الجزاء وجواب الاولى الفاء التي في قوله فمن ۝ وجواب الثانية محذوف
يدل عليه ان عصيته فمن ينصرني الا انه استعمل لا اول بل يظهره ومن
هاهنا معناها النفي ومخرجها الاستفهام كانه قيل فلا ناصر لي من
الله ان عصيته بعد بينة من ربي ونعمه وقيل جاز الغاء ارايت لدخولها
على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد ولو انفردت من غيرها وهو
يتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها ۝ ومعنى قوله فما تزيدونني غير
تخسير ما تزدادون الا الخسار بالاحتجاج بعبادة ابائكم ما عبدوه
من دون الله وقال تزيدونني كانهم كانوا يعطونه بذلك ۝
وقيل معناه ان اجبتكم الى ما تدعونني اليه كنت بمنزلة من يزداد
الخسران ويجوز ان يكون معناه فما تزيدونني على ما انا عندكم الا خسرانا
وقوله جل اسمه ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في
ارض الله كانت اية الله في تلك الناقة انها خرجت من صخرة وهم
يشاهدونها وكانوا طلبوا من نبيهم ذلك فقالوا له ان كنت صادقا
في دعواك فادع الله ان يخرج ناقة حاملا من الجبل من الصخرة
الملساء فاخرج الله الناقة منها على تلك الصفة وهم ينظرون
اليها وجعل لها الشرب جار ماء القوم جميعا فقسمه بينهم وبين تلك الناقة
فلها شرب يوم ولهم شرب يوم وهذا كان من اعظم الايات وهو
اعجبها وقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب ۝
نهاهم رسول الله صلى الله عليه صالح عن الاضرار بتلك الناقة
وعن منعها عن الكلا والماء واخبرهم بانهم ان فعلوا ذلك
نزل بهم عذاب الله عن قريب ۝ وقوله تعالى فعقروها فقال

تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب ٥ التمتع اصله التلذذ
والمراد بقوله داركم دار الدنيا لا دورهم التي كانوا يسكنونها فقال لهم
نزل العذاب بكم بثلثة ايام وذلك وعد صدق غير مكذوب وبعد عقر تلك الناقة احمر ثمود
وضربت العرق المباركة [illegible] الشوم وكانت علامة نزول العذاب ما قال لهم صالح عليه السلم
ان وجوهكم تصبح في اليوم الاول مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة
وهذه طريقة مظاهرة الحجة على العباد المتمردين **وقوله جل اسمه** فلما جاء امرنا نجينا
صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز ٥
معناه فلما نزل العذاب بقوم صالح انجى صالحا عليه السلم ومن امن معه من ذلك
العذاب ومن الخزي الذي نزل باولئك الكفار ومن يعلى انه قوي عزيز
وقد مر في غير موضع معنى العزيز والقوي **وقوله جل اسمه** واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين الصيحة والصياح واحد ولهذا جاء
بلفظ مذكر ٥ وربما يونث لفظ الفعل على معنى الاسم وربما يذكر على ظاهر
لفظ الاسم وورد في **الرواية** ان جبرئيل عليه السلم صاح بهم صيحة فصاروا
جاثمين على ركبهم هامدين ٥ وقيل يجوز ان يكون الله احدث الصيحة
في حلق حيوان وعند بعض العلماء من المتكلمين لا يكون الصيحة الا حدوث
صوت في حلق حيوان [illegible] واصل الجثوم السقوط على الوجه وقيل القعود
على الركب ٥ وروي ان الصيحة اسمعتهم ليلا فاصبحوا خامدين في ديارهم على هذه
الصفة والعرب تقول في تعظيم الامر واسوء صباحاه
كان لم يغنوا فيها ٥ يقال غني بالمكان يغني اذا اقام به ومعناه صاروا
خامدين في تلك البلدان بعد ان كانوا احياء اصحاء سالمين حتى كانهم لم
يكونوا في تلك الديار وعلى هذا المعنى يقول قايلهم كانهم لم يحاوروا
ولم تغن بهم والوصال مولف ٥ وقول الاخر كان لم يكن بين الحجون الى
الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر ٥

وقوله جل اسمه الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود ٥ معناه ان
قوم صالح عليه السلم كفروا بالله ورسوله فاهلكهم الله بالعذاب
الذي مر بيانه ٥ وقد مر بيان معنى قوله بعدا في الاية التي قبلها فلا اوجب
لاعادته **وقوله جل اسمه** ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى ٥ معناه
ان الملئكة عليهم السلم نزلت **ببشارة** ابرهيم عليه السلم وكانت تلك البشارة ان
الله يهب له اسحق ولدا ويجعله رسولا وقيل كانت تلك البشارة بشارة
هلاك قوم لوط عليه السلم **وقوله جل اسمه** قالوا سلاما قال سلام ٥ معناه
ان الملئكة لما دخلوا عليه قالوا سلاما فرد عليهم ابرهيم بقوله سلام ٥
والنصب الاول على معنى قوله سلمت سلاما على معنى الدعاء له والثاني على
معنى عليكم سلام وقال بعض النحويين ارتفع سلام لانه خبر تكرم
قال ابرهيم هولاء ان شاء الله من السلم **وقوله تعلى** فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ ٥ الحنيذ المشوي ٥ وقيل حسن نضج ٥ ومعناه ان الملئكة عليهم السلم
لما دخلوا على ابرهيم لم يلبث طويلا حتى قدم اليهم عجلا مشويا وكان وجه
تقديم الطعام اليهم انه توهم لما اتوه في غير صورتهم انهم اضياف ولو علم انهم
ملايكة لعلم انهم لا يطعمون ٥ وقيل اتوه في صورة الادميين واستضافوه
وقوله تعلى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة ٥
معناه فلما راى ابرهيم عليه السلم لا يتناولون الطعام استنكرهم واضمر
خوفا والايجاس الاحساس وقيل الاختسا [illegible] وقيل الاضمار ٥ وكان
وجه الخوف منهم لما لم تصل ايديهم الى الطعام وانه راهم شبابا اقويا وكان
ابرهيم عليه السلم نزل طرفا من الاطراف لما لم يصيبوا من طعامه ان
ذلك لشر وبلاء ٥ وقيل انه علم انهم الملئكة عليهم السلم دعوا الله ان يحيي
العجل فطفر العجل حيا الى مرعاه ٥ وقيل كان وجه اتيانهم على سبيل

الاضياف اتوا ابرهيم عليه السلام على صفة لم يحبها لانه كان عليه السلام يحب
قرى الاضياف وقيل انهم اتوه مجرا من مقدور الله في صورهم
مع البشارة له بالولد على الكبر وقوله تعالى قالوا لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط ٥ معناه انهم قالوا لابرهيم صلى الله عليه لما
رأوا فيه امارة الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وقوله جل اسمه
وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ٥
معناه ان امرأة ابرهيم عليه السلام كانت قائمة بحيث ترى الملائكة
فضحكت سرورا بالسلامة وما زاد في ذلك السرور ما كان
من البشارة ٥ وقيل كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلام
الملائكة عليهم السلام ٥ وقيل كانت قائمة لخدمة الاضياف وابرهيم
عليه السلام جالس ٥ وفي ضحكت عدة اقوال ٥ روي عن مجاهد انه قال
ضحكت يعني حاضت وانكر ذلك علما اللغة وكلهم حمله على الضحك
المعروف وخرجوا له وجوها منها انها ضحكت تعجبا من حال قوم
لوط اذ اتاهم العذاب وهم في غفلة ومنها ضحكت تعجبا ان يكون
لها ولد وقد هرما ومنها ضحكت تعجبا من حال الاضياف في امساكهم
من اكل الطعام وقوله جل اسمه وبشرناها باسحق ٥ بشرت بانه
سيعيش لترى يعقوب بن اسحق وارتفع يعقوب على الاستئناف
وهو بمعنى البشارة وقوله جل اسمه قالت يا ويلتا االد وانا عجوز
وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب ٥ معنى يا ويلتا ابدان يوزوج
لا ميتا لفظيع الهايل كما تقول العرب يا لك اها والالف في قوله يا ويلتا
الذي فيه وجاز ان يكون للاضافة ٥ ومعنى الايات ان المرأة قالت
تعجبا ايكون لي ولد وانا عجوز وبعلي شيخ ولهذا قالت ان هذا لشيء عجيب

ولم يكن ذلك انكارا لمقدور الله وانما كان تعجبا من موقع البشر
للبشارة به وقد يقع الضحك في مثل ذلك اذا ورد على النفس شيء
من هذا الجنس من غير فكر فيه وكان وقوعه فيرى من اجل شيئا عجيبا
فضحك لذلك تعجبا لا انكارا له كما ان موسى عليه السلام ولى مدبرا
لما القى العصا ورآها حية تسعى حتى قيل له اقبل ولا تخف انك من
الامنين ولم يكن ذلك من موسى لشك في مقدور الله تعالى وورد
في الخبر انه كان لابرهيم صلى الله عليه في ذلك اليوم مائة سنة ولسارة تسع
وتسعون سنة وروي كان له مائة وعشرون سنة ولها تسعون سنة فلما
رأت المرأة ذلك الامر العجيب وهي هرمة وزوجها هرم ولم تكن
العادة جارية بولادة مثلها فضحكت تعجبا وفرحا به ٥ وقيل تعجبت
من ان يكون ذلك حالها وحال زوجها على ما هما عليه من الكبر
او يكون الولد اذا ارجعهما الله الى حال الشباب وقوله تعالى
قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه
حميد مجيد ٥ الالف في قوله اتعجبين من امر الله الف تنبيه وتوقيف
وان كانت في صيغة الاستفهام وليست الف انكار لما بينا من حالها
ومعنى رحمة الله دعاء لهم بالرحمة والبركة ٥ وقيل هو تذكير بنعمة الله وبركاته
عليهم والحميد المستحمد الى عباده بكثرة نعمه واحسانه والمجيد الكريم
وقوله جل اسمه فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ٥
الروع الفزع ٥ ومعناه لما علم ابرهيم عليه السلام بسبب مجيء الملائكة عليهم السلام
والاقوى على الصفة وزال خوفه الذي وجده اخذ في المجادلة وجواب لما محذوف
التقدير فلما ذهب عنه الروع جعل يجادلنا في قوم لوط فحذف الجواب لدلالة
الكلام عليه ٥ ومعناه يجادل رسلنا ٥ وقيل معناه يسلنا في قوم لوط

وقيل كانت مجادلته للملائكة عليهم السلم ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم
بمن فيها ٥ وقيل كان جادلهم ليعلم باى شى استحقوا عذاب الاستيصال
وقيل جادلهم ليعلم ان العذاب واقع لا محالة ام هو على سبيل الاخافة
لينيبوا الى الطاعة وقوله جل اسمه ان ابرهيم لحليم اواه منيب ٥
الحليم الذى لا يعاجل بالعقوبة ٥ والاواه الرجاع التاوه خوفا من العذاب
وقيل الاواه الدعاء هو الكثير الدعاء ٥ وقيل الاواه المتاوه ٥ والانابة
الرجوع الى الطاعة عند الصادق وروى ان ابراهيم عليه السلم كان ذا
احتمال المرء اذاه وقوله جل اسمه يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك
وانهم اتيهم عذاب غير مردود ٥ معناه اعرض عن هذا الجدال في
قوم لوط لان العذاب نازل بهم لا محالة وقد جاء امر الله تعلى للملائكة عليهم
السلم بعذاب قوم لوط ٥ وقيل جاء اهلاكهم ما لا مرد له لان عذاب الله نازل
بهم لا مرد له وقوله جل اسمه ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا
وقال هذا يوم عصيب ٥ معناه ولما جاءت الملائكة وهم رسل الله الى قوم
لوط عليه السلم سيء بهم ومعناه ساءه مجيئهم والضمير الذى في قوله بهم راجع
الى الرسل ويجوز تخفيف الهمزة من سيء القاء الحركة على ما قبل الهمزة ولما
راى لوط جمال صورة الرسل وقد التمسوا منه الضيافة وقومه كانوا
يسارعون الى امثالهم بالفاحشة وضاق بهم ذرعا لهذه العلة ويروى
ضاق بهم ذرعه وقيل ضاق بهم ذرعا اى ضاق عن حفظهم من قومه ذرعا
لما لم يجد سبيلا الى حفظهم عن مخازى قومه وقوله تعلى وقال هذا يوم عصيب
اى شديد عسير وقوله تعلى وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون
السيئات الاهراع الاسراع في المشي وانما اسرعوا الطلب للفاحشة
حين اعلمتهم عجوز السوء حالهم وقالت لهم بان ابنت احسن وجوها ولا

اطيب الحب ولا الطف بنا منهم ٥ وقد كان هؤلاء القوم قبل مجي
الرسل يعملون السيئات وهى اتيانهم الذكور ٥ وقيل انما كان
من قبل لانهم كانوا قد الفوا الفاحشة وجاهروا بها ولم يتحاشوا
عنها وقوله تعلى قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم ٥ عرض لوط
عليه السلم بناته عليهم طلبا في تركهم الفاحشة وابرحانهم عنها
وقيل هذه البنات كن بنات صلبه ٥ وقيل كانت بنات امته لانهن
كبنات صلبه في الحكم وقوله تعالى واتقوا الله ولا تخزون في ضيفي
اليس منكم رجل رشيد ٥ معناه ان لوطا عليه السلم قال لهم
اتقوا عذاب الله بترك هذه الفاحشة ولا تعملوا شيئا يخزوني
بهجر ما سيئا عن ضيفي ٥ ثم قال على وجه التوبيخ والاستبطاء الرشد لهم
اليس منكم رشيد وهؤلاء وان كانوا مشركين فلا يمتنع في
شريعة لوط تزويج المسلمة من المشرك ٥ وروى انه قد كان
ذلك جائزا في صدر الاسلام ويحتمل ان يكون هذا القول منه
مقرونا بشرط الاسلام وكانه قال لهم بناتى ازكى لكم
واطهر ان تزوجوهن بشرط الاسلام وهو ان تسلموا
وان وحكم البنات ٥ ولم يجز الخليل وسيبويه هن اطهر
لكم بالنصب وقوله جل اسمه قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من
حق وانك لتعلم ما نريد ٥ معناه لسن بناتك لنا ازواج لنا فيكون
لنا فيهن حق ولسنا نعلمهن بذلك ٥ وقيل معناه ليس لنا فيهن حاجة
نعلوا ساولها لا حاجة فيه لهم بمنزلة ما لنا وليس لنا حق فيه وقوله جل اسمه
قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد ٥ جواب لو محذوف
كانه قيل لو ان لي بكم قوة لحلت بينكم وبين ما هممتم به من الفساد

او ارجع الى قوم لهم باس وشده وقوه وعزه يمنعوني واستعين بهم
ازري وقوله جل اسمه قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك
فاسر باهلك بقطع من الليل معناه ان لوطا عليه السلام لما وقف
على ما جاوا له قالوا له ادخلهم فاذن لهم في الدخول عليه فلما دخلوا
طمس جبرئيل عليه السلام على اعينهم وعميت على ابصارهم فخاطب
الملئكة عليهم السلام للوط ابشر باهلك اى اذهب بهم لئلا فان
العذاب نازل بقومك وقت الصبح والقطع هي القطعة العظيمة
تمضي من الليل وقيل هي نصف الليل كانه قطع بنصفين وقيل هو طائفة
من الليل وقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها
ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب اى اذا هممت
باهلك وهم الذين امنوا فقل لهم لا يلتفتوا ولا ينظر احد منهم وراءه
وقيل لا يلتفت الى ماله ومتاعه الذى خلفه بالمدينة بعد همه الله
الجري على هذا الحال في الخروج عن تلك المدينة واستثنى امراته لانها
كافرة واخبر بانه يصيبها من العذاب لكفرها ما يصيب اولئك
القوم واخبر ان موعد العذاب وقت الصبح ثم قرب ذلك بقوله اليس
الصبح بقريب بهولا للاسره ويجوز الرفع في ولا يلتفت على البدل
احد ويجوز النصب على الاستثناء من فاسر باهلك وقوله جل اسمه
فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل
منضود معناه فلما جاء امرنا الملئكة عليهم السلام بتعذيب القوم وقيل
لما جاء امرنا للعذاب فكانه لكن هذا على سبيل التعظيم لذلك وطريق
المجاز وقد اشبعنا القول في قوله كن في السبع الاول وهو كما قال القائل
فقالتا له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب

والعين لا قول لهما وانما حالهما مقام القول ويجوز ان يكون الامر بمعنى
الهلاك ومعناه فلما جاء الهلاك وهذا كما يقال لامر او لشيء مما يعني
جعلنا عاليها سافلها اعطى جبرئيل من القوة ما تمكن معها
من قلب المدينة ظهرا لبطن حتى صار السفل علوا والعلو سفلا
وامطرنا عليهم الحجارة بعد ان صار عاليها سافلها والسجيل حجارة
في شبه حجارة الثلج والبرد وقيل هو فارسي معرب سنك وگل
وقيل هو شديد الحجارة قال ابن مقبل ضربا تواصى به الابطال سجينا
الا ان النون قلبت لاما وقيل امطر من مثل السجيل في الارسال والسجل
الدلو قال الفضل بن العباس من يساجلني يساجل ماجدا يملا
الدلو الى عقد الكرب وقيل هو من اسجلته اى اعطيته ونظيره
من مثل في العطية الاكثار وقيل هو من السجل وهو الكتاب ونظيره
من مكتوب الحجارة وفي القران كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وهي
حجارة كتب الله ان يعذبهم بها وقيل من سجين اى من جهنم الا بدلت
النون لاما وقيل من سجيلا اى من السماء الدنيا وهي تسمى سجيلا ومعنى
منضود نضد بعضه على بعض حتى صار حجرا وقيل منضود في المتابع
مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد المسومة المعلمة ومعناه
جعلت لتلك الاحجار علامات لتدل على انها معدة للعذاب وذكر اهل
التفسير فاهلكهم الله بتلك الاحجار وكانوا اربعة الاف ومعنى
عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها ولا في شيء منها الا باذنه فاذا امر
الملك ان يمطرها على قوم فعل ذلك باذنه وقوله وما هي من الظالمين ببعيد
معناه وما هي من ظالمي قومك ببعيد يا محمد وقوله تعالى والى مدين
اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره معناه وارسلنا

الى مدين شعيبا عليه السلم قيل انهم كانوا من ولد مدين بن ابرهيم عليه
السلم ه وقيل مدين اسم للقبيلة ه وقيل اسم للمدينة ه معناه ارسلنا
شعيبا اليهم فدعاهم الى عبادة الله وحده وترك عبادة الانداد
والاصنام وقوله جل اسمه ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم
بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ه نهاهم عن تطفيف
المكيال وبخس الميزان فقال اني اراكم بخير الذي راهم به حصل الشعر
وقيل الحال وزينة الدنيا وخوفهم نزول العذاب بهم ان قاموا
على كفرهم ولم يومنوا ولم يتركوا عبادة الاوثان ووصف اليوم
بالاحاطة وان كان من نعت العذاب على الحقيقة لان اليوم محيط
بعذابه لذكر احاطته بعينه وذلك اهول في النفس واظهر في الوصف
وقوله تعالى ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ه القسط العدل
يقال اوفى حقه ووفى بمعنى اعطاه تمامه ومعناه انه امرهم بتسوية الكيل
تمامه والوزن تمامه من غير نقص ولا تبخسوا الناس اشياءهم ه معناه
ولا تنقصوهم حقوقهم فيما تزنون لهم وتكيلون لهم وقوله جل اسمه
ولا تعثوا في الارض مفسدين ه معناه لا تضطربوا بالقبيح مفسدين
في الارض وقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مومنين ه تقديره بقية
الله من نعمه خير لكم ه وقيل بقية طاعة الله لمن ثوابها يبقى ابدا
وكانه قيل هذه البقية خير من تعجلكم ان ينفع بالبخس والمعصية والبخس
في الكيل والميزان وشرط ذلك بالايمان على معنى ان من كان مومنا
عرف صحته وقوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ ه معناه ولست مقتدرا
ان احفظ عليكم ذلك ه وحد ايصال ذلك بما قبله انه دعاهم الى حفظ
النعمة باتقاء عليهم بترك المعصية من غير انكار عليه في حفظها

لانه لا يحفظ النعمة عليهم الا الله تعالى ثم اقسمهم بان يطيعوا الله
تنبيها لذلك بقولهم وقوله تعالى قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباونا ه معناه لما شاهدوا منه فعل الصلوات
والخيرات نسبوا ما امرهم به ونهاهم عنه اليها استكثارا
لامره اياهم بترك عبادة الاصنام التي كان يعبدها اباوهم فكانهم
قالوا على طريقة الاستكبار والتعجب ان الذي يفعله هو
من باب الخير وان تصلي وتفعل الخيرات فصلواتك تامرك
بان تنهانا عن فعل الخيرات وليس هذا من طريقة من يفعل الخير
وقيل معناه ادينك يامرك فعبر عن الدين بلفظ الصلوة
وقوله تعالى وان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد ه
ليس ان الثانية وهي قوله وان نفعل معطوفة على الكلمة
الاولى وهي قوله ان نترك وتقديره ان نترك فعل ما نشاء من
اموالنا وان ادوا فقولهم انك لانت الحليم الرشيد الاستهزاء
على العذر من كان حليما رشيدا فليس يجب ان ينهانا عن الخير
وهو لجهلهم ظنوا ان ما كانوا يفعلونه من عبادة الاوثان هو طاعة
وخير ه وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد عند قومك والذي
[illegible] نهيا عما تمسكنا به عابلون فاحسناه قل
جواب ان محذوف وتقديره ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه
رزقا حسنا افاتبع ما انا عليه من عبادة ربي اافعل مع هذه
الحال الموجبة لها ووصف الرزق بالحسن لانه موقعه عنده وقيل
المومنان عما هو عليه ان كل رزق حسن ه وقيل الرزق ها هنا
النبوة وقيل وجوه النعمة التي كان عليها النعمة والمعجزة والدلالة

على مدين العالم قدرها لا يشبهه شيء وقوله تعالى وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه معناه لا انهاكم عن شيء وافعله فاكون كمن ليس
مستبصرا فيه هذا كما قال القائل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك
اذا فعلت عظيم وقيل لست انهيكم عن منفعة احرزها الى نفسي
وقوله تعالى ان اريد الا الاصلاح ما استطعت معناه لا اريد الا
الاصلاح على قدر وسعي وابذل فيه مجهودي وقوله جل اسمه وما
توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب التوفيق من باب اللطف
وهو فعل ما يتفق عنده استحقاق الثواب بلا فصل وكانه لا يحصل
حتى ما استحق به عليه الثواب الا باللطف من الله وليس يحصل اللطف
للعباد على ما في مقدور الله انما يحصل على ما في معلوم الله ولهذا
يختص فيكون لواحد دون اخر وقوله عليه توكلت واليه ارجع يعني
وقيل ارجع الى موضع حكمه بين العباد وقوله جل اسمه ويا قوم
لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود
او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد معناه انه قال لقومه لا
يحملنكم معاداتي وبغضكم لي على ان تفعلوا ما تستحقون عليه مثل ما
استحقه قوم نوح وصالح عليهما السلام فيصيبكم من العذاب مثل ما اصابهم
قال وعهدكم بقوم لوط وما نزل بهم قريب وقوله جل اسمه واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود فدعاهم الى طلب المغفرة من
الله تعالى والتوبة ليرحمهم الله ويحبهم والودود المحب وقيل هو
المتحبب الى خلقه بالنعم وقوله جل اسمه قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا
مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا معناه انهم قالوا لشعيب عليه السلام
نحن لا نعلم كثيرا مما تقول وكانهم حملوا كلامه على الهذيان ونسبوه اليه

[illegible] وقالوا انا لنراك فينا ضعيفا وقيل ضعيف البدن وقيل
ضعيف البصر وقوله جل اسمه ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا
بعزيز معناه ولولا رهطك لرجمناك مكان قومك وقبيلتك لرجمناك
بالحجارة وقيل شتمناك ولست بعزيز علينا وقوله تعالى قال يا قوم ارهطي
اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا الا اعز الا اقدر والا منع
لقتاله واليهم على وجه التوبيخ تراعون حق رهطي ولا تعبدون الله
حق قدره ولا تعرفونه حق معرفته وقوله جل اسمه واتخذتموه وراءكم ظهريا
الظهري جعل الشيء وراء الظهر والهاء التي في قوله اتخذتموه راجعة الى اسم
الله تعالى وقيل راجعة الى امر الله ومعناه نبذتم امر الله وما جاء به شعيب
رسول الله وراء ظهوركم وقوله تعالى ان ربي بما تعملون محيط
[illegible] عالم وقوله تعالى ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون
معناه تهديد ووعيد والمكانة قيل لهم قد مكنكم في الدنيا كما مكنني من
طاعة الله والمكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها من عمله وقوله تعالى
من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب وهذا
ايضا تهديد وكانه قيل لهم فستعرفون الخزي والهوان في الدنيا
والاخرة وتعلمون غدا من الذي ياتيه عذاب يفضحه ومن الذي كذب
على الله وعلى رسوله ثم شدد التهديد واكده بقوله وارتقبوا معناه
وانتظروا انا منتظرون اي انتظروا العذاب الواقع وقوله تعالى
ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا ولما جاء امرنا
بالعذاب نجينا شعيبا ومن امن من ذلك العذاب وقوله تعالى واخذت
الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد مر بيان ذلك
في هذه السورة وقوله جل اسمه ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان

منير كالسلطان المبين الدال المخلص من التلبيس والتمويه معناه
ارسلنا موسى الى فرعون بالمعجزات والدلايل الواضحة قوله جل اسمه
الى فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد اى اتبعوا امر
فرعون ولم يتبعوا امر موسى صلى الله عليه ولم يكن امر فرعون برشيد
لانه لم يدع الى الحق ولم يعدل الى الخير قوله تعلى يقدم قومه يوم القيامة
فاوردهم النار وبئس الورد المورود معناه ان فرعون يقدم قومه
يوم القيمة فيوردهم الى النار اى الى جهنم قال بعض العلماء وبئس
الورد المورود مجاز معناه لبئس ورد النار وقال غيره هو حقيقة
قوله تعلى واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود اتبع
اللعن هو ان الله لعنهم في الدنيا ولعنهم الملئكة والمومنون والرفد
العون على الخير والرفد العطية ايضا معناه ولعنهم يوم القيمة فكان
اللعنة حصلت لهم يوم القيمة بدلا من العطية قوله تعلى ذلك من انبا
القرى نقصه عليك منها قايم وحصيد الا اشارة بقوله ذلك الى
النباء كانه قال ذلك النباء من انباء القرى وقد تقدم ذكره ومعنى
قوله قايم وحصيد الحصيد قطع الزرع والحصيد هو الزرع المحصود
يقال حصده يحصده اذا قطعه ومعناه من هذه القرى ما هو معمور وخراب
لان الهلاك قد اتى عليها فلم يعمر بعد ومنها قايم على بنايه وان كان قد
حل من اهلها قوله تعلى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم معناه وما
ظلمناهم حين اهلكناهم ولكن هم الذين ظلموا انفسهم بفعلهم ما استحقوا
به عذاب الاستيصال قوله جل اسمه فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون
من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب معناه ان الهتهم
[illegible] ومعنى من دون الله من منزلة ادنى من منزلة عباد الله وما زادوهم [illegible]

الاخسرا اى هلاكا لانهم استحقوا العذاب لعبادتهم الاصنام
والتباب الهلاك قوله جل اسمه وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد معناه واخذ الله الظالمين
الذين كانوا اهلها ولا وقد ساواهم في الظلم كان كاخذهم ولا
الماخوذين اخذ الله الظالمين والكافرين بالعذاب اخذا شديدا اليما
قوله تعلى ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع
له الناس وذلك يوم مشهود معناه ويوم القيامة مجمع الخلايق
يشهده جميعهم فلا يوم بهذه الصفة سواه قوله تعلى وما نوخره
الا لاجل معدود معناه وما يوخر الله اقامة القيامة الا لاجل
قد حصر ووقت قد علم يجوز في الحكمة اقامته قبل ذلك لما في المعلوم
من المصلحة فيه قوله تعلى يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي
وسعيد الضمير الذي في قوله ياتي حين الجزا لانه قد تقدم الدليل
عليه في قوله وذلك يوم مشهود وجاز اضافة اليوم الى الفعل لان اسم
الزمان وبين الفعل والزمان مناسبة لانه [illegible] ولا يكون حادث
البته وورد في الاثر ان في القيمة وقتا يمنع الخلق عن الكلام
فيه الا بالحق وذلك معنى قوله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل معناه ولا
يتكلمون بكلام ينفع من شفاعة ووسيلة الا باذن الله ومعنى
الاذن ههنا الجاه بمراى الحسن لانه [illegible] منهم القبيح وقد رفع التكليف
لان زحال المكلفين الخلو من وجهين في القيمة اما مومن
مخلص او ثابت مستحق للثواب فهو سعيد واما كافر فاسق
مستحق للعقاب فهو شقي قوله تعلى فاما الذين شقوا ففي النار
لهم فيها زفير وشهيق الزفير خروج النفس بصوت من شدة الحزن

حتى ينفخ لذلك ضلوعه ومنه قول الجعدي ؞ خيط على زفرة فتم
ولم يرجع إلى أنفه وإلا هضمه ؞ وأصل الزفير الشدة والشهيق صوت
منقطع يخرج من الجوف عند النفس ولم يعطه وأصله من الطول ومنه جبل
شاهق وقيل الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخر نهيقه وأهل النار
لهم زفير وشهيق من شدة ما هم فيه من الآلام نعوذ بالله منها وقوله جل
خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال
لما يريد ؞ معناه أنهم يكونون في النار دائمين فيها ما دامت الأرض أرضًا
والسماء سماء ومن ذلك ما قد عقل طول مداه ثم استثنى إشارة بحسن
الزيادة والمضاعفة لا إلى نهاية فهو استثناء أبد من ناقص ومثاله قول
القائل لك عندي ألف إلا ألفين فهذا يكون إقرارًا أسلفه الألف درهم وكأنه
قال إلا ألفين مقدمين بمعنى إلا هاهنا معنى الواو وإذا قال ما لك عندي
ألف إلا ألفين فقد أقر بألف لأنه قال ما لك عندي شيء سوى ألفين ولو قال ما لك
عندي ألف إلا ألفان بالرفع فقد أقر بألف فقط ؞ وقيل معنى خالدين فيها
ما دامت السماوات أي سماوات أهل الآخرة وأرضهم إلا ما شاء ربك ما قد
كان قبل أن يدخلوها من أوقات وقوفهم في صدر يومهم في الموقف وقد
قال الله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وهذا الاستثناء الاستثناء
منقطع من موجب وأكثر ما يكون المنقطع من المنفي وهو بمنزلة قوله
فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ؞ ووجه رجوع هذا الاستثناء إلى المتصل
لأنه بمنزلة ما قيل قبل لبثهم هذه المدة إلا ما شاء ربك من الزيادة ثم
بين تعالى أنه إذا أراد شيئًا فعله لأنه لا يجوز عليه البداء والرجوع عما أراده
ولا المنع منه بقوله إن ربك فعال لما يريد ؞ وقوله جل اسمه وأما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ؞

معناه والذين سعدوا يكونون دائمين في الجنة ؞ ومعنى ما هاهنا
المصدر كأنه قيل خالدين فيها دوام السماوات والأرض وكذلك
ما في قوله إلا ما شاء ربك كأنه قيل إلا مشيئة ربك وحسن التقابل مع
الاستثناء المنقطع ولو دل قوله تعالى إلا ما شاء ربك في أهل النار أنهم
يخرجون منها وقتًا لدل قوله في أهل الجنة على أنهم يخرجون منها وقتًا
والمانظر هذا بطل ذلك ؞ ومعنى مجذوذ مقطوع ؞ وانتصب عطاء على المصدر
كأنه قيل أعطاهم النعم عطاء غير مجذوذ ؞ وقوله جل اسمه فلا تك في مرية مما
يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم
غير منقوص ؞ معناه فلا تكن في شك مما يعبد هؤلاء أنهم على طريق التقليد
لآبائهم في عبادتهم الأصنام وذلك أن التقليد يتبع اعتقاده بشبهة
والكفر يقع على التقليد ثم قال ونحن نوفيهم نصيبهم من العقاب من
غير نقص على جهة العفو عنه لعبد توفيه ما يوفون به من الخير في الدنيا
وقيل نوفيهم نصيبهم من خير أو شر وهذه الرواية عن ابن عباس
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب ؞ معناه ولقد أوحينا إلى موسى بما
في كتابه فاختلف قومه فيه ولولا سابق علم الله بأنه يؤخر الجزاء
إلى يوم القيامة لما في ذلك من المصلحة لعجل الثواب والعقاب لأهله ؞ واتصلت
هذه الآية بما قبلها اتصال التشبيه بالحال التي يقيم على التقدير كذب
بالكتاب الذي أتيناك كما كذب بكتاب موسى قبلك وقوله جل اسمه
وإن كلًا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير ؞ اللام التي
في قوله لما يحتمل أن يكون لام قسم دخلت على ما التي هي للتوكيد ويحتمل
أن يكون لام الابتداء دخلت على ما التي بمعنى الذي كقوله تعالى ؞

فانكحوا ما طاب لكم من النسا وقوله وان منكم لمن ليبطئن ولفظ كل
هاهنا معرفة لانه انما حذف منها ما قد عرف كانه قيل وان كل المكلفين
ليوفينهم ربك اعمالهم او كل المخلصين على ما تقدم ذكرهم وان الله عالم
بجميع ما عملوه ولا يخفى عليه خافية ٥ قرا نافع وغيره وان كلا بتخفيف
النون فيه اربع قراءات على تخفيف الاول والثاني وتشديدهما الاول
والثاني وتشديد الاول وتخفيف الثاني ابو عمرو وتخفيف الاول وتشديد الثاني
عاصم ٥ وفي لما بالتشديد ثلاثة اوجه ٥ الاول انها بمعنى لمن ما فاجتمعت
الميمات فحذفت واحدة وادغمت الاولى في الثانية كما قال الشاعر
واني لما اصدر الامر وجهه اذا هو اعيا بالسبيل مصادره ٥ ثم خففت كما قرا
بعض القراء والثاني ان لما بمنزلة الا كقول العرب سالتك لما فعلت بمعنى
الا فعلت ٥ ومثله ان كل نفس لما عليها حافظ لانها دخلت بمعنى ما كلهم الا
ليوفينهم ٥ والثالث انها شددت للتاكيد وهذا عن المازني ٥ والرابع
انها من لممت الشي اذا جمعته الا انها بنيت على فعلى فلم يصرف نحو تترى
كانه قيل وان كلا جميعا ليوفينهم والخامس قراءة الزهري لما بالتنوين يعني
شديدا كقوله تعالى وتاكلون التراث اكلا لما وقوله تعالى فاستقم كما امرت
ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ٥ معناه كن مستمرا على
طاعة الله مداوما عليها ولتداوم عليها من تاب معك من الكفر والمعاصي
وخص التائب بالذكر تغليبا للاكثر لان الاول قد دخل فيه على وجه التبع
ومعنى فلا تطغوا في الضلالة ما قبله لا تطغوا في الاستقامة بخروجكم عن
حدها بالزيادة على ما امرتم به فرضا او نفلا ٥ وقيل لا تطغيكم النعمة
فتخرجوا عن الاستقامة ودلت الاية على ان الحق واحد دون المخالف
فيه وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون

الله من اولياء ثم لا تنصرون ٥ الركون السكون الى الشي بالمحبة له
نهى الله تعالى عن الركون الى الظلمة لما فيه ذكر من التانيس بهم انكم
اذا فعلتم ذلك لم تجدوا ناصرا ينزع عذاب الله عنكم وقوله تعالى
واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل امر الله تعالى باقامة
الصلوة طرفي النهار وساعات الليل وهي صلوة المغرب وصلوة
الفجر لانهما يقعان في طرفي النهار وترك ذكر الظهر والعصر
لشهرتهما ولانهما يدخلان في ذلك على وجه التبع للطرف الاخر
لانهما بعد الزوال ويدخل فيها العشا الاخرة على هذا الوجه لانها
من صلوة ساعات الليل والزلفة المنزلة وجمعها زلف ٥ ومعناه
اقم الصلوة ساعات من الليل ومنه قول العجاج ٭ ناج طواه الاين مما وجفا ٭
طي الليالي زلفا فزلفا ٭ سماوة الهلال حتى احقوقفا ٭ ومعنى هذه الاية
موافق لمعنى قوله جل وعلا اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل
وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا وقوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ٥ قيل معناه تكفير
الصغاير باجتناب الكباير ٥ وقيل هو تكفير السيئات بالتوبة
ثم بين انه تذكرة لمن تذكر وعظة لمن اتعظ وقوله تعالى
واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ٥ معناه واصبر على طاعة
الله واصبر عن معصية الله فان الله لا يضيع اجر من احسن
عمله وقوله جل اسمه فلولا كان من القرون من قبلكم ينهون
عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم ٥ معنى لولا كان
هلا كان والا كان ٥ واولوا بقية اصحاب جماعة بقية من نسلهم
وقيل بقية خيرا من الخير الماضي والباقية ممدوحة كما قال

اولوا بقية

في فلان بعيد اي فضله وفي الاية توبيخ وتعجب عن هولا الذين
سلكوا سبيل من كان قبلهم في الفساد وهذا الاستثنا منقطع
لان الجواب لم يتقدم فيه صيغة النهي عن المنكر لانه محرم من ترك
ذلك وقوله جل اسمه واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا
مجرمين ٥ معنى اترفوا فيه عودوا الترفه بالنعيم واللذه فهم الذين
ابطرتهم النعمة حتى طغوا وتجبروا وقوله جل اسمه وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ٥ معناه ان الله تعلى لا يهلك
مع عموم الصلاح وانما يهلك مع عموم الفساد المقتضي لعذاب الاستيصال
ومعنى بظلم ها هنا انه لا يهلك بظلم صغير يكون منهم لانه يكفر
باصلاحهم ٥ وقيل لا يهلك بظلم كثير من قليل منهم لا يعتد به
اصلاح الكثرة وقيل بظلم من الله لان الله لا يظلم الناس شيئا
ولكن انفسهم يظلمون وقوله جل اسمه ولو شا ربك لجعل الناس امة
واحدة ٥ معناه ولو شا الله ان يجبرهم على الايمان حتى يكونوا
كلهم مومنين لكان قادرا على ذلك ولم يكن عاجزا الا انه لو
فعل ذلك لبطل الامر والنهي وبعثة الرسل وايجاب الثواب
والعقاب والوعد والوعيد وما ذكر الله تعلى سياق هذا
الباب لا يعد بيان اخبار الشر من الخلق وبعد توبيخهم على ترك
الايمان لا يمنع الالجا الى الايمان لخلق فيهم العلم الضروري بانهم ان راموا
مخالفة الله منعوا عنها وقوله جل اسمه ولا يزالون مختلفين الا
من رحم ربك ولذلك خلقهم ٥ معناه ولا يزالون مختلفين في الاديان
يهودا ونصارا ومجوسا فهذا اخبار عما عليه الخلق من الاديان
ويذهبون اليه ٥ وقيل معنى ولا يزالون مختلفين في الارزاق والاحوال

من تسخير بعضهم لبعض ٥ والوجه الاول قريب ٥ وقيل قد يدخل
في ذلك اهل الملل المخالفة للاسلام مثل اليهودي يعتقد ان النصرانية
على باطل والنصراني يعتقد ان اليهودية باطل وقوله تعلى الا من
رحم ربك ولذلك خلقهم ٥ فهذا الاستثنا من المخالفين للباطل
وتقديره الا من رحم ربك بالالطاف من الايمان المودي الى الثواب
ولا يفعل هذا اللطف الا لمن [illegible] انه يفعل الايمان متى علم اللطف
ومعنى ولذلك خلقهم للرحمة خلقهم وان كان لفظ الاشارة
مذكرا وقد يجوز مثل هذا كما قال الله تعلى فلما راى الشمس
بازغة قال هذا ربي ٥ وقيل معناه على الاختلاف خلقهم بقدر
الله في معلومه انهم يكونون كذلك لا ان الله تعلى خلق فيهم افعالهم
كما قال الجهال والوجه الاول اصح ٥ وقيل هذه اللام لام العاقبة وقد مر
بيان ذلك في غير موضع من هذا الكتاب ٥ وقيل قد تقام اللام مقام على كقولهم
اكرمتك على برك واكرمتك لبرك بي ولا يجوز ان يكون خلقهم للاختلاف
واراد ذلك منهم لانهم لو كانوا كذلك وكانوا مطيعين لم يفعلوا الاختلاف
لان الطاعة هي فعل ما يوافق ارادة الامر منه ولو كانوا مطيعين لم يجز
في حكمة الله ان يقول وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ٥
ومعنى تمت كلمة ربك ما سبق من وعيده للكفار والفساق والعصاة
وقوله تعلى وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك وجاك
في هذه الحق وموعظة وذكرى للمومنين ٥ معناه ان القصص التي نقصها
عليك ليس [illegible] نصرك ففيها الاعتبار باحوال الرسل لما
تبين من حسن صبرهم على اممهم واجتهادهم من دعائهم الى طاعة الله
مع الحق الذي يتمسك به وما مع الوعظ المتبر لسلوك طريق الحق

وفيه تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانتصب كلا على المصدر
تقديره وكلا القصص نقص عليك وقيل انتصب على المفعول به تقديره
وكل الذي تحتاج اليه نقص عليك ويكون قوله ما نثبت به فؤادك
بدلا منه والتثبيت تكثير اقامة الشيء ومعنى وجاءك في هذه الحق معناه
وجاءك في هذه السورة الحق والموعظة للمؤمنين وقيل وجاءك في هذه الدنيا
والوجه الاول اصح واقرب لكانه قيل وجاءك في هذه السورة مع ما جاءك في
هذه السورة قوله جل اسمه وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا
عاملون وانتظروا انا منتظرون وهذا تهديد ووعيد وقد مر بيان
نظيره فيما تقدم وقوله تعالى وانتظروا معناه انتظروا ما يعدكم
الشيطان من الغرور فانا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر والعلو
وقيل معناه وانتظروا ما يعدكم ربكم على خطئكم فانا منتظرون ما
وعدنا من الثواب على ايماننا وطاعتنا قوله جل اسمه ولله غيب السموات
والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل
عما تعملون معناه ان الله هو عالم الغيب وعظم شأن الغيب الذي
اختص به بما ذكره وقد مر بيان رجوع الامر اليه في غير موضع من هذا
الكتاب وقوله تعالى فاعبده امر بالعبادة لله تعالى وحده لا شريك
له وتفويض الامر اليه وهو قوله وما ربك بغافل عما تعملون ان
معناه لا يخفى على الله شيء من اعمالكم فيجازيكم عليها والصلاة الا له
تامله على ما تقدم من ذكر الامور التي وجب الوعد عليها الا الا قوله
واليه يرجع الامر كله وروى عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم انه قال من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق هودا او كذب به ونوحا وشعيبا وصالحا وابراهيم

صلى الله عليهم وكانوا له عند الله يوم القيامة من الشهداء

السورة التي يذكر فيها يوسف عليه السلام مكية مائة واحدى عشرة
آية والف وسبعمائة وست وسبعون كلمة وسبعة الاف ومائة
وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه الر تلك آيات
الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون قد مر الكلام
في بيان معنى هذه الحروف في غير موضع من هذا الكتاب فلا وجه
لاعادته واشار بقوله الى ما تقدم من ذكر السورة التي هي
قبل سورة يوسف تلك آيات الكتاب المبين وقيل الآيات المذكورة
في القرآن هي آيات الكتاب المبين ولا يعد الر آية لانها على
حرفين لا تشاكل رؤوس الآي فتجري مجرى الآية الناقصة لانه على
حرف فاما طه فانه يعد لانه يشبه رؤوس الآي قوله جل اسمه
انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون سمى الكتاب المنزل على
محمد صلى الله عليه وآله قرآنا ووصفه بانه عربي لانه نزل بلسان العرب
واسم القرآن يقع على الآيات التي نزلها على النبي صلى الله عليه وقرأها
هو عليه السلام على الناس ونحن الآن نقرأها وهذا القرآن
حروف مقطعة وسور مفصلة وآيات بعضها متقدمة وبعضها
متأخرة وفيها ما هو طويل وفيها ما هو قصير وما كان بهذه الصفة
لم يكن قديما والقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله وكلامه فعل من
افعاله لانه حروف منظومة يحدثها الله الحروف المنظومة من غير
آلة كما احدثنا ها لا له ومن قال من الاشعرية وغيرهم ان القرآن
صفة قائمة بذات الله وان من يقرأه عبارة عنها وليس بقرآن باطل
لان الله تعالى لا يجوز ان يكون له صفة غيره ولا يجوز ان يكون ما

هو حروف وعبارة عن الستر حروف ولان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ادعى انه اتى بالقرآن معجزا وسمى الله ما كان يقرأه على الناس قرآنا
وتحدى العرب بان يأتوا بمثله ولم يتحداهم بان يأتوا بمثل صفة وأما ان الله
واذا كان القرآن حروفا واصواتا فلا شك انه غير الله قوله تعالى
لعلكم تعقلون معناه وأنزلناه عليك وحيا على لسان العرب لكي
تعقلوا معاني القرآن فجعلناه عربيا حسن البيان على مذهب العرب
في الكلام ودل قوله تعالى لعلكم تعقلون على فساد مذهب المجبرة
ان الله خلق كثيرا من الناس ليضلهم عن الدين وصرفهم عن معارف
دينه لانه قال انزلت عليهم القرآن ليعقلوا معناه قوله جل اسمه
نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت
من قبله لمن الغافلين معناه نحن نقص عليك اعظم القصص والخبر ودل
الباء قوله بما اوحينا اليك حسنا لحال القصص لان القصص ما هو قرآن
وغير قرآن ودل ذلك ايضا على حدوث القرآن لان الصفة القائمة
بذات الله لا تكون قصصا ثم قال وكنت يا محمد قبل انزال القرآن
عليك غافلا عن وجوه الحكمة التي نطق القرآن بها فدللنا عليها
بالقرآن ولم تكن لتهتدي اليها لولا هدايتنا واقتضى قوله قرآنا بايقاع
الوحي عليه وقيل هو بدل مما في قوله بما اي احتاج بعض النحويين ان
تكون رفعا على تقدير ما هو الا انه لا يقرأ الا بالنصب قوله تعالى
اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين فائدة اذ هاهنا اذكر اذ قال يوسف وقيل
نقص عليك هذا القصص ولكن في معنى نذكره واحد عشر كوكبا
المراد به اخوته والشمس والقمر ابواه وقيل ساجدين بالياء والنون

وان كانت مما لا يعقل لان الكواكب في نعت موقع العقلاء فعل
ما يفعل من السجود كما قال تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم فاجروا الكواكب مجرى
العقلاء وقيل كرر لفظ رأيت للتوكيد لما طال الكلام وقيل انما
كرر ليدل على انه رآهم وراى سجودهم والمراد بالسجود هاهنا السجود
المعروف بالشرع تكرمة لا عبادة وقيل معناه التواضع والخضوع كما
هو في اللغة وهو كقول القائل ترى الخيل في حجراتها ترى الاكم فيها سجدا
للحوافر وقوله يا ابت بالكسر ولم يجزه بعضهم لان التاء عوض من
الاضافة وقال غيره هو جائز حسن لان العوض كالمنع من الحذف
ويجوز الوقف على التاء لانها بمقدار ما بعدها ويكون فيه الفتح لوجهين
احدهما ان يعدل على حرف الالف فان قدر على هذا الحكم الوقف
الا بالتاء وان قدر على الادغام جاز الوقف بالهاء كما قال النابغة
كليني لهم يا اميمة ناصب و دخلت التاء ثابت للعوض من
الاضافة اذ قد يكثر في النداء لزوم معنى الاضافة وكان احق
بهذه العلامة لهذه العلة قوله جل اسمه قال يا بني لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين
معناه قال يعقوب ليوسف عليهما السلام على وجه اظهار الشفقة
وعليه المثل لما اخبره برؤياه لا تخبر اخوتك بهذه الرؤيا فانك ان
اخبرتهم كادوا الكيد والشيطان يدعوهم الى ذلك ويغريهم لفرط
عداوته للمؤمن قوله جل اسمه وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك
من تأويل الاحاديث وجه التشبيه في ذلك تشبيه اعطائه معنى
الرؤيا بعد ما ذكرها باعطاء الاجتباء وما قد عد معه من الخلال
الكريمة والخصال الشريفة والاجتباء الاختيار وقيل معناه يحسنك

معالي الامور وقيل يحسابك للنبوة معناه ويعلمك من تعبير الرؤيا
وكان صلى الله عليه اعبر الناس للرؤيا في زمانه وقيل يعلمك تاويل
الاحاديث باذن الله ودلايله الدالة على وحدانيته وعدله وساير امور
دينه وقوله جل اسمه ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك
من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم معناه هذه الرؤيا ايضا
دالة على ان الله يتم نعمته عليك وعلى آل ابيك كما اتم النعمة على ابرهيم
واسحق والله عالم بمصالح عباده حكيم في افعاله وقوله جل اسمه لقد كان
في يوسف واخوته آيات للسائلين الآية الحجة والدلالة وانما قال آيات لا
ان الآية كاشفة عن المعنى الذي فيه الاعجوبة ووجه الآية في يوسف
واخوته ما كان جرى من اخوته من الامور التي اخبر الله عنها وكان ذلك سببه
حسد الابناء ابيهم اياه وادنائه وتقريبه لاخيه دعى ذلك الحسد الى
فعل تلك الامور العظام ثم آل الامر الى الصفح والعفو عنهم باظهارهم
الندم والتوبة وقوله تعلى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا
ونحن عصبة العصبة الجماعة من الواحد الى العشرة وقد كانوا عشرة
اعني الذين شرعوا فيما فعلوا بيوسف عليه السلم معناه ان بعضهم قال
للبعض ان يوسف واخاه احب الى ابينا منا وهو اميل اليهما ونحن عشرة
اولاد وهما اثنان فاثرهما علينا وقوله تعلى ان ابانا لفي ضلال مبين
معناه ان ابانا لفي ذهاب من طريق الصواب الذي فيه التسوية بيننا
في المحبة والعدل في المودة وقيل معناه ان ابانا مخالط في بعض امر الدنيا
لانا انفع له منهما لقيامنا باصلاح ماله ورعي مواشيه ولم يريدوا بذلك الضلال
عن الدين لان القصة ناطقة بمثل الطباع والمحبة التي تدعوا اليها البشرية
وليس كلما ذكر لفظ الضلال كان المراد به الضلال عن الدين لان هذا

عرف من جهة الشرع لا من جهة اللغة هذا والادلة القاطعة
الباهرة قائمة على ان الانبياء عليهم السلم لا يضلون عن دين الله وقد
بينت وجوه الضلال والهداية في اول سورة البقرة فاغنى ذلك عن
اعادتها هاهنا وقوله جل اسمه اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم
وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين دلت هذه الآية والتي
بعدها على انهم تشاوروا في امر يوسف عليه السلم فاشار بعضهم الى
قتله او طرحه ارضا بعيدا عن قرب ابيه فيطول عهده فينساه ويميل
اليكم بالمودة التي كانت منه له اذا لم يره ويراكم وهو معنى قوله يخل لكم
وجه ابيكم ثم قال واذا فعلتم ذلك رجعتم الى التوبة والصلاح فيعفو
الله عنكم ففي ذلك بطلان قول المرجئة لانهم قالوا من مات مصرا على
ذنبه غير تائب عنه فانه يجوز ان يعذبه الله ويعفو عنه الله تعلى
وقوله تعلى قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب
يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين معناه فقال بعضهم في
المشاورة لا تقتلوا يوسف والقوه في الجب والجب البير التي لم تطو بالحجارة
والغيابة الموضع الذي يغيب فيه صاحبه معناه القوه في بير عميق قليل
ماؤها وقيل الغيابة هو قعر الجب وقيل كان اسم هذا القايل روبيل
وكان ابن خالة يوسف وقيل كان اسمه يهودا والسيارة جماعة
المسافرين وقيل السيارة مارة الطريق وكانه قال اطرحوه في
بير لياخذه بعض المسافرين ويذهب به الى ارض اخرى فيحصل غرضكم
من غير قتل فتبعهم من قبله بهذا الوجه وقوله جل اسمه قالوا يا ابانا ما لك لا
تامنا على يوسف وانا له لناصحون فهذا الذي حكى الله عنهم هو ابتدا
احتيالهم في الوصول الى البغية والمراد بيوسف عليه السلم لانهم قالوا

لانهم عليه السلام ما الذي يمنعك من الامن والثقة بنا على يوسف
ونحن له محبون ناصحون ٥ ويجوز لا تامنا بالادغام والاشمام للنون
المدغمة الرفع الاما روى عن قالون بغير اشمام وقوله تعلى ارسله
معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ٥ قرا نافع بالياء في كلمتها
الياء في يرتعي من ارتعى وقوله تعلى قال اني ليحزنني ان تذهبوا
به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون ٥ معناه قال لهم ابوهم
يعقوب عليه السلام ان ذهابكم به ليحزنني وغيبته عني تغمني واخشى
انكم تغفلون عنه وتشتغلون بشيء فياكله الذئب وقوله تعلى
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ٥ من فرط الاهتمام
للنصح لانهم واجبهم استبعدوا ما قاله ابوهم يعقوب عليه السلام انه
يخاف ان ياكله الذئب مع ما هم عليه من الشجاعة والجلادة والسقط والحفظ
وقوله تعلى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب ٥ جواب لما
محذوف وتقديره فلما ذهبوا به اعظم فتنتهم وعظم ما قصدوا به
ومعنى الاية ان يعقوب عليه السلام لما اعطاهم سؤلهم واجابهم الى
ملتمسهم فذهبوا بيوسف وعقدوا عزمهم على ان يلقوه في البير وهموا
عزمهم في قتله وقوله جل اسمه واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا
وهم لا يشعرون قيل معنى قوله واوحينا اليه هو ان الله تعالى اعطى
يوسف النبوة وهو في ذلك الجب الذي طرحه اخوته فيه فاوحى اليه بالذكر
[illegible] واخبره انه ينجيه من محنته ويجعله مستعليا على اخوته وامره
بان يكتم امره الى ان يجمع الله له اخوته فيخبرهم حينئذ بما فعلوه واخوه
لا يشعرون بما اوحى الله الى يوسف وما اخبره به ٥ وقيل وهم لا
يشعرون بانه يوسف وقت ما انباهم بما حكى الله عنه في هذه السورة

وقوله تعلى وجاءوا اباهم عشاء يبكون ٥ معناه ولما فرغوا مما
عزموا عليه ودبروه جاءوا اباهم عليه السلام وقت المساء وهم باكون مستعدون
للحزن وجزع المصيبة كذبا وتلبيسا وقوله جل اسمه قالوا يا ابانا
انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ٥ قيل معنى نستبق من السباق في الرمي
كانهم قالوا كنا اشتغلنا بالرمي وقيل معناه كنا نستبق في العدو
اينا اسبق عدوا وتركنا يوسف في محطنا وملقى رحلنا فاكله الذئب
ولم يكن واحد منا حاضرا فوجده الذئب وحده فاكله وما انت بمصدق
لنا لفرط محبتك ليوسف وميلك اليه ان كنا صادقين فيما نخبرك
وهذا معنى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ٥ يقال امنه اذا
صدقه وقوله تعلى وجاءوا على قميصه بدم كذب ٥ معنى بدم كذب
مكذوب منه فاخرج اللفظ على المصدر واضيف به على تقديره بدم
ذي كذب في هذه طريقتهم اذا بولغ في الصفة ٥ ومعنى الاية ان
اخوة يوسف اخذوا قميصه فلطخوه بدم سخلة ذبحوها وخفي عليهم ان
يمزقوا القميص وغفلوا عنه فلما راى يعقوب القميص صحيحا قال يا بني
والله ما عهدت الذئب حليما وقيل الايات التي ظهرت في قميص
يوسف ثلاث احداهن انه القي على وجه ابيه فارتد بصيرا فهذه احدى
الايات والمعجزات ٥ والثانية قد القميص من دبر حين تعلقت به زليخا
وذلك اظهر ليوسف براءته وصدقه ٥ والثالثة حين جاءوا على قميصه
بدم كذب وكان القميص صحيحا غير ممزق وقوله تعلى قال بل
سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما
تصفون الصبر الجميل هو الشريف النفس وارتفع لانه خبر ابتدا

وبعد هذه فأمري صبر جميل. وقيل صبر مبتدا خبره محذوف على تقدير
وصبر جميل اولى بي من الجزع الذي لا ينبغي لي وهذا استعمل
في بعضهم قال الشاعر يشكو الى جمل طول السرى صبرا جميلا
فكلانا مبتلى ثم قال يعقوب عليه السلام بعد ما قال لبنيه قد زينت
لكم انفسكم امرا فاتبعتموها واطعتم امرها والصبر اولى بي
واستعانتي بالله على ما وصفتموه وقوله جل اسمه وجاءت سيارة فارسلوا
واردهم فادلى دلوه السيارة جماعة المسافرين وقيل السيارة مارة
الطريق والوارد الذي يطلب الماء لاصحابه والادلاء القاء الدلو في البير
معناه وجاءت قافلة الى تلك الناحية التي كانت البير التي طرح يوسف
فيها فارسلوا من يطلب لهم الماء ويأتي به فجاء الوارد راس البير التي
كان يوسف عليه السلام فيه فالقى دلوه في البير وورد في الرواية ان
يوسف لما راى الدلو تعلق به وقوله جل اسمه قال يا بشرى هذا غلام معناه
ان الوارد المدلي دلوه قال لاصحابه مستبشرا لهم انه وجد عبدا وقيل
ان اسمه البشرى فناداه وقوله جل اسمه واسروه بضاعة والله عليم
بما يعملون الاسرار الاخفاء قيل معناه واسروا المولى ممن معه
على الماء ومن سائر القافلة لئلا يطمعوا في مشاركته لو حضر بمنه؟
وقيل اسره اخوة يوسف بان كتموا انه اخوهم وادعوا بضاعة لهم
فسكت يوسف عنهم خوفا منهم ان يقتلوه وهذا يدل على جواز
السكوت على الشيء اذا ظن الساكت انه لو نطق ادى ذلك الى مضرة
هي اعظم مما هو فيه واجل مثله سكت امير المومنين علي صلوات الله
عليه عند وقوع الفتنة بعدما قبض صلى الله عليه واله الا ترى
الى وجه الحكمة في سكوت يوسف عليه السلام لما استرق وبيع عبدا

وكذلك كان في سكوت امير المومنين عليه السلام حكمة بالغة
حين خاف ان تجد قبائل العرب الذين عندهم الاسلام الفرصة فيظهر
الارتداد ويزداد الفتنة لو سل السيف واللسان في ذلك الوقت
ولهذا قال عليه السلام على المنبر بالبصرة بعد حرب الجمل اي اقتديت
بسنة من الانبياء عليهم السلام فذكرهم واخرهم يوسف عليه السلام ومن
الله تعالى انه كان عالما بجميع ما يفعلونه وهذا تنبيه وتهديد
وبالشرى اي يكتب بالالف وقوله جل اسمه وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين معناه شروه باعوه البخس النقصان وورد
في الرواية ان اخوة يوسف باعوا يوسف بعشرين درهما وعدوها
عدا وما وزنوها وزنا وكانوا في ذلك الوقت لا يزنون الدراهم ما
لم تبلغ اوقية وهم يعدون دونها وهو معنى المعدودة القليلة الخطر
وحضر ذلك المكان الذي نزلت القافلة اخوة يوسف وادعوا ان
يوسف عبدهم وابق منهم وباعوه بثمن بخس كما ورد في الرواية وفعلوا
ذلك لزهادتهم فيه وكراهتهم لكونه بين ظهرانيهم ولم يفعلوا
في جميع ما فعلوه باكثر ما حكى الله عنهم وهو قوله ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا فحملهم ذلك على ما فعلوا وهو معنى قوله وكانوا فيه من الزاهدين
وفي هذه السورة عجايب جمة وعبر لمن اعتبر الا ترى الى اخوة يوسف كانوا
اولاد الانبياء ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فحملهم الحسد لميل ابيهم الى
يوسف واشارة عليهم في المودة على ان جفوه ذلك الجفاء وطرحوه في غيابات
الجب ثم باعوه بما حكى الله تعالى فلو لم ينطق كتاب الله بذلك وحكى القصص ذلك
لاستبعدنا ذلك كل الاستبعاد ولما نقله؟ اذا جاز على اولاد الانبياء مثل
هذه فهلا جاز على قوم لم يكن بينهم وبين علي وفاطمة والحسن والحسين

عليهم السلم رحوما بيه ولا يعطف ولا ده ان حملهم الحسد والبغض على
ما اتا الله الرسول من الرتبه والرياسه وانهم يريدون الرياسه لا الغير
حتى يكونوا الحبيب يد غيرهم وهم فوقهم الاحات نشاوا في الجاهليه وعباده
الاوثان وكان سيف على يقطر دما ولم تاخذه في الله لومة لايم حتى اظهر
الله الدين على يده وواد الجمع من الكفر الى الايمان فاي دليل دل على عصمتهم
حتى لا يجوز عليهم هذا وما حكى الله عن اولاد يعقوب اعجب من ذلك وهم
نالوا النبوه بعد ما ارتكبوا ذلك واذا جاز وقوع مثل ما حكى الله عن اولاد
يعقوب بصلح للنبوه فلم يستبعد وقوع ما وقع من اولئك العرب الذين
خرجوا من الجاهليه وصفتهم في القساوه معروف وهذا او قصة السقيفه
ومخاصمه فاطمه عليها السلم القوم وظاهره وتلك الاحوال والاسباب
التي جرت مشهوره وفيه عبره لمن انصف وقوله جل اسمه وقال الذي اشتراه
من مصر لامراته اكرمي مثواه ٥ ولما حمل يوسف الى مصر فانتهى جبره
الى العزيز الذي كان ملك مصر طلبه للشرا فباعوه من اشتراه وقال العزيز
لامراته اكرمي مثواه فالمثوى في اللغه موضع المقام وهذا في اللغه
عباره عن الاكرام للغير والاحسان اليه وقوله جل اسمه عسى ان ينفعنا
او نتخذه ولدا ٥ من العزيز العلم في قوله لها اكرميه واحسني اليه وبره
انه لعلى به وقيل انه نتخذه ولدا فنزله منزلة الاولاد وقوله جل اسمه
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث ٥ وجه
التسبيه في قوله وكذلك انه سببه التمكين في الارض بالتوفيق الذي لاجله
نصير الانسان الى ما فيه نجاته من الهلاك والخروج منه الى حاله والكلام
في قوله ولنعلمه محمول على معنى الكلام المقدم على تقدير زيادة ذلك لتمكنه
في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث وقوله جل اسمه والله غالب على امره ولكن

اكثر الناس لا يعلمون ٥ معناه والله قادر على امره من غير ان منعه
مانع لما تريده بل يبلغ ما تريده فهذا ٥ وقيل معناه والله غالب على امر
يوسف والكنايه راجعة الى يوسف يدبر اله وحياطته وحفظه ٥ ولكن
ان اكثر الناس لا يعلمون وجه الحكمه في ذلك وقوله جل اسمه ولما بلغ اشده
اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ٥ المراد بالاشد كمال القوه
عند بعض اهل اللغه والعلم وهو من حد ثماني عشره سنه الى ستين سنةً
وقيل من عشرين الى ستين وقيل من ثلاث وثلاثين سنه الى ستين سنه ٥
ومعنى الايه ولما بلغ يوسف عليه السلم كمال القوه وبلغ المبلغ الذي يصح معه
اعطا النبوه اتيناه الحكم والعلم ٥ وقيل المراد بالحكم ها هنا هو
القول الفصل الذي يدعوا اليه بعلمه ٥ وقيل هو الحكم على الناس ٥
وقيل اتيناه الحكمه في فعله بالالطاف ثم بين ان الذي اعطاه يوسف
عليه السلم كان من سني العطا وكريم الجزا وان ذلك جزا من كان
محسنا مثل يوسف عليه السلم وقوله جل اسمه وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك ٥ المراوده المطالبه ومعنى
هيت لك وتعالى التغليق تكثير الاغلاق والمبالغه في الايثاق ولفظ
هيت لك موضوع للذكر والانثى والواحد والجميع فيه سوا ٥ ومعنى ذلك
ان امراه العزيز طلبت يوسف للخلوه بها وامرت بغلق الابواب
وقالت له هلم الى ما ادعوك اليه وقوله جل اسمه قال معاذ الله انه ربي
احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ٥ معناه الجا اعوذ عياذا بالله ان
اجيب الى ما دعوتني اليه فاعتصم بالله من ذلك فدلت الايه على ان المراه
طلبت منه الفساد وانه اعتصم وامتنع وسيجي بيان ذلك مصرحا
في هذه السوره ٥ فمن جوز على يوسف خلاف ذلك ابطل عصمة الانبيا وكذب

بالقرآن ومعنى انه ربي احسن مثواي قيل المراد ان يوسف قال ان
العزيز مالكي احكم لان الرب في اللغة هو المالك وانه اكرم مثواي
واحسن الي وبسط يدي ورفع منزلتي وقال بعض العلماء
يجوز ان يكون اراد بذلك ان الله تعالى هو الذي ملكه على الحقيقة
احسن مثواه والغرض به طول مقامه ثم قال ومن كان ظالما
لا يظفر بما يكون للصالحين عند الله وقوله تعالى ولقد همت به وهم
بها لولا ان رأى برهان ربه فالهم بالشيء مقاربته من غير دخول
فيه هكذا كانت الحال في همتها الا ان المراة قاربت ذلك بالعزيمة
عليه ولم يعزم يوسف لدلالة قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
انه من عبادنا المخلصين فاخر الاية صريح بالحق وازال الشبهة في
التاويل والذي يصحح هذا ان قوله تعالى ولقد همت به على اطلاق اللفظ لا
من غير اقتران بشرط وقوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اقترن
هم يوسف صلى الله عليه بالشرط وهو رؤية البرهان فكان يقال
لولا رؤيته البرهان لكان يقع منه الهم لكنه لما رأى البرهان لم
يقع منه ذلك ومثل هذا قول القائل لقد شتمني اليوم عمرو وزيد
وشتمني زيد لولا الحياء والانفة فقوله لولا الحياء يدل على انه امتنع من
الشتم ولولا الحياء لشتمه وقال بعض العلماء المراد بالهم ههنا الشهوة
فكان كل واحد منهما اشتهى صاحبه والشهوة من فعل الله تعالى
الا ان المراة لما لم تغلب شهوتها وغلب يوسف صلى الله عليه على شهوته
وضبطها صار محمودا والهم في اللغة ان يقال هممت بكذا ولم
افعله ولم اعزم عليه اذا كثرت دواعيه الى ذلك الشيء فيحتمل
ان يكون هم يوسف على هذا الوجه ولولا البرهان لجاز ان يقع منه

صلى الله عليه الخطا والبرهان ههنا هو اللطف الذي لاجله يعصم
الانبياء عليهم السلام واللطف هو ما يقوي الداعي عنده الى فعل خير وترك
حسن او ترك قبيح فاذا فعل الله لطفا ووافق فعل العبد ذلك اللطف
سمي توفيقا وقد مر الكلام في هذا الباب في غير موضع وقيل في هذا
البرهان وجوه احدها انه رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو
عاض على انامله ناظر اليه ناهيا ومهددا وذهب الى هذا الحسن
وجماعة من المفسرين وقيل انه رأى الملك وقيل انه سمع النداء
يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء وقيل البرهان
هو الدلالة على ما في الزنا من العقاب وغضب الله فذكرها وهرب
مما دعي اليه وهذا راجع الى اللطف الذي ذكرناه وهو اقرب الوجوه
واصحها لان على تلك الوجوه اعتراضات فادحة وقوله جل اسمه
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين المخلص
المختار وقوله جل اسمه واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا
سيدها لدى الباب الاستباق طلب السبق الى الشيء ومعناه ان
يوسف وتلك المراة استبقا فسارعا الى باب البيت للخروج مسارعة
اثنين يعدوان ايهما اسبق الى ما قصد وخرقت المراة قميص يوسف
من دبر فدل هذا على ان يوسف كان يسبق ووجدا العزيز الذي هو
الملك على الباب الذي استبقا اليه وقوله تعالى قالت ما جزاء من
اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم معناه ان المراة ادعت
على يوسف انه راودها على نفسها وقصدها بالفاحشة وحكمت
بجزاء من يفعل ذلك مستزعة من العزيز ان يفعل ما حكمت به اما السجن
او العذاب الاليم وقوله تعالى قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد

من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ٥ معناه ان يوسف لما
انكر دعواها وقلب الدعوى عليها بحضرة من يوسف ومن المراة ما جرى
من الخصومة اذا ترافعا الى القاضي فاستدعى العزيز الشاهد فشهد الشاهد
شاهد من اهل هذه المراة بما كان من المراة ويوسف وصدق دعواه وهو
ما حكى الله بقوله ان كان قميصه قد من دبر الاية ومعناه شهد
ها هنا حكم وورد في الرواية ان صبيا في المهد من اقرباء هذه المراة
حكم بما نطقت الاية به وكان ذلك معجزة اظهرها الله تعالى على يوسف
او يوسف صلى الله عليه وقيل كان هذا الشاهد رجلا حكيما
فقال انظروا الى القميص فقال انظروا الى القميص فان كان القد والخرق
من قبل القميص فالمراة صادقة وان كان من دبره فيوسف صادق
وهي كاذبة ٥ وان التي في قوله ان كان قميصه للشرط على جهة التقرير
للمعنى الذي يوجبه غيره لا على وجه الشك وهكذا يكون مقدرا ان
الا استدلالا وقوله جل اسمه فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن
ان كيدكن عظيم ٥ معناه فلما راى العزيز القميص وقد قد من دبر
عرف صورة الامر وتبعتها وقال لامراته انه من كيدكن وان كيدكن
لعظيم ٥ ويحتمل ان يكون هذه الرؤية رؤية العين فيكون راى القميص على تلك
الهيئة من القد والخرق ويحتمل ان يكون المراد بالرؤية ها هنا معنى العلم
فعلى هذا الوجه يكون عالما بالقد والضمير في قوله انه عائد على ما تقدم من ذكر
من الكذب على تقدير الكذب الذي ادعته من مكركن ويجوز ان يكون عائدا
الى السوء الذي تقدم ذكره فان ذلك ان يوسف عليه السلام كان منزها ما رماه
وقوله جل اسمه يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من

الخاطئين ٥ معناه لما ظهرت براءة يوسف ونزاهته مما ادعي عليه فكانه
قيل له تسلية لما خامر قلبه من الغم يا يوسف اعرض عن هذا على معنى
اجعله بمنزلة ما لم يصرف عنه وجهك فلا تذكره ٥ وقيل للمراة لما ظهرت
خيانتها استغفري لذنبك انك من الخاطئين وقيل من الخاطئين دون الخا
طئات
تغليبا للمذكر على المؤنث كما تقول ان عبيدك واماءك خارجون وقوله تعالى
وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه ٥ معناه فلما
فشا خبرها في مصر وانتشر حديثها عيرتها نساء مصر بما فعلت وعبنها
وقوله تعالى قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين ٥ الشغاف قيل هو غلا
ف
القلب وقيل لسانه وقد جاء هو دون ذلك اعلى مكان الشغاف ويقال الا
صابع
وقرئ قد شعفها حبا معناه ذهب بها كل مذهب الحب وهو ماخوذ من
شعف الجبال وهي رؤوسها وانا لنراها في ذهاب عن طريق الرشد ها ها
هنا وقوله تعالى فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن ٥ معناه فلما بلغ
الى امراة العزيز ان النساء من اهل مصر يلمنها ويعبنها ويعيرنها بما
فعلت ارادت ان تقيم عذرها فارسلت اليهن مستدعيا لهن
للضيافة فاجبنها وحضرنها وقوله جل اسمه واعتدت لهن متكا
معنى اعتدت احضرت وهيات وهو من العتاد ونظيره اعدت وفيه
استر اكال اللفظ فقط والمتكا الموضع الذي يتكى عليه وهو النمرق
الذي يتكى عليه وما اشبهه وروي متكا مخففا وقيل المتكا هو
الاترج وهذا احتمال ان صح في اللغة وقوله جل اسمه واتت كل واحدة
منهن سكينا معناه واعطت كل واحدة سكينا لتقطع بها الفاكهة
التي قدمتها اليهن ولتنها ايديهن وقوله جل اسمه وقالت اخرج
عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا

بشرا إن هذا إلا ملك كريم ٥ معناه وأمرت امرأة العزيز يوسف عليه السلام
أن يخرج من البيت إلى تلك النسوة لينظرن إليه ويرينه فلما خرج
وقوله أكبرنه ٥ معناه عظمنه وأجللنه وتعجبن من جماله وحسن
وقلن حاش لله تنزيها عن حال البشر لجماله وخروجه عن
العادة المعتادة والحالة المعهودة وقلن ما هذا أمر البشر وما
هو إلا ملك كريم فدل هذا على أن القوم اعتقدوا في الملك فرط
الحسن والجمال الخارج عن العادة المعتادة في البشر ومن احتج
بهذا اللفظ على أن الملك أفضل الجنس من البشر أخطأ لأن ذلك
الفضل بفضل الثواب وهذا وارد في الجمال ولا اشتباك بين الأمرين
وقيل أكبرن بمعنى حضن قال الشاعر: نأتي النساء على أطهارهن
ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا ٥ وليس هذا معروفا عند علماء
اللغة ٥ وقيل أكبرن أمذين قال الشاعر [illegible]
إذا ما رأين الفحل من فوق قارة صهلن وأكبرن المني المدفقا ٥ والصحيح
في اللغة هذا وما ذكر في الحيض معناه حصل من شدة ما أعظمنه
وانتصب بشرا بعمل ما عمل ليس على لغة أهل الحجاز لأنهم ينصبون
بما وليس فأما بنو تميم فلا يعملونها قال الشاعر: سوى جمعا
ما هذان مستويان ٥ قال أبو تمام: ما إن كنت إن جادت وإن
بخلت من ماء وجهي إذا فنيته عوضه ٥ وقوله جل اسمه فذلكن الذي
لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ٥ معناه لما رأت امرأة
العزيز منهن تلك الحالة العجيبة أظهرت لهن سرها وأقرت بمراودة
يوسف عليه السلام عما نبته به وقالت لهن معتذرة عما لمنها عليه
هذا هو الذي لمتنني على محبتي له وميلي إليه ولقد طالبته بالطلب

للنساء من الرجال فامتنع ولم يطاوعني فيما أمرته به وطلبته
منه أمرت بحبسه وإهانته وإذا له يدل هذا على أنها كانت
باقية على الحالة الأولى ولم ينقطع طمعها عنه بعد ما جرى ٥ وقوله تعالى
وليكونا من الصاغرين ٥ بالألف لأنه بمنزلة التنوين في أنه يجب أن
يكون حاله في الوقف خلاف حاله في الوصل ٥ قال الأعشى: وصل على
حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا ٥ معناه فاعبدن
وقوله تعالى قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ٥ معناه أن يوسف لما سمع
تهديدها فزع داعيا إلى الله تعالى أن السجن أحب إلي من مطاوعتي
لها فيما تدعوني إليه من ركوب الفاحشة وإنما قال أحب إلي وإن لم
يكن محبا لما دعته إليه من المعصية على التقدير لو كان ذلك مما أريده وأحبه
واختاره لكانت إرادتي السجن أشد وأكثر ويحتمل أن يكون المراد به إيثار
السجن الذي هو أشد من إيثاري لما يميل طبعي إليه لأن ما يميل الطبع
إليه الهلاك وفي إيثاري السجن النجاة من الهلاك فكأنه قال توطين
نفسي على السجن أحب إلي ٥ وقيل إنما قال تدعونني إليه على الجمع لأنهن
دعونه مثل ما دعته إليه امرأة العزيز ٥ وقيل إنما قال لها لأنهن يسألنه أن
يجيب إلى ما دعته إليه فجعلت كل واحدة منهن محل امرأة العزيز في هذا
الباب ٥ وقوله تعالى وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين
أستاق أصب من الصبو وهو رقة الهوى وصار مجزوما لأنه جواب الشرط
ومعناه أن يوسف قال داعيا إلى الله أن لم تصرف عني كيدهن بلطف من
ألطافك صبوت إليهن وأكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل فأصير بمنزلة من اعتقد
الشيء على خلاف ما هو به ٥ وقال بعض العلماء في الآية دلالة على أنه لا
ينصرف أحد عن معصية الله إلا بلطف الله لأن يوسف لو لم يعلم ذلك على الجملة

نفى منه ان يجري له وقوله جل اسمه فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن
انه هو السميع العليم بين الله تعالى انه استجاب دعا يوسف فصرف
عنه كيد امراة العزيز وتلك النسوة وهو ما كن يدعونه اليه من
الفاحشة فدلت الاية على نزاهة يوسف صلى الله عليه انه لم يفعل الفاحشة
ولم يقع منه ما اوجب عصيان الله وانقطاع الولاية بينه وبينه وذلك على
صدق دعواه وانه لم يراودها ولم يقصد اليها والعجب ممن جاسر
مع وضوح هذه الايات وقيام الدلالة على نزاهة الانبيا عليهم السلم على
اضافة القبائح والفواحش اليهم وليس بعجب من الملحدة الذين هم اعدا
دين الله ان يقولوا هذا وانما العجب ممن يقر بالانبيا عليهم السلم
ثم يقول فيهم مثل هذه العظايم ولا قوة الا بالله وليت شعري ما الذي
حملهم عليه التكليف من جهة الله ان يقولوا هذا او يعتقدوه او
طلب ثواب من يجوز لكم على رسل الله ام اي علة تدعوهم الى ذلك
والله المستعان ومعنى السميع العليم هاهنا بانه سميع الدعا
وعليم باخلاصه في دعايه وترك اخلاصه وما يصلح من الاجابة
او تفسيرها وقال بعض العلما في الاية دلالة بما في المعلوم
ان يكون وقال ان الاجابة من الله ثواب لقوله تعالى وما دعا
الكافرين الا في ضلال وقوله جل اسمه ثم بدا لهم من بعد ما راوا
الايات ليسجننه حتى حين معناه ثم بدا لهم وظهر من بعد
ما راوا الايات التي حكى الله عنها في باب يوسف وطهارته
ليسجنوه ظلما وتلك الايات قد القميص وشهادة الصبي وظهور استعصام
يوسف وقطع النسا ايديهن فاعل بدا مضمر في الفعل وليسجننه فعل
مذكرا فعل المونث لانه لو كان فعل المونث للواتي هن النسوة كان

ليسجننه والذي يوضح هذا قوله ثم بدا لهم ولم يقل لهن في ليسجننه
على هذا الوجه فالملك حبسه متابعة لمراد امراته وتصرف
حتى على اربعة اوجه حرف جر وحرف عطف وناصبة للفعل وحرف
من حروف الابتدا فالجارة التي في هذه الاية والعاطفة نحو قولهم
خرج الناس حتى الامير والناصبة نحو قوله تعالى حتى ياتي امر الله او
وعد الله والتي هي من حروف الابتدا نحو قولهم اسرح القوم حتى
ربه مسرح وقوله جل اسمه ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني
اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه
نبينا بتاويله انا نراك من المحسنين وورد في الروايات ان الفتيين
كانا غلامين للعزيز احدهما كان صاحب طعامه والثاني الساقي حمل الخبز
فوق راسه وان الطير تاكل منه فاستعبر يوسف رؤياهما واثنيا
عليه بما كان يرى من احسانه الى اهل السجن وكان احسانه في السجن انه
كان يجتهد في عبادة ربه او كان يداوي مرضى اهل السجن
ويعالجهم ويعزي مصابهم ويصلح بينهم ويعين المظلوم والضعيف
ويفعل ما اشبه ذلك وقيل معنى قولهما نراك من المحسنين في عبارة
الرويا لانه كان يعبر الرويا لغيرهما فيحسن التعبير والاول اقوى وان
كان الثاني محتملا وكانوا في ذلك الوقت يسمون [illegible] شيئا كان
او سيصير ومعنى اعصر خمرا اعصر عنبا للخمر وقيل انه سمى العنب
خمرا وقوله جل اسمه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله
قبل ان ياتيكما اجابهما يوسف عليه السلم بانه عالم بتعبير الرويا وتفسيرها
فلا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما الا اخبرتكما بتاويله في اليقظة
قبل تاويل الرويا وورد في القصة ان العزيز ملك مصر

اذا اراد قبل انسان صنع طعاما معلوما وارسل به اليه وعلى هذا الوجه
يكون معنى قوله ترزقانه في اليقظة وقيل ان يوسف صلى الله عليه اخبر
عن الغيب كما كان عيسى صلوات الله عليه يخبر به بقوله وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم وعدل في الجواب عن تعبير الرويا الى الاخبار
لهذه الكراهية ان يخبر بما علم انه يلحق احدهما من المضرة ليعدل عن السوال
وطلب الجواب فاعاد الكلام عليه ليحققا ما خصه الله به من النبوة ويرجعا
الى طاعة الله وبين لهما ان الله تعالى علمه ذلك وخصه به وجعله معجزا
له وهو معنى قوله ذلكما مما علمني ربي قوله جل اسمه اني تركت ملة قوم
لا يومنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون هذا حكاية قول يوسف
صلى الله عليه انه قال لهما اني تركت طاعة قوم لا يومنون بالله ويكفرون
البعث بعد الموت والنشور بعده فاعرضت عنهم وتبرات منهم
لكفرهم وطغيانهم قوله جل اسمه واتبعت ملة اباي ابرهيم واسحق ويعقوب
قال بعض العلما الملة هي مذهب جماعة يحمي بعضها بعضا في الديانة واصلها
من الاملال من قوله تعالى فليملل وليه بالعدل فالقايل بهذا كانه
يذهب الى انه شي من الشرع يمليه على قومه وهذا
ايضا حكاية قول يوسف انه قال لهما اني تبعت دين اباي ابرهيم
واسحق ويعقوب عليهم السلم قوله جل اسمه ما كان لنا ان نشرك بالله من شي
على وجه من الوجوه لانه لا برهان عليه ولا دليل ذلك من فضل الله
علينا اذ جعلنا انبيا ومن فضله على الناس ان بعث اليهم الرسل
مبشرين ومنذرين وان كان اكثر الناس لا يشكرون ما انعم
الله به عليهم ويعصونه وقيل كان ما فعله الله تعالى فهو فضل من
فضله لا العقاب الذي يرجونه من الشرك والمعاصي وان كان

في الخروج صرف به العفو قوله جل اسمه يا صاحبي السجن ارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار دعا يوسف بهذا الخطاب
الرجلين اللذين استفتياه الى عبادة الرحمن وزجرهما ان لا يعتقدا ان
الربوبية الا لله تعالى انهما على طريقة الاستدعاء ليتطرا ويتفكرا
املاك متباينون خير ام الله الملك القاهر الذي لا يطرا له وما
يدعونه من دون الله ضعيفا عجزه نظرا وقيل متفرقون بان
كل واحد منهم مباين للاخر بما يوجب النقص واصل القاهر القادر
بما يوجب الغلبة قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها انتم
واباوكم ما انزل الله بها من سلطان معناه ما تعبدون من دون
الله الا اسما لا حقيقة لها لانهم يسموا الاصنام الهة واسما شي
ولا يصح لها معنى الا تعبدوا لا معنى ما سميتموها به فلم يبق الا اسم
فارغ من الفايدة فكانهم عبدوا اسما لا حقيقة لها وقيل معناه ما
تعبدون الا اصحاب اسما سميتموها انتم واباوكم ولم ينزل الله تعالى على ذلك
برهانا ودليلا يصح التعلق به قوله تعالى ان الحكم الا لله امر الا
تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون معناه لا حكم
لغير الله في الامر والنهي بعباده والله امركم بان تعبدوه وامر الا
تشركوا به شيا وما امركم به من الاخلاص للعبادة له فهو الدين المستقيم
ولكن اكثر الناس غافلون عن علمه قوله جل اسمه يا صاحبي السجن اما
احدكما فيسقي ربه خمرا قدم يوسف عليه السلم من الكلام قبل ان
عبر الرويا ما حكى الله عنه دعا الى دين الله وزجرا عن معصيته وبان
حال من يستحق العبادة وحال من لا يستحقها ثم جا الى تعبير الرويا فقال
لهما اما احدكما وهو الذي راى انه يحمل ~~فوق راسه خبزا~~ العصر

خمرا سوى سقى سيده الشراب وحمل سيده ذلك لبيه واما الاخر
الذى راى انه يحمل فوق راسه خبزا الصلب وبقى مصلوبا حتى اكل
الطير من راسه وقوله جل اسمه قضى الامر الذى فيه تستفتيان قال اكثر
العلما قوله قضى الامر يدل على ان ما قاله كان ذلك بوحى من الله اليه ٥
وقيل انما قال قضى الامر لانه لما ورد فى الخبر اكتموا رؤياكم ٥ ورد
النهى عن سفنا الرويا عمن لا علم له بالتعبير ٥ وروى عن جعفر بن محمد
عليه السلام انه قال اكتموا رؤياكم ومن راى رؤيا استحسنها
فليحمد الله كثيرا ومن راى رؤيا هايلة تفل عن يساره ثلاث
مرات وقال اعوذ بالله اعوذ بما عاذت به ملائكته المقربون
وانبيا الله وعباده الصالحون من شر رؤياى التى رايتها
ان يضرنى فى دنياى واخرتى ثم قرا المعوذتين واية الكرسى ٥ ه
وقوله جل اسمه وقال الذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك ٥
معنى الظن هاهنا العلم وقد يستعمل هذا اللفظ فى اللغة فى
معنى العلم كقوله تعالى حاكيا عن من يؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة
انى ظننت انى ملاق حسابيه ٥ معناه علمت لانه لا يجوز ان يكون
ذلك بمعنى التخوين وله نظاير فى القران ٥ ومعناه ان يوسف عليه السلام
قال للذى علم انه ناج منهما اذكرنى عند سيدك وما الحكى يدل
هذا على انه كان من المتنسبين فى ذلك السجن ولولاه لما قال هذا
وقيل ان الظن هاهنا هو على حقيقة الذى هو خلاف اليقين والذى يدل
عليه هذا القايل ان الرؤيا الظن ٥ وقال غيره هو ظن لان
رؤيا الانبيا عليهم السلام فانها يقين وقوله جل اسمه فانساه
الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ٥ البضع قيل

هو من الثلاث الى العشرة ٥ وقيل هو سبع سنين وقيل تسع سنين
والهاء التى فى قوله فانساه قيل هى راجعة الى يوسف ان الشيطان
انساه ذكر العزيز لاشتغاله بالله وبما هو فيه حتى بقى فى السجن
بضع سنين ولم يعاود ما قاله الذى ظن انه ناج منهما ولم يذكره
برسالة ولا عبرتها ٥ وقيل راجعة الى الفتى الناجى الذى صار ساقيا
نسى الساقى ما قال له يوسف لشغله بخدمة العزيز وباعمال الشيطان
التى دعاه اليها فلم يذكر ذلك الى ان راى الملك الرؤيا وبين ما قال
له يوسف فى رؤيا الملك كان بضع سنين وذلك حال يوسف وما
حكى الله فى قصته على يسير لطيف فى خلاص يوسف عما وقع اليه بالطف
وجه واعظم زينة وهو العلم الذى خصه الله به حتى اضطروا فيه اليه
بعد ان بقى عليه فى السجن بضع سنين بعد خروج الساقى وقوله جل اسمه
وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات ٥ معناه ان الملك الذى هو العزيز راى فى منامه
سبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف هزال ياكل البقرات السمان
وراى سبع سنبلات خضرا التى عليها سبع سنبلات يابسات فاحطتها
وقوله جل اسمه يا ايها الملا افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون ٥
معناه ان الملك قال للقوم الذين كانوا بحضرته عبروا رؤياى ان كنتم
عالمين بالعبارة ٥ وقوله جل اسمه قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل
الاحلام بعالمين ٥ معناه ان القوم قالوا للملك هذه الرؤيا التى
رايتها من احلام النايم لا حقيقة لها فى التاويل فشبهوها بضغث
الحشيش التى يقبضها القابض مما لا اصل له مقدار ما والضغث مل
الكف من حشيش ولكم ما يرى فى المنام وسمى به لانه جار اناه لا

حال عجلته وقد يقال في اللغة جاء بالحلم اي بالشيء الكثير وقد جعل الله
تعالى رؤيا الملك سببا لخلاص يوسف على احسن وجه وارفع
مرتبة وجلالة وهذا من لطيف تدبير الله تعالى في باب عباده
المخلصين وقوله جل اسمه وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا
انبئكم بتاويله فارسلون الادكار طلب الذكر ونظيره المدكر
والاستذكار والامة هاهنا المدة والجملة من الحين واصل
الامة في اللغة الجماعة وقيل بعد امة بعد حين ومعناه ان الفتى
الذي نجا من القتل وصار ساقيا للعزيز قال ارسلون فاني انبئكم
بالخبر الصدق في تعبير هذه الرؤيا فذكر يوسف وما كان منه
في تاويل رؤياه وصاحبه وقوله جل اسمه يوسف ايها الصديق افتنا
في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون في الاية محذوف
وهو انه ارسل ذلك الفتى فاتى يوسف فقال له يا يوسف الصديق
وهو من احسن اختصار الكلام والصديق هو كثير الصدق بالحق
فاتى الفتى بهذا الخطاب على يوسف بما كان ظهر له من حاله وشاهد
من صدقه فيما افتاه به وعبره فقص عليه رؤيا الملك وقال له
افتنا في ذلك حتى ارجع الى الملك من حضرته بما تفتي به لعلهم
تاويل ما اخبروا فيه وقيل انما قال لعلهم يعلمون لانه لم يكن
كان حاله الطمع والاشفاق فكان يطمع ان يكون
ويشفق ان لا يكون فكان المستفتي في شك من الامر وقد
يكون في بعض الاحوال الشك للمتكلم ويكون في حال الشك
للمخاطب فيما خاطب به وقد يشبه سوء البصر طرواس

ذلك وقوله تعالى قال تزرعون سبع سنين دابا اصل الداب من
التوالي والاستمرار في الفعل يقال ذلك دابا زراعة متوالية
موفرا على عادتكم في الزراعة وقوله تعالى فما حصدتم فذروه في سنبله
الا قليلا مما تاكلون معناه فما حصدتم في سبع سنين الذي تزرعونه
فذروه في سنبله كما هو الا قليلا هو قدر ما تحتاجون اليه للاكل والقوت
وقوله تعالى ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما
تحصنون اصل الاحصان الاحراز ومعناه ثم ياتي سبع سنين بعد السبع
الاولى ويكون سنين ذات صعوبة وشدة فتاتي تلك السنون على ما خزنتموه
من الغلة فلا يبقى في ايديكم من الغلة شيء الا شيء يسير وهذه عبارة عن
الجدوبة والقحط ووصف السنين باكل السبب كان اكل الناس ما كانوا
ادخروه حتى لم يبق منه شيء فاضيف الاكل الى السنين لهذا الوجه ومنه قول
القائل نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم ومعناه
وانت مغرور في نهارك ونايم في ليلك وقوله جل اسمه ثم ياتي من بعد ذلك عام
فيه يغاث الناس وفيه يعصرون قال بعض علماء اللغة اخذ العام من
العوم لما لاهله فيه من السبح الطويل والاغاثة والتخلص من الشيء والنجاة
منه يقال ضرب يغوث اي قال واغوثاه ومعناه ثم ياتي من بعد تلك السنين
عام يكون فيه خلاص الناس ونجاتهم من القحط والشدة ولفظ يعصرون
عبارة عن الخصب وكانه قيل يكثر الثمار والاعناب والحبوب في ذلك
العام وبعض الناس يقول الاعناب والسمسم والزيتون وما شاكل ذلك
على حسب عاداتهم واذا اعتصر العنب نجا الماء من ثفله وغلافه ومنه قول عدي
بن زيد ولو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري وقوله جل اسمه
وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال

النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم معناه لما وقف
الملك على تأويل رؤياه قال لاصحابه احضروا يوسف حتى نراه واخرجوه من
السجن فجاءه الرسول لاخراجه من السجن واحضاره المجلس فقال له يوسف
عليه السلام ارجع الى سيدك وقل له لا احضر مجلسك حتى تسأل النسوة اللاتي
قطعن ايديهن وتبحث عن حالهن حتى تقف على براءة ساحتي وان حبسي كان
ظلما وان الذي حدثت به كان من كيد النساء وان الله لعليم بكيدهن قوله
وقوله جل اسمه قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا
عليه من سوء معناه ان الملك سأل النسوة وبحث عن الحال فقال لهن ما شأنكن
حين طلبتن من يوسف ما طلبته زليخا وكيف كانت صورة الحال فاخبرني
بها صدقا وكان من جوابهن حاش لله وهو تنزيه معاذ الله نزهنا يوسف
عما قذف به ونزهناه عن الفاحشة والقصد اليها فاقررن طوعا ببراءته
فعند ذلك اقرت امرأة العزيز بالحق واظهرت الصدق ورجعت عما قالت
على يوسف من البهتان وهو معنى قوله وقوله جل اسمه قالت امرأة العزيز
الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه معناه ثبت الحق وظهر بقولها
انا راودته عن نفسه عليه السلام وانه لمن الصادقين اصل حصحص من الحص
يقال حص شعره اذا استأصله فاعترفت امرأة العزيز حياء وبراءة
يوسف عليه السلام مما قذفته به وادعته عليه اولا وقالت انا دعوته الى الفاحشة
وطلبت ذلك منه وانا استعصم وامتنع وكان صادقا فيما قال لانه لم
يفعل ما يلام عليه وقد كانت هذه المرأة ادعت عليه اولا انه قصدها بقوله
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم وكان من جواب
يوسف هي راودتني وانا المراد اودتها فقالت امرأة العزيز للنسوة ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم وقالت في هذا الموضع انا راودته عن نفسه

فاستعصم وقالت في هذا الموضع انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فانت
حال اظهرن هذا الامر ولست اقف على غرض من يدرس يوسف عليه السلام
مع هذه البراهين والادلة والله المستعان وقوله جل اسمه ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين هذا احكاية قول يوسف
صلى الله عليه وان كان ما تقدم حكاية المرأة وجاز قطع ذلك على حكاية المرأة لظهور
المعنى بالدلالة الظاهرة في ذلك وهذا بيان العزيز في رد الرسول الى الملك في الطلب
من الملك ان يبحث عن حال النسوة وحكايته قال فعلت ذلك ليعلم العزيز اني لم
اخنه بالغيب اي بظهر الغيب ولم اخنه لان الله لا يهدي كيد الخائنين معناه
من هود وخيانة كان محروما من ثواب الله تعالى ومستحقا لعقابه ومعنى
لا يهديه الى طريق الجنة ههنا وقوله جل اسمه وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي لغفور رحيم هذا ايضا حكاية
قول يوسف فكانه قال لما ظهرت براءته وبراهينه رجع الى حال نفسه
ودواعيها تضرعا واستكانة واظهار الذل والعبودية فقال
ولست ابرئ نفسي انها تدعو الى خلاف الحكمة لان النفس تنازع الى
السوء لما فيها من شهوة القبائح ولست ابرئ نفسي عن منازعتها
الى السوء وان كنت لا اطاوعها فيما نازعت اليه وقد تعالى نفسي
تامرني بكذا وتدعوني الى كذا من جهة شهوتي فقال وان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ومعناه الا ما انعم الله بفعل اللطف
الذي ترك الملطوف له فعل القبيح عنده ووصف الله عليهم السلام بهذه
الصفة وكذلك جميع الائمة الذين هم الائمة وخلفاء الرسول بعده وقوله جل اسمه
قال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين

امين ه معناه ان الملك قال من بعد ما تبين له براءة يوسف وحال النسوة
فيما فعلن ائتوني بيوسف اجعله صفوة لي وخالصا والاستخلاص طلب خلوص
الشي من شائبة الاشتراك فان اراد الملك ان يكون يوسف له خالصا دون
شريك فيه فلما حضر يوسف حضرة الملك وكلمه الملك قال له انك اليوم
لدينا امين مكين لله وذلك عندنا منزلته ومكانه وقوله جل اسمه قال اجعلني
على خزائن الارض اني حفيظ عليم ه معناه ان يوسف قال للملك بعد ان
كلمه بما اراد ان يكلمه وبعد مدحه له وثنائه عليه واستخلاصه اياه
اجعلني خازن ارضك وطلب منه ان يوليه امر خزائنه والالف واللام
اللذان دخلتا في الارض وجب تعريف الاضافة اليها بدلا منها فكانه
قال اجعلني على خزائن ارضك فاني حفيظ لها عليم باحوالها على معنى احفظها
عن من لا يستحقها واعلم وجوه التدبير لها وقيل عليم بالصرف فيها ويعلم
ان يوسف رسول الله عليه السلام لم يطلب ان يكون خازنا للعزيز
لحطام الدنيا وطلب نفعها المعيشة وانما اراد ذلك لصلاح عباد الله
ووضع الحقوق مواضعها التي زالت عن مواضعها لكونها في يد الملك
واصحابه وعلى هذا الوجه احتج الله على الفراعنة والطاغين الاولى
لانهم استولوا على الحقوق ومنعوها عن مستحقيها واستخرجوها
عن ايديهم على احسن وجه واوصلوها الى اربابها وهذا من باب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وقد احتج الله تعالى في زمان نبي
نصر عنه الاموال احد يعقوب عليه السلام من ... واحد يوسف من
العزيز وهكذى جرت هذه الطريقة الى ايام معويه وبني مروان وبني
العباس واخذ الحسن والحسين عليهما السلام واخذ جماعة من اولياء الله
من اولائك الظلمة وكل ذلك كان على هذا الوجه وقوله جل اسمه وكذلك مكنا

ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء ه اصل التمكين الاقرار بما يسهل
به الفعل ويدخل في جملته اعطا القدرة والالة ورفع الموانع ه
والتبوء اتخاذ منزل للرجوع اليه ووجه التشبيه في وكذلك على معنى
كما لطفنا ليوسف حتى ظهرت براءته وخلص من ضيق الحبس مكنا
ليوسف في الارض ليتصرف فيها كيف يشاء وحيث يشاء فهو عبارة عن
سعة الملك ونفاذ الامر وقوله جل اسمه نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع
اجر المحسنين ه معناه ننعم على من نشاء من عبادنا وهو من يستخلص
للنعمة كانت النعمة نبوة او امامة او ما يجري مجرى ذلك ومن اتى باحسان
يتقرب به الي فاني لا ابطله ولا نضيع له عندي اجره وثوابه وقال
بعض العلماء هذه الاية دالة على هذا ان هذا التمكين ثواب له وجزاء على
طاعته واكده بقوله ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون
وقال غيره يحتمل ان يكون الله تعالى قصد بالانعام عليه من غير ان ينقص
شيئا من اجره وقوله جل اسمه ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا
يتقون ه من ذهب الى ان ما تقدم ذكره هو الثواب قال معناه وثواب
الاخرة رحمة للمؤمنين المتقين من ثواب الدنيا ه ومن ذهب الى القول الاخير
قال معناه وثواب الاخرة خير من الدنيا ومنافعها وقوله جل اسمه
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ه ورد في القصة
ان سبب مجيئهم الى يوسف وقوع الجدب والقحط في بلاد كنعان وهو ما
ذكره يوسف عليه السلام في تاويل الرؤيا وتعبيرها لهما والى مصر ممتازين
مع العير الخارجة من ناحية كنعان ه واصل الانكار نقض الاقرار وهو
ابطال المعرفة للشي بالقول فدلت هذه الاية على ان اخوة يوسف لم يبلغ
اليهم خبر يوسف انه صار خازن الملك وتبوا من مملكته حيث شاء لانهم لو

كان يبلغ ذلك اليهم لما انكروه وقوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين ٥ اصل
الجهاز فاخر المتاع الذي يحمل من بلد الى بلد ٥ معناه ولما شرح
يوسف اخوته لجهازهم الذي لاجله جاوا الى مصر وهو الطعام وقال
اذا انصرفتم الى مصر بعد هذا فاخرجوا معكم اخاكم من ابيكم ولكن
معكم اذا دخلتم مصر الكرة الثانية وكان ذلك الاخ ابن يامين
اخا يوسف من ابيه وامه وكان اخاهم من ابيهم فاشتاق يوسف اليه
واراد ان يراه وان لم يظهر السبب الذي يظهر وقال لهم الا ترون
اني اتم الكيل واوفيه ولا انقص وانا ابر الطعام واكرم امرها
اليه وفي وانا خير المنزلين والمنزل هو واضع الشيء الى منزله وقد
يكون للشيء منزلتان احدهما الاولى والاخرى ثمن وضعها في الاولى
وهو خير المنزلين وقيل معنى المنزلين المضيفين وقوله تعالى فان لم
تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ٥ معناه فان لم تاتوني بهذا الاخ
الذي سالتكم ان تحملوه الى حضرتي فلا ابيعكم الطعام ولا اقربكم ولا
احبس لكم فاكد الحجة وخوفهم لئلا يتكلوا على التواني في باب
الاخ وكثر امره واخفاه والبشر عليهم خوفا من ان يتهموه عليه
ما استدلوا لاجله اصطفاه ابيهم لما سبق منهم فيه فيهم ذلك الى مفسده
اخرى وقوله تعالى قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون ٥ معناه انهم
قالوا ليوسف عليه السلام نحن نجتهد في ذلك ونطلب من ابيه ان
يرسله معنا وانا لصابرون له اليك ان ارسله ابوه معنا بحرج الجواب
منهم على هذا الوجه لانهم تاملوا ان يجيبهم ابوهم الى ملتمسهم وهذا
معنى قوله وانا لفاعلون وقوله تعالى وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم

في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون
معناه ان يوسف قال لغلمانه الذين بمصر وهم تحت امره
اجعلوا بضاعتهم التي حملوها الى بلادهم الى مصر لاشترا الطعام
في رحالهم ٥ ومعناه ردوها اليهم من غير ان يشعروا به والرحل
هو الشيء المعد من وعا وغيره ٥ ومعنى لعلهم يعرفونها اذا رجعوا
الى وطنهم واهلهم ليكون في ذلك سببا للرجوع اليه ويحتمل ان يكون رد
المتاع ليرجعوا اليه بعد ان عرفوا ما عرفوا من اكرامه اياهم ويحتمل
ان يكون ليرجعوا مستعرفين سبب رده وقيل فعل ذلك لعلمه ان
طلبه اخاهم ليس في وسعه مالهم وقوله جل اسمه فلما رجعوا الى
ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا
له لحافظون معناه انهم لما رجعوا الى يعقوب عليه السلام قالوا
يا ابانا منع منا الكيل ان رجعنا الى مصر ولم يكن اخونا معنا
وقيل انما قالوا منع منا الكيل وان كانوا اكالوا لهم لانه كان يكيل
لكل واحد منهم كيل بعير ومنعوا تمام الكيل الذي ارادوه والتاويل
هو الوجه الاول وقوله نكتل جواب ارسل ولهذا صار مجزوما لان
جواب الامر مجزوم واذا المركلين بالقاء واصله نكتال ومعناه فارسل
اخانا معنا نزدد كيل بعير وانا له لحافظون له وقوله جل اسمه قال هل
امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل معناه ان يعقوب عليه
السلام قال لبنيه هل لا امنكم على هذا الولد الا كما امنتكم على اخيه
يوسف من قبل فذكرهم بذلك ما كان سبق منهم في امر يوسف وما
جاوا به الى ابيهم من الغم وقوله جل اسمه فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين
معناه ان يعقوب عليه السلام قال لهم الله خير حفظا وحفظه قول

القايل خير في كذا انه اعظم من كذا لمعناه والفرق بين خير حافظا
وبين خير حفظا ان الاضافة تدل على ان المعروف حافظ وليس كذلك
التمييز والفرق بين التمييز والحال هو ان الحال يدل على ان الله حافظ
وليس كذلك التمييز لانه يرجع الى من يحفظ بامره من الملائكة عليهم السلم
وقوله جل اسمه فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم معناه
ولما انصرفوا الى بلادهم ووطنهم وفتحوا اوعيتهم او عيبهم والحمولة وجدوا
بضاعتهم التي حملوها الى مصر في رحالهم وقوله جل اسمه قالوا يا ابانا ما نبغي
هذه بضاعتنا ردت الينا فقولهم ما استفهام ها هنا كانهم
قالوا لابيهم لما نطلب والحال ما ترى من رد المتاع وقيل هو بمعنى
النفي على معنى ما نبغي ما اخبرناك به من امر الملك ومصر الكذب دليله
بضاعتنا هذه ردت الينا وقوله جل اسمه ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد
كيل بعير ذلك كيل يسير معناه نقل ميرة الطعام نميره واميره نماره اذا
اشترى الطعام وحمله من بلد الى بلد ومكانهم قالوا هذا الذي جئناك
به كيل قليل فيحتاج ان يضاف اليه كيل بعير لنكون كثيرا وقيل معنى
يسيرها هنا على من يكيل لنا وقوله جل اسمه قال لن ارسله معكم حتى
تؤتوني موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم معناه ان يعقوب عليه
السلم قال لبنيه لا ارسل معكم اخاكم ابن يامين حتى تحلفوا بالله
وتوكدوا الامر على انفسكم بان ترجع الى العقد بانكم تحفظونه
ولا تضيعونه سيا حتى تاتوني به فاستثنى من ذلك الا ان
يحاط بكم ما لا يمكنكم دفعه من حادث يعرض لهم او من تغلبهم
تقهرهم وانما قال موثقا من الله لانه طلب منهما اليمين بالله
وموضع الا ان يحاط من الاعراب نصب بمعنى المفعول على تقدير

الا الاحاطة بكم وقوله جل اسمه فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول
وكيل معناه فلما اعطوا اباهم ما طلب منهم من العهد واليمين قال لهم
ابوهم الله على ما نقول وكيل والوكيل هو القايم بالتدبير وهذا تاكيد الامر
الذي طلبه منهم وقوله جل اسمه وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة ~~وما اغنى عنكم من الله من شيء~~ معناه قال بعض العلما انما
نهاهم عن الدخول من باب واحد خوفا ان يصيبهم العين واجازه بعضهم لما
ورد في الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقيل انما قال لهم
ذلك لانه خاف عليهم حسد الناس لهم وخاف عليهم ان يبلغ العزيز قوتهم
وشده بطشهم فيحبسهم على قتلهم خوفا منهم على مملكته وقوله جل اسمه
وما اغني عنكم من الله من شي ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه
فليتوكل المتوكلون معناه وما يكون من حكم الله فيكم فليس في
امكاني دفعه وليس الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل
المتوكلون معناه وانا متوكل على الله ومفوض امري اليه وفي هذه
الاية ضروب من الحكمة احدها ان نبي الله امر اولاده بان يتفرقوا
اذا دخلوا مصر ولا يدخلوها مجتمعين ولولا ان في التفرق حكمة
بالغة لما امرهم به والثاني ان ما يكون في معلوم الله انه يكون
لا بد من كونه فان الاحتراز منه حسن والثالث ان العين
والحسد اصلا ثبوته ولولاه لما قال يعقوب لبنيه ما قاله والرابع
ان في حكايته ذلك لنا نفعا عظيما في باب الاعتبار والاقتدا وقوله جل اسمه
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شي معناه
ولما دخل اولاد يعقوب مصر على الحد الذي امرهم به ابوهم ما كان يغني
عنهم من الله من شي وقوله جل اسمه الا حاجة في نفس يعقوب قضاها معناه

وما كان يعقوب عليه السلام يدفع عنهم شيئا مما قضى الله به وانما
امرهم به لحاجة كانت في نفس يعقوب وقضى تلك الحاجة وهي ما ذكره
من خوف العين والحسد قوله جل اسمه وانه لذو علم لما علمناه ه فالذي
امرهم به اولاده كان عن علم ووصف يعقوب ههنا بالعلم ينبغي نفي
التشكك في العلم من جهته لانه ليس ممن يعمل على الجهل وانما يعمل على
علم لما علمناه قوله جل اسمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ه معناه وان اكثر
الناس غافلون عن علم ذلك قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف آوى اليه
اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون الابتئاس الحزن والاغتمام
معناه ولما توجهوا من مصر ودخلوا على يوسف صلى الله عليه ضم اليه اخاه
وانزله معه واكرمه وعرفه انه اخوه فجاز ان يعرفه وان كان ذلك بعد
علمه انه اخوه لانه من ابيه وامه لانه كان يجوز ان لا يعلم ان الذي كلمه هو اخوه
قيل انه جاز اخذه بالصواع مع تعريفه اياه انه اخوه لان ذلك كان
بمواطاة بينهما وقيل انما عنى به انا اخوك مكان اخيك الهالك والقول
الاول اقرب ثم قال له فلا تحزن ولا تغتم بما يعملونه وبما ترى قوله جل اسمه
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ه معناه فلما فرغ من
تجهيزهم وحان وقت سيرهم جعل السقاية التي كانوا يكيلون بها
الطعام في رحل اخيه الذي اواه وضمه اليه ه واصل السقاية الاناء الذي
يسقى فيه ه والمراد به صواع الملك وكان الملك يشرب فيه وروي انه
كان من فضة وقيل من ذهب وجعل في ذلك الوقت مكيالا للطعام قوله
جل اسمه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون ه قال بعض العلماء العير
القافلة الحمير وقال غيره هي القافلة التي فيها الحمال وقيل ان يوسف
عليه السلام امر بجعل السقاية في رحل اخيه كما اخبر الله تعالى ولم يامرهم

يوسف بان يقولوا لهم انكم لسارقون وانما نادا بها الموكلون
بالطعام لما افتقدوا الصواع اتهاما لهم ه وقيل انما نادا بهم على ظاهر الحال
لما غلب على ظنونهم ولم يكن يوسف عليه السلام امرهم وان علم انهم سيقولون
ذلك قوله تعالى قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون ه معناه ان اخوة يوسف
اقبلوا عليهم وقالوا لهم ما الذي تفقدونه من ملككم وما الذي ضاع لا حدونه
قوله تعالى قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم ه
ومن رد صواع الملك فله حمل بعير من الطعام وقال المتكلم عن الجميع
وانا ضامن للحمل بذلك وحد لفظ زعيم قوله جل اسمه قالوا تالله لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ه تالله قسم وجاز في
القسم بالله ولم يجز بالرحمن لان التاء بدل من بدل فهي بدل الواو والواو
بدل من الباء فضعف عن التصرف في سائر الاسماء فجعلت فيما هو احق
بالقسم وهو اسم الله تعالى ه ومعناه ان اخوة يوسف قالوا لقد علمتم
انا ما جئنا للفساد ولسنا من اهل السرقة وكان ذلك سببا لهم على ما
شاهدوه من صحة معاملاتهم وشدة توقيهم عما لا يجوز تعاطيه ه وقيل
جعل علامة صلاحهم انهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم وهذا
لا يليق بحال السراق قوله تعالى قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ه معناه
ان الموكلين قالوا لهم ان ظهرت السرقة عليكم وكنتم كاذبين فيما قلتم وبرأتم
منه انفسكم فما جزاء السارق عندكم ه وقيل جاز ان يكون في ذلك
الحكم على شرع بني اسرائيل الله تعالى وقيل جاز ان يكون ذلك على
عادة الملوك في اهل الجنايات لمصالح العباد قوله تعالى قالوا جزاؤه من
وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين ه قالوا جزاؤه ان يوخذ
من وجد الصواع في رحله فهو جزاؤه عندنا كجزائه عندكم ومن كان

من عادتهم ان يسترقوا السارق وقيل يقدر ان في الاعراب الاول
جزاوه الا استرقاق من وجد في رحله فهذا الجزا جزاوه ويكون ههنا
ثانيا والفا جواب الجزا والجملة خبر من ومن ههنا الجملة خبر احدها
بمعنى الذي كانه قيل جزا الذي وجد في رحله استرقاقا اي بمعنى الشرط
كانه قيل الجزا السرق ان وجد في رحل الشان فانما الموجود في رحله جزاوه
استرقاقا ثم قالوا ومن ظلم بنحو هذا الجزا وقوله جل اسمه فبدا باوعيتهم
قبل وعا اخيه ثم استخرجها من وعا اخيه معناه ان الطالب للصواع
والمفتش عن حالها بدا باوعيتهم قبل وعا اخيهم ثم استخرجها من وعا
اخيهم فالها التي في استخرجها عايدة على السقاية وقيل عايدة على
الصواع والصواع يذكر ويونث وقوله جل اسمه كذلك كدنا ليوسف ما
كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشا الله والكيد العوض
للغط وقيل التعرض للضر في حقيقة ويقدر هذا كدنا اخوته له
بما دبرنا في امره حتى اخذ منهم اخاهم بالحكم الذي حكموا به في جزا السارق
وما كان ليوسف ان ياخذ اخاه في عادة الملك جزا من يسرق الا ان يشا
الله لانه لا امر لذلك الحكم والبلا عليه وقوله جل اسمه نرفع درجات من
نشا معناه نرفعها بالعلم من وجه الصواب في بلوغ المراد وقوله تعالى
وفوق كل ذي علم عليم معناه وفوق كل ذي علم يعلم عليم وهو الله تعالى
العلي بذاته عن التعلم وقيل وجه اخر وهو وفوق كل ذي علم من هو اعلم
الله عليم وقد رفع الله بالعلم من وجه اخر وهو اعلى بذلك الامر من الاخر
وقوله جل اسمه قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه ان
اخوة يوسف قالوا ان يسرق هذا فقد كان له اخ سرق ايضا قبل
هذا وعنوا به يوسف صلى الله عليه وروي في الروايات ان يوسف صلى الله

كان سرق صنما لجده ابي امه وكسره والقاه في الطريق وقيل كان يسرق
من طعام المايدة للمساكين وقيل انه خبا حبات في ثيابه منطقة
اسحق لتملكه بالشوق حرصا على اقامته عندها وقوله جل اسمه فاسرها
يوسف في نفسه ولم يبدها لهم معناه ذكر يوسف في نفسه ولم يظهر
لهم وقيل ان الذي اسر في نفسه قوله انتم شر مكانا على تقدير
انتم شر ممن قلتم فيه هذا القول ومكانكم شر لما ظهر الامر الذي
يقتضي هذا الوصف واما قال اسرها التانيث لاضمار الكلمة الدالة
عليها وهذا كقول حاتم طي اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت
يوما وضاق بها الصدر وقوله تعالى والله اعلم بما تصفون اي تصفون
الكذب وقوله تعالى قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا
مكانه انا نراك من المحسنين معناه انهم استعطفوه بقولهم ان له
ابا شيخا كبير السن فليس ولا ياخذه رقا وعرضوا انفسهم عليه
لياخذ واحدا منهم بدله وكانهم قالوا خذ واحدا منا عبدا بدلا
منه فانا نراك محسنا الينا في كيل الطعام لنا ورد بضاعتنا الينا ه
وقوله تعالى قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا
اذا لظالمون معناه انه اجابهم جواب المستعيذ بالله ان ناخذ بريا
بسقيم والعرب يقول معاذ الله ومعاذة الله وعوذ الله وعوذة
الله وعاذ الله ويقولون اللهم عايذا بك اي ادعوك دعا عايذ بك
ثم قال لهم لو فعلنا ما طلبوه منا كنا من الظالمين وقوله جل اسمه
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا اصل الخلوص حصول الشي من غير
خلط وشايب معناه فلما يئسوا من حصول ما طلبوا منه اعتزلوا
من القوم فانفردوا من غير ان يكون معهم غيرهم يتناجون ويتشاورون

بما وقع وجاء لفظ النجي في اللغة في الواحد والجميع انه في موضع المصدر
والنجوى والمناجي واحد وجاء في القرآن لفظ النجي للواحد في قوله وقربناه
نجيا وجاء هاهنا للجميع وقد قال الشاعر اني اذا ما القوم
كانوا انجيه واختلف القول اختلاف الارشيه ٥ هناك اوصيني
ولا توصي بيه ٥ قوله جل اسمه قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ
عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف ٥ معناه ان اكبر
الاخوه قال لهم هذا وورد في الروايات ان اكبرهم سنا كان روبيل
وقيل كان شمعون اكبرهم في العقل والعلم فقال لهم الم تعلموا ان اباكم
اخذ الوثيقة منكم حتى ان يرسله معكم كما اخذها حين خرج يوسف
معنا وعلمنا ما فعلنا من تفريطنا وتقصيرنا وقال بعض النحويين ان موضع
ما قبل نصب بقوله تعلموا على تقدير الم تعلموا تفريطكم في يوسف
والتفريط التقصير بترك التقدم في الامر انما هو حقه وقال غيره ارتفع
بالابتدا وخبره من قبل وقيل هي صلة لا موضع لها من الاعراب بالجملة
تقع موقع اسم معرب قوله جل اسمه فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي
او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ٥ معناه انه قال لهم لا ابرح من مكاني
هذا الا باذن ابي او حكم وارد من قبل الله وهو خير الحاكمين ٥ قال بعض
المفسرين اراد به او يحكم الله بمحاربتهم او بغيرها مما اراد به ان ياسر اخي على
ابيه صلى الله عليه ٥ وقيل انهم ساحروا الجائزة العزيز فلم يقفوا على ذلك
خوفا ما يلحق اباهم من الغم لقتل بعضهم في الحرب قوله جل اسمه ارجعوا
الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب
حافظين ٥ معناه انه قال لاخوته ارجعوا الى ابيكم واشرحوا له هذه الحال
التي ظهرت في قوله ان ابنك سرق على ما ظهر من الحال وما شهدنا الا بما علمنا

الا ما حصل لنا العلم به وانا نعرف باطن الامر في السرقة وانما نقول ذلك
بظاهر الحال وما كنا نشعر ان ابنك سيسرق وهذا معنى قوله وما
كنا للغيب حافظين ٥ وقد قرئ سرق بالتشديد على معنى قذف بالسرقة
قوله تعالى واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون ٥
معناه واسأل اهل القرية وهي مصر وهذا توسع ومجاز كانهم قالوا ان
سألت من اهل القرية اخبروك بصحة ما قلنا واسأل العير التي كنا فيها في صحبتهم
ايضا حين اقبلنا من مصر ليخبروك بصحة ما قلنا وتبين لك انا لصادقون
قوله تعالى قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل ٥ التسويل التزيين وقيل
التسهيل وقيل هو تقدير معنى في النفس مما يطمع فيه ٥ ومعناه زينت لكم انفسكم
امرا ثم قال فصبر جميل ٥ معناه امري صبر واسع لا انجزع ولو كان امرا الا الصبر
كقول الشاعر ٥ يشكوا الي جملي طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلى ٥ قوله تعالى
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم ٥ قيل انما اراد يعقوب
عليه السلام بما قال يوسف واخوه والمتخلف الذي قام بالمكان منتظرا الاذن
الله او نزول حكم الله تعالى فيه ٥ ومعنى ذكر العليم هاهنا انه العليم
بكثرة حزني على فقد اولادي وبصدقكم فيما تقولونه وبكذبه فعسى ان ياتيني بهم
جميعا لانه الحكيم في تدبيره لخلقه قوله جل اسمه وتولى عنهم وقال
يا اسفى على يوسف ٥ واعرض يعقوب عليه السلم وقال يا اسفى معناه
وا حزناه مخرج الكلام مخرج النداء الاسفى والنداء الاسف على معنى
السال الحال التي هي حال الحزن كانه قال يا يوسف فان لو وقتك
قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ٥ معناه وصارت
الناس في عينه من غلبة حزنه وكثرة بكايه على يوسف ٥ ومعنى
فهو كظيم ممسك للحزن في قلبه ولا يشكو الى غيره ٥ وقيل كظيم

على الغيظ فلم يفعل بأسا وقيل كظيم بالغيظ على نفسه لم أرسل معهم أخاه
قوله تعالى قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف ٥ معناه لا تزال تذكر يوسف
ومعنى تالله قسم بالله وفي تفتأ افتأ وفتوا وحذفت لا من تفتأ لأنه جواب القسم
بمعنى النفي المستعمل ولو كان إثباتا لم يكن بد من اللام والنون فجاز ذلك لما فيه
من الإيجاز قال الشاعر امرؤ القيس فقلت يمين الله أبرح
قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي ٥ وقوله تعالى ابيضت عيناه من الحزن أي
البكاء والحزن ندعا باه إشفاقا عليه قوله حتى تكون حرضا أو
تكون من الهالكين أصل الحرض فساد الجسم والعقل للحزن والحب والحرض
دون المرض والبلى ٥ ومعناه تبقى كذلك حتى تكون ذا هرم أو تكون من
الهالكين الميتين والحرض لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر قوله عز اسمه قال إنما أشكو
بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ٥ معناه أنه جعل إشاعته ذكر
ما أصابه في الناس فقال إنما أشكو حزني إلى الله ولست أفعل شيئا يوجب اللائمة
والعقوبة ٥ ومعنى وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من إحسان الله إلي ما يوجب
حسن ظني وقيل معناه أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأني
ساجد له وليس الحزن لنصب يعقوب عليه السلام بما فعله من الحزن والبكاء
حتى ابيضت عيناه لأنه أصيب بما لم يصب به أحد في زمانه ولم يكن
منهيا عن الحزن والبكاء وإنما كان منهيا عن الولولة وما يؤدي
إلى الإثم ولم يفعل شيئا من ذلك ولم يعرف يوسف يعقوب حاله لأنه كان
محبوسا بضع سنين ومدفوعا إلى مكان يغلب في ظنه أنه لو أظهر
حاله لأدى ذلك إلى بلية أعظم مما هو فيه وأبوه وإنما جاز أن يجعل
الصواع في رحل أخيه وإن كان ظاهره ظاهر التهمة لأنه كان
بمواطاة منه لأخيه وكان يجب على الناس أن لا يتهموه لأنه جاري

عقولهم أن يكون غيره قد جعل الصواع في رحله فإذا اتهموه قطعا على
ذلك أثموا والذي نال إخوة يوسف من الغم كان جزاء لما كان فيهم من
لطيف التدبير وزوال الغصص العظيم الذي نزل بأسرهم وصار هذا الغم
حسنا لأنه تاج البلاء العظيم ٥ وروي من طريق أهل البيت عليهم السلام
أنهم قالوا كان البكاؤون [illegible] آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة وعلي
بن الحسين زين العابدين صلوات الله عليهم ٥ أما آدم فبكى على خطيئته حتى
أثر ذلك في وجهه ٥ وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ابيضت عيناه وأما
يوسف فبكى على أبيه وهو في السجن حتى تأذى به أهل السجن فقالوا له إما
أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار وإما أن تبكي بالنهار وتسكت
بالليل فصالحهم على ذلك ٥ وأما فاطمة عليها السلام فبكت بعد وفاة النبي
صلى الله عليه وآله حتى قال لها أهل المدينة مثل ما قال أهل السجن ليوسف ثم
كانت تبكي في المدينة ما شاءت فإذا علمت بضجر أهل المدينة خرجت إلى البقيع الغرقد
وبكت حتى تقضي حاجتها من البكاء هو اليوم الذي خرجت وبها وسن أبي بكر بتلك
الناظرة فلما انصرفت عن وجهه أتت قبر النبي صلى الله عليه وآله فاتكأت عليه
وهي تقول ٥ ماذا على من شم تربة أحمد ٥ ألا يشم مدى الزمان غواليا
٥ صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا
ومن أمثال هذا أعرف بإسناده ولم تبق بعد النبي صلى الله عليه وآله في أكثر
الروايات أكثر من أربعة أشهر وفعلت ما فعلت وتكلمت بما اشتهر النقل به
ودفنت بالليل برجاء أن لا يتها أحد ولم يظهر لقبرها أثر وتولى ذلك
أمير المؤمنين عليه السلام وهو لا يفعل إلا ما أمرت به عليها السلام
ما كانت توصي إلا بما كان حقا ولله رضا ٥ وأما علي بن الحسين عليهما السلام
فبكى على قتل أبيه سنين حتى أضج الخلق وقال له مولاه يوما يا سيدي

اني اعظك ان تكون من الجاهلين قيل انما اشكو بثي وحزني الى الله اني
لم اذكر مصرع بني فاطمة يوم كربلا الا خنقتني العبرة ولم تر بعد ابيه
متبسما قط الا في وقت ما وضع فيه راس عبيد الله بن زياد لعنه الله
وكان المختار بن ابي عبيد وجه اليه واراد ان يوضع على طبق ويغطى
ويوضع وقت افطاره مع بني عمه ولا قاتله ففعل ذلك فلما كشف عن الطبق
ورأى القوم ذلك الراس امسكوا عن الطعام وعرف هو عليه السلام الراس
فقال لهم هلموا الى الطعام فانكم لا تاكلون اهنا من هذا وتبسم عليه السلام ومن
تامل ما اصاب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم عرف الحق واهتدى له قوله تعالى
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ان التحسس طلب الشي بالحاسة
ودل هذا الكلام على ان يعقوب عليه السلام كان ظهر شي من الامر الذي
حثهم على طلبهما وتلك الامارات التي راها غلب ظنه ان يوسف واخاه
ههنا في جملة الاحيا قوله جل اسمه ولا تياسوا من روح الله انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون والروح والفرج بمعنى واحد [illegible] واصله
من الريح التي ياتي بها السرور واللذة والراحة وبين انه لا ييأس من روح الله
الا الكافرون بالله فان قيل اذا كان الفاسق يايس من روح الله
فكيف يجوز مع هذا اطلاق القول بانه لا ييأس من روح الله في حال التكليف
الا الكافر الذي لا يعرف الله والكلام انما خرج على وجه الحض على طلب
روح الله يكون كلام بين معناه ما تقتضيه الغرض فيه فمن لا يعرف
الله ايس من روح الله ويحتمل ايضا ان يكون ذلك على التغليب فيه حال
الفاسق على الجملة قوله جل اسمه فلما دخلوا قالوا يا ايها العزيز مسنا
واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة الضر سوء الحال والمزجاة
القليلة وقيل الردية التي لا توخذ الا بالوكس وقيل مزجاة كاسدة

عن نافقة وهي لا يكاد ياخذ بعد ثمنها انهم ذهبوا على الوجه الذي امرهم
به ابوهم حتى دخلوا على يوسف فقالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر
وجئنا ببضاعة قليلة قوله جل اسمه فاوف لنا الكيل وتصدق علينا
ان الله يجزي المتصدقين معناه ان اولاد يعقوب سالوه ان يتصدق
عليهم ولا يقتصر بهم على ما حملوه من البضاعة والتصدق اعطا الصدقة
يقال تصدق عليه اذا اعطاه وتصدق اذا اخذ الصدقة ممن وجبت عليه
ومنه المصدق وهو العامل الجابي للصدقات ذكر الله تعالى عن اولاد
يعقوب انهم قالوا ليوسف تصدق علينا فان الله يثيب المتصدقين ويجزي
احسن الجزا فان قيل هل كانت الصدقة حلالا لهم او حراما عليهم وعلى
ساير الانبيا عليهم السلام قيل له ليس يمكن القطع على ان الصدقة كانت
حراما على ساير الانبيا واهالي بيتهم الا بدليل قاطع ولا دليل وانما
قطعنا على تحريمها على الرسول صلى الله عليه وآله للدليل الذي قام
لنا عليه فيجوز ان تكون الصدقة حلالا لهم فسالوها اياه ويجوز انها كانت
حراما عليهم فسالوه ان يتفضل بالنقص عن السعر الذي كان للطعام في
ذلك الوقت قوله جل اسمه قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم
جاهلون قيل جاهل ههنا للتذكير بما اقتضت التوبيخ على ما فعلوا
به من القايه في الجب وساير ما اقدموا عليه وفعلوه به وكذلك ما فعلوا
باخيه من تعريضه بافراده عن اخيه من ابيه وامه مما فعلوه من الجفا
معه حتى اذلوه اذ كان لا يمكنه ان يكلم واحدا منهم الا بكلام المتذلل
للعشرة ومعنى قوله اذ انتم جاهلون مذهب الى ان ما فعلوه كان
ذلك اتفق منهم في حال صباهم وان هذه الجهالة كانت جهالة الصبي لا جهالة
المعصية وفي هذا مضى انهم كانوا في حال هذا الخطاب لم يجهلوا وما كانوا

من قبل ولولا ذلك لقال لهم انتم جاهلون قال ولكن هذا توبيخ لهم وانما
ذكرهم ذلك ليعرفوا الحال التي هم عليها الآن من تلك الحال وذكرت
بطريقة النصح لها وقيل ان يوسف عليه السلم لما قال له اخوته تصدق علينا
اذ الضر مسنا واهلنا ادركته الرقة فدمعت عيناه واعلن ما كان
يكتمه وخفيه من حالهم وشانهم وقوله جل اسمه قالوا ائنك لانت يوسف قال
انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا
يضيع اجر المحسنين لما خاطبهم يوسف عليه السلم فقالوا له على وجه
الاستفهام ائنك لانت يوسف فاجابهم باني يوسف وهذا اخي قد من
الله علينا والنعم بان لطف لنا في الالتقاء والاجتماع بعد التفريق
وخلصنا من الغم من كان يتقي صابرا فان الله لا يضيع اجره ولا
يحرمه نعمه وفي ائنك اربعة اوجه في العربية تحقيق الهمزتين والثاني
ادخال الالف بينهما والثالث تليين الثانية والرابع ان يكون بهمزة واحدة
وقوله جل اسمه قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين
معناه انهم اقروا له بان الله اختاره عليهم وفضله وذكروا القسم
بالله تاكيدا للاقرار واعترفوا بخطيئتهم ممن ذهب الى انهم كانوا [illegible]
ما وقع منهم ذلك صبيانا قال انا كنا لخاطئين لانهم اقاموا على كتمان
امره مدة كانوا [illegible] من [illegible] امر ابيهم عليه بعد حزنه وجهدهم من جحد الصبي
وهذا يدل على انهم في حال بلوغهم كانوا خاطئين فمن ذهب الى
انهم كانوا بالغين في الوقت الذي فعلوا بيوسف ما فعلوه حمل الاية على
الظاهر والزمهم الخطيئة وقد تقدم الكلام في هذا الباب في اول
هذه السورة وهذه مسئلة غامضة على اصول اهل العدل يجب الاتقاف
عن اطلاق [illegible] اطلاقه ممن صار [illegible] عليه السلم وقوله جل اسمه قال لا تثريب

عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين معناه ان يوسف
عليه السلم قال لهم لا تعيير لكم ولا توبيخ من جهتي بما سلف منكم قال له
عفوا عنهم وصفحا [illegible] التثريب اذا عيره ووبخه وقيل لا
مكروه عليكم بتوبيخ ولا تعيير وقيل لا تخليط بوجه مكروه الله
تعالى يغفر لكم ذنوبكم اذا استغفرتم وقوله جل اسمه اذهبوا بقميصي هذا
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قيل كان في القميص ريح [illegible] على يعقوب
بان رد الله تعالى على يعقوب بصره حين القي على وجهه وقيل لولا ان الله
تعالى اعلمه ذلك لما علم انه يرجع اليه بصره فجعل الله القميص علامة لسمعه راحة
يوسف قبل القائه على وجهه وقوله جل اسمه واتوني باهلكم اجمعين معناه باني حضرتي
جميع من كان بحضرته الى منزل لا احد وقوله جل اسمه ولما فصلت العير قال ابوهم
اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اصل الفصل القطع الحاجز
بين الشيئين وبطريقة الفرقة ومعناه لما اقبلت العير من مصر وخرجوا
منها شم يعقوب ريح يوسف عليهما السلم جاءت الريح من الجنة باذن الله
تعالى من مسيرة ثمان ليالي وقيل من مسيرة شهر واصل التفنيد
تضعيف الراي في الكذب والتسفيه وهو اللوم ويقال افنده الدهر
اذا افسده قال الشاعر الدهر يفعل ما اراد وانه اذا كلف
الانسان بالدهر افندا فقيل معناه لولا ان تسفهون وقيل تهرمون
وقيل تضعفون رايي وقيل تكذبون وفسر تفندون على هذا الوجه
وقيل انما قال يعقوب عليه السلم هذا القول لمن حضره من اهله وقرابته
دون ولده لانهم غابوا عنه وهم بناحية مصر وقوله جل اسمه قالوا تالله انك لفي
ضلالك القديم الضلال الذهاب عن جهة الصواب وطريق الصواب
والهلاك وقال بعض العلماء هذه كلمة قالوها وشافهوا بها نبي الله يعقوب

على جهة الغلطة ولم يكن يسوغ لهم ان يقولها والاصح انهم قالوها على
جهة الشفقة اشفاقا عليه لما راوا من شدة محبته ليوسف وما ساله من
الغم لفقده وقيل كان عنده من فقد هذا الابن يوسف قد مات وانه في لهوه
بذكره ذاهب عن الصواب في امره فلهذا قالوا له انك لفي ضلالك القديم
وقوله جل اسمه فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا
البشير على وزن فعيل من المبشر بامر كذي بشره بشرة فاما البشر فهو
معنى استبشر لذلك عليه قوله تعلى وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
وقيل كان المبشر يهودا بن يعقوب القى القميص على وجه يعقوب فذهب
عن بصره ما فقد غشيه ودخله من الخلل وعاد البصر الى حاله الاولى
مصيا فلما ان اخبر لك يعقوب صلى الله عليه قال الم اقل لكم اني اعلم من
رؤيا يوسف ما لا تعلمون وهذا الذي ظهر من الامر العجيب هو من ذلك وقيل
اني ادريه اي اعلم من بلوى الانبيا عليهم السلم بالشدايد والمحن الى يصيرون
اليها منها الى المخرج والمخلص ما لا تعلمون وان موضع لان هاهنا
الاعراب انها تزاد مع لما وحتى للتوكيد على جهة الصلة كما قال تعلى
ولما ان جات رسلنا وفي موضع اخر ولما جات رسلنا وقوله جل اسمه
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطين لما ظهر الامر والكشف
اعتراف اولاد يعقوب بجرمهم وفزعوا الى ابيهم في الاستغفار لهم وان كانت
المغفرة قد تقع بالتوبة لاجل المظلمة التي تعلقت بصفح المظلوم وسوال ربه ان
لا ياخذه بظلمه اذ ابراه صاحبه منه عند توبته والاستغفار قد يكون طلبا
للمغفرة بالتوقف لما نزل معزه الخطيبة وقد يكون الاستغفار طلب
المغفرة بفعل التوبة ولهذا اجاز ان يستغفر لغيره فلم كان يتوب عن
غيره وقوله جل اسمه قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم

وقد ورد في التفسير ان يعقوب عليه السلم اخر الدعا الى وقت السحر بقوله
سوف استغفر لكم ربي لان ذلك الوقت ارجى لاجابة الدعاء واقرب وقيل
اخره الى ليلة الجمعة قال ابن عباس رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقوله جل اسمه
فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه في الاية محذوف لما ان جاء البشير ودعاهم
الى الارتحال الى مصر واجابوا الى ذلك فارتحلوا ووجه ترتيب الاية في دخول مصر
بعد الدخول على يوسف صلى الله عليه ان يوسف عليه السلم خرج مستقبلا لابيه
واخوته واهل بيته وخرج معه اهل البلد فلما رجع قال لهم ادخلوا مصر ان
شا الله امنين وقيل قال لهم ادخلوا مصر مقيمين ان شا الله امنين ومعنى اوى
اليه ابويه جعل لهما ماوى وابواه يعقوب وخالته لان امه ماتت وتزوج يعقوب
خالته وذلك في احدى الروايات وقيل كانت امه في الاحيا في ذلك الوقت والاحيان
الوجه الاخير لان وجه الاول تسميتها امه مجاز وقوله جل اسمه ورفع ابويه على
العرش وخروا له سجدا معناه ان يوسف عليه السلم عظم قدر ابويه
ورفع منزلتهما وسجد ابواه لله تعلى وتوجها نحوه بالسجود تحية لها كما
تعلقت الملئكة عليهم السلم حين سجدوا لادم عليه السلم لان السجود لغير الله لا يجوز
وابواه سجدا لله شكرا وقد مضت وجه الكلام فيه في قصة الملئكة وادم
عليهم السلم وقوله جل اسمه وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي
حقا معناه هذا الذي تراه من العز والرفعة لي هو تاويل رؤياي التي اريتها
وقصصتها عليك وقد حققها الله رؤياي وقوله جل اسمه وقد احسن بي اذ اخر
جني
من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
ومعناه وهذا من احسان الله الي اذ لطف لي في الخلاص وسهل الالتقا
بعد الفراق بعث مسجونا بمصر وكنتم بالبادية مقيمين وكلنا مدفوع الى الهم
والقلق وكان ذلك من بعد ان اوقع الشيطان بيني وبين اخوتي الفساد

بان عاجه ابا هم بالوسوسة على فعل ما ان تكبو ٥ قوله جل اسمه ان ربي
لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ٥ معناه انه لطيف التدبير عليم
بمصالح عباده حكيم في افعاله ٥ انما لم يتسل يعقوب عليه السلام الا ان
تاويل الرويا سيكون لا محالة لان رويا الانبياء عليهم السلام يكون صادقة غير
كاذبة لا سيما وقعت في حال الصبي وطول الغيبة وشدة المحنة توجب الحزن
فلا ينفع التسلي وقيل كانت المدة بين الرويا وتاويلها اربعين سنة ٥ وقيل
ثمانين سنة ٥ وقيل ثماني عشرة سنة وهو الاصح قوله جل اسمه رب قد اتيتني
من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث هذا اعتراف منه بنعم الله تعالى والطافه
له والاحاديث اخبار الغير بغيب الامور وما يجري مجراه ٥ ومعنى الاية
يوسف عليه السلام قال معترفا بانعم الله عليه رب قد مكنتني من الملك
وعلمتني تاويل الرويا مع ما اتيتني من وجوه الحكم وفنون العلم قوله جل
فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة ٥ هذا ثناء منه على
الله تعالى ٥ ومعناه يا خالق السموات والارض مبدعا لها من غير اصل
ابدعهما منه انت مالكي وسيدي وناصري ومدبر اموري على حسب
الحكمة في الدنيا والاخرة قوله تعالى توفني مسلما والحقني بالصالحين
معناه اجعل لي لطفا امسك عنده بما فيه نجاتي الى وقت الممات واحشرني
في زمرة الانبياء عليهم السلام وهم الصالحون على الحقيقة قوله تعالى
ذلك من انباء الغيب نوحيها اليك اشارة بذلك الى ما تقدم ذكره من القصص
والاخبار ٥ ومعناه ان الذي اوحيناه اليك من هذه الامور هو اخبار الغيب
الذي لا يطلع عليه الله تعالى الا الرسل قوله تعالى وما كنت لديهم اذ
اجمعوا امرهم وهم يمكرون ٥ معناه وما كنت حاضرهم ومشاهدا لهم
وقت مكرهم بيوسف عليه السلام وعزمهم على ما عزموا عليه فدل ذلك على

ان ما اخبره هو من الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى وجعله دليلا
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه ومكرهم بيوسف هو القاوهم في غيابة
الجب ٥ وقيل هو احتيالهم في امره حتى القوه في الجب ثم باعوه وفعلوا جميع
ما حكى الله عنهم قوله جل اسمه وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين في
ضمن هذا تسلية له عليه السلام مما كان يتداخله من الغم باعراض الكافرين
عما يدعوهم اليه من الايمان بالله والتمسك بنبيه وكانه قال له اكثر
الناس يعدلون عن الحق الى الباطل ويحاورون فعلى ما فيه حاتهم
وان وجب على النبي استدعاوهم الى دين الله لا اتباعهم شهواتهم
ومنازعة [illegible] انفسهم ووساوس اعوانهم الشياطين قوله جل اسمه وما تسألهم
عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين ٥ معناه وليس اعراضهم عن دين
الله اشفاقا من ان يلزمهم ان يعطوك مالا على تبليغهم ما تدعوهم اليه
لكن اعراضهم عنه لالفهم الكفر وطاعتهم دواعيه على ان ما تسالهم من
ارساله ليس الا ذكر للعالمين وعظة لهم وتنبيها وارشادا وتخويفا
قوله جل اسمه وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم
عنها معرضون ٥ معنى كاين كم والاصل فيها اي دخلت عليها الكاف
للتكثير والابهام ٥ ومعنى الاية وكم من اية دالة … الله تعالى في
السموات والارض اقامها ليعتبر الخلق بها ويتفكروا فيها فيعلموا
ان للسموات والارض خالقا ومدبرا قادرا عليما حكيما لا يشبه
الخلق ولا يشبهونه فهم يشاهدونها ولا يعتبرون بها ولا يتفكرون
فيها وقد قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها
معرضون ويدخل في ذلك قصص انباء من اهلكهم الله من الامم الماضية
لان الله تعالى قال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين

كان عاقبة الذين من قبلهم ونظائر ذلك كثير في القرآن وقوله جل اسمه وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون لاشراكهم الاوثان في العبادة وقيل ما يؤمن اكثرهم بالله ومن الاقرار بان الله خلقهم وخلق السموات والارض الا وهم مشركون بعبادتهم الوثن وقد حكى الله عنهم ذلك بقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل هم اهل الكتاب فيهم ايمان وشرك كما قال الله تعالى منكرا عليهم ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وكانوا امنوا بموسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله اسمه افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون الغاشية المجللة للشي بانبساطها عليه ومعناه ومن لا يامن على نفسه من عذاب الله ان يغشاه ومن اتيان الساعة بغتة كيف يسوغ لنفسه ان يقيم على الكفر بالله ورسوله وهو لا يعلم متى تقوم القيامة عليه وقوله جل اسمه قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني السبيل في اللغة يؤنث لفظه ويذكر قال الشاعر فلا تبعد فكل فتى اناس سيصبح سالكا تلك السبيلا والخطاب في هذه الاية لنبينا محمد صلى الله عليه وآله امره الله تعالى ان يقول لهم ان الذي ادعوكم اليه هو دين الاسلام والشريعة التي اتيت بها هي ديني وسبيلي وانا ادعوكم الى توحيد الله وانا ومن اتبعني على بصيرة ومعرفة بما تمسكنا به والبصيرة المعرفة التي يميز بها الحق من الباطل الابطال دعاه الى الحق ودعاه لما له فيه الحظ ودعاه بما فيه النصح له وقوله جل اسمه وسبحان الله وما انا من المشركين هذا تعليم له وامر بان يقوله وكانه قال له قل سبحان الله تنزيها لله عما قاله المشركون واظهر البراءة من المشركين بقولك وما انا من المشركين وقيل لم يدخل الالف واللام في سبحان الله لانها من المصادر فلما اخرج بهذا المعنى

من الظن اخرج عن التصرف فلم يدخل بذلك الاخراج وقوله جل اسمه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى خرج هذا الكلام مخرج الجواب في رد على قريش في قولهم لو اراد الله ان يبعث الينا نبيا لبعث ملكا فقال الله رادا عليهم لم نبعث قبلك يا محمد رسولا الا من البشر لا من الملائكة ولا من الجن ولا من النساء وقوله جل اسمه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذا حض لهم وبعث على الاعتبار بان من اهلكهم الله بكفرهم وعصيانهم وانكارهم الرسل الذين بعثوا اليهم لئلا يامنوا ان ينزل بهم ما نزل باولئك لاجل تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وتكذيبهم بالقيامة وقوله ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون معناه وما اعد الله لعباده المؤمنين في الاخرة خير وانفع مما ركنوا اليه واغتروا به من عرض الدنيا وحطامها ثم قال تعالى على وجه التعجب للخلق من حالهم افلا تعقلون معناه ومن كان عاقلا ناظرا يعمل عقله في حال الدنيا والاخرة علم ان نفع الاخرة خير له من نفع الدنيا وما وعد الله في الاخرة خير مما ركنوا اليه من هذه الحيوة الدنيا وقوله جل اسمه حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين الظن ههنا بمعنى العلم معناه حتى اذا ايس الرسل من ايمان قومهم وايقنوا انهم لا يفلحون جاءهم نصرنا وقد قرئ كذبوا بالتخفيف والتشديد ووجه من قرا بضم الكاف والتخفيف هو ان الامم ظنوا ان الرسل كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله واهلاك عدوهم ووجه من قراه بالتشديد ان الرسل ايقنوا ان الامم كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله واهلاك عدوهم وياسوا من ايمانهم وفلاحهم فيكون الظن بمعنى العلم ومعنى فنجي من

نشا نجى من عذابنا من نشا ولا نشا الله ان نجى من عذابه الا
من تاب واستحق المغفرة ومن نشا اذا انزل العذاب لله عز وجل
من عباده كافا واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من
دونه من وال وهذا وعيد في غاية التهديد من زعفران النون
في نجي مدغم فقد اخطا لان النون لا [illegible] متحركة فلا ادغم في الياء
وقوله جل اسمه لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ٥ العبرة الدلالة
والهداية ولها نظير ٥ ومعناه في قصة يوسف واخوته عبرة للعقلاء
وقوله تعالى ما كان حديثا يفترى ٥ معناه ولم يكن لك حديثا يفترى
مخترصا كما زعم اعداء المشركون وقوله جل اسمه ولكن تصديق
الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يومنون ٥ معناه ولكن مصدقا
للكتب التي انزلت من التوراة والانجيل وساير كتب الله وساير الاخبار عن
الانبيا الماضين والامور التي جرت في ايامهم وما اوحى الله تعالى اليهم وهذا
القران مع كونه مصدقا لما قبله فهو مفصل لكل شيء ودلالة ونعمة للمومنين فخص
المومنين بالذكر وان كان القران دلالة لهم ولغيرهم بشر [illegible] بالذكر
لانهم يستدلوا واهتدوا واستعدوا به ووجه الاعتبار بقصتهم هو ان الله
قدر على اعزاز يوسف بعد القايه في الجب وبعد جميع ما ناله [illegible]
الله القادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وآله واعلا كلمته وانفاذ امره
وروى ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علموا ارقاكم
سورة يوسف فانما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه
سكرات الموت واعطاه القوة الا يحسد مسلما ٥ السورة التي يذكر
فيها الرعد ثلاث واربعون اية مدنية وثمان مائة وخمس وخمسون كلمة
وثلاثة الاف وخمسمائة وستة احرف ٥

بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه المر تلك ايات
الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس
لا يومنون ٥ قد مر تاويل الحروف المذكورة في اوايل السور في غير موضع
فلا وجه لاعادته ومعنى تلك ايات الكتاب هذه ايات الكتاب التي تقدمت
صفتها اما ما في القران او [illegible] كقول القايل تلك الدار التي وصفتها انا له
لا يعني [illegible] عليها [illegible] وقيل المراد بالكتاب هاهنا
القران وقيل التوراة والانجيل ومن ان الذي انزل اليك الحق ولكن اكثر
الناس لا يومنون ٥ وموضع والذي انزل من الاعراب يحتمل وجهين
الرفع والجر فالرفع على انه مبتدا وخبره الحق ٥ والجر على انه عطف على
الكتاب وقوله جل اسمه الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى
على العرش ٥ معناه هو الذي رفع السموات بلا عمد تحتها وانتم ترونها
وفيه نفع العباد لانه لو كان [illegible] لم يأمنوه بل جعل اجساما موقوفة بلا علاقة
فوقها ولا عماد تحتها ٥ وقال بعض المفسرين بعمد لا ترونها وهذا
فاسد لانه لو كانت تحتها عمد لكانت اجساما عظيمة مرئية وكانت
تلك الاجسام التي هي عمد محتاجة الى عمد اخرى فتمادى ذلك الى ما لا
نهاية له وقوله جل اسمه ثم استوى على العرش ٥ الذي [illegible] المسخرين
جهته جميع الامور ٥ والاستوا على الشيء الاستيلا عليه بالاقتدار
ونفوذ الامر والشان ٥ ودخول ثم في هذا الكلام على معنى ثم استوى
على العرش بالتدبير للاجسام التي فوقها فهي يدل على حدوث التدبير
وقيل انها لتسخير الشمس والقمر لكنه قدم في صدر الكلام كما قال
لنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والمعنى حتى يجاهد من نعلم من المجاهدين
وهذا الذي ذكره من التدبير لا على وجه التقديم والتاخير وقوله تعالى

وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ه المسخر المهيأ لأن
يجري بنفسه من غير معاناة كتسخير النار للإضاءة والإيضاح والماء
للجريان ه والأجل الوقت المضروب لحدوث أمر وانقطاعه وقد جعل
الله لكل شيء أجلا ووقتا وأجلاه ه فأجل الدنيا الوقت المضروب لحدوثها
والوقت المضروب لانقطاعها ه ودخلت الألف واللام في الشمس وإن كانت
واحدة لأن في اسمها معنى الصفة إذ لو وجد مثلها لكان شمسا وكذلك
القمر لو خلق الله مثله لكان قمرا وليس كذلك زيد وعمرو قوله جل اسمه يدبر
الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون معناه ويفصل الآيات
ويبينها لكم ويدبر الأمر بلفظ التدبير كي يفكروا فيها فيقع لكم علم
اليقين بما وعدكم ربكم في الآخرة قوله جل اسمه وهو الذي مد الأرض
وجعل فيها رواسي وأنهارا ه المد البسط ومعناه أن الله هو الذي
بسط الأرض وجعل فيها جبالا ثابتة هي أوتاد الأرض وجعل في الأرض
أنهارا جارية والرواسي جمع الراسية وهي الثابتة قوله تعالى ومن كل
الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ه أصل الزوج الشكل له قرين أو يسمى
في اللغة زوج من الأشياء إذا امتزجا على النظم والتعميم كالذكر
والأنثى والرطب واليابس والحلو والحامض ومعناه جعل فيها الوس
وصنفين من النبات لأن هذا اللفظ قد يذكر ويراد به الذكور والإناث
نحو قوله تعالى ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ه وقد ذكر
هذا على وجه التأكيد لتمكن المعنى في النفس قوله جل اسمه يغشي الليل النهار
إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون معناه يأتي بالليل عقب النهار
وبالنهار عقب الليل وبين أن في جميع ما خلق الله من هذه الأشياء دلالات
وعبرا لمن يتفكر وأفكر عبرة قوله جل اسمه وفي الأرض قطع متجاورات

وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء
واحد ه الصنوان المتلاصق وهو الفسيلة تكون في أصل النخلة
يقال إن أخا الرجل صنو أبيه أي لصق أبيه وصنوان جمع صنو ه وقيل
الصنوان النخلات التي أصلها واحد وقيل الصنوان النخلتان أصلهما
واحد ه ومعنى الآية وفي الأرض قطع متجاورات متلاصقات قطعة سبخة
وقطعة عذبة وفيها بساتين فيها أعناب وزرع ونخيل متلاصقة
تسقى هذه الزروع والنخل والكروم بماء واحد قوله تعالى ونفضل
بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون معناه
ويفضل الله بعض هذه الأشياء على بعض ~~في الأكل إن في ذلك~~
~~لآيات لقوم يعقلون~~ طعمه وفيما خلق الله في الأرض من الزروع
والنخيل والكروم على الصفة التي وصفها دلالات وعبر لمن نظر
فيها بعقله واستدل بها على وحدانية الله جل ذكره وإذا استدل
بها عرف صانعه وخالقه ومالكه ودلت هذه الآية على بطلان قول
من قال بالطبع والخاصية لأنه لو صح ما ذهبوا إليه لوجب إذا كان الأرض
والماء واحدا ألا تثبت منها الألوان واحدة وفي ثبات الألوان المختلفة
منها وطعمها وروائحها دليل على أنه فعل قادر مختار يفعل ما يشاء
على أي وجه شاء قوله جل اسمه وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا
لفي خلق جديد ه في الآية مدح وذم مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم
تعجبه منهم في عبادتهم ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وذم الكفار لتعجبهم
في البعث بعد الإماتة ويعادون فأنكروا النشأة الآخرة مع علمهم بالنشأة
الأولى وهذا الباب ـــــ ينبغي للعاقل أن يتأمله ويفكر
فيه ولا يغفل عنه وهو لا الجهال توهموا أنهم إذا صاروا ترابا بعد

لان يصيروا الى ما كانوا عليه من حال الحيوة ولو اعتبروا بالنشاة
الاولى لعلموا انهم ابدعوا من لا شيء لما بعدت النشاة الثانية عندهم
اليه وهذا معنى قوله تعالى حكاية ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد
وقوله جل اسمه اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ه قيل ذكر الغل في الاعناق
هاهنا على طريق المثل كانه قيل هؤلاء الذين كفروا بمنزلة من في
اعناقهم اغلال لما لزمهم من كفرهم بالله تعالى ه وقيل ذكر على
وجه التحقيق وهو العذاب في النار كانه قيل هؤلاء الكفار الذين
في النار معذبون بالاغلال وقوله جل اسمه ويستعجلونك بالسيئة قبل
الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات ه واصل المثلات العقوبات
واحدها مثلة يقال مثلت به اذا عذبته وامثلته من صاحبه امثالا
اذا اقتصصته منه ه ومعناه هؤلاء الجهال يطلبون حصول ما يسوءهم
من العذاب قبل الاحسان بالامهال لهم والانظار انكارا لما يوعدون
به من نزول العذاب واستبعادا له وفي حكم الله ان يمهلهم للتوبة
ثم ياخذ من قام منهم على القبيح بالعقوبة ——— ان النبي صلى الله عليه
واله وسلم كان اذا حذرهم نزول العذاب بهم طلبوه متعجلين له انكارا
واستهزاء واستبعادا له وقوله جل اسمه وقد خلت من قبلهم المثلات
معناه ينكرون ما يوعدون به من نزول العذاب ويستبعدونه
وقد علموا ما نزل بامثالهم قبلهم من العقوبات وقوله جل اسمه وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ه معناه
يغفر لهم الكبيرة التي فعلوها وطلبوا بها التعجيل بالتوبة ه وقيل
يغفر لهم الصغيرة التي طلبوا بها التعجيل وان كان عقابه شديدا لمن

عصاه واجبه ولم يتب وقوله جل اسمه ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد ه معناه هؤلاء
الكافرون يقولون هلا انزل على محمد صلى الله عليه واله وسلم اية من الايات
التي يقترحونها ويطلبونها دون القران الذي انزل عليه وهذا الذي
يقترحونه فهو مثل ما حكى الله تعالى عنهم بقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر الايات فخاطب نبيه بان قال له
انما انت رسول الى الخلق مثل الرسل الذين من قبلك ولكل قوم هاد
يهديهم الى طريق الرشد واختلف المفسرون في الهادي هاهنا
فقال بعضهم هو محمد صلى الله عليه واله وسلم وقيل هو الله تعالى وقيل
هادي لكل امة وقيل هو الحجة الداعي الى الحق يدعوهم بما يعطي من
الايات لا بما يقترحونه ويتحكمون فيه وقوله جل اسمه الله يعلم ما تحمل
كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ه
اصل الغيض هو ذهاب المائع في العمق الغامض يقال غاض الماء
وغاض الدم في الرحم وكذلك غاضت النطفة ه ومعنى الاية ان الله تعالى
يعلم ما تحمل كل انثى من ذكر وانثى وما تغيض الارحام وما تزداد لانه
علام الغيوب ه وقيل معنى ما تغيض ما ينقص من الاشهر التسعة
او يزداد لان الولد قد يولد لستة اشهر فيعيش وقد يولد لسنتين
فلا يعيش ه وقيل معنى ما تغيض هو ما يسقط وما تزداد هو التام
وقيل ما تغيض يقرب من النطفة وظهور دم الحيض ينقص بذلك الارحام
لانه لا يغتذي بها الحمل وينقص حال الولد وما تزداد من الاشهر في
حال الولد ومعنى وكل شيء عنده بمقدار المقدار المثال يقدر به
غيره وكانه قال ما يفعله الله هو على مقدار ما تدعو اليه الحكمة

من غير نقصان ولا زيادة ٥ وقيل كل شيء عنده بمقدار في الاجل والرزق
وقوله جل اسمه عالم الغيب والشهادة ٥ قيل عالم المعدوم والموجود ٥
وقيل الغيب هو السر والشهادة هي العلانية وقوله تعالى الكبير المتعال ٥
معنى الكبير هو الاصل المختص بصغر مقدار غيره بالاضافة اليه والمتعالي
المقتدر بما استحال ان يكون اعلى منه في الاقتدار وقيل المتعالي هو المتعالي
عما يقول المشركون ٥ وقيل معنى الكبير المتعال العظيم الشان العظيم
الملك المقتدر على كل شيء وقوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن
جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ٥ السارب الجاري في خروجه
الى امر ستر عنه ٥ وقيل هو السالك في سربه اي في مذهبه وقيل
الظاهر من خفي كان منه ٥ ومعنى الاية ان الله تعالى يعلم الانسان على
تصرف احواله مسرا او معلنا ومستترا او ساربا بالنهار والسر
والعلانية سواء عنده في الظهور فمن كانت هذه صفته يحق ان يحذر
جزاؤه على ما صار معلوما له من حال العباد فالظاهر في الطرقات
والمستخفي في الظلمات والجاهر بنطقه والمضمر في نفسه في معلوم الله
تعالى سواء لا يخفى عليه شيء ٥ وقيل معنى وسارب بالنهار مستترا بالنهار
وهو جائز في اللغة ويقال انسرب الوحش اذا دخل في كناسه وقوله تعالى
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ٥ اصل المعقب
النائب الذي يجيء عقيبه يقال عقبه يعقبه اذا جاء بعده فالمعقبات
المتناوبات خلف بعضهم بعضا كل واحد يجيء بدلا من الآخر والمراد بالمعقبات
في هذا الموضع الملائكة عليهم السلام وملائكة الليل يعقب ملائكة النهار وملائكة
النهار يعقب ملائكة الليل ٥ وقيل هم اربع املاك يجتمعون عند صلوة
الفجر على هذا التأويل في قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا اشهده

ملائكة الليل وملائكة النهار ٥ وقيل المعقبات الامراء والولاة والقول الاول
هو الظاهر والضمير في قوله له عائد على من في قوله من اسر القول ومن
جهر به ومعناه على هذا يحفظونه ٥ وقيل الضمير عائد على
اسم الله تعالى في قوله عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ٥ ومعناه انهم موكلون
بذلك بالخلق وقيل الضمير عائد على اسم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انما
انت منذر ٥ معناه له الولاة والامراء والتأويل الاول هو الاصح والثاني هو
الوجه ومعنى يحفظونه من امر الله اي بامر الله فاقيمت من ها هنا مقام
الباء لان حروف الصفات بعضها يقوم مقام بعض في اللغة وهو كقول
القائل لغيره احتبست عن دعائك اي بدعائك وقيل من ها هنا ليست
على البدل لان الملائكة يحفظونه مما من الله ومن يستعمل بمعنى عن كما يقال
اطعمه من جوع وعن جوع ٥ وقيل يحفظونه من امر الله من الجن وقوله جل اسمه
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ٥ معناه ان الله لا يزيل
نعمة عن قوم الا بعد ان يغيروا على انفسهم بالمعاصي ونظيره قوله تعالى
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم لان
الله لا يجوز عليه المنافع والمضار ولا الاعطاء بضره ولا المنع بنفعه فما
يفعله من النعم وما يزيله فللمصالح وقوله جل اسمه واذا اراد الله بقوم سوءا
فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ٥ معناه واذا اراد الله انزال العذاب
بقوم وان يلحقهم ضررا بعد نفع وشدة بعد رخاء لم يكن لاحد رده ودفعه
ولا ناصر له ولا ولي من دون الله ينصره فيدفع عنه عذاب الله وفي الآية حجة
على المجبرة فيما ذهبوا اليه من اجازة تعذيب اطفال الكفار لانهم لم يغيروا
ما بانفسهم حتى يفوتهم منافع الجنة ونعيمها وقوله جل اسمه هو الذي يريكم
البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ٥ قيل معناه يريكم البرق خوفا من

الصواعق التي تسقط مع البرق وطمعاً في الغيث المزيل للجدب والقحط
وقيل خوفاً للمسافر من أذاه وطمعاً للمقيم في سعة الرزق والإنشاء
والاختراع واحد وهو إحداث الشيء من غير سبب والله تعالى الخالق
السحاب والخالق المطر فيها وذلك ثقلها وقوله جل اسمه ويسبح الرعد
بحمده والملائكة من خيفته الخيفة مضمنة بالحال كقولك جئته ركضاً أي
حالة من الركوب حسنة ومعنى تسبيح الرعد بحمده تسبيح ما فيه من الدلالة
على وجوب تعظيم الله ووجوب حمده على نعمه وأفضاله فكان الرعد من هذا
الوجه يسبح لله وقيل يسبح ما فيه من الآية التي تدعو إلى تسبيح الله وهذا
إذا كان الرعد هو الصوت الهائل وقيل الرعد ملك يزجر السحاب بالصوت
الذي يسمع وهو يسبح الله تعالى بما ذكره من تعظيم الله تعالى فعلى هذا
التسبيح هو ما يفعله المكلف من الملائكة يسبح الله خوفاً من ترك تعظيم الله
وقوله جل اسمه ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو
شديد المحال معناه ويصيب الله بالصاعقة من يشاء من خلقه على وجه المصلحة
والعبرة وهؤلاء الكفار يجادلون أهل التوحيد عن مذهبهم بجحد إلههم في الله والله
شديد المحال وهو الأخذ بالعقاب من فوقهم ما حلت وعلمت إذا علت في هلاكه
وقيل نزلت الآية في رجل من الطغاة جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال
يا محمد مم ربك أمن لؤلؤ أو من ياقوت أم من ذهب أم فضة فأرسل الله عليه صاعقة
فأهلكته وقيل نزلت في أربد وعامر بن الطفيل وهما من جملة المستهزئين الذين
أنزل الله فيهم إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر الآية وقوله جل
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء
ليبلغ فاه وما هو ببالغه قيل دعوة الحق شهادة أن لا إله إلا الله على إخلاص التوحيد
وقيل دعوة الحق هي الدعوة التي يدعى بها على إخلاص التوحيد أي نيته وقيل دعوة الحق

كل دعوة تكون حقاً يجوز أن تضاف إلى الله تعالى لأنه من أن هو لا
الكفار الذين يدعون الأوثان لحاجاتهم وقيل الذين يدعونهم أرباباً
وآلهة من دون الله كافة فهم يدعون لغير الله مع صرف عن دعائهم له
فإنهم دون ها هنا مقام غيره وقيل يدعون من دونه معناه يدعون
غيره وهؤلاء الذين يدعونهم لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه
من غدران يتناول الماء ليبلغ فاه يبسط كفه ولا يبلغ وهذا مثله وقيل
كباسط كفيه إلى الماء فمات قبل أن يصل إلى فمه والعرب تضرب
المثل لمن سعى فيما لا يدركه بالقابض على الماء وقوله جل اسمه وما دعاء الكافرين
إلا في ضلال معناه وما دعاؤهم إلا في ضياع وبطلان وقوله جل اسمه
ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً قيل المؤمن يسجد
طوعاً والكافر يسجد كرهاً بالسيف ومعناه أن السجود واجب لله
تعالى فالمؤمن يسجد له طوعاً والكافر يؤخذ بالسجود كرهاً كأنه قيل
ما أكد الحكم في وجوب السجود لله تعالى وقيل المؤمن يسجد طوعاً
والكافر في حكم الساجد كرهاً لما فيه من الحاجة والذلة الداعية
إلى الخضوع لله تعالى والطوع هو الانقياد للأمر من قبل النفس
والكره بعضه وهو الحزن للأمر على إباء النفس وقوله جل اسمه وظلالهم
بالغدو والآصال الظلال جمع الظل والآصال جمع أصيل وأصل جمع
أصل وهو العشي ومعناه يسجد ظلالهم بالغدو والآصال أي بها من
الدلالة الداعية إلى صانع غير مصنوع له القدرة والعزة وقيل سجود الكل
يكون بالتذلل بالغداة والعشي للمصرف من عافية إلى مرض ومن غنى إلى فقر
ومن حياة إلى موت وهذا تذلل من يتصرف به هذه الأحوال فلا يمكنه
الامتناع وأصل السجود التذلل والخضوع كتذلل الأكم للحوافر التي تطؤها

قال الشاعر   ترى الاكم فيها سجدا للحوافر ٥ وفي الظل عبرة واضحة
ظاهرة لانه يعتبر بان شعاع الشمس فيتقلص ويطول بانحطاطها
ويمتد وقوله جل اسمه قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم
من دونه اوليا لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ٥ امر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يقول لهؤلاء الكفار على وجه التقرير عليهم للحجة
من خالق السموات والارض ولا بد للكفار [illegible] علموا ان الاوثان لم تخلق
السموات والارض ثم امره ان يقول لهم ان الله هو الخالق المالك للسموات
والارض وهذا كالتنبيه لمن علم السؤال وامكنه ان يعلم على علم ما
يمكنه علمه او على تذكر ما علمه وامره ان يقول لهم على وجه الانكار
عليهم والتقريع لهم باتخاذهم الاوثان الهة من دون الله افاتخذتم من دونه اوليا
وهي الاوثان التي لا تملك نفعا ولا ضرا وقوله جل اسمه قل هل يستوي الاعمى والبصير
ام هل تستوي الظلمات والنور ٥ انزل الله المومن منزلة البصير الذي يمشي
في النور وانزل الكافر منزلة الاعمى الذي يمشي في الظلمات وكلهم يعلمون
لهم ان البصير والاعمى لا يستويان وان النور والظلمة لا يتساويان فكذلك
المومن والكافر وقوله جل اسمه ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه
الخلق عليهم ٥ معناه وهل خلق الاوثان التي اتخذتموها الهة من دون
الله مثل السموات والارض وحيوانات حتى يشتبه الخلق عليهم
ولا يمكنهم تمييزها وفي ذلك بيان عجزهم وبيان جهل هؤلاء الكفار
باتخاذهم الاوثان الهة وقوله جل اسمه قل الله خالق كل شي وهو الواحد
القهار ٥ لما نفى الله عن الاوثان خلق الاجسام من الحيوانات والجمادات
مدح بكونه خالقا لها واوقع لفظ كل شي على ما يصح المدح بخلقه لان
الاية خرجت مخرج المدح فيبطل بذلك ما قالت المجبرة ان افعال العباد

داخلة فيها لانها اشياء لانه لا يحسن المدح بخلق السفه والعبث والظلم
والكفر والخضوع والتواضع تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا او وصف
دونه خالقا لما يستحق به العبادة دون الاوثان التي لا تملك ضرا ولا نفعا
[illegible] لله عز وجل واحد قاهر وقد مر بيان هذين الاسمين في غير موضع
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما
توقدون عليه في النار ابتغا حلية او متاع زبد مثله ٥ معناه انزل الله من
السما المطر فكثر حتى سالت الاودية ٥ فمن انه يربو على الما [illegible]
وما خالط الما اذا اوقد تحته حتى يغلي من اجله تقدر الاودية على كبرها وصغرها
فعلى ذلك السيل زبدا اي زائدا والزبد الرابي هو الزائد بانتفاخه حتى
يربو على الما [illegible] وما خالط الما اذا اوقد تحته حتى يغلي طلبا للحلية
[illegible] او متاع سوى ذلك ٥ فمن انه يربو على هذا الذي يوقد تحته
يغلي وما خالط زبد مثل الزائد الذي اجتمع [illegible] على الما الجاري في الاودية
وقوله تعالى فاما الزبد فيذهب جفا واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض
الجفا هو ما نفاه الوادي يقال اجفأت القدر اذا غلت حتى انصب ما
فيها من الزبد وسكنت فلم يبق فيها شي ٥ ومعناه فما كان جفا يذهب على
وجه الما ولا ينفع به وينفع الناس من ما الاودية الذي يوقدون عليه [illegible]
من الحلية والامتعة فان ذلك يمكث في الارض ويبقى في ايدي الناس ويستنفعون
به فجعل الله تعالى هذا مثلا للحق والباطل والكفر والايمان وما يجازى كل
واحد منها من القسمة من ثواب وعقاب فصار الباطل في خبر الزبد الذي يضمحل
ويذهب فلا ينتفع به وصار الحق في خبر الحاصل الباقي وهذا معنى قوله تعالى
كذلك يضرب الله الامثال ومن تعلم ان الذي ذكره في الاية انما هو على طريق
المثل الذي هو احسن معنى واوجز لفظا واوضح دلالة وقوله جل اسمه الذين

استجابوا لربهم الحسنى ه اصل الحسنى المنفعة العظيمة في الحسن وهي الجنة
ومعناه للذين اجابوا الله الى ما دعاهم اليه من الطاعة الثواب الدائم فسمي
الثواب على الفعل الحسن الذي فعلوه الحسنى كما سمي جزاء الشي باسمه
وقوله جل اسمه والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به ه معناه والذين لم يجيبوا الله الى ما دعاهم اليه من معرفته وطاعته
وترك مخالفته لو افتدوا بما يملكونه وكان جميع ما في الارض لهم ومثله
معه لم يغن عنهم شيئا ولم يخلصهم من عذاب الله ولا افتدا احد باحد الشي لا
من الاخرة وقوله جل اسمه اولئك الذين لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد
اي مصيرهم الى النار وبئس المهاد النار ه وقيل سوء الحساب المواخذة
بالذنب الذي لا يغفره وقيل معناه مواخذة العبد بالتقريع والتوبيخ وقوله جل اسمه
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب
الالف في قوله افمن الف انكار وان خرجت على صورة الاستفهام
وهذا مثل ضربه الله للمومن العالم بدين الله والكافر الجاهل بالله المتحير
في بابه فشبه الجاهل بالاعمى والعالم بالبصير ومعناه لا يستوي العالم بدين الله
والجاهل به في استحقاق الجزاء والمدح والذم ه ثم بين تعالى انه يتفكر في
هذا ويعتبر به من كان عاقلا مستعملا لعقله وقوله جل اسمه الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ه هذه صفة المومنين الموافين بعهد الله
ومعناه المومنون هم الذين يوفون بما عاهدوا الله عليه ولا ينقضونه وقد مر
بيان معنى عهد الله في غير موضع من هذا الكتاب وقوله جل اسمه والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ه معناه ومن
صفة اولئك المومنين انهم يصلون ما امرهم الله بصلته وقيل يصلون الرحم
ويصلون محمدا صلى الله عليه واله وسلم لان الله تعالى امرهم بصلته ومتابعته

على دينه ويخشون مع ذلك عذاب الله بارتكاب المعاصي ويخافون سوء الحساب
وقد مر بيانه في الاية الاولى وقوله جل اسمه والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية معناه وهولاء المومنون الذين تقدم
ذكرهم من صفتهم انهم يصبرون على فعل ما احبه الله ورضيه ويصبرون عما
كرهه الله وسخطه وطلبوا بذلك ابتغاء عظمة ربهم ورحمة ربهم والعرب
تقول ذلك في تعظيم الشي فيذكرون الوجه ويريدون به عينه كما يقولون هذا
وجه الراي وانما ارادوا به نفس الراي وتعظيمه ثم قال ومن صفتهم اقام الصلوة
على الحد الذي اوجبه الله تعالى والانفاق مما رزقهم الله سرا وعلانية في
الوجوه التي ندب الله اليها وقوله جل اسمه ويدرون بالحسنة السيئة اولئك
لهم عقبى الدار ه معناه ولهم الثواب ونعيم الجنة دائما ابدا ه والعقبى هي
في التي تعقبها وقوله جل اسمه جنات عدن يدخلونها ومن صلح من اباءهم وازواجهم
وذرياتهم والملئكة يدخلون عليهم من كل باب ه اصل العدن الاقامة ومعنى
هذه الاية هو تفسير قوله تعالى واولئك لهم عقبى الدار فبين ان لهم جنات
عدن يخلدون فيها ومن كان مستحقا لدخول تلك الجنة من اباءهم وازواجهم
واولادهم يكونون معهم فيها وذلك على انه يكون ثواب المطيع سروره
بما يراه لمن المومنين يسرون بما يرون في الجنة من صالحي اباءهم وازواجهم
واولادهم ويكون ايضا من جملة ثوابهم تحية الملئكة لهم تعظيما وتشريفا
لهم يدخلون عليهم من كل باب من ابواب تلك الجنان على سبيل التعظيم
لهم بالتحية والاكرام وهو قوله والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم وقوله جل اسمه سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ه معناه ان
الملئكة اذا دخلوا على المومنين من ابواب الجنة قالوا لهم سلام عليكم بما
صبرتم وسلام يدل على السلامة لكم بما صبرتم ه وقيل تقديره محذوف

على البعد من هذه الكرامه لكم بما صبرتم وما التي في قوله بما يحتمل ان يكون
بمعنى المصدر اى بصبركم ويجوز ان يكون بمعنى الذي كانه قيل بالذي صبرتم
وقوله جل اسمه والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنه ولهم سوء الداره
لما بين الله تعالى في الاية الاولى صفة المومنين المخلصين وما اعد لهم من الكرامات
في الجنة بين في هذه الاية حال الكافرين الجاهلين بالله وبدينه وما اعد لهم من
العذاب الاليم واللعنه وسوء الدار في جهنم ٥ وبين موجب استحقاقهم لذلك بقوله
والذين ينقضون عهد الله من بعد ان وثق عليهم بالحجج ويقطعوا ما امر الله به
ان يوصل وامرهم بصلته وهذه الصفة ضد الصفة التي تقدم ذكرها
وقوله جل اسمه الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ٥ ومعنى قوله يقدر هاهنا
يضيق وهو نقيض يبسط قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه
الله ٥ وقد بينا معنى الرزق في سورة البقرة وغيرها ٥ والرزق رزقان
رزق تطلبه ورزق يطلبك هو بسطه وتضييقه يتعلقان بالمصالح
والله تعالى قد جعل السعة في الرزق في الزرع والمواشي والتجارات وغيرها
من الوجوه لمن يشا وهو الذي المعلوم من حاله ان المصلحة له ان يوسع
عليه ويضيقه على من يشا وهو الذي المعلوم من حاله ان لا يصلح له الا
ذلك وقوله جل اسمه وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة
الا متاع ٥ معناه وفرحوا برزق الدنيا ونسيوا فناها وبقا الاخرة
وما الحيوة الدنيا في جنب بقا الاخرة الا قليل ذاهب وقوله جل اسمه
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشا ويهدي
اليه من اناب ٥ بين الله تعالى ان قوما من الكفار طلبوا ايات مثل احيا الموتى
وما جرى مجراه غير الايات التي جا بها محمد صلى الله عليه واله وسلم على سبيل

التعنت ولم يستدلوا بما جاهم به قالوا هذا القول جهلا امر نبيه ان
يقول لهم ان الله يضل من يشا معناه يعاقب من يشا على ضلاله وهو المعرض
عن ايات الله التارك الاستدلال بها ويثيب من يشا وهو من اناب الى
الله ورجع واستدل بايات الله وتمسك بها وقد بينا وجوه الهداية
والاضلال في اول سورة البقرة بيانا شافيا فالهداية هاهنا هي الدلالة
الموديه الى طريق الحق في حال الصاحبه وفي الاخره الى طريق الجنه ومن
هداه الله الى طريق الجنة فقد اثابه كما قال تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجري
من تحتهم الانهار في جنات النعيم وقوله جل اسمه الذين امنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب ٥ وصف الله تعالى في هذه
الاية المومنين بانهم الذين تسكن قلوبهم بذكر الله وبين ان من كان
مومنا بالله يجب ان يكون حاله هكذا ٥ وطعن بعض الملحدين في ذلك
بان قال قد وصفهم في اية بالخوف والوجل وهي قوله انما المومنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وفي هذه الاية بالسكون والاطمينان
وهذان لا يجتمعان فتسبب بذلك الى الطعن في كتاب الله تعالى ونبوة
النبي وهذا الذي قدره طعنا ليس بطعن لان الله تعالى اراد بقوله
وجلت قلوبهم ان المومنين اذا ذكر الله وذكر عقابه للعصاة وجلت
قلوبهم واذا ذكر نعمة الله للمومنين اطمانت قلوبهم وسكنت اذا لم
يعرفوا من انفسهم معصية ويجوز ان يكونوا من اهل تلك الصفة والله
غفور رحيم لمن تاب وشديد العقاب لمن استحقه ومن ذكر ثواب
الله وعقابه فقد ذكر الله وقوله جل اسمه الذين امنوا وعملوا الصا — لحات
طوبى لهم وحسن ماب ٥ معنى طوبى لهم هنيا يطيب العيش وقيل
طوبى شجرة في الجنة ٥ وقيل هو اسم الا طيبة عن صفة الجنة ومعناه

انما الطيب الاشيا الهمزة وقيل معناه العيش الطيب لهم وحسن المرجع وهو
الجنة هاهنا ○ قوله جل اسمه كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها
امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن ○ قال بعض العلما
كل جنس من اجناس الحيوان امة والعرب امة والعجم امة والزنج امة
والترك امة ○ ووجه التشبيه في قوله كذلك هو ان النعمة على من ارسل
اليه النبي كالنعمة على من تقدم ذكره بالثواب وحسن المآب ○ وقيل وجه
ارسلناك في امة كما ارسلنا الانبيا عليهم السلم قبلك في الامم ○ وقيل انما
حصل ذكر الرحمن هاهنا من جله ثناوه لان اهل الجاهلية من قريش قالوا نعرف
الله ولا نعرف الرحمن ولهذا قالوا ما حكى الله عنهم واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا ○ قوله جل اسمه قل هو ربي لا اله
الا هو عليه توكلت واليه متاب ○ المتاب التوبة وامر نبيه صلى الله عليه
ان يقول لهم ان الرحمن الذي كفرتم به هو ربي وربكم والهي والهكم لا
اله الا هو وانا اتوكل عليه في اموري كلها واتوب اليه ○ قوله جل اسمه ولو ان
قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا ○
عظم الله تعالى شان القران بما وصفه به هاهنا وكانه قال لو سيرت الجبال
بالقران اذا قرئ عليها لما فيه من انواع الحكم او قطعت به الارض او كلم
به الموتى لكان بهذا القران فحذف الجواب لما تقدم من دلالة الكلام عليه ○
وقيل جوابه ولو ان قرانا سيرت به الجبال لكان هذا القران الذي لو قرانا
تسيير به الجبال لكان هذا القران لا غير لعظم شانه وجوامع كلمه وحكمه
وقيل يجوز ان يكون جوابه يكفرون بالرحمن لاقتضا ما تقدم من الكلام
له ○ وقال بعض العلما دل هذا على انه ليس في كلام الله عز وجل الذي
انزل على رسوله ما هو اعظم شانا من القران ○ قوله جل اسمه بل لله الامر جميعا ○

من ها هنا ان جميع ما ذكره من ذكره من تسيير الجبال وتقطيع الارض
واحيا الموتى وكل تدبير يجري هذا المجرى فانه لله عز وجل لانه لا يقدر
عليه ولا يملكه سواه وقيل معناه انكم تكفرون بالذي نزل القران
وهو الذي يملك اموركم وامور جميع الخلايق وتدبيرها ○ قوله جل اسمه افلم ييئس الذين
امنوا ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا ○ معنى افلم ييئس ها هنا افلم يعلم
الذين امنوا الا ان العالم بان الشي لا يكون يايسا منه والعالم بانه لا يكون ييئس
من ان يكون فاجري هذا الاسم على العلم توسعا ○ وقد قال الشاعر
اقول لاهل الشعب اذ يكسرونني الم تعلموا اني ابن فارس زهدم ○ اي الم
تعلموا ○ وقيل معنى افلم ييئس افلم ينقطع طمعهم من خلاف هذا علما منهم بصحته
والعلم بالشي يوجب الياس من خلافه ○ ومعنى لهدى الناس جميعا لو شا
الله لهداهم بالالجا الى الاهتدا ○ وقيل معناه فلو شا الله لهدى الناس
الى جنته ودار كرامته ابتدا لكنه كلفهم لينالوا الجنة ثوابا على اعمالهم
ولا ينقطع عنهم ولو فعله ابتدا لكان تفضلا ولجاز انقطاعه ○ قوله جل اسمه
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم
حتى ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ○ اصل القارعة النازلة التي
تزعج بالنقمة ○ ومعناه ولا يزال هولا الكافرون تاتيهم العقوبات الشديدة
الصعبة من وجوه مختلفة لكفرهم بالله زجرا لهم عن الكفر ودعا الى التوحيد
تصيبهم ذلك في انفسهم او احوالهم او عشيرتهم وهذا مثل ما فعل
الله تعالى باهل مكة في ايام رسول الله صلى الله عليه وآله من صنوف المعاش
وما فعل بغيرهم من قومه وغيرهم ○ ومعنى قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم
قيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم وقيل المراد بقوله حتى ياتي
وعد الله هاهنا فتح مكة ○ وقيل المراد القيمة ○ قوله جل اسمه ولقد استهزئ

برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ه هذا تسليه للنبي صلى الله عليه
عما كان يلقاه من كفار قريش وجهال قومه فصبره في هذا كما قال في ايه اخرى
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والاصل في الاملا التاخير وههنا هو
تاخير بعد المده ومعناه امهلتهم في الدنيا وانعمت عليهم مده مع ايمانهم او
برسلي لا يزيدهم في بعثوا او كم عليهم الحجه فيما لزمهم من شكري ه وقوله تعالى ثم اخذتهم
فكيف كان عقاب ه العقاب الهلاك لما اصروا على كفرهم فانظروا في اثارهم
لتعلموا كيف كان عقابي لهم وقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله
شركا ه معناه افمن هو قائم بالتدبير في جزائها بما كسبت وخبره محذوف
وتقديره افمن هو قائم كمن ليس هو بهذه الصفه ومن ليس بهذه الصفه
الاصنام التي اتخذوها الهه من دون الله وهو معنى قوله وجعلوا لله شركا
وكانه قال من كان مدبرا لكل نفس وحافظا لها وعليها ومجازيا بالجزاء لا يكن
ان يعبد كمن ليس بهذه الصفه وقوله تعالى قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض
ام بظاهر من القول ه معناه سموهم باي شي يستحقون من الاسما التي هي صفات
ثم انظروا هل تدل صفاتهم على انه يجوز ان يعبدوا ام لا ه ثم قيل لهم
الا ان تصفوهم بما لا يصح ان يعلم فيخرجوا الى التجاهل ثم قيل لهم الا ان تقصروا
على ظاهر القول من غير رجوع الى حقيقه وهو ان سموها الهه من غير
ان يكون لها صفه الالهيه ه وقيل بظاهر من القول الذي انزله على انبيائه
فاذا علمتم ان الله تعالى نزل على ذلك حجه فكيف يصح اسماؤها الهه وقوله
بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ه معناه زين لهم الشيطان
مكرهم وكذلك غواتهم من الجن والانس كما قال تعالى في موضع اخر
وزين لهم الشيطان اعمالهم وقد قال تعالى في موضع اخر وزين لهم
الشيطان اعمالهم وقد قال بل سولت لكم انفسكم امرا ه وقوله تعالى

ومن يضلل الله فما له من هاد ه معناه ههنا ومن اضله الله بان حكم
عليه بانه ضال فلا ينفعه هدايه احد الا اذا كان ضالا فمن وصفه بانه
هاد لم ينفعه ه وقيل اضله الله من طريق الجنه الى طريق النار وهو العقاب
فلا سبيل له وقد ذكرت هذين الوجهين في تفاسيرهم لفظ الضلال في اول
سوره البقره وقوله تعالى لهم عذاب في الحيوه الدنيا ولعذاب الاخره
اشق وما لهم من الله من واق ه عذاب الدنيا لهم هو لعن الله اياهم
وبغضه لهم وامره المومنين بمعاداتهم واذلالهم ه وعذاب الاخره
هو عذاب جهنم ه واخبر بانهم يعذبهم عذاب الدنيا وعذاب الاخره ه وبين
ان عذاب الاخره اشد من الدنيا وان الله اذا عذبهم في الاخره فلا راد لعذاب
الله عنهم ولا دافع ه والواقي في اللغه وقاه الشي بغيره وقايه وهو واق اذا منعه
عنه ودفعه وقوله جل اسمه مثل الجنه التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار ه
قيل معنى مثلها ههنا شبهه وقيل معناه صفه الجنه ومنه قوله تعالى ولله
المثل الاعلى وخبر مثل الجنه محذوف وتقديره مثل الجنه التي طعامها
كذا وشرابها كذا وقصورها كذا وحدائقها كذا احل مثل
وقيل تقديره صفه الجنه التي وعد المتقون صفه جنه تجري من تحتها الانهار
وقيل فيما نقص عليكم مثل الجنه وقوله جل اسمه اكلها دائم وظلها ه معناه
ان زادها دائم لا انقطاع لها كما ينقطع ثمار الدنيا من عدم اوانها وكذلك
ظلها دائم وقيل المراد به انه لا ينقطع بموت ولا يغيره من الافات
وقوله تعالى تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ه معناه تلك
الجنه عقبى المتقين وماواهم وعاقبه امرهم ومصيرهم والكافرون عاقبه
امرهم النار نعوذ بالله منها وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما
انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه ه قيل معناه ومن اهل الوثنات

والانجيل يفرحون بما انزل اليك من القرآن فصار الفرح مضافا الى
من آمن من اهل الكتاب وقيل اليهود والنصارى يفرحون بما انزل اليك
لانه مصدق لما معهم ثم بين ان من الذين اجتمعوا على عداوة الرسول صلى
الله عليه من ينكر بعضه فهو ما خالف دينه وما انكروا فيما يحتج على نبيه فانكار
بعضه يكون انكارا لما عليه ه واصل الحزب الجماعة التي تقدم بالنائبة فقال
لحزب القوم احزابا ه وقيل ان مشركي العرب تحزبوا مع اليهود على عداوة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم والمشركون انكروا القرآن لما فيه من بطلان شركهم
واليهود فرحوا بنزول القرآن لاجل ما كان فيه من تصديق ما معهم قوله تعالى
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب ه المآب
المرجع والمصير تعالى آب يؤوب اوبا اذا رجع امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله
ان يقول لهم امرني الله ان ادعوكم الى عبادته وكلفني عبادته كما كلفكم
ونهاني ان اشرك به امرني بها كما امركم ونهاني عن الشرك به ومرجعي ومرجعكم
الى المعاد للفصل والحكم والجزاء قوله جل اسمه وكذلك انزلناه حكما
عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي
ولا واق ه وجه التشبيه في قوله وكذلك انزلناه ان الله انزل الحكم
عربيا بانزاله كما انعم بالانعام به على العباد ه وقيل شبه انزاله
حكما عربيا بما انزله الى من تقدم من الانبياء عليهم السلام واصل الحكم
القطع بالمعنى على ما تدعو اليه الحكمة والكلام العربي هو الجاري
على مذاهب العرب في الكلام ومعنى قوله ولئن اتبعت اهواءهم ان
تبعت يا محمد اهواء الكفار وتركت تبليغ رسالتي والقيام بما يجب
عليك من العبادة طلبا لمرضاتهم استحققت العذاب ولم يجد
دافعا للعذاب عنك فقد مر بيان معنى مثل هذا الخطاب من ان

الله تعالى بان حسبه عليه السلام لا يفعل شيئا من ذلك في غير موضع فلا وجه
لاعادته ها هنا قوله جل اسمه لقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية ه معناه ولقد ارسلنا قبلك رسلا من البشر الى الامم
الخالية وكانت لهم ازواج واولاد كما كان لك يا محمد فوهم عليهم
في طلب الآيات كما لحجم عليك قومك فيها ه قوله جل اسمه وما كان لرسول
ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب ه المراد بالاذن ها هنا الاطلاق
معناه وما كان لرسول ان ياتي باية الا بعد ان يوسمه الله اياها او يامرهم
ويطلق الاذن لهم ان يسالوه تلك الاية لانهم ان سالوه ذلك قبل الاذن
لم يامنوا ان لا يكون مصلحة للعباد في انشاء تلك الاية فيؤدي ذلك
الى التنفير عن القبول عن الانبياء عليهم السلام والله تعالى يجنبهم من
المنفرات ه ومعنى لكل اجل كتاب لكل امة اجل ومدة كتاب كتبه الله فيه
ذلك من وقته ومقداره واجل كل شيء وقته وانما كتب الله ذلك لاعتبار
الملائكة عليهم السلام ليستدلوا به على ان الله عالم بالاشياء من المعلومات ما
كان فيما يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وانه لا يخفى عليه شيء ه
قوله جل اسمه يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ه قيل فيه
وجوه احدها يمحو الله ما يشاء من طاعات عباده اذا ابطلوها بمعاصيهم
وسوء عملهم وكذلك يمحو ما يشاء من معاصيهم وسيئاتهم بما يفعلونه
من التوبة عنها ه والثاني انه يمحو ما علم المصلحة في محوه وهو ما ينسخه
من الاحكام ويثبت ما علم المصلحة في اثباته وهو الناسخ والمنسوخ هو
المحو والمثبت هو الناسخ ه والوجه الثالث ____ هو الاختلاف الذي
يقع في الشقاء والسعادة ومن عمر بعضهم ان المحو والاثبات يلحقان
الشقاء والسعادة ه وروي عن ابن عباس وغيره ان ذلك لا يكون

فان صح القول الاول رجع حقيقته الى ما ذكرنا من اعمال العباد وحكى
الله تعالى عن قوم انهم يقولون وهم في النار ربنا غلبت علينا شقوتنا
وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فلو كانت الشقاوة
لحقتهم ابتداء كما قاله الجهال من المجبرة والحشوية من غير عمل حصل منهم لكن
لقولهم وكنا قوما ضالين وقولهم فان عدنا فانا ظالمون معنى فسياق الآية
الى آخرها يدل على صحة قولنا لانهم انما ضلوا بعملهم ولم يعملوا باسباب
الشقاوة لاجله فاي فائدة للمؤمن في قولهم فان عدنا فانا ظالمون وهذا
اعتراف منهم بانهم فعلوا الضلال وظلموا انفسهم والوجه الرابع هو ان
السقم بعد العافية والعافية بعد السقم وضيق الرزق بعد السعة وسعة
الرزق بعد الضيق وما شاكل ذلك يجوز ان يدخل في المحو والاثبات انشاء
والصلة لا بد مما قلنا لا اتصال ازالة الايهام عما تقدم من الذكر وذلك
انه لما قيل لكل اجل كتاب اقتضى ذلك ان يدخل فيه اعمال العباد ثم قال الله
تعالى انه يمحو ما يشاء ويثبت لئلا يتوهم متوهم ان المعصية مثبتة بعد التوبة
وان الحسنة بعد عملها وان كانت مثبتة في ام الكتاب قبل ذلك
ليس بان كان صورتها انهم يستعملونها وانه بعد وقوعها انهم قد عملوا
وقوله جل اسمه وعنده ام الكتاب ه معناه اصل الكتاب وهو الكتاب
الذي كتب الله فيه جميع ما يكون به ونقل ان سائر الكتب انتسخت
عنده ما انزل الله انزلها الى الرسل عليهم السلام ه وروي عن عمران بن الحصين
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كان الله ولا شيء ثم خلق الذكر وهو
الكلام وهو المكتوب في الكتب فيه دلالة على ان كلام الله مخلوق دائما دل
الله ذلك انه احلقه الملائكة عليهم السلام ليستدلوا بما كتب الله فيه على ان
الله علام الغيوب وانه عالم بسائر المعلومات وليعتبروا به ويصيروا لذلك

لقتالهم في بلادهم وطرفهم فيتوددهم الى ضروب من المعارف ه
واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا
الحساب ه معناه ان اريناك في حياتك يا محمد بعض ما نعد الكفار
من العقوبات مثل قتلهم بايدي المؤمنين والامر للمؤمنين بان يستذلوهم
ويستحقوا اموالهم وما جانس ذلك او قبل ذلك فانهم لا يعجزون عن نعمل بهم
ما استحقوه من العذاب وليس عليك الا تبليغ الرسالة وعلينا محاسبتهم ومجازاتهم
باعمالهم وقوله جل اسمه اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها ه قيل
فيه وجوه احدها اولم يروا انا نفعل في الارض من نقصها معناه نفتحها
بالفتوح على المسلمين من ارض المشركين ه وقيل ننقصها بموت اهلها وهو
الثاني والثالث ننقصها بموت العلماء ه والرابع ننقصها بخرابها وقوله جل
والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ه قد مر بيان معناه في غير
موضع ه وقوله جل اسمه وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا ه قد مر
بيان المكر في غير موضع ه ومن الله تعالى ان الذين كانوا قبل هؤلاء مكروا
بالمؤمنين فرجع وبال مكرهم عليهم بان جازاهم الله على مكرهم وهو
كما قال في سورة آل عمران ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ه
يعلم ما تكسب كل نفس اتصل هذا بما قبله على معنى يعلم ما تكسب كل نفس
من المكر وغيره وقيل معناه ليجازي كل نفس بما كسبت من مكر من هو
عالم به وقوله جل اسمه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ه معناه يعلم
هؤلاء الكفار عند موتهم ويوم القيامة لمن عاقبة الدار وهي الآخرة من ثواب
وعقاب وهذا تهديد بليغ وقوله جل اسمه ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
هو علي من الله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحجة الاحتجاج على من جحد نبوته

تسليمه له وفعاله هولاء الكفار جحد واستكبر وانكروها وان المدعي
لها وعليك قام البرهان على دعواك فقل لهم كفى بالله الذي ارسلني
شاهدا بصحة ما ادعيته وكفى شهيدا بشهادة الله ومن عنده علم
الكتاب وجه شهادة الله المعجزات عليه القائمة مقام قوله جل وعلا
صدق محمد فان كان محمد كاذبا في دعواه لم يجز في حكمة الله تعالى ان
يظهر المعجز على الكذاب لئن يصدق الكاذب كذب والله تعالى عنه ومن رجع
الى عقله وعرف حكمة الله علم انه لا يفعل القبيح واذا اظهر المعجز على محمد كان
ذلك اثبت شهادة واصحها واعدلها بصحة ما ادعاه واما شهادة من عنده
علم الكتاب وقد اختلف العلماء فيمن عنده علم الكتاب
قال بعضهم المراد به علماء الكتاب المنزل قبل القرآن التوراة والانجيل فكانه
قال كفى بذلك شهادة الله وشهادة من عنده علم التوراة والانجيل وهم الذين
امنوا بالقرآن وكانوا من اهل التوراة والانجيل مثل عبد الله بن سلام وسلمان
الفارسي وتميم الداري وغيرهم من علماء اهل الكتاب لان اليهود كانوا
مقرين بان هولاء كانوا اهل العلم وكانوا يقرؤن عليهم التوراة وكان فيه
ما يدل على صحة نبوة محمد وصحة دين الاسلام الذي اتى به على الوجه الذي لا يمكنهم
جحده وانكاره اذا انصفوا وقال علماء ال محمد صلى الله عليه واله
ومن عنده علم الكتاب المعني به الاوصياء والائمة من ال محمد عليه وعليهم السلام
اولهم امير المومنين علي عليه السلام لان هذه الشهادة كانت شهادة بصحة نبوة
محمد عن جهة الاعجاز والاعجاز ظهر من جهة القرآن والمراد بالكتاب هاهنا
هو القرآن والعالم بالقرآن على الوجه الذي انزله الله وما فيه من انواع الاحكام
والحكم ليس بعد النبي عليه السلام الا وصيه وهو علي عليه السلام بحكم علي
في حصول علم القرآن بكماله كحكم وصي سليمان عليه السلام وهو اصف بن برخيا

في حصول علم كتاب سليمان بكماله له الا ترى الله تعالى قال حاكيا لما قال سليمان
لقومه ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين قال عفريت من
الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي
عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان ذلك
معجز السليمان اظهره الله تعالى على يد وصيه الذي كان علم كتاب سليمان عليه
السلام عنده ونبينا صلى الله عليه واله كما افضل من سليمان ووصي محمد عليه السلام
اعلم خلق الله بعد محمد بجميع دينه ودلائله القاطعة عليه فاذا جعله
الله تعالى شاهدا لمحمد فاي عجب في هذا وقد قال الله تعالى افمن كان على بينة من
ربه ويتلوه شاهد منه وقد قال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم
وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض وقد ثبت بالتاويل قوله بعضها من بعض
وذكر في سورة براءة ما كان من قصة عزل ابي بكر وحكاية جبرئيل عليه السلام
ورده وقوله للنبي عليه السلام لا يبلغها الا انت او رجل منك [illegible]
لهذه رتبة عالية لامير المومنين عليه السلام كما ان رتبته في اختصاصه
من جملة البشر بكونه ناصرا للنبي صلى الله عليه واله على الوجه الذي كان
جبرئيل عليه السلام ناصرا له وقوله تعالى فان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبرئيل وصالح المومنين فسمى الله تعالى عليا عليه السلام صالح المومنين كما
سماه رسوله امير المومنين ومن كانت له هذه الرتبة وصارت
طاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله مفروضة على خلقه لا يستبعد ان
يجب ان يكون شاهدا لمحمد صلى الله عليه واله وسلم ويكون شهادته مقرونة
بشهادة الله سبحانه لان امير المومنين عليه السلام افتخر على المنبر بحضرة الجماعة
بكونه صالح المومنين فقال انا اخو رسول الله ومن هاشم سنامها الاكبر ولي
نصل بطويل السور [illegible] القدر وصالح المومنين [illegible] الايات

وفي الاعتبار معتبر والسبر وتسبر وقالع بالحجر والناطق بالحكم
على المنبر ولم ينكر عليه ذلك احد من الحاضرين والغائبين وروى
ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من قرا سورة
الرعد اعطي عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة
وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله

السورة التي يذكر فيها ابراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه الر كتاب انزلناه اليك لتخرج
الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ۝ قد
مر بيان معنى هذه الحروف المذكورة في اوائل السور في غير موضع فلا وجه
لاعادته ها هنا ۝ ومعناه انزلت عليك يا محمد كتابا وهو القرآن معجزا
ودالا على صحة نبوتك وفيه بيان معالم الدين لتخرج الناس بالدعوة والعظة
واقامة الدلائل من ظلمات الضلال الى نور الهدى باذن الله العزيز الحميد
قوله جل اسمه الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين
من عذاب شديد ۝ من الله تعالى ان رب الخلق ومالكهم وسيدهم هو
الله المالك ما في السموات والارض والمستولي عليه ومن كفر به فان له عذ
عذابا شديدا في نار جهنم ۝ ولفظ الويل مستعمل في الجالب للعذاب
قوله جل اسمه الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن
سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد ۝ قوله الذين صفة
الكافرين ۝ ومعناه هولاء الكفار الذين اختاروا الحيوة الدنيا على
الآخرة وصدوا الناس عن دين الله بالاغوا والدعا الى غير السبيل وطلبوا
العوج في دين الله تعنتا فهم في ذهاب بعيد عن الحق والعوج بكسر العين
يكون مستعملا في الدين فاما العوج بفتح العين فيستعمل في الحائط واشباه ما

كان قايما وهو ما خالف الاستوا قوله جل اسمه وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم ۝ معناه وما ارسلنا رسولا الى قوم الا وكان يخاطبهم بلغتهم
ليفهموا منه ما يدعوهم اليه ويعلمهم ولا ينفر طبعهم عنه قوله جل اسمه فيضل
من يشا ويهدي من يشا وهو العزيز الحكيم ۝ فمن خالف منهم وعصى الله
فالله يعذبه وقوله تعالى فيضل الله من يشا هو يضله عن طريق الجنة جزا لما فعله
من الكفر والمعصية والله يشا ان يعاقب من كانت هذه صفته ويسمى الله
العقاب ضلالا لانه كان جزا على الضلال بقوله ان المجرمين في ضلال وسعر
ومن امن منهم واهتدى يثيبه الله الجنة وهو الذي يشا الله ان يثيبه وقد
مر ايضا في مواضع من هذا الكتاب مثل ذلك بيانه في اول سورة البقرة
في معنى الضلال والهدى بيانا شافيا فلا وجه لاعادته ها هنا ومعنى
العزيز الحكيم قد مر ايضا في مواضع من هذا الكتاب قوله جل اسمه ولقد ارسلنا
موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ۝ معناه وارسلناه الى قومه
ليخرجهم من الضلال الى الهدى بالدعا والارشاد والدلالة والبيان
قوله تعالى وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ۝ قيل
معناه واتيناه ان يذكر قومه نعم الله عليهم ۝ وقيل معناه وذكرهم
نعم الله تعالى لعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية التي
نزل العذاب بهم في الايام الماضية وفي تذكر ايامهم دلالة وعبرة للصابر على طاعة الله
والصابر عن معصية الله والمكثر شكر الله تعالى قوله جل اسمه واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء
العذاب ۝ معناه واذكر اذ قال موسى لقومه وهم بنو اسرائيل اشكروا
نعمة الله عليكم بان خلصكم من ايدي آل فرعون بعد ان كنتم ما بين مستضعفين
في ايديهم ۝ ومعنى يسومونكم سوء العذاب يولونكم اشد العذاب [illegible]

الخسف والصيحة اذا خلفه وقوله جل اسمه ويذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم معناه كان من عادتهم ذبح الذكور من اولادهم واستخدام
الاناث منهم وقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم معناه وفي انجاء الله
اياكم من فرعون نعمة عظيمة من الله عليكم والبلاء النعمة وقوله تعالى
واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد تاذن
ههنا بمعنى اذن واعلم والعرب قد تستعمل لفظ تفعل بمعنى افعل كما قالوا
توعد بمعنى اوعده ومعناه قد اعلمكم ربكم فيما انزل في التوراة انكم
اذا شكرتم نعمته زادكم نعمه وان كفرتم نعمته عاقبكم بالعذاب
الشديد وفي الاية ترغيب وترهيب وقوله جل اسمه وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد معناه قال لهم موسى
عليه السلام ان كفرتم يا قوم وكفر كل من في الارض من عباد الله فان
الله غني عنكم وعنهم فلا تضرونه بكفركم به فانما تضرون به انفسكم
لان المنافع والمضار لا تجوز على ربكم وخالقكم وقد بينا معنى العزيز الحميد
في غير موضع وقوله تعالى الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات لا قيل
المعنى بقوله الم ياتكم امة محمد صلى الله عليه معناه الم تسمعوا ولم
تعلموا ما جرى بالامم الماضية من عذاب الله لما كفروا وما جاءت
رسلهم اليهم وهم كانوا في الكثرة والعدة بحيث لا يعرف كنه ذلك
الا الله جل وعلا وقوله تعالى فردوا ايديهم في افواههم معناه فعضوا
على ايديهم غيظا مما دعاهم اليه رسلهم وهذا مثل ما حكى الله عن
قوم واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم الاية
وقوله تعالى وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه

مريب معناه ان قوم اولئك الانبياء عليهم السلام قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
الينا ولفي شك وتهمة مما تدعوننا اليه وتسمونا به يقال اراب يريب اذا
اتى بريبة وقوله جل اسمه قالت لهم رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض
يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى معناه قالت لهم
رسلهم جوابا عما قالوا على وجه الانكار عليهم لا ينبغي لعاقل ان يشك في الله
تعالى مع ما نصب من الادلة على معرفته ووحدانيته وعدله وحكمته كاختراع السموات
والارض وما فيهما من عجائب الصنع والله خالقها ومنشيها ومدبرها وهو يدعوكم ليغفر
لعجزكم وعجز امثالكم عن فعل مثلها ومن حسن نظره لكم يدعوكم بما
نصب من الادلة وما نبهكم عليه على السنة الرسل عليهم السلام الى ما
فيه مغفرة ذنوبكم ان تبتم وقبلتم ما جاءكم به الرسل ونظرتم في الادلة
وفكرتم في الانعام عليكم بالعمر الطويل في الدنيا وهو معنى قوله ويؤخركم الى
اجل مسمى وقوله جل اسمه قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما
كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين معناه ان الله تعالى حكى جواب القوم
للرسل عليهم السلام قالوا لهم ما انتم الا بشر مثلنا فمن اي وجه تجب طاعتكم
علينا وانتم حسنتم تصدونا عن سلوك طريقة اباءنا وهذا غاية فرط الجهل
منهم لانهم قدروا ان الرسول يجب ان يكون من غير جنس المرسل اليه
ومع ذلك جهلوا طريقة النبوة لانها لا تثبت الا بدلالة الاعجاز واظهر
الله المعجزات على اولئك الرسل عليهم السلام فتركوا النظر فيها وعدلوا
الى تقليد اباءهم ولاجل اضرابهم عن النظر في معجزاتهم اقترحوا عليهم الايات
بحجة غير الذي اتوا بها وهو معنى قوله فاتونا بسلطان مبين اي بحجة واضحة
وهذا مثل ما قالت قريش لنبينا صلى الله عليه واله وسلم لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر الايات وقوله جل اسمه قالت لهم رسلهم

ان نحن الا بشر مثلكم ه وهذا حكاية جواب الرسل لهم ثانيا ومعنى
قالت لهم رسلهم ما نحن الا بشر مثلكم في الخلقة والبشرية واحدة
وقوله جل اسمه ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ه معناه ولكن الله انعم
علينا ومن وافضل بان خصنا واكرمنا بالرسالة من بين البشر لما
كان في معلومه من المصلحة فيه وقوله تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان
الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ه ومعناه وما تطلبونه من الايات
فالله قادر عليه ولا سبيل لنا اليه لانا بشر مثلكم ولا يفعل الله ذلك
الا اذا علمه لطفا ومصلحة لعباده في الدين ولا يفعل شيئا من ذلك باقتراح
عباده وتحكمهم واذا اظهر الله علينا شيئا منه وحملنا ابلاغكم
وانا انما ناتيكم به بامر الله واذنه واطلاقه ومن حق المؤمن بالله ان يتوكل
على الله ويفوض امره اليه وقوله جل اسمه وما لنا ان لا نتوكل على الله
وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون معناه ان الرسل عليهم السلم قالوا لقومهم وما الذي
يمنعنا من التوكل على الله في سائر امورنا ومن الصبر على ما ينالنا
من اذاكم واذا احتملناه فان الله تعالى يظفرنا بما وعدنا الله
هذا وقد انعم علينا بان اجتبانا واصطفانا ودلنا على ما يهدي
الينا وارشدنا عليه وانعم علينا بضروب من النعم واذا كانت حالنا
هذه فمن لا نرجوا سوى الله ولا نتوكل الا عليه فانا اولى الناس
بالتوكل عليه رسل الله عليهم السلم وقد دلت هذه الايات على
المناظرة في باب الديانة لانه لو لم يكن ذلك لما حكى الله عن الانبيا عليهم
السلم وامهم ما حكاه بطريق الاحتجاج على الرسل صلى الله عليهم
اجمعين وقوله جل اسمه وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا

اولتعودن في ملتنا ه معناه ان الذين كفروا في زمان ذلك الانبيا
عليهم السلم قالوا لرسلهم ان لم ترجعوا الى ديننا اخرجناكم من بلادنا
وقيل انما قالوا اولتعودن في ملتنا وان لم يكونوا على دينهم
من قبل تعريضا او ايهاما لا انهم كانوا عليها حقيقة وقوله جل اسمه
فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من
بعدهم ه معناه ان الله تعالى امر رسوله من خوفهم بان يبشرهم
انه يهلك الظالمين الذين وعدوهم ويمكن رسله من بلادهم يملكونها
ويتصرفون فيها كيف يشاوا وقوله جل اسمه ذلك لمن خاف مقامي وخاف
وعيد ه معناه وعد الله بذلك على من كان موقنا بما وعده الله
ومجانبا عما يسخط الله وقوله جل اسمه واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيد ه الاستفتاح طلب الفتح وهو النصرة ه ومعناه ان الانبيا
عليهم السلم طلبوا النصر من الله فاعطاهم الله وخاب
من كان جبارا عنيدا وهم الكفار الذين عادوا الرسل واصل
الخيبة ضد الظفر بالبغية وقيل استفتح الكفار البلا وهو
كما حكى الله عنهم في موضع اخر ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين
على وجه الاستهزا والانكار لما توعدهم به الرسل عليهم السلم وكذلك
قوله حكاية عنهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين استعجالا
لذلك وخاب الجبار المتكبر عما طلبه ه والعنيد المجاوز عن الحد في
عتو وعلوا به يقال عرق عاند وعنيد اذا كان لا يرقى دمه ه وروي ان
يزيد بن معاوية عليه لعاين الله تترى استفتح بكتاب الله تعالى لما
قتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما مخرجت هذه الاية في الوجه
الذي عقد الضمير اعني قوله واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق

المصحف غيظًا ما خرج قاله عليه وانشا يقول

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا احشر الخلائق يوم حشر فقل يا رب حرقني الوليد

قوله جل اسمه من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ه لفظ وراء

في اللغة مستعمل في الضدين قد يكون بمعنى امام ويكون بمعنى خلف وكأنه

يقول اطبقت النار عليه فمن خلفه نار ومن امامه نار وكذلك من

فوقه نار ومن تحته نار كما قال تعالى لهم من جهنم مهاد ومن

فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين نعوذ بالله من نار جهنم ه وس

تعلى انه اذا غلبه العطش يسقى ما يسمى الصديد ه واصل الصديد

هو ما يسيل من الجرح مدة رقيقة مختلطة بالدم قوله جل اسمه يتجرعه

ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه

عذاب غليظ ه التجرع هو شرب الشراب المشروب جرعة جرعة على

وجه التكره له ونفور الطبع منه ونعار ساغ الماء في حلقه اذا

انحدر الى موقعه على وجه السهولة من غير تعب واساغه صاحبه

ومعنى الآية ان الذي يسمى الصديد يتجرعه يشرب من الشراب ما يكرهه

ونفر طبعه عنه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يشربه تكرها له

وتقديره لا يسع ذلك في حلقه اساغة ما يستهيه من الماء البارد العذب

والمحض منه متى وقد غلبه العطش ه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

انه قال يقرب اليه الصديد فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت

فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره وهو قوله وسقوا

ماء حميما فقطع امعاءهم ه وقوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه

بئس الشراب وساءت مرتفقا ه وقوله تعالى والذين كفروا قطعت لهم ثياب

من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود

ولهم مقامع من حديد ه قوله جل اسمه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو

بميت ومن ورائه عذاب غليظ ه معناه يأتيه الموت من كل مكان

من جسده حتى من اطراف شعره وقيل معناه ويأتيه الموت من كل جهة

عن يمينه وشماله ومن امامه وخلفه وفوقه وتحته وتقديره ان العذاب

يبلغ منه المبلغ الذي عنده تخرج روحه ثم لا تخرج حتى يصير ميتا فيستريح

لانه يعذب ابدا لا يفتر عنه بحطه كما قال الله تعالى لا يفتر عنهم وهم

فيه مبلسون وهذا معنى قوله وما هو بميت ومن بعد ذلك عذاب غليظ

وهو معنى قوله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ قوله جل اسمه مثل الذين

كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ه

شبه الله تعالى اعمال الكافر التي قدر ان يجزى عليها خيرا في حبوطها

وجعلها هباء منثورا يوم القيامة كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من

عمل فجعلناه هباء منثورا بشبهها بالرماد الذي تعرضت به الريح الشديدة

الهبوب فكما لا يبقى شيء من الرماد مع تلك الريح فكذلك لا يبقى شيء من

اعمالهم قوله تعالى لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال

البعيد ه معناه لا يقدرون على شيء ما قدموا ولا يكون لهم من الاجر

على اعمالهم على وجه الكرامة والنعمة ه وقوله ذلك هو الضلال

البعيد هو الذهاب عن الطريقة التي يمكن ان يكون له لانه كان في ضلال

بعيد عن الحق وان يسع مثل على تقدير فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا

ويجوز ان يكون ارتفع اعمالهم على البدل المشتمل عليه المعنى قوله جل اسمه

الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ه معناه الم تعلم ايها السامع

ان الذي قدر على خلق السموات والارض لا من شيء كان قادرا على ان

يعذبكم ما توعدكم به قوله جل اسمه ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد وما ذلك على الله بعزيز ٥ معناه ان القادر على خلق السموات
والارض قادر على اهلاككم وان يشا خلق جديد بعدكم ولا يتعذر عليه
هذا ولا يمتنع فدلت الاية على ان القادر على الشي الذي يبقى قادر على افنائه
اذا كان بحيث لا يتغير عليه الحال قوله جل اسمه وبرزوا لله جميعا فقال
الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من
عذاب الله من شي ٥ معناه ان هولا الكفار اذا برزوا يوم القيامه
وهو خروجهم من بطن الارض وحصولهم في عرصة القيمة احيا ودعوا الى المحاسبه
قال الضعفا الذين كانوا اتباع الرويسا في دار الدنيا للرويسا انا كنا
لكم تبعا في دار الدنيا والتبع هاهنا جمع التابع كغايب وغيب ويجوز
ان يكون مصدرا وصف به ومعناه كنا نطيعكم فيما تامروننا وننقاد
لكم فهل في وسعكم وامكانكم ان تدفعوا عنا بعض ما دفعنا اليه من
عذاب الله قوله جل اسمه قالوا لو هدانا الله لهديناكم ٥ معناه لو هدانا
الله الى ما تطلبونه منا من طريق التخلص من العذاب لهديناكم
وخلصناكم من ذلك وهذه الهداية ليست هداية الى الدين لان
الاخرة ليست دار تكليف وانما هي دار الجزا على الاعمال وجوابهم انما يكون
مطابقا لسوالهم وسوالهم دفع العذاب لا غير قوله جل اسمه سوا علينا
اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ٥ المحيص هو المعدل يقال حاص عن
الشي اذا عدل عنه وقال استوى الجزع والصبر والجزع هاهنا في العذاب
لانه سوا اصبرنا ام جزعنا فلا خلاص لنا فهذا انا يئسنا واقنطنا من الله
والرحمة والخلاص قوله جل اسمه وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم ٥ معناه ان الشيطان يقول يوم

القيامة اذا حصل اهل النار في النار لاوليايه من الجن والانس ان الله
وعدكم وعد الحق على لسان الرسل في الدنيا ووعدتكم وعد الباطل
وقد اخلفتكم موعدي ولا يمكنني الوفا به فيعترف في النار بكفره
وضلاله واضلاله قوله جل وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي ٥ معناه ويقول الشيطان لاوليايه ولم يكن لي عليكم
في دار الدنيا سلطان ولا غلبه ولا قدره على اجباركم واكراهكم
ولم يكن مني الا وسواس ودعوه لكم الى الكفر والباطل فلما دعوتكم
استجبتم لي واطعتموني وكنتم قادرين على عصياني وترك اجابتي ٥ ومعناه
مضمر في قوله تعالى فلا تلوموني ولوموا انفسكم ٥ معناه لوموا انفسكم
على اجابتكم فلو لم يكونوا قادرين على خلاف ما دعاهم اليه لم يكن الكفر فعلا
لهم ولما استحقوا اللايمه وكانوا معذورين قوله جل اسمه ما انا بمصرخكم
وما انتم بمصرخي ٥ الاصراخ في اللغه اغاثه ٥ ومعناه ان الشيطان يقول
لهم ليس في قدرتي ان اغيثكم فاخلصكم من عذاب الله فان قدرتم ان
تعينوني فقد استوينا واشتركنا في العذاب قوله جل اسمه اني كفرت
بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم ٥ معناه والشيطان
يقول لاوليايه اني بري من اشراككم اياي بربكم ٥ والظالمون لهم
عذاب اليم اي مولم فاذا اعترفوا في النار بانهم فعلوا الكفر والضلال
وانهم استحقوا العقاب بفعلهم فبطل قول من يقول ان الله خلق
فيهم الكفر ولم يعطهم قدرة الايمان مع انه امرهم بالايمان ٥
قوله جل اسمه وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ٥ لما بين الله
تعالى في الاية الاولى حال اوليا الشيطان بين في هذه الاية حال اوليايه

المتقين بان ما واهم جنات تجري من تحتها الانهار وانهم
يكونون خالدين فيها والمليكة يحيونهم بالتسليم ويحيي بعضهم بعضا به كما
قال تعالى حاكيا والمليكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار وقوله جل اسمه الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء ه ضرب الله الكلمة
الطيبة فقال الم تعلم ايها النبي وايها السامع كيف ضرب الله المثل
بالكلمة الطيبة وهي كلمة الايمان وشبه كلمة الدعوة الى الله والى دينه
بالشجرة الطيبة والعالي من فرعها في السما والثابت اصلها في الثرى ه
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انها شجرة النخلة وروي عن ابن عباس رضي الله
قال انها شجرة في الجنة وقوله جل اسمه تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ه
معناه تلك الشجرة تعطي ثمرها في كل حين باذن الله اي بعلمه وقيل الحين
ستة اشهر وقيل غدوة وعشية وقيل من اكل النخلة الطلع والرطب
والبسر والتمر فهو دائم لا ينقطع على هذا الوجه وعند اهل اللغة الحين عبارة
عن الوقت وقوله جل اسمه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ه
معناه والله تعالى انما يضرب الامثال للناس لكي يتفكروا فيها ويعتبروا
بها وقوله جل اسمه ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الارض ما لها من قرار ه الكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر وهي خبث معناها
والشجرة الخبيثة التي ضرب الله المثل بها قيل هي شجرة الحنظل وقيل
هي شجرة لا تحلق ه والاجتثاث الاقتلاع ه لما شبه الله في الاية
الاولى كلمة الايمان بالشجرة الطيبة النافعة شبه كلمة الكفر في
الاية الثانية بالشجرة الخبيثة الضارة التي لا ثبات لها ه ومعنى
اجتثت اقتلعت ه وقوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت

في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ه معناه يجعل الله المومن ثابتا بالايمان
الذي فعله بالقول الثابت حتى يوصله الى مراده ويعينه ويلطف
به اعد الله له والقول الثابت في الحيوة الدنيا ه قيل هو السوال في القبر
اذا جاءه الملك فقال له من ربك وما دينك ومن نبيك ه وتثبيته
في الاخرة لاجل انهم بالقول الثابت وهو ما يكون عند المحاسبة والمسايلة
يكون المومن ثابتا فيه الى ان يدخل جنات النعيم وقوله تعالى ويضل الله
الظالمين ويفعل الله ما يشاء ه معناه ويعاقب الله الظالمين لان
الاضلال بعد وقوع الظلم من العبد لا يكون الا الجزاء وجزاء الظالم
العقاب والله تعالى يفعل ما يشاء وذلك لا دلالة على ان الله لا يشاء
الا ما هو حكمة وصواب وقوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ه هذا تعجب
للعباد مما فعل هولا الكفار فجعلوا بدل الشكر الذي وجب عليهم
لنعم الله كفرانا ه وهولا كفار قريش في قول امير المومنين عليه
السلام واكثر الصحابة رحمهم الله لان الله تعالى انعم عليهم
بان بعث الرسول منهم وكان ذلك شرفا فكفروا به وبسائر
نعم الله تعالى ودعوا الناس الى الكفر بمحمد والى الاعراض عن
دينه وكان فيه استحقاق الخلود في دار البوار وهي دار الهلاك
وهو معنى قوله واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس
القرار وقوله تعالى وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا
فان مصيركم الى النار ه الانداد جمع الند وهو المثل والشبيه ه
معناه وجعلوا لله شركا ليضلوا به الخلق عن دين الله هذا
اذا كان من الاضلال واما اذا كان من الضلال كان معناه ليضلوهم

عن دين الله واللام التي في قوله ليضلوا لام العاقبة فكأنه قيل فعلوا
ذلك وعاقبتهم الضلال عن دين الله وفي قوله قل تمتعوا فان
مصيركم الى النار تهديد ووعيد بالغ فكأنه قيل لهم قل لهم بالحق
لكم متاع قليل في الدنيا ثم مصيركم في الآخرة الى النار قوله تعالى قل
لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ه
امر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يأمر المؤمنين بالله وبرسوله
باقام الصلوة التي اتى بها رسول الله وبالانفاق من المال الذي رزقهم الله
تعالى في وجوه البر في سبيل الله في السر والعلانية قوله تعالى من قبل ان يأتي
يوم لا بيع فيه ولا خلال ه الخلال المخالة وهي اصفا المودة ومعناه
فليفعلوا ما امروا به قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه اي يوم القيمة وهو يوم لا
يكون فيه بيع وشرى ما لزم العبد منه فلا فدا فيجد السبيل الى المفاداه
ليتخلص من العذاب ولا مصافاه ولا صداقه تغني عن احد شيئا كما
في دار الدنيا فمن لم يفارق الدنيا على الايمان وطاعة الرحمن كانت
نفسه رهينة بعذاب الله قوله تعالى الله الذي خلق السموات
والارض وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر
لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار ه بين الله تعالى انه
الذي خلق السموات والارض وفيه بيان انه اختص بالقدرة على خلقها
ولم يقدر عليها سواه وانزل من السما ما انزل به المطر وقد بينا
في غير موضع من هذا الكتاب معنى نزول الما من السما انه من السحاب
او غير السحاب ه وبين انه اخرج بعد وقوع المطر على الارض
منها انواع الثمرات رزقا للعباد وانه سخر السفن في البحر
وهي تجري في البحر بامره ومعناه انه جعل في الما الاعتمادات الدافعة

للسفينة وحرك الهوا حتى دفع السفن في البحر والريح هو الهوا
المتحرك وكما سخر السفن في البحر سخر الانهار الجارية بالما لنفع
العباد قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم
الليل والنهار ه معنى دائبين مستمرين واصل الدؤوب في اللغة من
دؤوب الشي في العمل على عادة جارية فيه ومعناه وسخر لكم الشمس
والقمر يجريان على عادة مستمرة وسخر الليل والنهار يختلفان
ويتعاقبان قوله تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه ه معناه واعطاكم من
كل ما سألتموه والعبد قد يسأل الله العافية فيعطيه ويسأله النجاة
من الشدة فيعطيه ويسأله المال والولد فيعطيه ويسأله العز
والعلو فيعطيه ويسأله تيسير الامور وشرح الصدر فيعطيه
يعطي الله العبد ما سأله اللهم الا ان يكون مفسدة له وغير مصلحة
فلا يعطيه ثم يمنع ما يكون مفسدة له ويكون نعمة عليه فكأنه
قيل لهم وان يذهب بك عن طاعة الله وشكر نعمه مع كثرة نعمه
عليكم قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان
لظلوم كفار ه معناه وقد اكثر الله من النعم ما لو اراد بعد
الخصية وعده ليتعذر عليه ذلك وعجز عنه لا وروي عن بعض
العلما انه قال ان نعم الله تعالى اكثر من ان تحصيها العدد ولكن
صنفوا اثنين واحتسبوا باثنين وبين الله تعالى ان الانسان كثير
الظلم لنفسه كثير الكفر بربه قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب
اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ه حكى الله
تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا ابرهيم عليه السلم لاولاده
حكاية فقال اذكر اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا يعني

مكة وباعدني وبني باللطف والتوفيق عن عبادة الاصنام لانه
لو منعهم عن عبادة الاصنام جبرا لم يكن لهم فيه مدح ولا عليه
ثواب وثناء في موضع الانبياء عليهم السلام لا يسألون الله
بعبادة شيء الا بعد ان يأذن الله لهم فيه وهنا العلة فيه وقد دعا
ابرهيم لاولاده الذين ذكر الله انه يدعو لهم بما دعا وسائر
ذريته لان اكثر ذريته عبدوا الاصنام وقليل منهم لم يعبدوا
واستجاب الله دعوته فيهم فمن لم يعبد الصنم من اولاده دخل
تحت الاجابة ومن عصى النبي صلى الله عليه واله دخل تحت هذه
الاجابة الوصي بلا خلاف وقوله جل اسمه رب انهن اضللن كثيرا من
الناس ٥ الصنم الذي هو جماد لا يضل احدا وقد يضل الانسان
بسببه وهو ان يعبده ويتخذه الاها فلما ضل الناس بسبب عبادتهم
لها واضيف الاضلال اليها توسعا ومجازا او ذكرت هذه الطريقة
في تقاسيم الضلال والاضلال وقوله جل اسمه فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ٥ معناه فمن اتبعني على ديني ولم يعبد
الصنم من اولادي فهو مني ومن كفر بك من ذريتي وعصى [illegible]
فانت اعلم بحاله فان تاب وامن فانك غفور رحيم لمن تاب ومن اصر
على المعصية ولم يتب فحكمك فيه نافذ ووعيدك لاحق ٥ وليس
المراد بقوله فانه مني ~~ومن كفر بك من ذريتي~~ من اولادي من لم
يتابعني على دينه من اولاده لم يخرج من كونه ولدا له ولم يقطع عنه
نسبه وانما المراد بقوله فانه مني ما نطقت به الاية وهي قوله ان
الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران لانه مستحق بل المراد
به الاختصاص بالعصمة والطهارة والديانة والاحسان بالنبوة والامامة

والى هذا اشار النبي صلى الله عليه بقوله علي مني وانا منه خلق من
طينتي وخلقت من طينة ابرهيم ع ذرية بعضها من بعض وقوله في
قصة ابرهيم حكاية عن جبرئيل لا يسمعها الا انت وجل ثناؤك وقد
مر الكلام في جميع ذلك مستوفيا وقوله جل اسمه ربنا اني اسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ٥ هذه حكاية قول
ابرهيم صلى الله عليه حين ما نقل اسمعيل وامه هاجر الى
مكة قال يا رب انك تعلم اني اسكنت من ذريتي بواد غير
ذي زرع عند بيتك المحرم ولا نبات فيه ولا شجر ولا ثمار
وانما هو وادي بيتك المحرم وسمى البيت بهذا الاسم
لانه حرم فيه من التصرف ما احل في غيره وقوله جل اسمه ربنا ليقيموا
الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون ٥ معناه اني اسكنت ذريتي
حول بيتك وعند بيتك المحرم ليقيموا الصلوة فيها ويعبدوك
حق عبادتك فاعطف قلوب عبادك عليهم ليحجوا واحفظهم
وارزقهم من الثمرات التي رزقتها عبادك لكي يشكروك
على نعمتك وقوله جل اسمه ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما
يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ٥ معناه ان ابرهيم
قال ربنا انك عالم بكل شيء ظاهرا كان او باطنا ولا يخفى عليك شيء
في الارض ولا في السماء وانت عالم بذلك وانت علام الغيوب وقوله
جل اسمه الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي
لسميع الدعاء ٥ هذا حكاية شكر ابرهيم عليه السلام الله تعالى

على ما ذهب اليه الولد بعد ان كبر وطعن في السن وان الله
لسميع الدعاء لمن دعاه لحسب من علمه في اجابته المصلحه ٥ وذكر
انه بشر ابرهيم صلى الله عليه واله محمد بالولد بعد ان اتى عليه
مايه وسبع عشره سنه وقوله جل اسمه رب اجعلني مقيم الصلوه
ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ٥ معناه اللهم اجعل لي ولذريتي
لطفا امسك به في اقامه الصلوه والعباده وليستجب دعاء
وهو معنى قوله وتقبل دعاء واصل القبول اخذ العمل على طريق
ايجاب الخدمه مقابله له وقوله جل اسمه ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمومنين يوم يقوم الحساب ٥ معناه ان ابرهيم صلى الله
عليه واله دعا بهذا الدعا فقال رب اغفر لي ولوالدي وللمومنين
بك الى يوم القيمه وقد بينا القصه على اي وجه دعا لابيه وان
استغفاره لها عن ذلك الاستغفار الذي كان لازر
في كل موضع ذكر ازر بلفظ الاب مفردا ولا وجه لاعادته
ها هنا وقوله تعلى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما
يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ٥ معناه لا تظنن ايها
السامع ان امهال الله تعلى للظالمين وسعيتهم باهم وترك
اخذهم في الحال لظلمهم لاجل انه غافل عنهم وانه خفي عليه ظلمهم
وانما اخر عذابهم الى يوم القيامه ولصعوبته وشده اهواله
تذهب فيه الابصار ومعناه بقي بحيره لا لمع لها ولا طرف
وقوله جل اسمه مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم ٥ قيل
مهطعين مسرعين ٥ وقيل المهطع هو الدائم النظر بالطرف وهو معنى

سكون البصر ٥ وقيل المهطع المطرق الذي لا يرفع راسه وقيل
المقنع الذي يرفع راسه ٥ قال الراجز انغض نحوي راسه واقنعا
كانه ابصر شيا اطمعا ٥ ومعنى لا يرتد اليهم طرفهم ان نظرهم
بين لا طرف لها كعين المدهش المتحير وقوله تعلى وافيدتهم
هوا ٥ قيل معناه منخرقه كانخراق الهوا لا تعي شيا للرعب الذي
دخلها ٥ وقيل معناه قلوبهم فارغه من كل شي الا من ذكر اجابه
الداعي الى الحساب ٥ وقيل معناه تردد تلك افيدتهم في اجوافهم
لا تستقر في مكان وقيل خرجت افيدتهم الى الحناجر لا تنفصل
عنها ولا تعود الى قرارتها وكذلك شبيه لها بهذا الحد والقول
الاول اعرف في كلام العرب لهذا قال قايلهم [illegible]
كان الرحل منها فوق صعل من الظلمان جوجوه هوا
وقوله جل اسمه وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا
ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ٥ معناه خوف
الناس يا محمد بعذاب الله والعامل في يوم انذرهم وكانه قيل
انذرهم عذاب الله قبل ان يغشاهم ويجاهم يوم يقولون فيه
اذا راوا العذاب ربنا اخرنا الى اجل غير بعيد نومن بك ونتبع
رسلك ٥ وفي هذه الايه حجه على المجبره في قولهم ان الله يكلف عباده
اسانى الاخره لان هولا يسالون ان يردهم الى دار التكليف
ليومنوا فيها وفيه ابطال قولهم ان الله كلف الكفار الايمان ولم
يعطهم القدره عليه لانه لو كان في دار الدنيا كذلك كانوا سالوا
الله ان يردهم الى الدنيا حتى يفعلوا ما لم يكونوا قادرين عليه ٥
وانتصب يوم لانه المفعول به لا على الظرف لانه لم يومر بالانذار في

ذلك اليوم وقوله جل اسمه أو لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
معناه انه يقال لهم يوم القيمة على وجه التقريع الستم حلفتم في دار الدنيا
انه لا زوال لكم ولا انتقال من الدنيا الى الاخرة ثم قيل فيه وجها احدهما
حلفتم انه لا زوال لكم الى العذاب وقوله جل اسمه وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال اتصاله
بما قبله على ان معناه كمثلهم في الاهلاك اذا اقمتم على مثل ما اقاموا عليه من
الفساد وهو على اتصال موجب المعنى الاول به ويجوز ان يكون اتصال
الحجاج بوعيد الله على مكرهم انه عالم انه لا يخفى عليه بوجه من الوجوه
وقوله جل اسمه وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال قرئ لتزول بفتح الاولى ورفع الثانية وقرئ بكسر اللام
الاولى وفتح الثانية والفرق بينهما ان وجه قراءة الاولى وهو الكسائي
على تقدير ان مكرهم يزول منه الجبال على سبيل الاستعظام للمكر فكانه
قيل يزول الجبال من هذا المكر لعظمه والشاهد لما ذهب اليه قول
الاعشى لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهر به وتعلم اني عنكم غير مفحم
ووجه القراءة الثانية على معنى ما كان مكرهم لتزول منه الجبال وتقديره ولا
يبطل الحق في الاسلام والقران لانه ثبت بالدليل والبرهان وقوله جل اسمه فلا تحسبن
الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام معناه ولا تظنن ايها السامع
ان الله يخلف وعده بان الله لا يخلف رسله من انتقام اعدائهم والاكرام
لاوليائهم والله قادر لا ينازع والجزاء لمن يستحق الجزاء او الانتقام الجزاء
بضرب من المضار وقوله جل اسمه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار ثم قيل في كيفية تبديل الارض وجوه منها انه

تبدل الارض بغيرها بان ترفع الصورة التي كانت عليها الى صورة
غيرها وقيل تبدلها بان تكون ارض القيمة بيضاء كالفضة لم يعمل
عليها خطيئة وهذه الرواية عن ابن عباس وابن مسعود وانس بن مالك
ومنها ان ارض القيمة هي هذه الارض التي نحن عليها الا انها تغير الى صورة
اخرى وهو كما يقال في العرف والعادة اذا خاط الانسان من قميص قباء
او من قباء قميصا السر يوبا اخر والثوب اصله واحد وقد قال الله تعالى
ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا هو تغيير الصورة والكلام في تبديل
السماء كالكلام في تبديل الارض وبين تعالى انه يحيي جميع الخلق بعد ان
صاروا رفاتا وترابا يخرجون من بطن الارض الى عرصة القيمة للحساب
والجزاء ليجزي كل نفس ما كسبت وقوله جل اسمه وترى المجرمين يومئذ مقرنين
في الاصفاد الصفد القيد في اللغة ومعناه ان المجرمين في القيمة يقرن
ايديهم بالغل الى اعناقهم وقيل يقرن بعضهم الى بعض بالسلاسل وقوله جل اسمه
سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار السربال القميص وقيل
انما جعل سرابيلهم من قطران لان النار تكون اسرع اليها وبين تعالى
ان النار تغشى وجوههم وتصير النار كالغشاء لها وقوله جل اسمه ليجزي
الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب قد ذكرنا الحساب
في غير موضع فلا وجه لاعادته وقوله جل اسمه هذا بلاغ للناس قيل فيه
الانذار بالنار وما يوجب الخلاص مما ذكر من الانعام الذي لا يقدر عليه
الا الله تعالى والبلاغ هو ما يبلغ به الى الغير وقوله جل اسمه وليعلموا انما
هو اله واحد معناه هذا القران نزل لينذر الناس به وفيه الدلائل
التي اذا نظروا فيها علموا ان الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وانه

وقوله جل اسمه وليذكر اولوا الالباب ٥ معناه وليتذكر العقلاء
ما يجب تذكره وتدبره في القرآن ليعرفوا وحدانية الله وعدله
وحكمته وما لاجله بعث الرسل وفي الآية حجة على المجبرة في قولهم
ان الله اراد من النصارى ان يقولوا ان الله ثالث ثلاثة لان الله
بين انه انزل القرآن ليعلم ان الله واحد وانه اراد منهم ذلك تعالى الله
عما يقولون علوا كبيرا وفيها حجة على اصحاب المعارف فان
الله تعلى يقول ليتذكروا الدلايل فيعرفون بها الله تعلى ويعرفون ذلك
وهم يقولون انهم يعلمون ذلك اضطرارا ٥ وروي ابي
كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من قرا سورة
ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد
من لم يعبدها ٥ سورة التي يذكر فيها الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله جل اسمه وتعلى الر تلك آيات الكتاب
وقرآن مبين ٥ قد تقدم بيان معاني هذه الحروف المذكورة في
اوايل السور بما فيه كفاية فكان الله تعلى قال في هذا الموضع تلك الآيات
التي وعدناك انزالها على محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي آيات القرآن الذي
انزلناه عليه والكتاب ان كان المراد به القرآن فذكر للمعطين للجمع بين
الوصفين لان لفظ الكتاب يفيد انه مما يكتب ولفظ القرآن يفيد انه
مما يؤلف ويجمع بعضه الى بعض وان كان الوصف واحدا وقوله تعلى ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين ٥ قيل يود هو التمني هاهنا ومعناه اذا
راى المشركون يوم القيامة المومنين وهم يدخلون الجنة ودوا
انهم كانوا مسلمين في الدنيا ولفظ رب وان كان لما وقع وحصل بما صدق

الوعد لانه عيان قد كان ٥ وقيل انما اذا دخلت على رب غيرت
معناها فدخلت على المستقبل وغيرت المعنى وربما ان كان للتقليل
فاستعمل في هذا الموضع لانه ابلغ في التهديد كما يقول القايل لغيره ربما
ندمت على هذا وهو يعلم انه يندم ندما طويلا ويريد به تكثر ندم قليل
يكفي كثيره ٥ وقيل انما ذكر لفظ التقليل لان العذاب يشغلهم عن
التمني ذلك الا في القليل وقوله جل اسمه ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون ٥ هذا تهديد ووعيد بليغ ومعناه ذرهم واكلهم وتمتعهم
بلذات الدنيا فانما يعقبه من العقاب ما لا قبل لهم به ولا طاقة وذرهم
واشتغالهم بآمالهم فانهم يعلمون بلا ما كانوا فيه ووباله اذا ذاقوا
العذاب ٥ والالهاء الشغل يقال الهاه يلهيه الهاء اذا شغله وقوله جل اسمه
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ٥ معناه ولم يهلك اهل قرية
الا ولها كتاب معلوم عند الله ٥ ومعناه كتب اجلهم في سابق علم الله
بسكانه فلا اذا المهلق فيهم من يصلح بالتوبة والانابة اتاهم امر الله وهم في
غفلة فاخذهم العذاب بغتة وقوله جل اسمه ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ٥
معناه اذا جاء اجلهم المعلوم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ٥
وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ٥ اخبر الله تعلى عن جهل
هولا الكفار بحال الانبياء عليهم السلام وبموقع انعام الله تعلى في بعثتهم
ومعناه انهم قالوا لمحمد صلى الله عليه وآله انك لمجنون فيما امرتنا به ونهيتنا عنه
وقوله جل اسمه لوما تاتينا بالملايكة ان كنت من الصادقين لوما ولولا وهلا
في اللغة نظاير ومعناه ان كنت صادقا في دعواك فهلا احضرت الملايكة
الذين تدعي انهم ينزلون عليك بالوحي وكان هذا التحكم منهم على وجه الجهل
والطيرة قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك لو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون

وقد مر بيان ذلك في سورة الانعام وقوله جل اسمه ما ننزل الملائكة الا
بالحق وما كانوا اذا منظرين معناه ما ننزل الملائكة الا بالحق الذي
لا يحسن معه الباطل طرفة عين ومعناه انا لو انزلنا الملائكة عليهم السلام على
الوجه الذي سألوه وتحكموا فيه لم نمهلهم بعد ذلك وهو معنى قوله وما كانوا
اذا منظرين اي ممهلين ونظيره ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون
وقيل معناه ما ننزل الملائكة الا بالعذاب والاستيصال ان لم يؤمنوا
كما فعل على من كان قبلهم وجئناهم الايات التي سألوها واقترحوها
ثم لم يؤمنوا وقوله جل اسمه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون المراد
بالذكر هاهنا القرآن ومعناه انا نحن نزلنا عليك القرآن يا محمد وانا له
لحافظون حتى يجري يوم القيامة به كانه قيل حفظه لقيام الحجة به على من [illegible]
دعوة النبي صلى الله عليه وآله وقيل حافظون له من الزيادة والنقصان
وقيل حفظه من ان تناله ايدي المشركين فيمنعون الناس من قراءته
وفهم ما فيه وقوله جل اسمه ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
معناه وقد ارسلنا قبلك الرسل الى الامم الماضية والشيع هي
الامم وقوله جل اسمه وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن معناه
وما ارسلنا من رسول الى امة الا استهزؤا به وما اتاهم من عند الله
وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله عما احله ممن يكذبه ويستهزئ به
وقوله جل اسمه كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت
سنة الاولين قيل ان الهاء التي في قوله نسلكه راجعة الى الذكر
فكانه قال ان الذكر الذي انزلناه اليك نسلكه في قلوب المجرمين
على معنى اسماع النبي صلى الله عليه وآله ذلك اليهم وانه اذا اسمعهم وعرفوا معناه
ادى ذلك الى قلوبهم وقد نسلك ذلك في قلوبهم بما خلق فيها من الحفظ

له والعلم به والحفظ له العلم بما اسمعه من الكلام على ترتيبه
والمراد بقوله نسلكه في قلوبهم ليؤمنوا به وهم لا يؤمنون به ولو
كان الامر كما قالت المجبرة انه يسلك الكفر في قلوبهم لم يكن لقوله
لا يؤمنون على وجه الذم لهم معنى لانه اذا سلك الكفر في قلوبهم كانوا
مضطرين اليه واذا اضطروا اليه لم يمكنهم بعد الايمان والذم لمن لا
يطيق قبيح هذا ولم يجر للكفر ذكر فيرجع الهاء التي في قوله نسلكه
اليه فوا عجبا من جرأة هؤلاء على دين الله يتردون في كتاب الله ويصرفون
من غير مبالاة واكتراث وقيل وجه آخر وهو نسلك الاستهزاء
في قلوب المجرمين بان حصل ذلك على بالهم ليخشوه والقول الاول اقرب
ومعنى وقد خلت سنة الاولين معناه العادة في اهلاكهم قد جرت لما
كذبوا الرسل وانكروا الايات واستهزؤا بها فلا يامن قومك يا محمد
مثله اذا اقاموا على مثل ما اقاموا عليه وقوله جل اسمه ولو فتحنا عليهم بابا
من السماء فظلوا فيه يعرجون العروج الصعود في الهواء معناه ولو
فتحنا بابا من السماء وهؤلاء المشركون يرون الملائكة يعرجون لقال ضال
[illegible] نفعل كذا او بان [illegible] نفعل كذا وقوله جل اسمه لقالوا انما
سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصل السكر ادخال
اللطف في المشام معناه واذا ذاقوا ذلك قالوا سكرت ابصارنا
بما دخل من اللطف في مسامها حتى لم تستطع من رؤية الاشياء
على حقيقتها وقيل فظل هؤلاء المشركون يعرجون فيه ولقالوا
مع ذلك نحن مسحورون سواء كان الوجه الاول او الثاني فهذا اخبار عن
فرط جهلهم وانكارهم للحق وقوله جل اسمه ولقد جعلنا في السماء بروجا
وزيناها للناظرين البروج منازل النجوم هاهنا وهذا مثل قوله ولقد

زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ومعناه وزينا
السماء الدنيا بالنجوم عبرة للناظرين وقوله جل اسمه وحفظناها من كل
شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين ومعناه
وحفظنا السماء من الشيطان والرجيم هو المرجوم بجعل الله النجوم رجوما
للشياطين فاصل الرجم الرمي ومعنى الا من استرق السمع بمعنى لكن هم الشياطين
يهوون الشيطان يقرب من السماء لاستماع الحق ... من الملائكة عليهم السلام
فيرمى ذلك الشيطان بشهاب وقيل الشهاب وجوه احدها انه عمود
من نور يشده ضياؤه كانه نار وقيل الشهاب هو كوكب ينقض على الشيطان
وقيل الشهاب يحرق ولا يقتل وقيل يقتل وكانت العادة حرب للشياطين
قبل بعثة نبينا صلى الله عليه واله بالقرب من السماء واستماع اخبارها
فمنعوا عند الحسن بعث محمد صلى الله عليه واله وهذه القصة مذكورة في سورة
الجن ونظير هذه الاية قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا
من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب
دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ولا
يكون طلب الشياطين لاستراق السمع مع علمهم بمنعهم بالشهب خروجا
عن صفة العقلاء لانهم يطمعون في السلامة من بعض الجهات وكانوا
يترصدون لاستراق السمع من الملائكة ليفسدوا على عباد الله بدعائهم
اياهم الى الضلال على وجه الايهام بانهم يعلمون الغيب لانهم كانوا اذا وقفوا
على شي من اخبار السماء فاخبروا به في الارض وكان ذلك على سبيل العادة
فاوهموا الناس انهم يعلمون الغيب فيؤدي ذلك الى ضروب من الفساد
وقوله جل اسمه والارض مددناها والقينا فيها رواسي الرواسي الجبال
ومعناه وبسطنا الارض بسطا يستقر الخلق عليها والقينا فيها الجبال

وقيل الجبال اوتاد الارض وقيل جعلت علامة يهتدى بها الى الارض
وقوله جل اسمه وانبتنا فيها من كل شي موزون قيل معناه انبتنا بقدر
معلوم لانه على مقدار ما تدعو اليه الحكمة وقيل المراد به انه انبت
الاشياء التي توزن وانه الملا والطهر واحسن معنى وقوله جل اسمه
وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين المعيشة طلب اسباب
الرزق مدة الحيوة ومعناه وبينا لكم معايشكم وجعلنا ذلك
ايضا لمن لستم له برازقين وهم العبيد والاماء والدواب والانعام
التي على الله رزقها كما قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ومن
موضع من نصب لانه عطف على معايش وقوله جل اسمه وان من شي الا عندنا
خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم المراد بالخزائن ههنا المقدورات
تشبيها المقدورات بالخزائن التي تحتوي على الذخائر ومعناه ما من شي ينتفع
للعباد به الا ونحن قادرون على ايجاده لكن ننزل ذلك ... ويوجده من
الارزاق وضروب النعم والمنافع لساير الحيوانات وقوله جل اسمه وما ننزله
الا بقدر معلوم اذ انه اصلح في باب التكليف والتعبد وقد قيل ويجوز ان
يكون المراد به ماء السماء لانه يخزون في السماء الى ان ينزل الى الغيم ثم ينزل
منه الى الارض وقوله جل اسمه وارسلنا الرياح لواقح قيل اللواقح هي الرياح
التي تلقح السحاب حتى تحمل الماء اي يلقى اليها ما يلقح الناقة والنخل
النخل اذا القي الماء اليها معناه وارسلنا الرياح التي صفتها ما ذكرناه
وقيل لواقح في معنى موضع ملاقح ومعناه انها تلقح السحاب بالماء وقيل
معناه انها لاقحة تحملها الماء وتلقحه بالقائها اياه الى السحاب وقوله جل اسمه
وانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين معناه وانزلنا
من السماء ماء فجعلناه سقيا لكم وهذا كما قال ... الله اذا ... له ما

يرزقه ويرزق عباده انهم غير قادرين عليه وهو معنى قوله وما انتم له
بخازنين ولستم قادرين على ذلك ولا مالكين له وقوله جل اسمه
وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ٥ جمع الله تعالى في هذه الاية ابدا
حال الاحيا واماتها وعاقبتها وقال نحن القادرون على الاحيا
والاماتة ونفني كل شي ويبقى الله جل وعلا وهو معنى قوله ونحن
الوارثون لان الله الوارث الاملاك كلها الى ان يفنيها بعد هلاكه
وقوله جل اسمه ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين ٥
معناه ولقد علمنا من مضى من الخلايق ومن بقى ٥ وقيل معناه علمنا
اول الخلق واخره ٥ وقيل علمنا المستقدمين في الخير والمبطين
عنه وقوله جل اسمه وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ٥ معناه
وان الله تعالى هو الذي يعيد الخلق بعد افنايهم وهو العليم بعواقب
الامور والعالم بسائر المعلومات على التفصيل وهو الحكيم في اقواله
وافعاله فلا يفعل ما هو خارج عن الحكمة وفي خلق الاحيا واماتتهم
واعادتهم بعد افنايهم ابلغ الحكمة لمن يتفكر ويتدبر
وقوله جل اسمه ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون ٥ المراد
بالانسان ههنا ادم صلى الله عليه وهو ابو البشر والصلصال في
اللغة الطين اليابس الذي اذا انقر سمعت له صلصلة وقيل هو
مثل الخزف ٥ وقيل الصلصال هو المنتن والوجه الاول اصح والحما الطين
المتغير الذي يضرب الى السواد والمسنون المصبوب تقول سننت
الما اذا صببته ٥ وقيل المسنون الرطب وقيل المتغير من قولهم سننت
الحديد على المسن اذا غيرتها بالتحديد ومعناه خلقنا ادم عليه السلم
من طين بهذه الصفة وقوله جل اسمه والجان خلقناه من قبل من نار السموم ٥

معناه وخلقنا الجان قبل ادم من النار والمراد به ابليس وقبيله
خلق ابليس من نار حارة وورد في الاثر ان هذا السموم جزو
من سبعين جزوا من السموم التي الجان منه ٥ وروي ان ادم عليه السلم
خلق من الطين على هيئة صورة الانسان وترك حتى جف وكانت
الريح اذا هبت عليه يسمع له صلصلة وقوله جل اسمه واذ قال ربك للملئكة
اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون ٥ معناه ان الله خبر
الملئكة عليهم السلم قبل ان يخلق ادم انه يريد ان يخلق بشرا
من طين بهذه الصفة وقوله جل اسمه فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين ٥ معناه فاذا سويت خلقه وجعلت فيه الروح
فاسجدوا له ٥ وقد مر بيان معناه وكيفيته في غير موضع من هذا الكتاب
وقوله تعالى فسجد الملئكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ٥
معناه فسجد الملئكة كلهم ولم يسجد ابليس وقد بينا فيما تقدم في سورة
البقرة وغيرها ان هذا الاستثنا ليس من الجنس وان ابليس لم يكن
من الملئكة وقوله جل اسمه قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين ٥ معناه
ان الله تعالى قال لابليس ما الذي منعك عن السجود لادم وقوله جل اسمه
قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون ٥ معناه
لست اسجد لبشر خلقته من طين وخلقتني من نار وقد زعم بنفسه
ان النار خير واشرف قدرا من الطين فسوغ لنفسه الامتناع
من السجود وقوله جل اسمه قال اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة
الى يوم الدين ٥ الرجيم ههنا هو المرجوم بالذم والشتم واللعن والله
لعنه ولعنة المومنين ان مدته الى انقضا وقت التكليف ٥ ويوم الدين
يوم الجزا وهو يوم القيمة ثم يوم الدين يرد الى عذاب النار والهاوية قوله

واهبط منها ان اخرجه الى الجنة اى اهبط منزلته الى السماء وقيل اخرجه
الى السماء اى انزل من السماء الى الارض ٥ قوله جل اسمه قال انظرني الى يوم
يبعثون ٥ هذا اخبار عن مسئلة ابليس من الله تعالى الى يوم
القيمة فسأل الله تعالى ان يبقيه حيا الى يوم القيمة ٥ وقال بعض
العلماء يجوز ان يكون الله كلمه على لسان رسله ويجوز ان يكون
كلمه بالانكار عليه والاهانة له كما يقول لاهل النار اخسئوا فيها
ولا تكلمون ٥ قوله جل اسمه قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ٥
يوم القيمة قال انظر وامهل في رفع العذاب في السعة له الى اخر
وقت التكليف وقيل الوقت المعلوم يوم القيمة ٥ ويوم يبعثون
يوم القيامة ٥ وقال بعض العلماء الوقت المعلوم هاهنا هو اليوم
الذى في معلوم الله تعالى ان ابليس يموت فيه ٥ قوله جل اسمه قال رب بما
اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين ٥ معناه انه قال
رب بما خيبتني من رحمتك يقال اغواه اذا خيبه ومنه قول القائل
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ٥
وقيل انما اغويتني اى لما نسبتني الى الغي يقال اغواه اذا نسبه الى الغي
وحكم عليه به وكانه قال لاجل انك اغويتني لازينن لعبادك في الارض
المعاصي وادعوهم الى ما فيه خسرانهم والحكم عليهم بالضلال وفي هذا
غاية الخسارة والجراءة على الله ٥ قوله جل اسمه الا عبادك منهم المخلصين ٥
معناه انه لما قال لاغوينهم اجمعين استثنى من ذلك عباد الله المخلصين
لعلمه بانهم لا يطيعونه ولا يعصون الله وان بذل مجهوده في الدعا
الى المعصية ٥ قوله جل اسمه قال هذا صراط على مستقيم ٥ معناه
ان الله تعالى قال لابليس تهديدا وتوعدا هذا صراط على مستقيم وهذا

اللفظ يستعمل في باب الوعيد كما يقال لمن يهدد طريقك على ومصيرك
الى ومعناه مصير جميع العباد الى ميعاد يوم معلوم فمن اطاعك
عذبته العذاب الاليم ومن عصاك هديته الطريق المستقيم وهو طريق
الجنة ومنه يعدل بالكفار والفساق الى الجحيم ٥ وقيل المراد
بالصراط المستقيم هاهنا الدين المستقيم ٥ ومعناه ان الله تعالى
بين الدليل ونفى الشبهة عنه فمن استدل بما نصبه الله من الدلائل اهتدى
الى الدين المستقيم ٥ وفي اهتدائه اليه والتمسك به الخلاص من
وساوس الشيطان وما يدعوا اليه ٥ قوله جل اسمه ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ٥ معناه لا سلطان
لك على من اخلص العبادة لي من عبادي لانه لا يطاوعك ولا يتبع
وساوسك ٥ ثم استثنى الغاوى من خلقه وبين ان سلطانه انما
يكون على من كان غاويا لانه يتبع دواعي شهواته ويعدل عن
الهدى الى ما يدعوا اليه الهوى فحينئذ يبسط الشيطان عليه
بان يغويه بالوسوسة في نفسه ويزين له المعصية في عينه في دعوته
قوله جل اسمه وان جهنم لموعدهم اجمعين معناه ان جهنم ماوى
جميع الغاوين من الكفرة والفسقة من الجن والانس اجمعين ٥
قوله جل اسمه لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ٥
بين الله تعالى ان جهنم دركات كما ان الجنة درجات فجهنم
تشتمل على سبع دركات وسمى لكل باب منهم جزء مقسوم
بين الله تعالى ان جهنم دركات لكل دركة منها باب ٥ ومعناه
ان اهل جهنم يعذبون في اطباق النيران على مقادير اجرامهم
لكل قوم باب وجزء مقسوم من العذاب قوم في الدرك الاسفل

وقوم في لظى وقوم في الهاوية وقوم في سقر فعلى هذا التركيب القسمة
نعوذ بالله منها وقوله جل اسمه ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها
بسلم امنين ط لما بين الله تعالى حال اهل الجنة ترهيبا لاولى رغبا(?)
في الثاني فقال ان مصير المتقين الى جنات فيها عيون جارية
واشجار مثمرة كما قال تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود
وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا
ممنوعة ونظايرها من الايات في صفة الجنة فيقول الملائكة لهم
للمتقين ادخلوا الجنات بسلم من كل ضر وافة وامن من كل خوف
وقوله جل اسمه ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
معناه نزد صفا قلوبهم ونخليها من كل ما كانت فيه في دار التكليف
من الغل والحقد وكل سبب في اعتقاد باطل وصار المقبول في
تلك الجنات اخوانا متقابلين في اثر الاسرة(?) السرور والسلامة
والحبور ونظيرة قوله على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين
وقوله جل اسمه لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ط معناه لا
يمس اهل الجنة في الجنة تعب النصب ولا اذى ولا الم بوجه من
الوجوه والحيلة(?) لهم الله وزاجه(?) ونعيمها دايم لا انقطاع له ولا
نفاد وقوله جل اسمه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم ط جمع الله تعالى في هذه الايه من ذكر الرحمة والنعمة والعذاب(?)
والوعيد والرغبة والترهيب وامثالها بكلمتين وهذا من ابدع
الايجاز والطف الاختصار فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم اخبر عبادي
اني انا الغفور الرحيم لمن اناب في المنعم عليه وان عذابي لمن اصر
على المعصية ولم يتب هو العذاب الاليم وقوله جل اسمه ونبئهم عن ضيف

ابرهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا
لا توجل ط معناه واخبرهم يا محمد بقصة ضيف ابرهيم صلى الله عليه
وقد مر شانها في سورة هود ط وشر انهم دخلوا على ابرهيم فقالوا
سلاما معناه سلموا عليه والنصب بالفعل على معنى سلمت سلاما
فقال ابرهيم انا منكم وجلون اي خايفون لانه لم يعهد اضيافا فاملهم(?)
وهذا مثل قوله هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا
عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون الى قوله فاوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم وقوله جل اسمه قالوا لا
توجل انا نبشرك بغلام عليم ط معناه ان ضيف ابرهيم قالوا لا
تخف فانا جيناك ببشارة من عند الله وهي ان يهب لك غلاما عليما
فامنوه من الخوف الذي دخله بهذا القول والوجل الخوف في اللغة
وقوله جل اسمه قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون ط قيل
انما قال ابشرتموني على وجه التعجب لانه عجب مما بشر به لكبره فلهذا
قال فبم تبشرون ط كانه قال ابشرتموني بهذا على راس الكبر وقيل
استفهمهم بذلك فقالوا بامر الله تبشرون وقوله جل اسمه قالوا بشرناك
بالحق فلا تكن من القانطين ط معناه ان الملايكة عليهم قالوا لابرهيم
بشرناك بهذه البشارة بامر الله فلا تكن من الايسين وان كان من عادة
الناس الياس من مثله في حال الكبر وقوله جل اسمه قال ومن يقنط من
رحمة ربه الا الضالون ط معناه ان ابرهيم عليه السلام قال في
الجواب لا ايأس من نعمة الله الا الضال السالك لطريق الضلالة وفي هذا
اوضح الدليل على ان الذي قاله اولا انما قال على وجه التعجب لا على جهة
الانكار والشك في قدرة الله وقوله جل اسمه فما خطبكم ايها المرسلون

الخطب الامر الجليل فاستفهم منهم ابرهيم عليه السلم الامر الذي لاجله
جاوا له وارسلوا وقوله جل اسمه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين معناه ارسلنا لنهلك قوم لوط
الا ال لوط وهم الذين امنوا به فانهم ينجون من الهلاك الا امراته
قدرنا انها لمن الغابرين معناه و امراة لوط لا ينجوا من الهلاك
والعذاب لانها كافرة مستحقة للهلاك كما استحق القوم الذين
نهلكهم واذا اخرجنا من المدينة ال لوط لينجوا من الهلاك فتبقى هذه
المراة في المدينة مع القوم المستحقين للهلاك ومعنى قدرنا هاهنا كتبنا
انها من الغابرين واصل التقدير في اللغة جعل الشي على مقدار غيره
ليظهر المساواة وقد يستعمل هذا اللفظ في الكتابة كما قال القايل
واعلم بان ذا الجلال قد قدره في الصحف الاولى كان مسطورا وقوله جل
فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون معناه فلما جاء
الرسل وهم الملايكة عليهم السلم الى لوط قال لهم انكم قوم منكرون
وانما قال لهم هذا لانهم دخلوا عليه في صورة لم ير مثلهم من الانس
وكانه قال لهم انتم قوم لا اعرفكم ولا اعهد قوما على صورتكم
ويجوز ان يكون قوله منكرون هذا الا ان هذا اللفظ قد يستعمل في غير هذا
الوجه ايضا وقوله جل اسمه قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
معناه ان الرسل قالوا للوط عليهم السلم قد جئناك بالعذاب الذي
كان قومك يشكون فيه ويستبعدونه ويكذبونه والامترا
في الشي الشك فيه فلما اخبروه بذلك عرفهم وعرف ما جاوا
له وسكن منهم وقد كان خافهم وقوله جل اسمه واتيناك بالحق
وانا لصادقون معناه جئناك بالحق فالعذاب نازل بهم لا محالة

وقوله جل اسمه فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم معناه
فاخرج اهلك من المدينة بالليل فان موعد العذاب النازل
باهل المدينة الصبح والقطع جمع قطعة كقولك تمرة وتمر ومعناه
بقطعة تمضي من الليل وقيل بعض الليل وقيل بعد من الليل وقيل
اذا بقي من الليل قطعة ومضى اكثره فامر الله لوطا عليه السلم
ان يتقدم قومه ويكون هو خلفهم ويمضون لشانهم ولا يقفون لشي
ولا يعرجون عليه كما يقال امض لشانك ولا تقف لشي فهذا معنى قوله
ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تومرون وقيل معناه ولا يلتفت
منكم احد الى خلفه لئلا يرى هول العذاب النازل بهم فما لا يحتمله
نفسه ولا يطيق رويته وقوله جل اسمه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر
هولا مقطوع مصبحين معناه واوحينا الى لوط واخبرناه واعلمناه
انا نهلك قومك وقت الصبح بعذاب الاستيصال وهذا معنى
قطع دابرهم وقد بينا معنى هذا الكلام وحقيقته في اللغة
في سورة الانعام وموضع ان من الاعراب نصب على البدل
من الامر وهو قوله وقضينا اليه ذلك الامر ان ويجوز ان
ينصب على نزع الخافض منه على تقدير بان دابر هولا مقطوع
وقوله جل اسمه وجاء اهل المدينة يستبشرون معناه وجاءهم
المفسدون على وجه البطر والفرح والسرور بمجي اوليك
نفر منهم بانهم غلمان لما ارادوهم بالريبة والاستبشار
استجلاب السرور بالبشارة وقوله جل اسمه قال ان هولا ضيفي
فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون معناه قال لهم لوط
عليه السلم لا تقصدوا اضيافي بما في عادتكم القصد اليه ولفظ

الصف بمعنى على الواحد والاثنين والجميع فانكران فعلتم ذلك
كان خزيا وفضيحة فاتقوا عذاب الله [illegible] ذلك ولا تعجلوا الاقوام
عليه فتفضحهم رسول الله وبهاهم عن ذلك القبيح فلم يستحيوا ولم
يسمو او قوله جل اسمه قالوا اولم ننهك عن العالمين ٥ العالم الجماعة
من الناس والعالمون جميعه ٥ ومعناه ان ولايتك للضيف وقالوا
للوط عليه السلام جوابا عن قوله فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون
السنا قد نهيناك عن ان توتي اليك وتخبر من يقصده بهذا
الباب فيمنعنا عنهم وعن نيله منهم وهذا كان يهددا له
له وقوله جل اسمه قال هولاء بناتي ان كنتم فاعلين ٥ معناه ان لوطا
عليه السلام عرض عليهم بناته وقال لهم تزوجوهن بهم لتستغلوا
بهن عن الحرام والامر القطيع الشنيع ٥ وكانه كان في شرعه
لوط عليه السلام ومنهم من قال كن بنات القوم الذين امتو امته
وسائر في الحكم كن كبنات لوط عليه السلام وقيل معناه ان كنتم فاعلين
فيه كناية عن النكاح والجماع ٥ وقيل قال ذلك لرؤسائهم الذين كانوا
يطيعون اتباعهم عما ارادوا كفهم عنه وقوله لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون ٥ اصل العمر مده البقا فقال لنبينا محمد صلى الله
عليه وآله تعظيما له واجلالا لا قسم ببقائك حيا يا محمد
وقيل وحياتك يا محمد وهذه الرواية عن ابن عباس ٥ والسكرة غمور
السهو في النفس ومعناه انه ذكر شبه الحيران اولائك الذين نزل
العذاب بهم كانوا في سكرة وغفلة مفرطة في باب الجهل وكانوا
مترددون متحيرين ٥ واصل العمه التردد في التحيير يقال عمه يعمه عمها
وقوله جل اسمه فاخذتهم الصيحة مشرقين ٥ معناه اخذتهم الصيحة وهم قد دخلوا

في الاشراق وموعد العذاب كان الصبح فمن ذلك العذاب كان الصيحة
وهوان جبرئيل عليه السلام صاح عليهم صيحة خمدوا لها وقوله جل اسمه
فجعلنا عاليها سافلها ٥ معناه ان جبرئيل عليه السلام والملائكة صلوات
الله عليهم قلع المدينة من اصلها وقلبها بان جعل اعلاها اسفلها وقوله
على ذلك وقوله جل اسمه وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ٥ وقد بينا معنى السجيل
في سورة هود ٥ وورد في الرواية انه امطر من المدينة على الحيهم قبل الصبح
وقوله جل اسمه ان في ذلك لايات للمتوسمين ٥ قيل المتوسم هو الناظر في الشيء الدالة
على مدلوله ٥ وقيل المتوسم المتعرف ٥ وقيل المعتبر وقيل المتفكر وقيل الناظر
وقيل المنتظر وانما التسمية مهم قبل ان الاعتبار بها ممكن
لبين الايات التي يستدل بها قائمة ثابتة وقوله جل اسمه ان في ذلك لاية للمؤمنين
معناه وفي ذكره دلالة للمؤمنين ايضا فاضاف الدلالة الى المؤمنين على وجه الاطلاق
لان المومن هو الذي يصح له الاستدلال والكافر يضاف الدين وجه واحد
وانه لحنت [illegible] من الاستدلال بها ان احتاج ان يستدل وقوله جل اسمه
وان كان اصحاب الايكة لظالمين ٥ الايكة الشجرة وقيل الشجر الملتف
وجمعها ايك كقولك شجرة وشجر ٥ واصحاب الايكة اصحاب الشجر وهم القوم
الذين ارسل الله اليهم شعيبا عليه السلام وارسل الى اهل مدين ايضا
فاما اهل مدين فاهلكوا بالصيحة واما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة التي
احترقوا بنارها وقوله جل اسمه فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ٥ معناه انتقمنا
من اصحاب الايكة بان اهلكناهم فانزال العذاب بهم مقام الانتقام
لانهم عتدوا واهلكوا بكفرهم وطغيانهم والامام المقدم الذي يتبعه من بعده
والحقه الكناية في قوله وانهما راجعة الى المدينتين مدينة قوم لوط ومدينة
اصحاب الايكة ومعنى قوله لبامام مبين انهما على طريق [illegible] ذلك

المعنى فيما دل عليه وذلك المعنى هو انقلاب المدينة واسفالها وما جرى باهلها
وقيل لبامام مبين انها على معنى لطريق يوم ويتبع ويهتدى به وقيل الامام
المراد به الكتاب الثاني وقوله جل اسمه ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
قيل الحجر هي مدينة ثمود وقيل هم اصحاب الوادي واصل الحجر من الحظر
يقال حجر عليه اذا حظر عليه وقوله جل اسمه واتيناهم اياتنا فكانوا عنها
معرضين معناه هو انهم كذبوا الرسل واعرضوا عن الاستدلال بايات الله
والايات بها وقوله جل اسمه وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين معناه
ونحتوا بيوتا في الجبال فكانوا امنين عند انفسهم من ان تسقط عليهم
تلك البيوت وقيل امنين من الخراب وقيل من العذاب وقيل من الموت
لانهم كانوا غافلين عن هذه الحوادث وقوله تعالى فاخذتهم الصيحة مصبحين
معناه فاخذتهم وقت الصباح وقوله تعالى فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
معناه لم يجدوا شيئا مما كسبوه يدفع العذاب عنهم وقوله تعالى وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق اخبر الله تعالى بانه لم يخلق السموات والارض
الا بالحق وقد مر بيان معناه في غير موضع ووجه اتصال قوله وما خلقنا السموات
والارض بما قبله هو ان الامم الذين تقدم ذكرهم لما خالفوا الحق اهلكوا
لان الله تعالى ما خلق السموات والارض الا بالحق وقوله تعالى وان الساعة
لاتية فاصفح الصفح الجميل معناه واعلم ان الساعة اتية للجزاء والمكافاة
وجميع ما خلق يرجع الى عالم به ومدبر له وهو معنى قوله هو الخلاق العليم
وقيل وجه الاتصال انا ما اهلكناهم الا بالحق كما انا لم نخلق السموات والارض الا
بالحق وقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل امره بالاعراض عنهم وعن مقابلتهم والاشتغال
بهم وهذه الاية عند بعض العلماء منسوخة باية السيف وعند غيره هي في باب
النبي صلى الله عليه واله وسلم وسيرهم لانها امر به عليه السلم من جهادهم والصفح

قد يكون بمعنى الاعراض عن الشيء ويكون بمعنى العفو وقوله تعالى ان ربك
هو الخلاق العليم لفظ فعال وفعيل انما يكون للمبالغة في الصفة والخلاق
هو الكثير الخلق والعليم هو المبالغ في صفة العلم وقوله جل اسمه ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم السبع المثاني هي السبع الطوال وهي
سبع سور من البقرة الى الانفال سبع سور من الله تعالى انه اعطى محمدا صلى الله
معاني المثاني في القران العظيم منا منه وفضلا وقيل المراد بالمثاني
فاتحة الكتاب وسمي بها لانها تثنى يقرا بها في كل صلوة وقيل مثاني
القران سمي بذلك لما يثنى من الاخبار والامثال والعبر وقيل مثاني القران
لما فيها من الحكم المصدقة وقد قال القايل انشدكم بمنزل الفرقان
ام الكتاب السبع والمثاني من القران والسبع الطوال المثاني
والتنزيل الفصل بين المثاني ولفظ القران بالواو على ان المثاني ليست من
القران كما لا يدل قوله من كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل ان جبريل
ليس من الملئكة عليهم السلم وقوله جل اسمه لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه واله وسلم عن النظر الى ما اتاه الله
غيره من نعم الدنيا فكانه قيل له ارض بما اعطيناك ولا تمنى ما
انعمنا على غيرك ونظير ذلك قوله تعالى في سورة طه ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا الاية وقوله تعالى
ولا تحزن عليهم قيل معناه ولا تحزن على ما انعمنا به عليهم حزنك فان
ما قبل المصالح لا يعلمها الا الله والله يفعل ذلك للمصلحة وقيل لا تحزن
عليهم بما يصيرون اليه من العذاب لانهم لم يقروا بنبوتك وقوله تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين معناه كن رؤوفا بهم رحيما وقالينا عطوفا عليهم
وقوله جل اسمه وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين امر الله

سيد صلى الله عليه ان يقول للناس انى انا النذير الظاهر انذر الذى ازعجكم
الى الله واخوفكم عذاب الله ان ينزل بكم كما انزل على المقتسمين
يعنى بعضهم اهل الكتاب اليهود والنصارى فاقتسموا ما انزل الله
اليهم فامنوا ببعضه وكفروا ببعضه معناه فانزلنا عليك الكتاب كما انزلنا
على المقتسمين وقيل هم قوم صالح تقاسموا كما حكى الله عنهم قالوا تقاسموا
بالله لنبيتنه واهله وقيل هم قوم اقتسموا طرق مكة يصرفون الناس
عن النبى صلى الله عليه وسلم وكان بعضهم يقول انه ساحر وبعضهم يقول
كاهن وبعضهم يقول انه مجنون فانزل الله بهم عذابا اهلكهم وهذه
الزموهم عن القرآن قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين الذين صفة المقتسمين
وعضين واحدها عضة كعزة وعزين وثبة وثبين قال الله تعالى فما
للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين واصل عضة منقوصة
الواو كعزة وعزين ومعنى جعلهم القرآن عضين انهم جعلوه متفرقا
امنوا ببعضه وكفروا ببعضه وقيل جعلوه عضين بان قالوا سحر
وكهانة وقوله جل اسمه فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون هذا
السؤال يكون يوم القيمة وهو سؤال التوبيخ والتعزير فيقال لهم اعضيتم
القرآن وما حجتكم فى ذلك فيظهر خزيهم عند عدم الجواب وقوله جل اسمه
فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين وكانوا
هؤلاء خمسة نفر من قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وابو زمعة والاسود
بن عبد يغوث والحرث بن عيطلة فاهلكهم الله جميعا فاهلك الوليد
بالصاعقة وهو اخو لبيد بن ربيعة العامرى واهلك واحدا بداء البطن
واصاب واحدا رجله الشوك فمات منه واهلك بعضهم بالطاعون
وقصتهم مشهورة وورد فى الروايات ان جبريل صلى الله عليه اتى النبى صلى الله

فقال له اشير الى بطن فلان والى قدم فلان والى فلان فجعل حسبما
قال له فاهلكهم الله كل واحد منهم على ذلك الوجه الذى اشار اليه
وقوله جل اسمه الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون معناه
هؤلاء جعلوا لله شريكا سبحانه سيعلمون يوم القيمة بعذاب من اشرك به
ثم ذكر عظم حزنه وغمه بتكذيبهم وقد جاز ان يقول اصدع بما
تؤمر ولا يقول بما تؤمر به كما يقول امرتك وامرتك به واكفرتك
واكفرتك به قال الشاعر اذا قالت حذام فانصتوها فان القول ما قالت حذام
فقال فانصتوها بدل قوله فانصتوا لها وقيل هو راجع الى المصدر
كما قال القائل امرتك امرا جازما فعصيتني فاصبحت مسلوب الامارة نادما
وقوله جل اسمه ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون معناه ونحن نعلم ضيق
صدرك بما نالك من اذى هؤلاء المستهزئين بك ومعاداتهم اياك فاصبر على
ذلك لتنال جزيل الثواب وحذف الصبر لدلالة الكلام عليه وقوله جل اسمه
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
معناه اشتغل بتحميد الله والتسبيح وهو التنزيه واشكر الله على نعمه
والائه واعبده حق عبادته الى ان ياتيك الموت فانك ميت وانهم ميتون
وسمى الموت يقينا لانه لا يشك فيه احد من العقلاء موحدا كان او ملحدا
بارا كان او فاجرا وورد فى الرواية عن ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله
انه قال من قرا سورة الحجر اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار
والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم

السورة التى يذكر فيها النحل

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله جل اسمه اتى امر الله فلا
تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ٥ اصل الاتيان المصير الى جهة
الشيء فكان امر الله صائر الى جهة هولاء الذين خوطبوا بهذا الخطاب وذكر
الامر الذي اتى هو عقابهم على الاشراك به والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وآله
وقيل امره فرائضه واحكامه ٥ والقول الاول اقرب لان الكفار كانوا يستعجلون
العذاب تكذيبا وانكارا فكانه قيل لهم قد اتى العذاب فلا تستعجلوه كما
قال تعالى حاكيا ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين الاية ٥ وقيل
المراد بامره القيامة وكانه قال ان الله تعالى ياتي بالقيامة في وقتها الذي هو حقه
فلا تستعجلوا الله ثم نزه نفسه من كل القبائح بقوله سبحانه وتعالى ٥ ومعنى تعالى
تعاظم بالعلا صفات المدح وتقديره عظم عما يقولون وجل وعلا عما يشركون
وقوله جل اسمه ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه
لا اله الا انا فاتقون معناه ان الملائكة ينزل بالروح بامر الله على من يشاء من
عباده ٥ وقيل في الروح وجوه احدها انه البيان عن الحق الذي يجب اتباعه
والعمل به ٥ والثاني انه الوحي ٥ والثالث انه كلام الله عز وجل ٥ ومعنى
الاية ان الله يخص برسالته من يشاء من عباده ويامر رسله بان
ينذروا الخلق واعلامهم انه لا اله الا الله وانه يجب ان يحذروا عذابه بترك
الاشراك به والتجنب عن معاصيه وقوله جل اسمه خلق الانسان من
نطفة فاذا هو خصيم مبين ٥ بين الله انه خلق حيوانا على صورة
الانسان من نطفة من ماء مهين ثم رباه على امتداد الايام الى
ان يكمل عقله ويعطيه القدرة والالات ويعلمه البيان ويهديه
الى طريق المحاجة والخصام ليفرق بين الحق والباطل فاي دليل لمن اراد
ان يستدل به على معرفة الله الخالق البارئ المصور ادل من هذا

والعجب وقيل في هذا ايضا وجهان احدهما انه تصريف الحال في قدرة
الله تعالى في اخراجه من النطفة صورة بهذه الصفة ٥ والثاني تعريف
حال نعمة الله في تبليغه من خلقه من نطفة هذه المنزلة ٥ والثالث تعريف
فاحش ما ارتكبه الانسان من تضييع حق نعم الله بتمكينه خلقه من الخصام
والبيان وقوله جل اسمه والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ٥
الانعام تتناول اصناف الابل والبقر والغنم وسميت بهذا الاسم للين مسها
وخرج من ذلك الحافر لصلابة وقعه ٥ والدفء الحر المعتدل ٥ والمراد
بالدفء هاهنا اللباس كانه سمي بالمصدر من قولهم دفؤ يومنا دفاء ونظيره
الكن وقيل الدفء هو ما اخذته من صوف النعم ووبرها خلق الانعام
للخلق ولهم فيها منافع ياكلون من لحومها ويشربون من البانها
ويستدفئون باوبارها واشعارها ويتخذون منها البيوت والفرش
وفيها منافع كثيرة من وجوه اخر وقوله جل اسمه ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون السروح خروج الماشية الى المرعى بالغداة والاراحة
رجوعها من المرعى عشية ومعناه ولكم في الابل والبقر والغنم جمال
وهو ما لصاحبها من حسن المنظر اذا راى ابله وبقره قد راحت في ضروعها
ممتلئة من اللبن وحشوها بالسمن ومناظرها بالسمن وقوله جل اسمه وتحمل
اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس معناه وتحمل الابل اثقالكم
الى بلد بعيد لم تكونوا تبلغوه الا بالمشقة والتعب والنصب فبين الله
تعالى ان التي ذكرها هي نعم انعم الله بها عليكم وقوله جل اسمه ان ربكم لرؤف
رحيم معناه ان ربكم وسيدكم رؤف رحيم بكم معناه محسن اليكم ومنعم
عليكم ومتفضل كريم وقوله جل اسمه والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
ويخلق ما لا تعلمون معناه خلق الله لكم منا عليكم وانعاما الخيل والبغال والحمير

لتركبوها انعاما عند الحاجة الى ركوبها وحملوها اثقالكم وسعوا بها
من وجوه كثيرة فعصمها مع كونه تركبوها هو زينة لكم خلق الخيل وما يقوم
في الزينة مقامها وخلق لكم من الدواب في الانعام لمنافعكم وصالحكم ما لا
تعلمونه ويهتدون الى وجه السوال عنه عز وجل وعلا وقوله جل اسمه
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين ه معناه
وعلى الله بيان سبيل الحق لانه القادر على ابانة طريق الحق من طريق
الباطل وطريق الهدى من طريق الضلالة ه يقال في اللغة جائر عن الشي اذا
عدل عنه ه والله تعالى يدعو الى طريق الجنة الهدى ه و السلطان
والغواة يدعون الى طريق الباطل ه وفي قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين
هاهنا بيان الاقتدار على تقديره ولو شاء الله ان يلجيكم الى طريق الجنة
حتى لا يمكنكم العدول عنها لقدر عليكم الا ان الحكمة لا تقتضي فعله
مع الزام التكليف فانما كان التاويل هذا النزل بدليل قد دل على ان
الله قد هدى كل مكلف الى ما كلفه ونصب الدليل عليه وبعث الرسول
لذلك وهو قوله لنبيه عليه السلام وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقام الدليل
ايضا على ان قوله لهداكم ليس معناه انه لخلق الايمان فيكم الا ان يكون
المراد به طريق الالجا كما بيناه ه وقيل معنى الهداية هاهنا هو الهداية
الى طريق الثواب وهو طريق الجنة فكانه قال الله تعالى قادر
على ان يدخلكم جميعا الجنة لو كانت الحكمة لم تمنع منه لان التفضل
بالثواب لا يصح في الحكمة لان الثواب تبع الاستحقاق وقوله تعالى
هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ه
الاسامة رعي الماشية يقال اسام الماشية اسامة اذا امكنها
من الرعي ه وقيل اصله الابعاد في الرعي ه وقيل اصله التسويم وهو

العلامة ه ومعناه ان الله تعالى انزل من السماء ماء انعاما وافضالا
منه ذلك الماء يكون انتفاعكم بالشرب وسقي الزرع فاجرى العادة بان
ينبت الزرع والشجر بعد وقوع ذلك الماء على الارض وينبت ضروب النبات
فتجعلها مرعى سائمتكم قد بينا الكلام في قوله تعالى ان هذه البهائم
هي قائمة مقام السبب المولد للشي لا في سورة البقرة فلا وجه لاعادته
هاهنا وقوله تعالى ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ه ومعناه وينبت الله بعد
نزول الماء من السماء الى الارض في الارض الزرع والزيتون والنخل والعنب
وضروبا كثيرة من الثمرات يخرجها من الاشجار وفي ذلك وضح الدلالة
لمن استدل بها على توحيد الله تعالى وعدله وحكمته وصفاته التي هي
كونه عالما قادرا حيا وما جرى مجراها وقوله جل اسمه وسخر لكم الليل
والنهار وجعلهما خلفة يخلف احدهما صاحبه وفي تسخيره ذلك لكم ضروب
من المنافع وكذلك تسخيره الشمس والقمر والنجوم وفي ذلك ايضا دلالة
واضحة للعقلاء على معرفة الله الواحد القهار ه وقد مر بيان نظيره
هذه الاية في غير موضع وقوله جل اسمه وما ذرا لكم في الارض مختلفا
الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون معناه ومن نعم الله عليكم
ان خلق لكم من الارض انواعا من النبات والشجر والثمار الى الوانها
وطعومها مختلفة وكذلك وجوه التسنيد [illegible] لوا ذلك على ان الله
واحد قادر حي عالم سميع بصير لا يشبه الخلق ولا يشبهه شي وقوله جل اسمه
وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
معناه وسخر لكم البحر لركوب السفينة واصطياد سموكه ومكنكم
من وجوه التصرف فيه طوعا لاخراج اللالي والمرجان ويحلون

وعبره من وجوه المنافع وقوله جل اسمه وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون ٥ الفلك السفن والواحد والجمع
فيه سوا معناه وسخر لكم السفن في البحر لتركبوها وتطلبوا فضل
الرزق بركوبها وبعد ذلك لتشكروا على النعم عليكم وقوله جل اسمه
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون
الرواسي الجبال ٥ معناه وخلق الله في الارض جبالا لاجلها او ثابتة الارض
لئلا تميد بكم الارض فيمنعكم من التصرف فيها ٥ وجعل فيها انهارا
جارية لتسقوا بها ٥ وجعل لكم في الارض طرقا وفجاجا تسلكونها
وتهتدوا الى وجوه تصرفكم فيها وانتصب انهارا على تقدير
وجعل الدالة عليه انهارا وسبلا وقوله جل اسمه وعلامات وبالنجم هم
يهتدون ٥ معناه نصب الله الدلايل وقيل العلامات الجبال هاهنا
وجعل النجوم بحيث يهتدى بها في البر والبحر وعدد الله تعلى انواع
النعم تذكيرا للخلق وتنبيها على معرفة ما يجب عليهم معرفته من
توحيده وعدله وحكمته ومما ثبته لخلقه ثم انكر عليهم ما فعلوه
من الكفر به والاشراك في عبادته من لا يستحق العبادة بقوله تعلى افمن
يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون من لهم ايجعلونه اتخاذ ما لا يخلق شيا
ولا يقدر عليه معبودا مع الله الخالق لكل شي القادر عليه وانه كيف
يجوز ان يسوى بين من ينعم ومن لا يقدر على الانعام والعبادة
والشكر ثم اعجبهم من حالهم التي هي عليها من ترك النظر وعلى انهم كانوا
قادرين على النظر متمكنين فيه وقوله جل اسمه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان
الله لغفور رحيم ٥ قد مر ما نظيره في سورة ابرهيم عليه السلام والله
وقوله جل اسمه والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ٥ معناه لا يخفى على الله شي من

افعال خلقه ما اسروه وما اظهروه وقولهم بالمرصاد ٥
وقوله تعلى والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيا وهم
يخلقون اموات غير احيا وما يشعرون ٥ بين الله تعلى ان الاصنام
التي يعبدونها من دون الله لا يقدرون على خلق شي وهي في انفسها
مخلوقة وسمى الاوثان بالاموات لانها في حكم الاموات وحيث لا تعلم
شيا ولا تقدر وقيل انما وصفها بانها غير احيا على جهة تاكيد ما صارت به
كالاموات اذ قد يقال للحي انه كالميت في البعد من ان يعمل ويفهم ٥ وقيل
انما ذكر الاوثان في الاية الاولى والثانية بلفظ موضوعة للعقلا وهو
قوله من وهو لانه لما ذكر بلفظ الخلق وهو من فعل العالم اجرا عليه هذا
اللفظ اتصاه وقيل هو على تقدير من يعلم كيف يخلق وقوله جل اسمه
وما يشعرون ٥ معناه ولا يعلمون متى يبعثون وايان ومتى واحد في اللغة
الا ان متى اوطا واصح لانه اكثر في الاستعمال وقوله جل اسمه والاهكم اله
واحد فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ٥
معناه الذي يستحق العبادة بالنعم ... وافضل هو الواحد الذي
لا نظير له ولا مثل والذين لا يصدقون بالقيمة لم يعرفوا الله لاستكبارهم
واعراضهم عن الفكر في الدلايل الموصلة الى العلم بحكمته وفي الاية حجة
على اصحاب المعارف لقوله تعالى قلوبهم منكرة لان الانكار نقيض
المعرفة وقوله جل اسمه لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
انه لا يحب المستكبرين ٥ ان الله يعلم ما يسرونه وما يعلنونه ولا
يخفى عليه خافية وهو المجازي بكل ما كسب وعمل وتضمنت الاية الوعيد
الا انما يعني قوله لا جرم وبينا اصل هذه الكلمة وحقيقتها في اللغة
في سورة هود وغيرها ٥ ومعنى لا يحب لا يريد ان يثيبهم ويكرمهم

لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين
معناه ان الله تعالى يعلم ما يسرونه وما يعلنونه ولا يخفى عليه خافية
وهو المجازي لكل ما كسب وعمل فهو تضمنت الآية وقوله جل اسمه
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين معناه
واذا قيل لهم ما الذي انزل الله تعالى قالوا انزل اساطير الاولين
اي احاديث الاولين وسميت اساطير لانهم كانوا يسطرونها في الكتب
فوصفوا كتاب الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بما
يوصف الهذيان والترهات جهلا منهم به وواحد الاساطير اسطارة
واسطورة وقوله جل اسمه ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
هذه اللام تسمى لام العاقبة وهو مثل قوله فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا معناه عاقبة امرهم لاحمل عقاب
معاصيهم وكانه قيل هو احملوا المعاصي ثابتة على امرهم وحوبها
وعاقبة امرهم يؤول الى العذاب المستحق على معاصيهم فشبه
ما استحقوه من العقاب على ترك المعاصي بالحمل الثقيل وقوله تعالى
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون معناه
ويحملوا ايضا من اوزار الذين اضلوهم عن دين الله بغير علم كان
عندهم وتفسير ذلك حسن بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال ايما داع دعا الى هدى فاتبع فله مثل اجورهم من غير ان ينقص
من اجورهم وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع فان عليه مثل اوزارهم
من غير ان ينقص من اوزارهم شيء فهذه حال رؤساء الضلالة يحملون
اوزار ما فعلوه من المعاصي ويحملون من اوزار من اتبع دعوتهم
وقبل منهم ما دعوه اليه وكانهم ضلوا واضلوا فاجتمع شيئان اثنان

ثم قال الا ساء ما يزرون اي ساء الحمل حملوه وتوعدا بليغا على ما
ارتكبوه وقد مر بيان تفسيره في غير موضع وقوله تعالى قد مكر
الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد المراد بالقواعد
الاصول والاساس وواحد القواعد قاعدة وهو الاصل
والاساس ومعنى فاتى الله اي اتى امر الله وهو ما احدث
في تلك الابنية من الزلازل والحركات حتى انهدمت وسقطت
عليهم وذلك ان دلايل العقول قائمة على ان الله تعالى لا يجوز
عليه الدخول في شيء ولا الخروج عن شيء ولا يجوز ان يكون معناه
ان الله خرج من قواعد بنيانهم كما يخرج الشيء من تحت الشيء
ومعنى الآية انه قد كان قبل هؤلاء الكفار كفار مكروا برسل
الله وباوليائه استكبارا وتجبرا فاخذهم الله بالعذاب
والنكال بان سقط عليهم سقوف بيوتهم حتى هلكوا تحتها
وهو نظير ما فعل باهل لوط فجعل المدينة عاليها سافلها وهو
معنى قوله فاتى الله بنيانهم من القواعد وقوله جل اسمه فخر عليهم السقف
من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون معنى خر سقط
والذين خر عليهم السقف من فوقهم هو نمرود بن كنعان وقومه
وقيل بخت نصر وقومه وذكر لفظ من فوقهم مع ذكر خر عليهم
السقف على وجه التاكيد لذلك المعنى وهو معنى قول القايل لغيره
تلقاك تعلق كذا وقيل ذكر ذلك ليدل على انهم كانوا
تحته لانه قد يقول القائل تهدمت الدار على بني فلان وان لم
يكن تحتهم ثم بين انه اخذهم العذاب مغافصة من حيث
ظنوا انهم في امان منه وقوله جل اسمه ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول

اين شركاي الذين كنتم تشاقون فيهم ٥ معناه يعد هذا العذاب يخزيهم
الله يوم القيمة ويقول لهم اين الشركا الذين اتخذتموهم تعبدونهم من
دون الله وكنتم تخالفون فيهم وتعادون النبي صلى الله عليه وآله لاجلهم
وتكونون في غير شق المومنين وهو معنى تشاقون فيهم والمشاقة
المعاداة والمخالفة وقوله جل اسمه قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم
والسوء على الكافرين ٥ معناه ان هولا الكفار اذا زعموا لهذا القول
الذي ذكر الله قال لهم عند ذلك اولوا العلم بدين الله على وجه التقريع ان
الخزي اليوم والسوء على الكافرين ليكون حسرتهم اشد والم قلوبهم اضعف
وقوله جل اسمه الذين تتوفاهم الملئكة ظالمي انفسهم ٥ موضع الذين صفة الكافرين
الذين تقدم ذكرهم واخبر الله تعالى ان الملئكة عليهم السلم تقبض ارواحهم في
حال بقاهم على الكفر والظلم لانفسهم للكباير التي ارتكبوها ولم يتوبوا
عنها وموضع ظالمي النصب على الحال وهو مثل قوله تعالى وتزهق انفسهم
وهم كافرون ٥ وقوله جل اسمه فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان
الله عليم بما كنتم تعملون ٥ معناه استسلموا لامر الله وعذابه النازل
بهم اذ لا محيص عنه وقالوا ما كنا نعمل من سوء اذ ذاك
عند انفسنا في دار الدنيا لانهم لم يعملوا السوء ويكونوا كاذبين
لانهم في الاخرة ملجون الى ترك الكذب والقبايح ٥ وقال بعض
العلما ان للخلق في الاخرة مواطن ففي بعضها ملجون دون بعض ٥
وقوله بلى معناه ان الملئكة عليهم السلم تجيبهم بان يقولوا لهم بلى
قد عملتم السوء واخبر الله عز وجل بذلك ان الله عليم بما عملتم فلا يخفى
عليه شي فيجازيكم بما استحققتم فدليلنا الاية على انه قد يكون
كافرا وفاسقا من لا يعلم ان ما يفعله كفر ولا فسق لاعراضه

عن طريقة النظر فيما يفعله مع تمكنه من معرفة ما يفعله وانه اخر
للعلمين وقوله جل اسمه فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس
مثوى المتكبرين ٥ معناه ان تكون المراد به يقال لهم يوم القيمة ادخلوا
نار جهنم وبئس المنزل والمقام نار جهنم للمتكبرين الذين كذبوا
الرسل وجحدوا الايات اعرضوا عن قول الحق وقوله جل اسمه وقيل
للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ٥ معناه وقيل للذين
جانبوا المعصية خوفا من عذاب الله وهم المومنون المخلصون ماذا انزل
عليكم قالوا في الجواب انزل الله علينا خيرا ٥ وقيل انما ارتفع قوله اساطير
الاولين في جواب المستكبرين حين قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا
اساطير الاولين لانه على تقدير ما الذي انزل ربكم فقالوا اساطير
فيكون في ما بمنزلة الذي ٥ وقيل انتصب خيرا على تقدير ان يكون ذا وما
اسما واحدا وقيل ان المتكبرين جحدوا التنزيل فقالوا ما انزل خيرا
وقوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ٥ معناه للمحسنين في دار
الدنيا حسنة جزا لهم وهو الثواب في الاخرة واكد ذلك بقوله ولدار الاخرة
خير على معنى ان للمحسنين احسان في الاخرة واذا دار الاخرة خير من
دار الدنيا فاشار الى النعمة التي اعدت للمتقين انها خير من نعم الدنيا ٥ ويحتمل
ان يكون قوله ولدار الاخرة خير على وجه الحكاية ويحتمل ان يكون من كلام
الله على وجه الابتدا وهو الاقرب ٥ وقوله جل اسمه جنات عدن يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين ٥ قيل
انما ارتفع جنات عدن لانه خبر ابتدا محذوف كانه قيل تلك جنات
عدن وقيل ارتفع لانه ابتدا وخبره ما بعده وقيل ارتفع لانه خبر ولنعم
دار المتقين ٥ بين الله تعالى ان جزا المحسن في الاخرة جنات عدن وهي بساتين

تكون مقامهم فيها دائما والعدن الاقامة ثم وصف الجنات بان الانهار تجري
من تحت الاشجار وللمتقين في تلك الجنات من صنوف النعم واللذات ما يشاؤون
ويشتهون فلا يتأخر عنهم شيء ارادوه وبين ان الله تجزي المتقين مثل ما
وصفه وقوله جل اسمه الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ٥ هذه الصفة بعض
صفة الظالمين الذين تقدم ذكرهم ٥ ومعناه ان الملائكة عليهم السلام تقبض
ارواح المتقين في حال ما هم مؤمنون صالحون خلاف من تتوفاهم الملائكة
مستمر ظالمين بافعالهم القبيحة ووصف المؤمنين بانهم طيبون باعمالهم الحسنة
الجميلة والكافرون وصفوا بما تقدم من ذكره في الاية الاولى ٥ وقوله علي
يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ٥ معناه ان الملائكة تحييهم
وتبشرهم بهذا اللفظ وقوله جل اسمه هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
او يأتي امر ربك ٥ معناه هؤلاء الكفار المنكرون هل ينتظرون الا
ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم في الموت على الكفر الذي تقدم وصفه
او يأتي امر ربك وهو العقوبة وهذا تهديد لهم بالغ وقد مر بيان
نظيره في غير موضع وقوله جل اسمه كذلك فعل الذين من قبلهم ٥ معناه
هؤلاء فعلوا ما فعلوا واقدموا على ما فعله اخوانهم من الكفار الذين كانوا قبلهم وقوله
تعالى وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ٥ معناه ولما اخذهم الله بالعذاب
لم يكن الله ليظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم بانكارهم ما استحقوا لاجله
ذلك العذاب وقوله جل اسمه فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا
به يستهزئون ٥ معناه فاصابهم عقاب ما عملوا من السيئات وما
فعلوه من الاستهزاء بآيات الله ورسله وبينا في غير موضع حقيقة
لفظ حاق في اللغة فلا وجه لاعادته هاهنا وقوله جل اسمه وقال الذين
اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا

من دونه من شيء ٥ معناه ان المشركين قالوا ان شركهم بالله وعبادتهم
الاوثان بمشيئة الله ولو كره الله ذلك لما اشركنا ولا اباؤنا ولا
حرمنا شيئا مما حرمناه فكذبهم الله في ذلك وقد مر بيان ذلك في
سورة الانعام في قوله الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا وهذه
الاية نظير تلك الاية ومن تعلق من هذه الامة ان المعاصي بمشيئة الله
فانهم اقتدوا بمن قد حكى الله عنهم ما حكى فكذبهم الله اياهم من
من ادل الدلائل على ان المعاصي ليست بمشيئة الله واذا كان ولو لم
يكن على بطلان هذا القول الا هذا البيان لكفى فكيف والادلة
العقلية والسمعية على بطلان ذلك الحكم كثيرة وقوله جل اسمه
كذلك فعل الذين من قبلهم ٥ معناه من كان قبلهم من اخوانهم من المشركين
فعلوا امثال ما فعل هؤلاء وقالوا مثل قولهم وهذا نظير قوله كذب الذين
من قبلهم حتى ذاقوا باسنا وقوله جل اسمه فهل على الرسل الا البلاغ المبين
معناه ليس على الرسل الا ابلاغ الرسالة وليس عليهم من حساب
من ارسل اليهم شيء ولا هم ماخوذون بهم وهذا تسلية للرسل عما كان
يداخلهم من كفر الكفار واستعظامهم ذلك وقوله جل اسمه ولقد بعثنا
في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ٥ معناه ولقد
امرنا في كل امة بعثنا اليهم رسولا على لسان رسلهم بلزوم عبادة الله
على وجه الاخلاص ووجه الاخلاص اجتناب عبادة الطاغوت وقد بينا
حقيقة هذا اللفظ واصله وما قيل في تفسيره في سورة البقرة في اية
الكرسي مستقصى وقوله جل اسمه فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة ٥ معناه فمن المامورين بعبادة الله من اطاع الله وائتمر
بامره واهتدى بهدى الله فاستحق هدى الله الذي هو اللطف والثواب

وقد بينا في اول سورة البقرة وجوه الهدى ووجوه الضلال واقسامها
فلهذا احللنا القول فيه هاهنا ومنهم من وجب عليه العقاب لما فعل
من الكفر والردة لايات الله والمخالفة لامره والمراد بالضلال هاهنا
العقاب وقد يسمى في اللغة الشي باسم غيره اذا كان منه بسبب
ولهذا لما قال الله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر يعني في العقاب
فيسمى العقاب على ضلال العبد عن سبيل الله ضلالا ويحتمل
ان يكون معنى قوله تعالى حقت عليه الضلالة اي حق له الضلال عن طريق الجنة
والجنة بما قدم من الكفر بالله والرد لرسله وقوله تعالى فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين جا هذا على وجه التحذير والانذار
فكانه قيل لهم اعتبروا بآثار من تقدمكم من الكفار والجبابرة المكذبين
بآيات الله ورسله واحذروا ان ينزل بكم مثل ما نزل بهم اذا سلكتم
طريقهم ولو كان تاويل الاية ما ذهب اليه الجهال من المجبرة ان قوله
فمنهم من هدى الله منهم من خلق الله الايمان في قلبه ومنهم من اضل
الله بان خلق الكفر في قلبه واراد ذلك منه ارادة موجبة لكان
الزجر والتحذير والحث على الاعتبار بآثار من تقدم لغوا وسفها والله
والله تعالى عنه فكيف يجوز في حكمة الله ان يخلق الكفر في قلب واحد
ثم يقول له لا تكفر وهو لا يقدر على دفع ذلك الكفر عن نفسه ثم
يقول له احذر عذاب الله ان ينزل بك كما نزل بمن كان قبلك
على الكفر الذي خلقته فيك وانت لا تقدر على ازالته ودفعه
فاي تحيف وسفه ابلغ من هذا جل الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا
قوله جل اسمه ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم
من ناصرين هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله عما تداخله

من لا يومن لعلمه بانه لا يستجيب له لانهماكه فيما هو فيه من الكفر
والطغيان فكانه قيل له ان حرصت على ان تصير من تدعوه الى
دين الله من اهل الجنة فان الله لا يهدي الى طريق الجنة من اضل عن
سبيله ولا ناصر له يوم القيمة يخلصه من عذاب الله ومن حكم الله
عليه بانه من اهل النار لاصراره على الضلال ولعلم الله فيه بانه لا
يتوب ويموت على اصراره فانه لا ينفعه هدايته الى الحق وقوله جل اسمه
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا
ولكن اكثر الناس لا يومنون هذا اخبار عن منكري البعث والنشور
وبيان ما كانوا عليه من فرط الجهل حتى اداهم ذلك الى ان حلفوا بالله
لا يبعثهم من مماتهم ورد عليهم قولهم وكذب يمينهم بان قال بلى
يبعثكم للجزاء وانه وعد من الله فان الله لا يخلف وعده وقوله جل اسمه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون معناه ان اكثر المكلفين لا يعلمون ذلك
لاعراضهم عن النظر فيما نصبه الله من الادلة ليعرفوا ان الله حق وانه
يبعث الخلق وقوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين معناه ان الله يبين لهم ما اختلفوا فيه
بعد حشرهم الى القيمة ويعلموا في القيمة انهم كانوا كاذبين معناه
في دار الدنيا وقوله جل اسمه انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون بين الله تعالى انه اذا اراد فعل شي فانه يكون لا محالة
ولا يتعذر فعله وقد بينا في غير موضع ما تقدم في سورة الانعام
وغيرها معنى قوله كن فيكون وذكرنا في تاويله وجهين في معنى
يقول له ولا وجه لاعادته هاهنا وقوله تعالى والذين هاجروا في الله من
بعد ما ظلموا معناه من هاجر وطنه وقومه وعشيرته هجرة الله

ولسى لله وعلى حكم الله بعد ما نالهم الظلم من اعداء الله وقوله جل اسمه
لنبوئنهم في الدنيا حسنة معناه لننزلنهم ولنحلنهم محلا حسنا وهذا
مثل قوله تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوأ صدق معناه واحللناهم
ومكناهم تلك البلد نسبه وقوله جل اسمه ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا
يعلمون معناه تمكينهم في دار الدنيا وحسن اثنهم وسعة عليهم وان كان
ما اعددناه لهم من النعيم في الاخرة خير وابقى واعظم واهنى وقوله جل اسمه
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون هذه صفة المهاجرين الذين
تقدم ذكرهم انهم صبروا على طاعة الله وعلى ما نالهم من اعداء الله
وتوكلوا في جميع احوالهم على الله وقوله جل اسمه وما ارسلنا قبلك الا
رجالا نوحي اليهم قيل المراد بقوله الا رجالا وان كان قد ارسل من
الملائكة رسلا انا ما ارسلنا من الامم الذين كانوا قبلك الا رجالا يوحى
اليهم وقيل هو حجة على من انكر ارسال رسول بمكة من الرجال
وكانه قيل له ما ارسلنا قبل محمد الى من رسولا الا كان رجلا
من الرجال وقوله جل اسمه فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون معناه
فاسئلوا اهل العلم من اهل الكتاب ذلك ان كنتم لا تعلمون ليخبروكم
بان الله تعالى انما ارسل الرسل رجالا اوحى اليهم وقوله تعالى بالبينات
والزبر البينات الدلائل الواضحات والزبر الكتب وواحدها
زبور والعامل في قوله بالبينات قوله ارسلنا الذين تقدم ذكرهم
وتقديره وما ارسلنا قبلك الا رجالا بالبينات وقيل العامل فيه محذوف
كانه قيل وما ارسلنا الا رجالا ارسلناهم بالبينات وهذا كما قال
الاعشى وليست عمران الى الحوض خائف ولا قايل الا هو المتعيبا
وتقديره الوجه الاول ظاهر وقوله جل اسمه وانزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما

نزل اليهم ولعلهم يتفكرون معناه وانزلنا اليك القرآن كما
انزلنا الكتب على الذين كانوا قبلك من الرسل لتبين للناس ما
انزلناه ولعلهم يتفكروا فيما اشتبه لهم فيعرفوا ما اوجب عليهم معرفته
ويعملوا بما اوجب عليهم العمل به وقوله جل اسمه افامن الذين مكروا السيئات
ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
معناه ان الذين يمكرون فيخسف الله بهم بما فعلوا من السيئات لا
ينبغي لهم ان يامنوا عن ... ياخذهم مغافصة او ياخذهم عذاب من
لون اخر كما فعل بمن كان قبلهم وكانه قيل لهم انا هم امن من ذلك
من فعل الله فلاجله تجاسروا على المنكر والكفر والطعن في من
لا امان معه فليحذر عن ان ينزل به ذلك بل ان يجتنب المعاصي ويتوب
عنها وقوله جل اسمه او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين معناه ان
امنوا ان ياخذهم الله بالعذاب في حال تصرفهم وتقلبهم في الارض وما
يكونون فيه وقوله جل اسمه او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف
رحيم معناه وامنوا ان ياخذهم على تخوف وهو التنقص وهو ان ياخذهم
اولا فاولا حتى لا يبقى منهم احد وسمي التنقص تخوفا لانه يخاف معه
الفنى والهلاك وقيل يهلك القرية فتخوف القرية الاخرى قال الشاعر
تخوف السير منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
معنى تخوف تنقص والقرد السمين والسفن ما ينحت به الخشبة وهو
بالفارسية ... وسمي بالفارسية ايضا ... والتامك السنام ومعنى
وصفه هاهنا بانه رؤف رحيم انه مع اقداره على خوفهم لا ياخذهم
ويمهلهم لانه رؤف بعباده والرافة الرحمة ... الى النعمة
وقوله جل اسمه او لم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل

سجدا لله وهم داخرون معناه ان كل ما خلق الله من شيء يسجد ظلاله لله
ومعنى يتفيأ يرجع الظل من موضع الى موضع والفيء انما يكون بعد الزوال
لانه ظل مايل عن جانب الى جانب اي رجع وقيل معنى يتفيأ يميل ومعنى
سجدا لله خاضعة لله منقادة لله بما فيها من الدلالة على الحاجة الى واضعها
ومدبرها واصل السجود الخضوع وقد مر بنا ذكره في غير موضع وفي الاية حث
على النظر في صنع الله تعالى ليعرف به صانعه ومعناه اولم يروا الى ما خلق
الله من جسم قائم او شجر او جبل او نحوه يتفيأ ظلاله في لانه ينقلص بالنهار
ويمتد بالغداة والعشي من جهة اليمين والشمال وهو معنى قوله عن اليمين والشمائل
وهذه الاشيا متواضعة منقادة لله صاغرة لا يمكنها التغيير والتبديل عما
جبل عليه ومعنى داخرون صاغرون وما من شخص خلقه الله الا وظله
يسجد لله على هذا المعنى الذي ذكرناه وعلى هذا كان يجري في مواعظ
الحسن يسجد لله ظلك وانت لا تسجد لبئس والله ما صنعت وهذا المعنى
مضمر في قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والاصال والعارفون به يتواضعون له طوعا والمنكرون
يتواضع كلهم لله كرها وجبلتهم على ما جبلهم عليه وقيل انما وحد اللفظ في اليمين والشمال
على الجمع فقال والشمايل لان الابتدا يكون على اليمين من اول النهار ثم ينقص
حالا بعد حال من الشمال وهو معنى الجمع بعد الابتدا يكون عن اليمين
في اول النهار الى ان ينتهي وقيل الشمايل للاتساع بهذا المعنى وقيل اليمين
ها هنا معنى الايمان والشمايل يقابلها في المعنى دون اللفظ وقوله جل اسمه
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة لما بين الله جل جلاله ما
خلق من الجمادات ذكر بعده حال ما خلقه من الحيوانات فقال يتواضع
لله ما في السموات وما في الارض من دابة اما عبادة او دعا الى العبادة لان

السجود هو الخضوع بالعبادة او بالدعا الى العبادة فكل ما خلق الله
ما يدب فلا يخلو حاله من احد شيئين اما ان يعبد الله متواضعا واما ان يدعو
العقلا الى التواضع لله بالعبادة لما فيها من الصنع الدال على اقتدار القادر
وقد مر بيان ذلك في مواضع من هذا الكتاب مستقصى وذكر في موضع ما في قوله
وما في الارض من دابة موضع ما الذي هو قائم مقام الصفة كانه قيل وما
في الارض الذي يدب على الارض وقوله جل اسمه والملئكة وهم لا يستكبرون
معناه يتواضع لله بالعبادة من غير استكبار ولا استنكاف والملئكة
تحسن موقع علمهم بوحدانية الله وعدله وقوله جل اسمه يخافون ربهم من فوقهم
ويفعلون ما يؤمرون معناه والملئكة يخافون عذاب الله من فوقهم ويفعلون
ما يؤمرون لان العذاب ياتي من فوقهم وقامت الدلالة على ان الله تعالى لا
مكان له ولا جهة فوقا ولا تحتا ولا يمينا ولا شمالا ولا اماما ولا قداما وان
الكون في الاماكن من صفة المحدثات وقال بعض العلما انما قيل من فوقهم
لان الله يوصف بانه متعال على معنى انه قادر لا قادر اقدر منه فقالوا
يجب ان يكون صفته في اعلى مراتب صفات القادرين فيحسن ان يقال
من فوقهم ليدل على هذا المعنى الذي هو صفة الاقدر الذي لا يساويه قادر
وبين تعالى ان الملئكة يطيعونه في كل حال ولا يعصونه ويفعلون ما يؤمرون
واتصلت الاية بما قبلها على معنى انه يستحق السجود لله دون غيره
لانه الاله وحده وقوله جل اسمه وقال الله لا تتخذوا الاهين اثنين انما هو
اله واحد فاياي فارهبون نهى الله تعالى عباده عن اتخاذ معبود
سواه فاذا اتخذ غيره اذ ذكره قيل لم يعتقد ان للعالم صانعين
ولا اعتقد واحد منهم ليس من قال بعدمه فقد قال بالهين لان القديم واحد
والاله واحد لا ثاني له ولا شريك ولا نظير فيستحق ان يكون العبادة لله وحده

لانه لا امر سواه وخوف بعقابه من اتخذ معبودا سواه واشرك به
غيره بقوله فاياى فارهبون ومعناه فارهبوا عقابي قوله تعلى
وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون الواصب الدايم
يقال وصب الشي وصوبا اذا دام والدين الطاعة ههنا ومعناه ان الطاعة
داىما تجب لمالك ما في السموات وما في الارض ومالك الضر والنفع وتجب
ان تخشى عقابه ولا تخاف سواه قوله تعلى وما بكم من نعمة فمن الله معناه
ان النعم التي يعمون بها كلها من عند الله لانه لا يقدر على ايجادها غير الله
وقيل دخلت الفاء في قوله فمن الله لان ما ههنا بمعنى الذي وفيه شبه الشرط
والفا تدخل في الجزا وهو مثل قوله تعلى قل ان الموت الذي تفرون منه
فانه ملاقيكم وقيل هو على حذف الجزا تقديره وما بكم من نعمة فمن الله
اذا كانت النعم كلها من عند الله ولا يستحق الشكر عليها الا هو
قوله تعلى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون الجوار هو التضرع
معناه واذا اصابكم ضر وشدة والمرض فالى الله تتضرعون وله تدعون
ان يكشف عنكم ذلك ولا يقدر على كشفه غيره وفي هذا ان ضعف الانسان
وبيان اسلا العقل عليه لانه يكون غافلا في حال النعمة متذللا في حال
الشدة والمضرة قوله تعلى ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم
بربهم يشركون بين الله تعلى في هذه الاية قبح مقابلة العبد لكشف
الضر عنه بالمعصية الكاسفة من الكفر والكباير الفاحشة
قوله تعلى ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف تعلمون
اللام في قوله ليكفروا واسبيعا هو بمنزلة العلة التي تقع لاجلها الفعل
وذلك انهم بمنزلة من اشرك في العبادة ليكفر بما اعطوا من
النعم وكانه لا غرض له في شركه الا هذا وكذلك الكلام في قوله تعلى

وليتمتعوا والواجب عليهم بهذا ترك الكفر الى الشكر لله تعلى
وترك التمتع بما فيه المعصية وهذا تهديد بليغ بقوله فسوف تعلمون
لانهم استغلوا بالتمتع بما انعم الله عليهم على وجه المعصية والكفر
دون الشكر والعبادة ثم قال تعالى فسوف تعلمون عاقبة امركم من العقاب
النازل بكم قوله تعلى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم هذا
توبيخ لهم وانكار عليهم ما كانوا يتقربون به الى الاوثان ومعنى يجعلون
لما يعلمون انه يضر ولا ينفع نصيبا مما رزقناهم ويتقربون به اليها كما
يجب عليهم ان يتقربوا الى الله الواحد الذي له الخلق والامر ومالك
الضر والنفع والمراد به ما كانوا يتقربون به الى الاصنام من العبادة
والذبايح والقرابين والاوثان نصيبهم من حيث انهم يسمونها الهة
في النار لاجل عبادتهم اياها ولا تنفعهم شيئا قوله تعلى تالله لتسألن عما
كنتم تفترون قوله تالله قسم فذكر القسم على انهم يسألون يوم
القيمة عما افتروا على الله [illegible] قوله تعلى ويجعلون لله البنات سبحانه
ولهم ما يشتهون هذا ايضا انكار وتوبيخ لانهم لفرط جهلهم كانوا
يزعمون ان الملائكة بنات الله فنزه الله تعلى نفسه عما قالوه بقوله
سبحانه ومعناه ان الله منزه عن اتخاذ الاولاد من البنين والبنات
ودلت الاية على انه لا يجوز عليه الصاحبة والولد والشهوة والنفار
والضرر والنفع والحاجة وموضع ما من الاعراب النصب تقديره
ويجعلون لهم البنين الذين يشتهون ويجعلون لله البنات التي ينفرون
عنها وقيل موضعه رفع على الاستيناف تقديره ولهم البنون
قوله تعلى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم
ثم الله تعلى شره نفارهم عن البنات فقال واذا بشر احدهم بالانثى له

لهم اسود وجهه من الغم والحزن وامتلأ قلبه واستمر غيظا وهو كظيم
والكظم مأخوذ من الكظامة وهو شد فم القربة معناه انه ما اظهروا
اليه ما لا يرضونه لانفسهم وقوله جل اسمه يتوارى من القوم من سوء ما بشر به
معناه واذا بشر بالانثى يختفي من القوم ويفر متواريا من سوء البشارة
عما بشر به واستحياء الى ان ينتهي الى الموت الى الحبس والكبر
وقوله جل اسمه ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون
الهون الهوان والدس في التراب الدفن فيه ومعناه واذا بشر بالمولود الا
نه انثى ظل يحمل فكره بين ان يمسك هذا المولود على سبيل الذلة والهوان
او يدفنه حيا ثم بين بطلان ما يحكمون به في الحكم لاداية الى الخلود
في عذاب الله وقوله جل اسمه للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله
المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم المثل هاهنا معناه
الصفة ومعناه للكفار الذين انكروا البعث والنشور صفة السوء
ولله الصفة الاعلى من اخلاص التوحيد له وقد مر بيان العزيز الحكيم في
موضع وقوله جل اسمه ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
عليها من دابة بين الله تعالى انعامه على عباده بامهاله لهم وانظاره
اياهم فلم يعاجلهم بالعقوبة ومعناه لو يؤاخذ الله الناس بما استحقوا
من العذاب على ظلمهم ما ترك على ظهر الارض من دابة يعني يعاقبه
وقوله جل اسمه ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى معناه ولكن بسعة رحمته
يؤخرهم الى وقت معلوم وهو الوقت الذي يعلم الله ان امهالهم الى
ذلك مصلحة وقوله جل اسمه فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون معناه فاذا جاء الوقت الذي فيه انقضاء المدة لحياتهم
لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون وقد مر الكلام فيه مستقصى

في مواضع وقيل انما ورد لفظ الهلاك على وجه العموم مع امكان
ان فيهم مؤمن لانه كان المراد به ان الهلاك بعذاب الظلم
لان المؤمن يعوض على ما نال الذين لا يستحقون ما يصيب المؤمن بمحنة
لاستحقاقه العوض لا عقوبة لان ما يفعل من الالم على وجه العقوبة
لا عوض فيه وقيل معناه ما ترك على وجه الارض من دابة من الظ
الظالمين وقيل معناه انه اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء يكون
فيه انقطاع النسل وخلو الارض من الخلق فلهذا اورد على وجه
العموم ما ترك عليها من دابة وقوله جل اسمه ويجعلون لله ما يكرهون
معناه ويجعلون لله البنات التي لو كانت لهم لاظهروا الكراهة
وهو ما يكرهونه لانفسهم وقوله جل اسمه وتصف السنتهم الكذب ان لهم
الحسنى معناه انهم لا يقتصرون على ما تقدم ذكره من الصفة بل يقولون
ان لهم عند الله الجزاء الحسن فبين تعالى انهم كاذبون في قولهم لان
انما ذلك في قولهم ان لهم الحسنى مع جعلهم لله ما يكرهون من البنات
وقوله جل لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون في معنى لا جرم اقوال
قيل معناه حقا ان لهم النار وقيل لا بد لهم من النار وقيل لا محالة لهم
النار يكون لفظ جرم اسما على هذا الوجه مثل قيل القطع اي لا قطع عن انهم
النار وقال بعض النحويين جرم فعل ماض ولا رد لكلام وتقدير كلامه
قد قطع ان لهم النار وقد تقدم بيان معنى جرم في اللغة مستقصى
فلا وجه لاعادته هاهنا ومعنى مفرطون متروكون مسيئون في
النار وقيل معناه مقدمون الى العذاب الى النار والعرب تقول افرطنا
فلانا في طلب الماء فهو مفرط اذا قدمناه لطلبه فرط وهو فارط اذا تقدم
ومنه انا فرطكم على الحوض وقرأ نافع مفرطون بكسر الراء اي مسرفون

وهو من الافراط في الذنوب وهو الاسراف وقوله تعالى تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك ه تالله قسم ذكر الله تعالى القسم بانه بعث
الرسل الى الامم مثل بعثه محمدا الى هذه الامة وقوله تعالى فزين لهم
الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم ه معناه ان الشيطان
زين للكفار والغواة اعمالهم التي هي الكفر والمعصية والشيطان
وليهم في دار الدنيا وهو معنى قوله اليوم لانه الان يتولى اغواهم وهو
السبب في اهلاكهم ه وقيل فهو وليهم اليوم المراد به يوم القيمة فكانه
قيل اذا كان لا يمكنه ان يصرف المكروه عن نفسه فكيف
يتولى صرف المكروه عنهم ه وقوله ولهم عذاب اليم معناه في النار ه
ودلت الاية على بطلان قول المجبرة ان الله زين الكفر للكفار
والمعصية للعصاة لانهم مع ابطالهم دليل العقل ردوا نص القران
بما ذهبوا اليه وقوله تعالى وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي
اختلفوا فيه معناه وما انزلنا يا محمد القران الا لتبين لهم ما يختلفون
فيه لان البيان يودي الى العلم ويفتح طريقه وقوله تعالى وهدى ورحمة
لقوم يومنون ه معناه وانزلنا القران دلالة للخلق ونعمة عليهم وخص
المومنين بالذكر تشريفا لهم ومدحا لانهم منتفعوا به وصدقوا
وعملوا بما فيه وقوله تعالى والله انزل من السما ما فاحيى به الارض بعد
موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون ه معناه من اصغى الى كلام
الله واتعظ بعظته واعتبر باياته ففي الما الذي انزلنا من السما فاحيى
به الارض دلالة وعبرة وقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ه يقال
اسقاه اذا جعل له شرابا دائما من نهر او بئر او غيرها وسقاه سقى

واحده ومنه قول لبيد ع شعر سقى قومي بني مجد فاسقى نميرا والقبائل من هلال ه
فجمع بين اللغتين ه وقيل كلما كان من السما فهو اسقا وما كان من الارض
فهو سقى وقيل ايضا سقى واسقى بمعنى ه ومعنى الاية وان لكم في الانعام
لعبرة اذا فكرتم في اللبن الذي يخرج من بين الفرث والدم ويدر في العروق
وهو لبن سائغ للشاربين فيدلكم ذلك على كونه قادرا على ما لا يقدر عليه غيره يقال
ساغ الما والشراب في حلقه واساغه صاحبه ه ومعنى كونه خالصا انه خالص
من الدم ه ويقال ان الغذا يصير دما اولا ثم يصير الثفل الذي ينزل الى راس
الكرش فرثا واللبن يكون من اعذبها التي ياكلها ه وقيل انما قال مما في بطونه
بعد ذكر الانعام ولم يقل مما في بطونها ردا الى واحد لان النعم والانعام
بمعنى قال الشاعر ع شعر يطاب البان اللقاح ويرده ه ورده الى اللبن الذي هو
الواحد وقيل ذكره الذي معنى كانه قال نسقيكم مما في بطونه كان اللبن
وقوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا ه السكر الشراب الذي يشرب وان لم يكن مسكرا ه وقيل السكر
ما حرم الله من الشهوات والرزق الحسن ما احل منه ه وقيل هو ما حل طعمه من شراب
وغيره ه وقيل الرزق الحسن الرطب والتمر والزبيب ه ومعناه ولكم عبرة
ايضا فيما تتخذونه من التمر والعنب طعاما وشرابا واذا فكرتم فيه وتدبرتم
اداكم الى معرفة القادر على اصول النعم التي بفعلها استحق العبادة ولا
يقدر عليها غيره وهذا معنى قوله ان في ذلك لاية لقوم يعقلون وقوله تعالى
واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ه
النحل ذباب العسل ه ومعنى اوحى هاهنا الهم ادلة وعرف ومعنى الاية ان
الله تعالى الهم النحل ما خلق فيها من العلم بكيفية اتخاذ وكانها وبيوتها
في الجبال والشجر وغيرها ما جعل عرشا وهو ما رفع من الارض مثل الكرم

المعرش بالمعارش وقوله تعالى ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل
ربك ذللا ه معناه وعرف النحل ما تغتذي به من ثمرات الاشجار
ونهرها وعرفها كيف تسلك الطرق التي سهلها الله عليها
واخبرها بخلقته وهو معنى قوله ذللا اي مسهلة مسخرة وواحد الذلل
ذلول وهو الطريق الموطى والمذلل المسلوك ه وقيل ذللا مطيعة
فعلى هذا الوجه يرجع الصفة الى النحل وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب
مختلف الوانه فيه شفا للناس ه معناه تخرج من بطون النحل شراب
وهو العسل وكذلك العسل الوان مختلفة وبين تعلى ان في ذلك الشراب
شفا للناس لان العسل يحتاج اليه في الادوية المعجونات التي تعالج
الاعلا وقوله جل اسمه ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ه معناه وفيما ذكر
الله دلالة واية وعلامة لمن يتفكر فيه ويتطرق به اعتبره دون العلما
من صنف تاويل الاية الى ما اودعه الله من العلوم والحكم قلب النبي
صلى الله عليه واله وسلم وقلوب الائمة عليهم السلام فقال الكناية
في قوله فيه راجعة الى القران وكانه قال فيما بينه الله في القران
شفا للناس والتاويل الظاهر هو الاول وقوله جل اسمه والله خلقكم
ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم
شيئا ان الله عليم قدير ه معناه ان الله خلقكم احيا ثم يميتكم بعد
ان احياكم ومنكم من يطول الله عمره حتى يرجع حاله الى ارذل العمر
وهو اردأه واضعفه وروي عن امير المومنين علي صلوات الله عليه انه قال
يعلى بهذه الحالة اذا بلغ خمسا وتسعين سنة واذا بلغ الى ذلك العمر
رجع حاله الى حال الصبيان فكانه لا يعلم شيئا ما قد كان علمه للكبر
الذي يلحقه متناقص كذلك احواله ه وبين تعلى ان الله يعلم ذلك لكونه عالما

بالمصالح والعواقب وكونه قادرا على كل شي فلا يعجزه شي وقوله جل اسمه
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ه معناه ان الله تعلى بين انه فضل
وفضل بعضكم على بعض في الرزق بان جعله اكثر وازيد لما علمه من المصلحة
وقوله تعالى فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سوا
افبنعمة الله يجحدون ه معناه والذين اعطيهم الفضل في الرزق ووسعت
عليهم لا يجعلون لعبيدهم ومماليكهم شركا ونصيبا في اموالهم حتى يكونوا
معهم سوا في الرزق والنعمة فلا يرضون لانفسهم بان يجعلوا عبيدهم
شركاهم فيما لهم من النعم وهم يشركون عبيدي في ملكي وسلطاني
ويجحدون نعمتي وهو الالف التي في قوله افبنعمة الله الف انكار يخرج الكلام
مخرج الانكار على من يشرك بالله ولا يرضى لنفسه مثل ذلك في ماله
وملكه ه وقيل في قوله فهم فيه سوا وجه اخر هو سواء ان الله رازق
الجميع وليس في امكان احد ان يرزق عبيده ويعطيهم شيئا الا ما رزقه
الله لانه لا يقدر تعلى احاد النعم وخلق الحب والثمر الا الله تعلى لانه لا يقدر
احد من ان يخلق حبا ولا ينبت زرعا ولا ينزل مطرا وقوله جل اسمه والله جعل
لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ه منّ الله تعلى
على الخلق بان جعل لهم من انفسهم ازواجا ومن ذلك انه خلق ادم عليه السلام حوا
واجرى بذلك الطريقة في اولادهم وقد مر بيان ذلك في سورة البقرة وغيرها
وبين انه جعل من الازواج بنين وحفدة وواحد الحفدة حافد وهو كالخادم
وكمله ه واصل الحفد في اللغة الاسراع في العمل يقال حفد البعير اذا
اسرع في السير ه ومنه قول الراعي اذا الحداة على اكسائها حفدوا
وقيل الحفدة وجوه اخرى قيل هم ولد الولد ه وقيل هم الخدام ه وقيل الاعوان
وقيل كل من اعانك فقد حفدك وقوله تعالى ورزقكم من الطيبات افبالباطل

يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون الطيبات في المستلذات ٥ وقيل هي
الحلال ٥ ومعناه ان الله رزقكم ما تجدون اللذة به فمن اي وجه يجوز
ان يعرضوا على الايمان بالله وانه ورسله ويؤمنون بالباطل ويكفرون
بنعمة الله والالف في قوله افبالباطل الف انكار وخرج الكلام مخرج الذم
والتوبيخ **وقوله جل اسمه** ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم
لا تعلمون هذا الكلام ايضا خارج مخرج الانكار والتوبيخ فقال
هولا الذين هم عباد الله والله خالقهم ورازقهم وهو الذي يستحق العبادة
من جهتهم يعبدون الاوثان من دون الله واتخذوهم الهة وتركوا عبادة
الخالق الرازق القادر على كل شي وعبدوا ما لا يملك لهم رزقا ولا يقدر
على شي والمراد برزق السما الغيث المنزل منه ورزق الارض النبات
وارزاق العباد مضمنة هذين الوجهين ٥ وانتصب شيا على البدل من قوله
رزقا فكانه قيل يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا قليلا ولا كثيرا
وقيل يجوز ان يكون معناه لا يقدر ان يرزق شيا فيجعل المصدر وهو
البدل من قيامه مقام الفعل كقولك لا املك ضربا زيدا على معنى لا املك ان
اضرب زيدا ٥ وقيل نصب رزق على معنى لا يملك لهم رزق شي وهو كقوله تعالى
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ٥ ومعنى
ولا تضربوا لله الامثال اي لا تجعلوا لله اشباها ولا امثالا لانه لا امثال له
ولا اشباه ٥ ومعنى وصفه نفسه هاهنا بانه يعلم ما لا يعلمونه انه يعلم ما
يستحقونه من العذاب على ما يفعلونه وما عليكم من الوبال الراجع اليكم
وانتم لا تعلمون ذلك **وقوله تعالى** ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على
شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون

الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ٥ قيل هذا مثل ضربه الله للكافر الذي
خلا عن الخير والمومن الذي هو يكتسب الخير ودعا العباد الى ما يفعله المومن
وزجرهم عما يفعله الكافر ٥ وقيل هو مثل ضربه الله لعبادة الكفار
الاصنام وعدولهم عن عبادة الله تعالى القادر على كل شي المالك لكل شي الى عبادة
من لا يملك شيا ٥ ومعنى الحمد لله امر بالشكر وتعليمهم اياه فكانه قيل اشكروا
المنعم عليكم والرازق لكم والموضح السبيل الى معرفة توحيده واوضح الطريق
اليه لا عن اضطرار عن طريق النظر والاستدلال وعلمهم عما يحبونه على الغنيهم لفرط
جهلهم وعتوهم في كفرهم ٥ ومعنى جملة الاية انه لا يستوي من لا خير فيه ولا نفع ولا
يفعل ما يجوز به نفع نفسه والعبد الخير الهادي المهتدي النافع المحسن فكانه
قيل عبد لا يملك شيا ولا خير فيه وعبد يملك ويفعل الخير فلا يستويان عند الله
وهذا امثل **وقوله جل اسمه** وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على
شي وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو
ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم ٥ الابكم هو الذي يولد اخرس لا
يفهم ما يسمع ان يفهمه وليس في امكانه ان يفهم غيره ٥ والكل الثقل والوبال
وهو ايضا مثل ضربه الله للكافر والمومن وتقديره ضرب الله مثلا رجلين
احدهما اخرس لا يقدر على الكلام ولا يقدر على شي من باب الخير والنفع ويكون
ثقلا ووبالا وعيالا على سيده فاينما يوجهه سيده لا يات بخير ٥ والاخر رشيد
مهتدي يفعل العدل والخير وهو على صراط مستقيم فهذان لا يستويان في
المنزلة والجزا والمدح ٥ وقيل هذا مثل في صفة من يومل الخير من جهته وصفة
من لا يومل الخير من جهته ٥ وقيل هو مثل ضربه الله تعالى للوثن الذي يعبده الجهال
على عبادته وهو بهذه الصفة ومنزلة الابكم الذي لا يمكنه ان يتكلم او يفعل شيا
او ياتي خيرا فكانه قيل يا اهل الخير كل من الله تعالى لا من الاوثان وعبادة الرحمن

وهو معنى قوله هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم في
تدبير الامور بالحق ووجه التقابل في ضرب المثل بهذين الرجلين انه على تقدير
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه خلاف صفة هذا العبد
يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم في تدبير الامور بالحق وهو معنى قوله تعالى
هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم قوله جل اسمه ولله غيب
السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على
كل شيء قدير ٥ وصف الله تعالى نفسه بانه عالم الغيب فلا يعزب عن علمه شيء
في الارض ولا في السماء ثم بين ان امر القيامة امر قريب كونه وسرعته كلمح
البصر وهو اسرع منه واقرب في ايجاده قوله او هو اقرب في حلقة اللسان
على انه على احدى منزلتين اما كلمح البصر واما اقرب منه ٥ وقيل جاء او
لشك المخاطبين على تقدير كونوا في امر الساعة على هذا الشك وانما
قرب امرها لانه يمر لكن يكون ممن هاهنا صح انها كلمح البصر او هو
اقرب في وصفه نفسه بانه قادر هاهنا على معنى انه قادر على اقامة
القيامة وعلى كل شيء صح ان يكون مقدورا له قوله جل اسمه والله اخرجكم من
بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم
تشكرون ٥ معناه اخرجكم من بطون امهاتكم خلقا مصورا اطفالا لا
تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ٥ ومنّ
عليكم بسلامة سمعكم وابصاركم واكمال عقولكم حتى تمكنتم من اكتساب
العلوم وعلمتم ما لم تكونوا تعلمونه وانا اكمل لكم السمع والبصر وخلق
لكم القلوب [illegible] للعلوم وانعم عليكم بهذه الضروب من النعم
لتشكروه وتعبدوه ولتعظموه ولا تكفروا به قوله جل اسمه الم يروا
الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات

لقوم يؤمنون ٥ هذا استدعا للمكلفين الى الاستدلال بتسخير
الطير في الهوا وتمكينها من التصرف فيه على كون مسخرها قادرا واحدا
حكيما لا يعجزه شيء ولا يشبهه شيء فجعل الهوا للطير بمنزلة الارض للخلق
تمكينا لها من التصرف فيه والطيران عليه ٥ وبين انه لا يقدر عليه الا
الله وان في ذلك دلالات للمؤمنين على الله جل وعلا وما فعله دلالة لسائر
المكلفين الا انه لما استدل به المؤمنون انتفعوا به خصهم بالذكر
مدحا لهم وتشريفا قوله جل اسمه والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
كل ما سكنت اليه فهو سكن من الله تعالى على العباد بان جعل لهم
البيوت سكنا والمراد بجلود الانعام هاهنا الادم التي يعمل منها
القباب في الظعن الارتحال والانتقال فمن الله تعالى على العباد بذلك
ايضا وهو انه خلق الجلود التي يتخذ منها اشباه البيوت حتى اذا ارتحلوا
كان معهم بدل البيت الذي بنوه على الارض فكانه اذا ارتحلتم
كانت البيوت معكم تحملونها في السفر وتنتفعون بها كانتفاعكم
في حال الاقامة والحضر وذكرهم الله تعالى انعامه بها عليهم وافهامهم
المنافع والمرافق قوله تعالى ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا
ومتاعا الى حين ٥ الاثاث المتاع الكثير وهو من قولهم شعر اثيث اي
كثير ٥ ومعناه وجعل الله تعالى الاصواف وهو جمع صوف الغنم والاوبار وهو
جمع وبر الابل والاشعار وهو جمع شعر المعز حيث تتخذون
منها الاثاث في الثياب وضروب المنافع وتمتعكم بها الى حين وهو الوقت المعلوم
ان الامتاع الى ذلك الوقت مصلحة قوله جل اسمه والله جعل لكم مما خلق
ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا الظلال جمع الظل والاكنان جمع الكن

وهو ما يستتر به ومعناه جعل لكم ظلالا تستظلون به ومن
الجبال أكنانا تسكنون به وقوله جل اسمه وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر
السرابيل جمع السربال وهو القميص ومعناه وخلق لكم ما تتخذون منه
سربالا يقيكم الحر والسربال وإن كان يقي البرد كما يقي الحر فإنما خصه بوقاية
الحر اختصارا للكلام لأن فيه ما يدل على البرد وهذا كما قال القائل
وما أدري إذا يممت وجها أريد الخير أيهما يليني فكنى عن
الشر وإن لم يذكره لأنه مدلول عليه وقيل إنما خصه بوقاية الحر
لأن القوم الذين خوطبوا به كانوا أهل حر في بلادهم فكانت حاجتهم إلى ما
يقي عنهم الحر أشد وأمس وقوله جل اسمه وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون البأس الشدة ويعبر عن الحرب بالبأس
والمراد بالسرابيل الواقية للبأس الدروع ووجه التشبيه في كذلك
اتصاله بما تقدم من ذكر ضروب النعم وتعديدها كما أنعم عليكم بتلك
الضروب من النعم كذلك يتم نعمته بهذا الذي ذكر لعلكم تسلمون
لله بالانقياد له والإيمان به والطاعة له وقوله جل اسمه فإن تولوا فإنما عليك
البلاغ المبين معناه فإن تولوا أي أعرضوا عما تدعوهم إليه فإنه لا يلزمك
تقصير من أجل إعراضهم لأن الذي يلزمك هو البلاغ المبين إلا أن
هذا الكلام خرج على وجه الاحتجاج لما لا يعلم عليه من جهة التسلية
له عما كان يلحقه من الغم لتوليهم عن الحق اللازم لهم وقوله جل اسمه يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون معناه هؤلاء الذين يعرفون
ما تدعوهم إليه يعرفون أن لله عليهم نعما إلا أنهم ينكرونها والإنكار بعد
المعرفة قال وأكثرهم الكافرون ولم يقل كلهم لأن فيهم من لم تقم
عليه الحجة وهو من لم يبلغ حد التكليف أو ناقص العقل [illegible]

فمنهم من لم يذكر النعمة في حال الشواغل التي في قلبه المانعة له عن
تأمل أمره فيكون في حكم الساهي والصبي وإن كان مكلفا بغير ذلك
وقيل هو من الخاص في صورة الذي هو عموم في معناه وفي هذه الآية دليل على
بطلان قول المجبرة إنه ليس لله على الكافر نعمة لأنه استدرجه بإعطائه
إلى الهلاك وقوله جل اسمه ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين
كفروا ولا هم يستعتبون الشهيد هاهنا الرسول ومعناه أن الله تعالى
يبعث يوم القيامة من كل أمة رسولا كان شاهدا عليهم في دار الدنيا يشهد
عليهم بما شاهد منهم وليس إقامة الشاهد لأن الله يخفى عليه شيء من
أعمالهم ولكن ذلك ليكون أهول في النفس بصورة تلك الحال ويكون أشهر
للفضيحة إذا قام الشاهد بالشهادة بحضرة الملا ثم بين تعالى أنه
لا يؤذن للكافرين في الاعتذار ولا يعرضون للعتبى وهو الرضا وقيل
يكون في القيامة مواطن موطن يسعون فيه من الاعتذار وموطن لا يمنعون
وقيل لا يؤذن لهم في الاعتذار لشيء ينفعهم به وقوله جل اسمه وإذا رأى
الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون الإنظار الإمهال
معناه وإذا وقع الظالمون في العذاب ودفعوا إليه فلا يخفف عنهم
لحظة ولا انقطاع للعذاب ولا انتهاء وقوله جل اسمه وإذا رأى الذين
أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا
من دونك معناه وإذا رأى المشركون يوم القيامة رؤساءهم
الذين أطاعوهم واتخذوهم أربابا في الدنيا قالوا عند ذلك هذا القول
الذي حكى الله عنهم وإنما سموهم شركاءهم لأنهم جعلوا لهم نصيبا
في أموالهم وقيل لأنهم جعلوهم شركاء في العبادة وقوله جل اسمه فألقوا
إليهم القول إنكم لكاذبون معناه أن الرؤساء الملقون القول للعابدين

لهم في دار الدنيا انكم لكاذبون في ادعائكم انها الهة وقوله تعالى
والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون معناه واستسلموا
يوم القيمة بالذل لحكم الله وبطل ما كانوا يرجون انهم يشفعون لهم
فكانوا كاذبين في ذلك وقوله جل اسمه الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون معناه هولاء
الكافرون يكونون في العذاب يستحقون ويزداد لهم عذاب فوق
العذاب الذي يعذبون به كانه يعذب الكافر كل وقت بلون من العذاب
وقد روي عن عبد الله بن مسعود انه قال معناه زدناهم افاعي وعقارب
في النار جزاء لما فعلوه من الفساد وقوله تعالى ويوم نبعث في كل امة
شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هولاء معناه
ويوم القيمة اذا حشرنا الامم الذين ترسل اليهم الرسل نبعث رسول
كل امة يشهد عليهم بما شاهد عنهم وما اجابوه اليه ودلت الاية على
انه لا يخلو كل امة وعصر من حجة الله يكون شهيدا ما دام التكليف باقيا
لا محالة وذلك الشهيد اما ان يكون نبيا او خليفة وجعل الله تعالى نبينا
صلى الله عليه واله بذلك فقال وجئنا بك شهيدا على هولاء فكانه قال
انك شاهد على سائر الشهداء وامتهم ونظير ذلك قوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا
وقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى للمسلمين
معناه ونزلنا عليك القران الذي هو تبيان لكل شيء من امر الدين
اما بالنص عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه واله وسلم
او اجماع المسلمين او استدلال باحد هذه الوجوه والكتاب هو الاصل
والمفتاح لعلوم الدين وبين تعالى ان الكتاب الذي هو القران دلالة ونعمة

وبشارة لهم لانهم يستحقون ثوابه واستغنوا بالاستدلال به على ما يؤديهم الى
النعيم الدائم ويدل قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء على بطلان قول
من زعم ان العقل لا يدل على شيء وقوله جل اسمه ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى اي يعطوا اقرباكم من اموالكم وعند المواساة لا يقطع
المواساة عنهم وقوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم
تذكرون معناه وينهاكم عن فعل القبائح والفواحش والمنكر والتطاول
بالظلم على الغير وهو معنى البغي ويعظكم الله بما يامركم به وينهاكم عنه
لكي تتذكروا وتتفكروا والذكر انما ينفع المومنين وقوله تعالى واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها معناه واذا
اوجب الله عليكم شيئا واكد عليكم حجة وعاهدتم الله على ذلك فاوفوا
العهد ولا تخونوا فيه واذا عقدتم اليمين على شيء اكدتموه بالطريقة التي تعرف
بها توكيد اليمين فلا تنقضوه وقوله تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
ان الله يعلم ما تفعلون الكفيل ها هنا معناه الشاهد اي وقد جعلتم
الله شاهدا على ما عاهدتم به وعقدتم اليمين عليه والله تعالى يعلم ما
تفعلون لا يخفى عليه خافية وفي ضمن هذا زجر وتهديد بليغ وقوله تعالى
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا هذا مثل ضربه الله تعالى
لمن نكث العهد ونقض اليمين والانكاث جمع نكث وهي الانقاض التي هي جمع
النقض والنكث ما نكث والنقض ما نقض ومعنى الاية لا تكونوا فيما تاتونه
وتفعلونه من نقض الايمان وترك الوفاء بالعهود بمنزلة امراة غزلت
غزلا ثم نقضت ما فتلته فتلا قويا وهو معنى قوله من بعد قوة انكاثا
وقوله تعالى تتخذون ايمانكم دخلا بينكم معنى الدخل ما دخل الى الشيء
على وجه الفساد وكانه قيل ها هنا تدخلون في ايمانكم على فساد

بما بينكم من العذر والغرور وقيل الدخل هو الدخل والخديعة
وقيل سمي ذلك لانه دخل الفساد على ترك الوفا والظاهر على طريق الوفاه
وقيل دخلا غلا وغشا وقوله جل اسمه ان تكون امة هي اربى من امة معناه
لان يكون جماعة اكثر من جماعة على معنى ان تكون جماعة اكثر عددا من جماعة
يطلبون العز بهم طلب العز الاول منهم ولعدتهم تتخذون ايمانكم دخلا
مبادرة وميلا الى جماعة هي اكثر عددا طلبا للعز بهم وقوله جل اسمه انما يبلوكم
الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون معناه انما يختبركم الله
بالامر بالوفا بالعهد اي يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزا على العمل لا
لا احسان على الحقيقة لا يجوز على الله تعالى لكونه عالما باشيا المعلومات
والهاء في قوله به عايدة على الامر ثم اخبر بانه يبين يوم القيمة ما اختلفوا فيه
ويحكم بما يجب الحكم به وفيه ضرب من التهديد وكذلك في كل ما يرد في القران
من جنسه وقوله تعالى ولو شا الله لجعلكم امة واحدة معناه ولو شا الله
ان يلجيكم الى طريقة واحدة حتى يكونوا جميعا عليها لقدر على ذلك وقد مر بيان
نظير ذلك وبيان وجوه المتشابه في غير موضع وقوله تعالى ولكن يضل من يشا
ويهدي من يشاء قد بينا ايضا وجوه احكام الاضلال والهداية والاضلال
ها هنا المراد به الاضلال عن طريق الجنة والمراد بالهداية الثواب وهو
هداه الى طريق الجنة وكانه قال ولو شا ان يلجيكم ويحملكم جبرا على
طريقة واحدة لقدر عليه ولو اقتضت الحكمة في التكليف لحكم
بالعقوبة على من ضلوا واوجب العقاب عليه وحكم بالهدى على من اهتدى
واوجب الثواب له واقسام الهدى والضلال قد ذكرتها في سورة البقرة
وهذا الوجه احد تلك الاقسام وقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون
معناه ان الله يحاسبكم يوم القيمة ويطالبكم عن جميع ما عملتم ويجازيكم

عليه وهذا دليل على ان قوله يضل من يشا ليس المراد به ما ذهب
اليه الجهال ان الله يضل العباد عن الدين لانه لو كان كما قالوا لم يكن
ليسالهم عن عملهم معنى لانهم لم يفعلوا ما هو ضلال وانما خلق فيهم
الضلال وصدهم عن الهدى على ما ذهب اليه المجبرة وقوله جل اسمه ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها قد مر بيان
في الاية التي قبلها وهذا ايضا ورد على وجه المثل وكانه قيل لهم
لا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فيكون حكمكم حكم من كانت قدمه
ثابتة على المكان مستقرة فزلت عن مقرها وقوله جل اسمه وتذوقوا السو
بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم معناه ان تذوقوا عذاب ما
تعلمتم من السو وهو الصد عن سبيل الله وهو عطف على قوله فتزل قدم وفي
الاية دلالة على ان الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه واله نهاهم الله عن نقض
بيعته بقوله فتزل قدم بعد ثبوتها ويستحق العذاب العظيم وقوله تعالى ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا معناه لا تستبدلوا اخذ حطام من الدنيا على نقض العهد
وترك الوفا به وهو الثمن القليل بثواب الاخرة على الوفا بالعهد وهو العلق
النفيس وقوله تعالى انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون معناه ما عند الله
من الثواب لاجل الوفا بالعهد خير من حطام الدنيا الذي يعطون من الثواب
وقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق زهدهم الله تعالى بما ذكره
من حطام الدنيا ورغبهم في نعيم الاخرة لانه اخبرهم بان الدنيا فانية والاخرة
باقية ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون معناه
ولنجزين الصابرين على الطاعة والصابرين على المعصية باحسن ما عملوا
وهو الثواب وقوله جل اسمه من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه
حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم قيل في الحيوة الطيبة وجوه احدها الرزق

الحلال في الدنيا وترزق الاخره في الجنه والثاني القناعه وقال بعض العلما
الاولى ان يكون الحيوه الطيبه القناعه لما ذكر من التوعد بالعقوبه على الحرص على حطام
الدنيا واكثر المومنين ليسوا متسعين الرزق والاولى الحيوه الطيبه هي الحسنه في الجنه وقوله
فوايد هو مومن دليل على ان العمل وان كان صالحا فانما يستحق عليه الثواب الا اذا حصل
من مومن وقوله تعالى ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون معناه والله يجزيهم
على ما يعملون من الحسن وهو الطاعه احسن ما يعملون هو الثواب وقيل انما قال باحسن
ما كانوا يعملون لان الحسن يعم الطاعه وما عداه من الحسن وهو مباح ولا
يستحق عليه حمد ولا اجر وقوله تعالى واذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
معناه واذا قرات القران فاستعذ بالله قبل القراه فقل اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم والاستعاذه تكون قبل القراه وقال بعض المفسرين
هو على التقديم والتاخير وليس كذلك لانه يجوز التقديم والتاخير في
كل شي وانما يجوز ذلك فيما يرى سهلا ويبلغ حدا لا يجوز تقديمه في المعنى
وهو يشبه ضروره وقيل انما احتيج الى تفسير القران وان كان هو عربيا
لان اللسان تقصور الانسان عن ادراك المعنى لقله علمه بصواب الكلام
على مذاهب العرب الذين هم الاصل في هذا اللسان فهو كالاعجمي الذي
اتى في امتناع الفهم من جهه تقصيره لا من جهه تقصير الكلام في
البيان وقوله جل اسمه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
معناه ليس للشيطان سبيل التسلط به على المومن المتوكل على
ربه وقيل ليس له حجه عليه وقال بعض العلما في الايه دلاله على ان
الصرع ليس من جهه الشيطان وقال غيره لا بد لقول الله الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان من المس وقوله جل اسمه انما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون معناه انما سلطان الشيطان على الذين يتولونه

يتولونه فيطيعونه الى ما يدعوهم اليه وسلطانه على الذين هم به مشركون
وساير والذين هم بطاعته فيما يدعوهم اليه من عباده الوثن مشركون
فلما كان من اطاعه فيما دعاه اليه من عباده غير الله مشركا كان به مشركا
وهذا من الاخبار الحسن وقيل فيه وجه اخر وهو ان يكون الكنايه التي في
به راجعا الى اسم الله فيكون معناه والذين هم بالله مشركون وقوله جل اسمه واذا
بدلنا ايه مكان ايه والله اعلم بما ينزل معناه واذا نسخنا حكم ايه والحكم
ايه اخرى لما في المعلوم من المصلحه وهو معنى قوله والله اعلم بما ينزل وقوله
قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون معناه قالوا انك كاذب فيما تدعيه
من ايه من عند الله بل اكثرهم لا يعلمون ما في ابدال الايات من المصالح والمنافع
وقوله تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى
وبشرى للمسلمين معناه قل لهولا المنكرين الذين ينسبوك الى الافترا
انما انزل على هذا القران روح القدس وهو جبريل عليه السلام من عند الله تعالى
بالحق ويشيد الخلق ليثبت قلوب المومنين بما نزل به بعد ايه وابدال
ايه اخرى والقران دلاله وبشاره للمسلمين والقران وان كان دلاله
لجميع المكلفين فخص المسلمين الذكر تشريفا لهم لاستبشارهم والتدلالهم
وقوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر معناه والله يعلم
ان هولا الكفار الذين تقدم ذكرهم يقولون ان هذا القران علمه محمد
بعض العجم وهذا تسليه للنبي صلى الله عليه وقيل الرجل الذي اشاروا اليه كان رجلا
تعالى له بطعامه وقيل اشاروا الى سلمان الفارسي رضي الله عنه وقوله تعالى
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اصل الالحاد
الميل عن الصواب والتاويل للذي يميل من الحق في اثبات الصانع الى التعطيل
ملحد من هذا الوجه ومعنى الايه ان لسان الذي يميلون اليه القران

بانه يعلم محمدًا الاعجمي وهذا القران بلسان عربي مبين ظاهر وقيل
للقران انه لسان العرب كما يقال القصيدة هذه لسان فلان
وقوله تعالى ان الذين لا يومنون بايات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم
معناه ان الذين لا يومنون بايات الله لا يهديهم الله يوم القيمة الى طريق الجنة
ولا الحكم لهم حكم المهتدين وقوله جل اسمه انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله
واولايك هم الكاذبون معناه من لم يكن مومنا يفتري الكذب
لانه لا يزدجر عن ذلك الايمان فهو الذي يفترون عليك يا محمد لا انت لانهم
وهم الكاذبون عليك فيما ادعوا وقوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه
الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان وفيه محذوف وتقديره من كفر بالله
من بعد ايمانه فعليه غضب من الله الا من اكره على الكفر فاظهره للتقية
وقلبه مطمين بالايمان وموضع من كفر رفع بدل عليه خبر الثاني وهو
فعليه غضب من الله ومثاله في اللغة كقول القايل من ياتنا ومن يحسن
نكرمه بجواب الاول محذوف وقد كفى منه الثاني وروي ان الاية
نزلت في عمار بن ياسر رحمة الله عليه اسرته الروم فاكرهوه على اظهار
القول بان الله ثالث ثلاثة ففعل ذلك بلسانه وقلبه مطمين بالايمان فدلت الاية
على جواز التقية وقوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم معناه ومن كفر بعد
ايمانه متعمدا مستحبا للكفر على الايمان عن عمد نفسه وعدد فعليه غضب
الله واعد الله له عذابا عظيما وقوله تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين بين الله تعالى
ان استحقاقهم الغضب من الله لاجل انهم اختاروا الحيوة الدنيا
ولذاتها على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين فباعوا

الاخرة بالدنيا والله تعالى لا يهديهم ويمنع الهداية عنهم نفيا مطلقا وان
كان الله تعالى قد نصب لهم الادلة على ما يوجب عليهم معرفته لانهم لما لم يستدلوا
بتلك الادلة ولم ينتفعوا بها فكانها لم تكن ولان الله لا يجوز في حكمه ان يهديهم
يهدي المومنين من الثواب والمدح ولا يهديهم الى طريق الجنة في الاخرة
وهو الثواب ولهذا اما عم النفي وقوله جل اسمه اولايك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم واولايك هم الغافلون قد مر بيان الختم والطبع
في غير موضع ومعناه ان الله تعالى انما يفعل عقوبة وجزاء كما قال تعالى بل طبع
الله عليها بكفرهم فلا يومنون الا قليلا ووصفهم الله تعالى بالغفلة وان كانت
الخواطر ترد عليهم بان يحثهم الى النظر الا انهم اعرضوا عن النظر وعن
قبول ما يورده الخاطر فصارت منزلتهم منزلة الغافلين فوصفهم بذلك ذما
لهم وتوبيخا وقيل وصفوا بذلك لجهلهم وان كانت الخواطر ترعجهم الى النظر
وقوله جل اسمه لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون قد تقدم معنى لا جرم
وحقيقته في اللغة في غير موضع وفي هذه السورة خاصة ولا وجه لاعادته
وانتصب انهم بمعنى لابد لهم في تقدير لابد من ذا ونحو تقديرا حق على معنى حرم
فعلهم ان لهم النار اي قطع بذا ولا واصل لهم ان يكون رفعا على معنى قطعا
ان لهم النار ولا صلة لمقدار الكلام وقوله جل اسمه ثم ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم
معناه من هاجر المعصية وهاجر اعداء الله من بعد ما فتنوا في دينهم بمعصية
كانت منهم وجاهدوا وصبروا على الجهاد وعلى الطاعة فان الله يغفر لهم
ودلت الاية على انهم فتنوا في دينهم بمعصية كانت منهم لان الله قال تعالى ان
ربك من بعدها لغفور رحيم وقوله جل اسمه يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
وتوفى كل نفس ما عملت معناه يوم القيمة تاتي كل نفس تجادل اي هذا يكون عند

الحساب يسالهم الملك باذن الله تعالى ما فعلوه فيقول قوم والله
ربنا ما كنا مشركين ويقول اتباع الرؤساء هؤلاء اضلونا ويتبرا
المتبوعون من التابعين كما حكى الله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب ۝ وقيل معنى
تجادل عن نفسها تحتج عن نفسها بما تعتذر به ان [?] العذاب بما [?] لعظم
لتأسفها ما اسلفته وقوله تعالى وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ۝ معناه
تجازى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ۝ لا يظلم ربك احدا بان ينقص من جزائه
شيا او يزيد على مستحق عقابه او يعاقب من لا يستحق العقاب بما عمله
وقوله جل اسمه وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها
رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله ۝ قد وردت في الروايات انها
اهل قرية اهلكهم الله بكفرهم بالرسول المبعوث اليهم وقيل هو محمد صلى الله عليه
وقيل هو لا اهل مكة لانهم كانوا على خلاف ما كانت عليه العرب وكانوا امنين من
ان يغير عليهم الجيوش غير محتاجين الى الانتجاع لان ارزاقهم كانت تاتيهم من
جهة البر والبحر وناحية الشام واليمن فلما جاءهم رسول صلى الله عليه
كفروا به واخرجوا المومنين من ديارهم دعا عليهم الله بان ينزل بهم القحط
الامن الخوف تسلط عليهم من سرايا المومنين وابتلاهم بالجدب في القحط سبع سنين
حتى اضطروا الى اكل القد والعهن وهو الصوف المخلوط بالدم وهو معنى قوله
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ۝ وقيل انعم جمع نعمة
وقيل انعم جمع نعم كما يقال ايام طعم ونعم ومثله ۝ وقيل انعم جمع نعماء
كما قالوا باساء وابوس وانما لباس الجوع ما ظهر عليهم من الهزال وشحوب
اللون مما صار لباسا للسواد وقوله تعالى ولقد جاءهم رسول منهم
فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون من جعل الاية الاولى على هلاك

اهل مكة قال ان العذاب الذي اخذهم كان عذاب الاستئصال كما
فعل بعاد وثمود فيكون معنى فاخذهم العذاب وهم ظالمون اخذهم
عذاب الاستئصال ومن قال ان المراد به اهل مكة جعل العذاب النازل
بهم القحط والخوف وفي ذلك الاية على ان الله تعالى قد يعاقب ضربا
من العقاب في دار الدنيا على الكفر والمعصية كما قد يثيب ضربا
من الثواب على الطاعة والايمان وهذا دليل في جواز تقديم بعض العقاب
وبعض الثواب وفيه دليل على ان الثواب والعقاب يستحقان بالعمل وقوله تعالى فكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ۝ امرهم
الله تعالى بان ياكلوا من الحلال الطيب ويجتنبوا عن الحرام وان يشكروا
نعمة الله ولا يكفروها ان كانوا عابدين لله مخلصين وبين ان التمسك
بالحلال دون الحرام وان شكر النعمة من شرط الاخلاص لعبادة الله
وقوله جل اسمه انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله
به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ۝ لما زجر العباد عن الحرام
عدد عليهم بعض ما حرم عليهم وقد مر بيان جميع ذلك في سورة البقرة في
قوله انما حرم عليكم الميتة والدم الاية فلا وجه لاعادته وقوله جل اسمه ولا
تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على
الله الكذب ۝ قيل انما نصب الكذب لانه مفعول به وما بمعنى المصدر
والتقدير ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
وذلك اشارة الى ما قالوه في السائبة والوصيلة بين الله تعالى
ان الذي حرموه وحللوه واضافوا ذلك التحريم والتحليل الى الله كان
ذلك افتراء وكذبا على الله ونفى الله عن نفسه جعل السائبة والبحيرة
ولم ينف خلق الابل والغنم وانما ذلك نفي ما اضافوه اليه من تحريم ما حرموه

وتحليل ما حللوه وبين انهم كذبوا على الله به ونهاهم في هذه
الآية عن الذي تصف ألسنتهم من التحليل والتحريم وبين انهم
يفترون على الله الكذب فدلت الآية على بطلان قول من يقول ان
افعال العباد مخلوقة وقوله جل اسمه ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون ۝ متاع قليل ولهم عذاب اليم ۝ معناه ان الذين يكذبون
على الله لا يظفرون بما يظفر به الصادقون على الله ولهم متاع
قليل في الدنيا ثم يضطرهم الى عذاب النار وبئس المصير وقوله تعالى
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ۝ وهو قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الى آخر الآية وبين انه تعالى ما ظلمهم بتشديد التكليف
عليهم وانما ظلموا انفسهم لانهم فعلوا ما استحقوا ذلك لاجله
وقوله جل اسمه ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد
ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ۝ معناه من عمل
السيئات بدواعي الجهل اليها ثم تابوا من بعد ذلك منها فان الله
تعالى يقبل توبتهم ويغفر ذنوبهم ان الله غفور رحيم وقوله تعالى
ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ۝ بين تعالى
ان ابرهيم عليه السلام كان امة ومعناه قدوة يقتدى به في الدين
ويتعلم منه الخير وقد بينا فيما تقدم في غير موضع حقيقة لفظ الحنيف
واشتقاقه في اللغة ما يستوي واستعماله في العرف فلا وجه لاعادته
وقوله جل اسمه شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم ۝
معناه وكان ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم شاكرا لله على
جميع ما انعم به عليه واختاره الله تعالى واصطفاه وهو معنى قوله

واجتباه ودله على الدين لطفا له وهو معنى قوله وهداه
وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ۝ قيل الحسنة
هاهنا النبوة ۝ وبين تعالى ان ابرهيم عليه السلام في الآخرة لمن الصالحين
قيل انما ذكر في الصالحين وان كان في اعلى مراتب الصالحين للترغيب
في الصلاح ومدح من هو من الصالحين وقوله جل اسمه ثم اوحينا اليك
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ۝ معناه ثم اوحينا
اليك يا محمد ان اتبع ملة ابرهيم فانه كان حنيفا ولم يك من المشركين
كما ادعا عليه اليهود والنصارى انه كان منهم وقد مر بيان
نظيره في سورة آل عمران وغيرها وقوله جل اسمه انما جعل السبت على
الذين اختلفوا فيه ۝ اوجب الله تعالى عليهم العبادة يوم السبت
ونهاهم فيه عن الاشتغال بالاعمال التي كانوا يشتغلون بها في غير يوم
السبت وكان اختلافهم في السبت اختلافا مجهولا لا دليل عليه حتى
قال بعضهم هو اعظم الايام حرمة لان الله تعالى خلق الاشياء فيه وقيل
اختلافهم فيه عدولهم عما امروا به من تعظيم الجمعة الى السبت وقيل انما
جعل السبت لهم بالمسخ لانهم اعتدوا فيه وقوله جل اسمه وان ربك ليحكم
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ۝ معناه ان الله تعالى يحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون كما يحكم في سائر ما لهم وعليهم
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي
هي احسن ۝ امر الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يدعو الناس الى دين
الله على وجه الرفق والمداراة والتلطف واذا جادلوه في خلافها
يدعوهم اليه بين لهم طريق معرفة التوحيد واراهم بطلان ما هم عليه
بوجه حسن بارفق ما امكن والطف لئلا ينفروا ويعرضوا عن النظر

فما بين لهم وفي الاية تعليم حسن لطف نفعه الاستدعا الى
دين الله لانه احب ان يكون الاستدعا بستر وتا رفق ولين ولطف
وقول حسن وقوله تعلى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين ٥ معناه والله اعلم باحوال العباد من الذي ضل
ومن الذي اهتدى فليس عليك الا البلاغ الى الله على احسن الوجوه
وفيه ضرب من تسلية النبي صلى الله عليه واله وسلم وقوله تعلى وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ٥ معناه واذا اردتم معاقبة
من فعل ما استحق المعاقبة فعاقبوا بمثل ما عاقبوكم به من غير زيادة
وروى ان سبب نزول هذه الاية ان المشركين لما مثلوا
بقتلى احد مثل ما فعلوا بحمزة عليه السلم وبالانصار تشفيا
مما نال اصحابهم يوم بدر فقال المسلمون لئن ظفرنا الله عليهم لنفعلنا
بهم اعظم ما فعلوه فانزل الله الاية فبين ان من فعل بغيره شيا
مثله كان او غيره واراد التشفي منه فلا يجوز له ان يتجاوز عما
ناله وفعل به ثم ندب العباد الى الصبر بقوله تعلى ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين ٥ معناه ولئن صبرتم ولم تعاقبوا فهو خير لكم فان الله يعظم
اجر الصابرين ٥ وقوله تعلى واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن
عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ٥ امر الله تعلى نبيه وجميع المسلمين
ان يصبروا على ما ينالهم من الاذى والضرر بسبب دين الله ثم بين ان
من صبر على طاعة الله فان صبره لا يكون الا بتوفيق الله ولطفه وتسهيله ٥ وقد
بينا معنى اللطف والتوفيق والتسهيل والتخلية في غير موضع فما تقدم ٥ وبينا ان
فعل اللطف لا يكون مقصورا على حكم القادر وانما يتعلق فعله بان يكون معلوما
في حال المكلف فاذا علم الله تعلى ان العبد يفعل شيا من الحسنات

الواجبة عليه او يترك قبيحا اذا فعل لطفا وجب فعله وهو التوفيق لانه
فعل يوافق فعل العبد وقد يكون بعض الالطاف جزاء على العمل كما قال
تعلى والذين اهتدوا زادهم هدى وقال ومن يومن بالله يهد قلبه
فهذه الهداية لطف من شرح صدره وزيادة نشاط لا حله في الطاعة
ولهذا اختص الالطاف بالمطيعين ويعرض عنه العصاة ويكون ذلك خذلانا
لهم وضيق صدر فهذا معنى قوله وما صبرك الا بالله وليس معناه ما ذهب
اليه الجهال لانه لا يقدر على فعل الصبر وان الله تعلى يخلق الصبر في قلبه
مع القدرة عليه وكيف يجوز ان يامر العبد بفعل ما الله فاعله
وقوله تعلى ولا تك في ضيق مما يمكرون ٥ من العلما من ذهب الى ان
الكناية راجعة الى الشهدا فعلى لا تحزن عليهم فان الله قد اجزل لهم
الثواب ورفع لهم الدرجات ومنهم من ذهب الى ان الكناية راجعة الى
المشركين فسلاه بان قال له لا تحزن عليهم ولا عراضهم عن الايمان وعن قبول
ما تدعوهم اليه ولا يضق صدرك بمكرهم وايذائهم فان الله يكفيك والمسلمين
مكرهم وقوله تعلى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ٥
معناه ان الله معين المتقين وناصرهم وكافيهم ما يحزنونك وروى ابي بن
كعب عن رسول صلى الله عليه واله وسلم انه قال من قرا سورة النحل لم
يحاسبه الله بالنعم التي انعم الله عليه في دار الدنيا واعطي في الاخرة
من الاجر كالذي مات واحسن الوصية ٥ ٥

السورة التي يذكر فيها بنو اسرائيل مكية مائة واحد عشرة اية
والف وخمسماية وثلاث وثلثون كلمة ٥ وستة الاف واربعماية
وستون حرفا ٥

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز اسمه** سبحان الذي أسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله
لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ٥ سبحان تنزيه لله تعالى من القبائح
والفواحش والسوء وهو كلمة تعظيم لا يصح لغير الله ٥ ولا ينصرف
سبحان في العربية كما لا ينصرف غيره من المصادر لانه يظهر على
مراتب التعظيم مع معنى البراءة من كل صفة نقص فكان هذا المعنى
لا يكون الا لله فلزم منهاجا واحدا على هذا المعنى ٥ والسُّرى سير
الليل يقال سرى يسري واسرى به اسراء اذا سار به ليلا
وقيل انما قال ليلا لان المراد به بعض الليل وهو على تقليل وقت الاسرا
والذي يوضح هذا ان هذا في قراءة حذيفة وعبد الله من الليل فاسري
بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى مسجد بيت المقدس ٥ وروي
انه كان تلك الليلة في بيت ام هانئ بنت ابي طالب والحرم كله مسجد فلهذا
قال من المسجد الحرام وان قال اسري من بيت ام هانئ وهذه الرواية
من ام هانئ ٥ وقيل كان النبي صلى الله عليه واله في المسجد الحرام فاسري
به الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وهو مسجد سليمان بن داود
عليهما السلام ثم اسري منه الى السماء في رواية اهل البيت عليهم السلام
ورواية اكثر الامة والذي يصحح هذه الرواية قوله تعالى والنجم اذا
هوى الى قوله الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى الى قوله لقد رأى
من آيات ربه الكبرى ٥ وكان رأى تلك الليلة جبرئيل صلى الله عليها
مرتين على تلك الصورة التي خلقه الله عليها مرة بالافق الاعلى ومرة عند
سدرة المنتهى ٥ ووردت اخبار صحيحة في هذا الباب توافق مضمون
هذه الآيات ٥ وترك المعراج لا وجه له لانه ليس فيه اكثر من نقض العادة

وهو مثل قطع مسافة شهر في بعض من الليل ٥ وروي ان النبي صلى الله
عليه واله وسلم صلى المغرب في المسجد الحرام ثم اسري به الى بيت
المقدس ٥ وفي رواية اهل البيت عليهم السلام انه عرج به الى السماء وصلى
الصبح في المسجد الحرام فلما اخبر به المشركين كذبوه وانكروا ذلك ٥
قوله تعالى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ٥ قيل
معنى باركنا بالثمار ومجاري الانهار التي يكون منها الخصب والسعة
وقيل باركنا حوله لمن جعلنا حوله من الانبياء والصالحين ولهذا جعله مقدسا
فتلك المواضع مواضع عباداتهم ومعنى لنريه من آياتنا من العجائب التي
فيها الاعتبار للمعتبرين ٥ **ورد في الخبر** انه رأى تلك الليلة الانبياء
عليهم السلام حتى انه وصفهم واحدا واحدا كان احد المعجزات كانت
له تلك الليلة كثيرة احدها ان المشركين لما كذبوه فيما كان يخبر به جعلوا
يسألونه عن احوال بيت المقدس وما كان رآه في طريقه مما لم يعرفونه
فكان صلى الله عليه يصفهم شيئا شيئا ثم اخبرهم انه وجد في طريقه
قعبا مملوا ماء وكان عطشا فشرب الماء ثم غطاه كما كان ووصف
لهم ايضا احوال ابل كانت لهم في طريق الشام تحمل المتاع ثم قال
لهم انها تقدم عليكم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق
فقعدوا ذلك اليوم مستقبلين لها فقال قائل منهم هذه والله الشمس
شرقت ولم تأت الابل فقال آخر هذه والله العير يقدمها جمل اورق
كما قال محمد ٥ ومعنى انه هو السميع البصير سميع اقوالهم التي يقولونها
ويعلم افعالهم ولا يخفى عليه شيء **قوله تعالى** وآتينا موسى الكتاب وجعلناه
هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ٥ قيل المراد بالكتاب
التوراة هاهنا جعلها الله دلالة لبني اسرائيل وسماه الله

عن ان يجعلوا شريكا مع الله ۵ والمراد بالوكيل ها هنا الشريك
وقيل لا يجدوا وكيلا يعني حافظا لهم ربا قاهرا وقوله تعلى
ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ۵ قال بعض
النحويين انما انتصب ذرية على معنى الندا وكانه قيل يا ذرية
من حملنا مع نوح وهذا الندا انما كان في الحال ولم يكن من المكلفين
على ما يصح ويجوز من بلوغ اليهم وبنو اسرائيل من ولد سام
بن نوح عليه السلم الذي كان معه في السفينة ۵ وقوله انه كان
عبدا شكورا الضمير الذي فيه يرجع الى نوح عليه السلم ومعناه
ان نوحا عليه السلم كان عبدا شاكرا كثير الشكر قائما
بعبادة الله تعلى وقوله تعلى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ۵ معنى القضاء ها هنا
الاخبار ۵ اي اخبرنا بني اسرائيل واعلمناهم انهم يفسدون في
الارض مرتين ويعلون ۵ ولفظ القضاء في اللغة يتصرف على
وجوه واصله فصل الامر على احكام يقال قضى بمعنى حكم
ومنه اسم القاضي ويقال قضى حاجته قضاء اذا بلغ مناه ويقال
قضى نحبه اذا مات ۵ ومنه قوله تعلى فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر ۵ ويقال قضى بمعنى امر ومنه قوله تعلى وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه يعني امر واذا كان الفعل قد جرى في الصفة
بالى فيقال قضى اليه يكون معناه اخبر واعلم كما قال في هذه
الاية وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب مرتين ويقال قضى
بمعنى خلق كما قال تعلى فقضاهن سبع سماوات في يومين معنى
خلقهن فاذا كان هذا اللفظ متصرفا على هذه الوجوه فمن قال

ان المعاصي بقضاء الله يجب ان يسئل عما اراد بهذه الوجوه
ليبين وجه الخطا من وجه الصواب فان قال اريد بقولي
انها بقضاء الله انه خلقها فقد قام الدليل على ان الله لا
يخلق افعال العباد ۵ وان قال اريد انه امر بها فقد اجمع المسلمون
على ان الله لا يامر بالمعاصي وعليه نص الكتاب بقوله ان
الله لا يامر بالفحشاء وان قال اريد انه حكم بالمعاصي فان الله تعلى
لا يحكم بالباطل وانما الحكم بالحق وان قال اريد ان لله حكما
بالمعاصي بان يحكم على العاصي بان يوعده به وهذا لا يعدو ان
يكون صوابا ۵ وان قال اريد وجها غير هذه الوجوه مثل ان يقول
قضاها بمعنى علمها لم يكن متكلما بلغة العرب ۵ فان قال
اريد به انه اخبر بان هذه المعاصي يكون ويفعل فهذا لا يعدو
ان يكون صوابا وان قال اريد به غير هذه الوجوه مثل ان يقول
قضاها بمعنى علمها فقد مضى جواب ذلك ومعنى الاية انا اخبرنا
بني اسرائيل انهم يفسدون في الارض من ظلم العباد والجور
والتغلب على الاموال وسبي الاولاد مرتين ۵ وسقطت الواو
من الجمع في لتفسدن ولتعلن لدخول نون التوكيد وقوله تعلى
فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا
خلال الديار وكان وعدا مفعولا ۵ معنى جاسوا اي ترددوا بين
الديار وتخللوا بين الدور ومنه قول حسان بن ثابت
ومنا الذي لاقى بسيف محمد فجاس به الاعدا عرض العساكر ۵
معناه تخللهم بسيفه واراد به عليا عليه السلم وقيل اصل الجوس
طلب الشيء باستقصاء ومعنى الاية ان الله تعلى اخبر بانهم يفسدون

مرتين فقال اذا جاء وعد المرة الاولى واظهرتم الفساد بعث
الله عليكم عبادا من خلقه وهم ناس اولوا باس شديد لكثرتهم
وقوتهم وكثرة اسلحتهم والتهم يغزونكم ويغلبونكم ويدخلون
دياركم ويستولون على اموالكم وهذا امر كائن لا محالة وهو
معنى قوله انه كان وعدا مفعولا ٥ وقيل يحتمل ان يكون معنى
بعثنا امرناهم بغزوكم لمعصيتكم وغزوكم باذن الله هذا
الوجه اجاب بعض العلماء الكبار وقيل المبعوث عليهم في الكرة
الاولى هو جالوت الى ان قتله داود عليه السلام ومن ذكر هذه
القصة في البقرة او وقيل المبعوث عليهم بخت نصر
وقيل كان العمالقة وكانوا كفارا فعلى هذا الوجه يحتمل ان
يكون معنى بعثنا عليكم خلينا بينكم وبينهم حتى صرتم مخذولين
بمعصيتكم الله تعالى فلم نمنعهم ولم نحرسكم كما غلبناهم وخوفناهم
حتى كنتم مطيعين لله ٥ والوجه الاول امر المسلمين بالغزو ٥
والوجه الثاني التخلية بين الكفار وبين بني اسرائيل ونفس
خذلان لبني اسرائيل وعلى هذا الوجه انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين تؤزهم ازا ٥ اي خلينا بينهم وبينهم خاذلين
لهم وقوله عز وجل ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ٥ معناه بعثكم عليهم
بعد ان غلبوكم وجعل لكم الكرة عليهم في الغنيمة ورزقكم
اموالا واولادا ذكورا وجعلكم اكثر عددا ينفرون ٥
وهو معنى قوله اكثر نفيرا وقال بعض اهل اللغة يجوز ان يكون
نفير جمع نفر وهو معنى قوله اكثر نفيرا وقال نفير جمع نفر

كعبيد وعبيد فعلى التاويل الاول وهو ان الذين بعثوا عليهم كانوا
مطيعين لله تعالى يحتمل ان يكونوا اذا تولوا عن طاعة الله وزالوا
عنها فسعد وجدالهم فاظهر الله عليهم هولاء وعلى التاويل
الاخير يحتمل ان يكون بنو اسرائيل اصلحوا وتابوا ورجعوا
الى الطاعة او اطاع الله بعضهم فظفروا باعدائهم بلطف الله
وحسن معونته وان كانوا اعداؤهم ما زالوا ظالمين ولسن الجبيره
يعلونها من الاعتين على الوجه الذي بعثنا باولهما وقوله تعالى
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها ٥ معناه ان
احسنتم واطعتم فلكم جزاء الطاعة والاحسان وان
فعلتم الاساءة وعصيتم واساتم الى انفسكم للزوم العذاب
عليها وانما قيل بدل فعليها فلها لتقابل اللفظ كما قال احسن
الى نفسه مع انه جزاء وقيل لا اضافة يقع بعضها موقع بعض وقوله تعالى
فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم ٥ جواب اذا
محذوف وتقديره فاذا جاء وعد المرة الاخرة جاءوا ليسوءوا
وجوهكم ٥ وقيل المحذوف بعثناهم ليسوءوا وجوهكم لانه
قال في ابتداء الاية لتفسدن في الارض مرتين الاولى يكون كذا
والمرة الثانية يكون كذا ٥ ومعنى ليسوءوا وجوهكم اذا جاء
ذلك الوقت وغزاكم اعداؤكم ليسوءوا بذلك اليكم ويظهر
اثر ذلك السوء في وجوهكم وقوله جل اسمه وليدخلوا المسجد كما
دخلوه اول مرة ٥ معناه وليدخلوا بيت المقدس في المرة الثانية
كما دخلوه في المرة الاولى فدل ذلك على انهم سيدخلون المسجد
مرتين ويخرجونهم منه ويغلبونهم على ديارهم على ديارهم

قوله تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا ٥ التتبير الهلاك والعلو الغلبة ٥ معناه
وليهلكوا ما غلبوكم عليه من دياركم واموالكم فعلى التاويل الاول
الذين غزوهم مطيعين لله كانت هذه اللام لام كي اي لكي يهلكوا
ما غلبوكم عليه وعلى التاويل الاخير كانت اللام لام العاقبة
على تقدير غزوكم اعداوكم ان جلسا بيتكم وبينهم خذلانا
لكم وتكون عاقبة امركم الاساءة من جهتهم ودخول المسجد
قهرا واهلاك ما غلبوكم عليه وليس للمجبرة تعلق بشيء في
هذه الايات اذا ضبط التاويل على الوجه الذي بيناه
عسى ربكم ان يرحمكم ٥ وعدهم الله تعالى انه يكشف عنهم
ما نزل بهم اذا تابوا وقوله تعالى فان عدتم عدنا ٥ معناه وان عدتم الى
مثل ما كنتم عليه من المعصية عدنا الى دفع النصر عنكم والقاء الرعب
في قلوب اعدائكم من الهيبة ليستجروا عليكم وقيل انهم عادوا
فبعث الله عليهم المومنين يذلونهم بالجزية والمحاربة ما داموا
متمسكين بما هم عليه وقوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ٥
محبساه وقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم واولى
ويبشر المومنين ٥ معناه ان هذا القران يهدي ويدل على
الديانة التي هي اقوم واولى بالاستقامة من غيرها وهي الاسلام
وقوله تعالى ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم
اجرا كبيرا ٥ معناه وفي القران بشارة للمومنين بان لهم الثواب
الجزيل على ايمانهم وطاعتهم وقوله تعالى وان الذين لا يومنون بالاخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما ٥ قيل انما انتصب وان ههنا للعطف بها
على ان التي في الاية الاولى لانهم بشروا بان لهم من النعيم وبالعقاب

الذي لاعدائهم ٥ وقيل فيه وجه انه انتصب لحذف اللام على تقدير
ولان الذين لا يومنون بالاخرة عذابا اليما كما انه اعد للمومن
الثواب الجزيل وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير
وكان الانسان عجولا ٥ اي مستعجلا لا يصبر على ما لحقه ٥ وقيل
معناه ويطلب الانسان ما هو شر له لتعجل الانتفاع له بدعائه
بالخير ٥ والذي يوضح هذا قوله وكان الانسان عجولا ٥ وقيل
معناه ويدعو الانسان على نفسه وعلى ولده بالشر عند الغضب
والضجر مثل ان يقول اللهم العنه واهلكه فيسرع الى الدعاء عليه
كما يسرع الى الدعاء عند حال الرضا ٥ وانما يكون هذا جاهلا
لانه ضجر عجول فعليه زجر عن الدعاء بالشر ٥ وقيل عجولا على طبع
ادم عليه السلام لما روي انه لما نفخ فيه الروح وبلغت الى ركبتيه رام
النهوض قبل ان تجري الروح في رجليه عاما وقوله جل اسمه وجعلنا
الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا
فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ٥
معناه ان الله تعالى جعل الليل والنهار دلالتين على وحدانيته وعدله
وحكمته والليل والنهار يتعاقبان ~~جعل الليل والنهار دالتين على~~
مقدارا مقدرا وعجز القادر عن فعل مثله فدل ذلك على قدرة قادر
وتدبير قاهر لا يشبه القادرين ولا يعجزه شيء واخبر انه محا اية الليل
وهي الظلمة لانه لا يستبان فيها شيء كما لا يستبان بالكتابة الممحوة ٥ وقيل
المحو السواد الذي في القمر وقوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة
معناه مضيئة للابصار ٥ وقيل معنى مبصرة جعلنا اهله بصراء فيه
وهذا كما يقال رجل مخبث اذا كان اصحابه خبثاء ومنه قيل اعوذ بالله

من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ٥ وكذلك
مبصرة معنى ان اهله يبصرون فيه ك ومعنى لتبتغوا فضلا من ربكم
لتطلبوا من الله الفضل والنعم والسعة ٥ ويعني ولتعلموا عدد
السنين والحساب لتعلموا ما جعل الله من اية الليل والنهار عدد
السنين كم مر منها وكم بقي ويتعلق بذلك كثير من الاحكام في المبايعات
والمعاملات وحساب الاشيا ونهاية الاجال في الديون وما جرى مجراها
ومن تعلى بان فصل كل شي يحتاج عباده الى تفصيله فبينه لهم ودلهم
عليه **وقوله تعلى** وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ٥ معناه
وكل انسان نلزمه الزمناه جزا عمله في عنقه وذكر العنق
من بين الاعضا لانه قد يعبر به عن جملة الانسان كما قال تعلى فتحرير رقبة
مومنة ٥ ومعناه نسمة مومنة ٥ وقيل وكل انسان الزمناه عمله من خير
او شر ودل بلفظ الطاير على طريقة العرب لانهم كانوا يتيمنون
بالطاير اذا جا من ذات اليمين ويتشامون به اذا جا من ذات الشمال
فجعل ذلك عبارة عن الخير والشر ٥ وقيل طايره هو ما صار اليه من
عمله وقيل يلزم الانسان طايره في عنقه الحكم كالطوق في
عنقه لما في بطون هذه من الداعي الى الصلاح والزاجر عن الفساد ٥
وقوله تعلى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا ٥ معناه ونخرج
له يوم القيمة كتابا كتب فيه عمله يقرأه فيحتج عليه بما قد ذكره وما نسيه
ملاهذه الحجة ويستحق ما ناله انما ناله على وجه الاستحقاق **وقوله عز وجل**
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ٥ معناه يقال له يوم القيمة اقرا
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك محتسبا بما كسبت من عملك من خير او شر
وقد انصفك من جعلك حسيبا على نفسك بعملك ٥ وقيل حسيبا شهيدا

وهذه الاية غاية الورود بالتخويف ولو لم يكن في القران في باب
التخويف سواها لكفى **وقوله تعلى** من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها ٥ معناه من يمشي بطاعة الله
وسلك طريقة الهداية فلنفسه اجتهد ولنفسه احرز
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ٥
ومن ضل عن دين الله ولم يسلك طريق الهداية طاع عن اوامر الله
وظلم نفسه بما فعل من الكفر والمعصية حتى رهنها بعذاب دايم
لا انقطاع له ولم يخطر على قلب بشر الوانه وضروبه **وقوله تعلى**
ولا تزر وازرة وزر اخرى ٥ معناه والله لا ياخذ احدا بجرم
غيره وقيل فيه وجه اخر وهو انه لا يجوز لاحد ان يفعل الاثم لان
حمله غيره وهذا الوجه بعيد **وقوله تعلى** وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا ٥ معناه ولا يعذب الله احدا الا بعد اكمال عقله وارسال
رسول اليه لان الحجة تلزمه من هذين الوجهين من جهة العقل ومن
جهة السمع فاذا لم يكمل عقله لم يلزمه حجة العقل واذا لم يبعث
الله رسولا لم يلزمه حجة السمع فاذا ازاح العلة في كلتيهما الزمته
الحجة من كلي الوجهين فمن صادف ما اوجبه العقل وبعد ما حده السمع
استحق العقاب بفعله القبيح وفادت الاية عن امرين عظيمين ٥ احدهما
ان الله تعلى لا يجوز في حكمته وعدله ان ياخذ احدا بجرم غيره
والثاني انه لا يعذب احدا الا بعد لزوم الحجة عليه ٥ وجاده
عن طريق الحجة فدلت الاية على بطلان قول المجبرة في ان الله يعذب
اطفال المشركين لشرك ابايهم مع اقرارهم بان الله تعلى يقول الله
لا ياخذ احدا بجرم غيره وهو قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى

وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومعلوم ان الطفل
لم يلزمه حجة العقل ولا حجة السمع ومن يمكنه السمع البصيرة وهو كان
العمى معمى بصيرته ولا حيلة فيه **وقوله تعالى** واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا
مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ٥ اصل المترف
المتطرف في النعمة من وسع الله عليه النعمة فبطر فيها مترفوها وهذه الاية من
جملة المتشابهات التي لا يعرف مراد الله بظاهرها لانه لو تعلق
متعلق بظاهرها لكان واصفا لله تعالى بصفة اشبه الماكرين
الذين لا يبالون بما صنع بهم من افعالهم وان كان خارجا عن مقتضى العقل
وواقعا على وجه السفه او العبث كما نقول من هذه صفته اذا اردت
ان استولى على ملكك بعض حدك واعرب بما هو شنعه وبما اريد سلب
ذلك منه من غير علة واردت هلاكه وقتله مع ملكك واصرفه في
اموري ولا امكنته من كمال التصرف لضرب من الحيلة من غير ان يظهر
لسائر حدثي لك اخذه بعلته وان كانت داحضة فاعزله عن
ملكه ثم اقتله ومن تاول الاية على ان الله تعالى اذا اراد
اهلاك اهل قرية امر البطرين منهم ان يفعلوا ما علم انهم لا
يمكنون منه ثم ياخذهم بالعذاب بضرب من العلة ولئن يفعل
ذلك لانه الملك والرب ولا يسال عما يفعل فقد وصف الله صفة الفراعنة
المتمردين الجبابرة السفهاء واذا بطل هذا الوجه وعلى النظر
في تاويل الاية لتاول على ما دل الدليل عليه وقد دل الدليل على
ان الله لا يعذب ولا يهلك من لا يستحق العذاب والهلاك ولا
يكلف العبد ما لا يطيقه ولا يامر بالقبيح ولا يجوز في حكمته ان
يواخذ العبد بما يعلمه من حاله من غير وجود ذلك المعلوم
من جهته فاذا صحت هذه الجملة كان تاويل الاية والله اعلم

من جاز اهلاك قرية انهم يستهلكون بما يفعلونه من المعاصي امرنا مترفيها
وقد يقرأ امرنا بالتشديد ومعناه جعلناهم بمنزلة الملوك والامرا
في اموالهم وعبيدهم بان نرزقهم ذلك فلذا عصوا وفسقوا وبطروا
وتجبروا اخذناهم بالعذاب الذي علم الله انهم يستحقونه بجرمهم
وعلى هذا الوجه صار ذكر الارادة مجازا او صار بمنزلة قول القائل
اذا اراد المريض ان يموت اشتدت امراضه واذا اراد التاجر
ان يفتقر اتته الوصايع من كل جهة وهو لا يريد ان يفتقر ولم
يصح هذا الوجه لم يكن لقوله تعالى ففسقوا فيها لانه ان اراد الله اهلاكهم
من غير استحقاق لم يكن لذكر الفسق الذي لا يستحق العذاب معنى
وكذلك لم يكن لقوله فحق عليها القول فدمرناها تدميرا معنى وحاشى
كلامه عن ذلك التدمير الاهلاك ومن قرأ امرنا بغير التشديد كان
معناه وجه اخر وهو انه اذا اردنا الحكم باهلاك اهل قرية امرنا مترفيها
على لسان رسول بعثناه اليهم ان يطيعوا الله فاذا عصوه حق عليهم
القول الذي اردناه باهلاكهم ٥ ومثل هذا من الكلام الفصل
من الخصوم امر بعث يهم اليه ومعناه اذا اراد الحكم بالفصل وخص
المترفين بذكر الامر لانهم الرؤساء ومن دونهم تبع ومن قرا بالتخفيف
كان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا كما تقول امرتك فعصيتني وهي
قراءة السبعة ٥ وروي امرنا بالمد اي اكثرنا ومعنى فسقوا فيها تمردوا
في كفرهم **وقوله تعالى** وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح ٥ قيل
في مقدار القرن وجوه قيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وقيل
اربعون سنة **وقوله تعالى** وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ٥
معناه وكفى بالله عالما بذنوب عباده وفيه غاية التهديد على الطف

ماخذ من اللطف ٥ وقيل دخلت الباء في قوله بربك للمدح كما دخلت
في قولهم ناهيك به رجلا وطاب بطعامه طعاما واكرم به
رجلا وموضعه في كل هذا رفع ٥ قال الشاعر
ويخبرني عن غائب المرء هديه كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا ٥
فلما اسقطت الباء رفع وقوله جل اسمه من كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها ما نشاء لمن نريد ٥ هذه الصفة التي ذكرها الله في الاية صفة
المنافقين والفاسقين الذين يركنون الى الدنيا ومعناه من كان
غرضه ومراده بالجهاد الغنيمة التي يتوقع الظفر بها ولم يكن له
في ثواب الاخرة رغبة عجلنا له في ذلك ما يشاء على قدر استحقاقه
لذلك بسهم من الغنيمة وبقدر ما يعلم تعالى انه استصلاح له في الدين
لان هذا هو الذي يريد الله اعطاه لعباده من المغانم ومن لم
يكن استصلاحه معلوما لم يعط ذلك فلهذا ما صار مشروطا بالمشية
بقوله لمن نريد وقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ٥
المدحور المباعد المطرود ٥ ومعناه ومن كانت هذه حاله كانت
نار جهنم مصيره وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ٥ معناه
ومن اراد ثواب الاخرة بجهاده وغزوه وعمل للاخرة رغبة في ثوابها
وهو مؤمن فان الله تعالى شكر سعيهم وشكر حسناتهم وتجاوز
عن سيئاتهم فجعل الله الجزاء على الطاعات بحلة محل الشكر واجرا
هذا اللفظ في صفة الله مجاز وتوسع وهو في كونه مجازا مثل قوله من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا لانه لا استقراض على الحقيقة لا يجوز
على الله تعالى وقوله جل اسمه كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما
كان عطاء ربك محظورا ٥ المحظور الممنوع ٥ ومعنى الاية ان الله

تعالى يعطي البر والفاجر في الدنيا والاخرة خاصة للمتقين وعطاء
الله لا يكون ممنوعا وقوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا ٥ اخبر الله نبيه صلى الله عليه
انه يفاوت بين عباده في الرزق بقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على
بعض ويثيب في فعل الطاعات بقوله وللاخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا ٥ فبين ان فضل الاخرة في الدرجات اكبر واعظم
من فضل الدنيا وقوله تعالى لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما
مخذولا ٥ هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه واله والمراد به سائر المكلفين
وهذا الخطاب مثل قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ٥ وقيل يجوز
ان يكون المخاطب ها هنا الانسان العاقل كانه قيل يا ايها الانسان
العاقل لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا لانك اشركت
بربك غيره وفي هذا الموضع قد يسال فيقال هل يجوز نهي الانسان
عما لا داعي له اليه فيقال في الجواب نعم اذا كان الانسان ممن يكون له
داعي شهوة او شبهة مع زاجر الحكمة وقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا ٥ معنى قضى ها هنا امر وقد بيننا في اول
هذه السورة وجوه القضاء ومعنى الاية ان الله امر جميع المكلفين بان
يعبدوا الله وحده ولا يعبدوا غيره وحكم عليهم به ووصاهم بالوالدين
احسانا ٥ والعامل في الباء في قوله وبالوالدين احسانا قضى ٥ وقيل
اوصى وان كان محذوفا ومعناهما متقاربان لان العرب تقول امرته
خيرا واوصيته خيرا وقوله جل اسمه اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ٥ معناه
فان بلغ والداك عندك مبلغ الكبر او احدهما فعاشا حتى كبرا

بعباده

وطعنا في السن فلا تؤذهما بأن تقول لهما أف وهذا كلام يقال
عند شيء تكرهه وإذا منع الله من أن يقال لهما هذا القول دل فحوى
هذا الخطاب على أنه لا يجوز ضربهما وشتمهما وسوء عشرتهما
وكأنه قيل للمخاطب يا أيها إذا بلغ الوالدان هذا المبلغ فلا
تتبرموا بهما ولا تقولوا لهما قولا يؤدي إلى استخفاف في حقهما وتواضعوا
لهما في القول وأحسنوا معاشرتهما ومعنى لا تنهرهما لا تردوا
عليهما ولا تزجروهما على وجه العنف والنهر الزجر على وجه العنف
ومعنى أف كلمة تدل على الضجر خرجت مخرج الأصوات والعرب
أف وتف وأصل الأف وسخ الأظفار والتف كلماته وعنه سبع من
حصى الأرض وقيل يعني ذلك التبرم والآية خطاب للنبي صلى الله عليه
والسلم والمراد به سائر المكلفين لأن بعث الله النبي الرسول
صلى الله عليه وآله يدل على أن الوالدين لم يكونا حيين في وقت نزول
الآية ولا قبلها بأوقات وقوله تعالى واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا أي كما عالجاني
في حال الصغر وقوله تعالى ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين
فإنه كان للأوابين غفورا الأعلم هو الأكثر المعلوم والأواب
التواب وقيل أصله الراجع من ذنبه بالتوبة منه أخبر الله عن
مبالغة صفته في كونه عالما ووعد بالمغفرة لمن رجع عن ذنبه
بالتوبة منه وقوله تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن
السبيل ولا تبذر تبذيرا ذو القربى هو الذي له القرابة من
عشيرته وروي عن علي بن الحسين زين العابدين صلوات الله عليهما
أن المراد به في هذا الموضع قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يؤتي قرابته حقهم
وأن يؤتي المسكين وابن السبيل حقهم من المال الذي يقع لهم
الحق فيه وعلى القول الأول سائر النبي عليه السلام المكلفين أن
يؤتوا ذوي القربى ونهى عز وجل عن التبذير وهو التفريق بالإسراف
وقيل التبذير إنفاق المال في غير حقه وقيل هو النفقة في الباطل
فإن ذلك تبذير وقد آتى النبي عليه السلام ذوي قرباه حقهم فالويل
لمن عصاهم والويل لمن لم يعرف حقهم وقوله تعالى إن المبذرين كانوا
إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا صار المبذرين
إخوانهم لاتباعهم إياهم التي دعوهم إليها وجريهم على سنتهم وقيل
سموا إخوانهم لأنهم يقرنون بالشياطين في النار وبين أن الشيطان كفور
لربه وهو المبالغ في الكفر العاتي فيه وقوله تعالى وإما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا معناه وإن أعرضت
عن هؤلاء الذين أمرك الله بإعطائهم في وقت إعوازك ما يطلبونه ليحصل
ذلك الطلب رزق من ربك وسعة فقل لهم عند ذلك قولا سهلا أن
يقول الله يرزق ويعطي وما أشبه ذلك والميسور في قول عندهم عائد
على القوم الذين يريد الأمر بإعطائهم حقوقهم وقال بعض العلماء قد
يكون الإعراض عنهم عند حسبه أن يفروا بالعطية على معاصي الله تعالى
فيكون معنى ابتغاء الرحمة على هذا الوجه ومعناه ويطلب رحمة الله
لهم بالتوبة والوجه الأول أقرب وقوله سبحانه ولا تجعل يدك مغلولة
إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا لما ذم
الله البخيل المتمنع عن العطا أصلا أيضا فلهذا أما نهى عن
قبض اليد عن العطا ومعناه لا تقبض يدك عن العطا أصلا

ولا تبسطها كل البسط واطلب بين القبض والبسط سبيلا وهو
الاقتصاد والملوم الذي يلام والمحسور المنقطع لذهاب ما في
يده واصل الحسر الكشف وقوله جل اسمه ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر معناه ان الله تعالى يبسط الرزق لمن
يشاء وهو الذي المعلوم من حاله ان المصلحة له ويضيق الرزق
على من يشاء وهو الذي المعلوم من حاله ان الضيق اصلح له ومعنى
ويقدر يضيق وهو مثل قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
اتاه الله معناه ومن ضيق عليه والاصل فيه قوله تعالى ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء على
حسب المعلوم في المصلحة من حالهم وقوله جل اسمه انه كان بعباده
خبيرا بصيرا معناه عالما بحالهم وهذا يدل على ان اجراء الرزق
على حسب المعلوم والمصلحة وقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا الاملاق
الافتقار نهى الله تعالى عن قتل الاولاد خوفا من الافتقار واخبر
تعالى انه عليه رزقهم ورزق الاباء وان قتل الاولاد خطأ
كبيرا والخطأ هو ترك الصواب وقيل الخطأ بكسر الخاء لا
يكون الا عمدا والخطأ بفتح الخاء قد يكون من غير عمد وموضع ولا
تقتلوا يحتمل النصب والجزم فالنصب على معنى وقضى ربك الا تعبدوا الا
اياه وان لا تقتلوا اولادكم واما الجزم فعلى معنى النهي وقوله تعالى
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ونهى الله عز وجل عن قتل
النفس التي حرم قتلها الا بالحق بان يصير حقا بان يقتل ويلزم
القود او يرتد فيلزمه القتل او يزني وهو محصن وقوله تعالى

ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قيل معنى السلطان
ها هنا وجوه القوة والعفو والطاعة والقود والولي قيل
هو الوارث من الرجال وقيل هو كل من كان له ان يطلب دم
صاحبه وقوله تعالى فلا يسرف في القتل انه كان منصورا قوله
فلا يسرف نهي قيل هو نهي الولي ان يقتل غير قاتل صاحبه وهكذا
العرب يتعدى الى غير القاتل من الحميم والقريب فلما جعل الله سلطانا
نهاه عن التعدي وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وقيل هو خطاب
لولي المقتول كانه قيل له لا تسرف ايها الولي فقد بلغت موضع لا تقتلوا
من الاعراب في قوله ولا تقتلوا اولادكم والهاء في قوله انه عائدة
على الولي وقيل على المقتول والاول اقرب ولوليه منصور احتمل
وجهين يجوز ان يكون نصرته بان حكم الله له بذلك ويجوز ان يكون
نصرته بان امر النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين ان يعينوه وقوله تعالى
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده معناه
لا تاخذوا اموال اليتيم ولا تقربوها الا على الوجه الذي هو احسن
حفظ ماله وتثميره بالزيادة فيه وفعل ما لا يشك انه اصلح له
وغاية اشده قيل هي ثماني عشرة وقيل الاحتلام مع سلامة العقل
وايناس الرشد وهذا هو الاظهر وانما خص مال اليتيم بالذكر
وان كان تناول اموال الناس منهي عنها ولها على الوجه المحظور
لان اليتيم الى حفظ ماله عليه احوج من غيره وتوجه الطمع الى مثله
اكثر وقوله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا
قيل معناه ها هنا اوفوا بالعهد في الوصية بمال اليتيم وغيرها من
الوصايا التي هي الحقوق وقيل كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد

ومعنى مسئولا يسئل المكلف عند اكثر الحذف كانه مفهوم وقيل العهد
مسئول بان يقال لمن عهد لم نقضته وهو كما قال الله تعالى واذا المؤدة سئلت
باي ذنب قتلت وقوله جل اسمه واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا
بالقسطاس المستقيم فقيل في القسطاس وجوه احدها الميزان
صغيرا كان او كبيرا والقبان العدل ويوافق هذا اللفظ مواضعة
اهل الروم فيه فامر الله تعالى بايفاء الكيل وبالعدل في الوزن
وقوله تعالى ذلك خير واحسن تاويلا اصل التاويل المصير الذي يرجع
اليه المعنى وبين تعالى ان ايفاء الكيل والعدل في الوزن انفع للمكلف
واحسن ثوابا في العاقبة وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان
السمع والبصر والفؤاد اصل القفو هو اتباع الاثر يقال قفا اثره
يقفو فكانه قيل للمكلف لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رايت ولم تر
ولا علمت ولم تعلم ويدخل في ذلك من اجتهد في احكام الشرع وقاس
لانه نهى عن اتباع ما لا علم له به واجتهاد الراي والقياس ليسا من باب
العلم ولا يحصل به علم وانما يحصل عنده الظن وقوله تعالى ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا بين الله تعالى ان المكلف يسال
عما اصغى اليه سماعا مما لا يحل له وما فعله ببصره مما حظر عليه
وما اعتقده بقلبه مما حرم عليه اعتقاده وهذا وعيد صعب
قال رجل لجعفر بن محمد عليهما السلام اني ربما ادخل الخلا
ولي جار فاسمع صفق كف في وقت يضربون بالعود فسمع ذلك
في شعري فقال لا تسمع اليه فقال له الشيخ اني لا اتعمده فقال له لا تسمع
اليه اما سمعت الله تعالى يقول ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك كان عنه مسئولا فقال الرجل كاني ما قرات هذه الاية في كتاب

الله جل وعلا وقيل انما قال كل اولئك كان عنه مسئولا ولم يقل كل
ذلك لان اولئك وهؤلاء للجمع القليل من المونث والمذكر فاذا اريد
الكثير جاءت التاء فقيل هذه وتلك قال الشاعر
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام وقوله تعالى
ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا
قيل في المرح وجوه منها الفرح والتبختر والخيلاء والكبر والاشر
والبطر وقيل هو فرحة الانسان بقدرته مستخفا بالواجب عليه فنهى
الله تعالى عن المشي في الارض على سبيل المرح ووجه النهي فيه ان المشي
في الارض مرحا عن ان يكون على ما تدعو اليه الحكمة فعل قبيح من فعل
السفهاء ومعنى انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا انك لن تبلغ ما
تريد بكبرك وبطرك فاذا لم يمكنك ان تبلغ هذا فما وجه المثابرة على
ما هذا سبيله مع زوال الحكمة عنه وقيل انك لن تخرق الارض
من تحت قدمك ولن تبلغ الجبال بتطاولك وهو مثل ضرب لهم
وقوله جل اسمه كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها عدد الله المعاصي
في الاي التي تقدم ذكرها ثم قال في اخرها كل ذلك كان سيئة وانها مكروهة
عند الله تعالى والكراهة ضد الارادة ولو كانت المعاصي بارادة
الله لم تكن مكروهة عنده لانه لا يجوز ان يكون الشيء مرادا مكروها
من جهة واحدة كما لا يجوز ان يكون المحل الواحد اسود ابيض في حالة
واحدة لتضاد السواد والبياض ودلت الاية على بطلان قول المجبرة
في وصفهم خالقهم بانه مريد المعاصي فسحقا وبعدا لمن ترك دلايل
العقل والكتاب وتعلق بالهوس المحض في وصفه لله بالعبث والسفه
والظلم وقوله تعالى ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة وقوله

ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره ٥ والحكمة هاهنا الدلايل المودية
الى المعرفة بالحسن وتمييزه عن القبيح وبالواجب مما لا يجب وكل ذلك
مبين في القران فالقران هو الحكمة البالغة ومعناه ان الذي اوحينا
اليك مما تقدم ذكره هو من الحكمة البالغة وقوله تعالى ولا تجعل مع
الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ٥ معناه لا تشرك
بالله فتلقى في نار جهنم مطرودا عن رحمة الله والدحور بمعنى
بعد رحمته اذا طرده وقد مر في غير موضع ان هذا الخطاب
انه متوجه الى غير النبي صلى الله عليه فلا وجه لاعادته هاهنا وقوله تعالى
افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملايكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ٥
الالف في قوله افاصفاكم الف انكار على صيغة السوال عن مذهب
قبيح ولا جواب لصاحبه الا بما فيه اعظم الفضيحة ٥ ومعناه ان اخلص
لكم البنين دونه وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه واختصكم
بالاجل وجعل له الخسيسة الا ان دل بهذا الانكار على من زعم ان الله
تعالى اتخذ ولدا وان الملايكة بنات الله وقوله تعالى انكم لتقولون
قولا عظيما ٥ نظيره قالوا اتخذ الله ولدا وقال وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جيتم شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وقوله تعالى
ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ٥ معناه
ولقد صرفنا الايات والدلايل والامثال والمواعظ ليعتبروا بها ويتعظوا
ما يزداد عند نزول الايات وضرب الامثال واستماع المواعظ الا نفورا
لاعتقادهم انها سحر وحيل فاضاف الزيادة الى الايات توسعا وهو
مثل قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم

والسورة لا تزيد الرجس الا انهم لما ازدادوا الرجس عند نزول السورة
حسن اضافة الزيادة الى السورة توسعا ومجازا وكذلك اضاف زيادة
النفور الى الايات هاهنا وقوله تعالى قل لو كان معه الهة كما يقولون
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ٥ معناه قل لهم يا محمد على وجه
الاحتجاج لو كان مع الله الهة كما تدعون لطلبوا ما يقربهم اليه
لعلوه عليهم وعظم عزته عندهم وقيل لابتغوا سبيلا الى معاداته
ومغالبته كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله تعالى
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ٥ معناه ان الله منزه عما يقوله
الجاهلون به وعلا علوا كبيرا فعال علوا لا تعاليا كما قال تعالى
وتبتل اليه تبتيلا ولم يقل تبتلا وقوله تعالى تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن ٥ معناه تنزه الله جل وعلا عن القبايح وعما لا
يليق به السموات والارض ومن فيهن من العقلا وتسبيح العقلا معلوم
كيف يكون ٥ وقد بينا في غير موضع من هذا الكتاب كيفية تسبيح
الحيوانات التي ليست بعاقلة وكيفية تسبيح الجمادات فلا وجه
لاعادته هاهنا وقوله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده ٥ معناه وما
من شي الا ويسبح لله مخرج هذا الكلام على وجه العموم وكانه قيل
كل شي يسبح بحمد الله من جهة خلقه او من جهة معنى صفته لان كل
موجود سوى الله تعالى فهو حادث يدعو لحاجته الى الصانع الى العلم
بالله الذي هو صانع غير مصنوع والحادث يدعو الى اثبات قديم
غني بنفسه عن كل شي وعموم هذا الكلام على هذا التاويل يدخل
فيه كل شي حتى صرير الباب وعلى هذا التاويل معنى قوله ولكن لا تفقهون
تسبيحهم كانه قيل ولكن لا تعلمون ايها الكفار انها دالة على الله بوجوه

الا سند بال على توحيده وعبادته او وقف بعض العلماء هذا الكلام محصور
كانه قيل وما من شي من احيا العقلا العارفين الا ويسبح بحمده وقوله تعالى
انه كان حليما غفورا ٥ الحليم هو الذي لا يعاجل بالعقوبة فاقتضى ذكره هاهنا
ما تقدم من القول الشنيع من الكفار الموجب للعقاب وان الله لم يواخذهم
به في الحال وقوله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا
يومنون بالاخرة حجابا مستورا ٥ معناه فاذا قرات يا محمد القران جعلنا
بينك وبين الكفار حجابا ٥ وروي ان الاية نزلت في قوم
كانوا يوذون النبي صلى الله عليه واله وسلم لانه كان يستدعي الناس الى دينه
بصلوة الليل وتلاوة القران وكان جماعة من الكفار يسمعون اثره
فاذا سمعوا منه قرانا اذوه ومنعوه بذلك الخروج الى الكعبة ٥
ومعنى قوله حجابا مستورا اي مستورا عن ابصار الناس على هذا التاويل
ويجوز ان يكون قد شغلهم عنه بمرض وغيره وقيل معنى جعلنا بينك وبينهم
حجابا مستورا عن ان يدركوا ما ياتي به الحكيم من القران وسمعوا
به ونظيره قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ٥
وقيل وقع لفظ مستورا هاهنا موقع ساتر كانه ساترا لهم عن ادراكه
كما قالوا انه مستور عليهم وقالوا في بعضه ميمون في موضع شايم وبامن
وقيل امر لهم فيها اعرضوا عنه منزلة من بينك وبينهم حجاب وكان اعراضهم
عن التدبر فيما يقراه ليفهموه وسمعوا به بمنزلة الحجاب المانع لهم من ذلك
وقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ٥ الاكنة
السواتر واحدها كن واكنان واكنة اي جعلنا على قلوبهم اكنة لئلا يفقهوه بهذه
الصفة بالحكم عليها بانها كذلك لا انا جعلنا فيها ما منعهم عن ذلك فيه
بالاعراض عما دعوا اليه النبي ويقرا عليهم بهذه المنزلة فاخرج الكلام

مخرج الذم لهم على الامتناع من تفهم الحق والاستماع اليه لما هو عليه
مع الاعراض عنه عداوة له ونفورا عنه وهذا معنى التاويل الاول
لقوله جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا
وقيل ان الله تعالى منعهم عن ذلك في وقت مخصوص لئلا يوذوا النبي
صلى الله عليه واله وسلم وهو معنى التاويل الثاني للاية الاولى واصل
الثقل في الاذن كالصمم ٥ ومعناه كان قلوبهم في اكنة وكان
في اذانهم وقرا من تفهم ما يقراه عليهم ومن استماعه وقوله تعالى
نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى ٥ روي
انهم كانوا اذا استمعوا الى النبي صلى الله عليه واله وما يقرا يتناجون
فقايل يقول انه مجنون وقايل يقول انه ساحر ٥ وقايل يقول انه
اتى باساطير الاولين وكان من جملتهم الوليد بن المغيرة فاخبر الله نبيه
صلى الله عليه واله وسلم كما كانوا عليه ومن انه اعلم بما هم عليه عند استماعهم
وبما يقولونه ويعرضهم في الاستماع ٥ وهذه تسلية له وقوله تعالى اذ
يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ٥ معناه هولا الكافرون
الذين يتناجون عند قراءتك يقولون لاصحابهم ويقول بعضهم لبعض ما تتبعون
الا رجلا مسحورا وارادوا به انه سحر واختلط عليه امره فهو مسحور
على هذا الوجه ماخوذ من السحر وعرضهم بما قالوه السحر عنه ٥
وقيل انه ارادوا بالمسحور المسحر هو الرية وارادوا بذلك انكم
ما تتبعون الا رجلا منحوبا الا يستغني عن الطعام والشراب
فهو بشر مثلنا وهذا مثل ما حكى الله عز وجل عن الذين قالوا ما
لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا وكما حكى الله عن ثمود صالح عليه السلام فقالوا ابشرا منا

واحد اسمعه انا لفي ضلال وسعر والعرب تقول للجبان
قد انتفخ سحره ٥ وروي ان ابا جهل حلف بانه ترد يدك او لعمر
بها عشرا ويشرب بها خمرا فقال لعتبة ... قد انتفخ
سحري فقال عتبة ستعلم مصفرا استه غدا من الذي انتفخ سحره
قال الشاعر ٥ ونسحر بالطعام وبالشراب ٥ وقيل مسحور
مخدوع ٥ والنجوى جمع نجي كقعود وقاعد **وقوله تعالى** انظر
كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ٥ هذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم عن الغم الذي كان يلحقه بضرب الكفار له
الامثال تارة بانه مجنون ومرة بانه ساحر وتارة بانه شاعر ومرة
بانه هاذي ومرة بانه مسحور وما اشبه ذلك بحسب الصورة وبغيرها
للتابعين عنه لئلا يقبلوا قوله فاخبر الله بانهم خابوا وضلوا عن مرادهم
ولم يجدوا سبيلا الى تحصيل ما طلبوه وارادوه وهو معنى قوله فضلوا
فلا يستطيعون سبيلا **وقوله تعالى** وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا
لمبعوثون خلقا جديدا ٥ الرفات كل ما تحطم وتكسر لها متناثرة
من بعد رفتا وهو متفرقات ٥ وقيل هو التراب وهذا يرجع الى ما قلناه
ومعناه والنبي صلى الله عليه وسلم اذا خوفهم بالقيامة والبعث قالوا
على وجه الانكار والاستبعاد اذا صرنا ترابا ورفاتا فيما صرنا بعد ذلك
خلقا جديدا واعدنا احياء كما كنا فهذا شيء مستحيل **وقوله تعالى**
قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم ٥ امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه
ان يقول لهم في الجواب لما انكروه واستبعدوه على طريق الاحتجاج عليهم
لو كنتم حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر يستعظمونه وهو قوله مما يكبر في صدوركم
قيل هو السموات والارض والجبال وقيل هو الموت فكانه قال لو كنتم بدل الجسم

والعظم حجارة او حديدا او خلقا ما هو مستعظم عندكم فلا بد من
احيائكم بعد اماتتكم وبعد ان صرتم رفاتا **وقوله تعالى** فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة ٥ معناه واذا قلت لهم قالوا لك
في الجواب عنه من الذي يحيينا ويعيدنا بعد ان صرنا عظاما رميما استهزاء
بما تقوله لهم واستخفافا فقل لهم في الجواب عنه ذلك انما
يحييكم بعد موتكم الذي اخرجكم من العدم الى الوجود لا من
اصل وعنصر ابتدعه بل اخترعه ابتداء وهو معنى قوله فطركم
فالقادر على هذا قادر على اعادتكم بعد اماتتكم بل بعد فنائكم
وقوله تعالى فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى
ان يكون قريبا ٥ النغض والانغاض تحريك الراس بارتفاع
وانخفاض وقيل للظليم نغض لانه يحرك راسه في مشيته **قال الراجز**
ونغضت من هرم اسنانها ٥ وقال اخر لما راتني انغضت لي الراسا ه
معناه واذا اجبتهم بان المحيي لكم هو المخترع لكم ابتداء زادوا
في الاستهزاء بهذا القول وحركوا رؤوسهم تحريك المستهزئ
الذي يرفع راسه مرة ويخفضه اخرى فعل اللاعب بالشيء والضاحك
منه وعدوا انه لا شيء واذا فعلوا هذا فقل لهم في الجواب بان
ما اعده لكم قريبا وهو كائن لا محالة **وقوله جل اسمه** يوم يدعوكم
فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا ٥ معناه
وهذا يكون يوم يدعوكم للنداء اذ ينبههم الله اخرجوا من الاجد
اث
الى ارض القيامة للحساب واكثر فتستجيبون للداعي حامدين
وهو معنى قوله بحمده وهو كما يقال جاء بغضب اي جاء غضبان
وقيل معناه تستجيبون على ما يقتضي الحمد لله قال الشاعر

فاني بحمد الله لا يموت فاحرى لبسني لامر عنده أتقنع م وقال
بعض العلما هذا الندا يكون كلاما ظاهرا يسمعه الخلق
وغيرهم وقال حمزه هذا الندا هو الصيحة التي يسمعها كل
الخلق وتكون الصيحة داعية لهم الى الاجتماع في ارض القيمه وقوله تعلى
وتظنون ان لبثتم الا قليلا هذا يعرف لو وقت القيمه وهو كما
قال بعض الواعظين كانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل الفنا
الدنيا وقرب الاخره ودوامها ابدا وقيل انهم يرون من سرعه
الرجوع يظنون قلة اللبث في القبور لانهم لا يشعرون المده
التي مرت بهم وهم اموات وقيل هو على معنى احتقار الدنيا
حين عاينوا القيمه وقيل يظنون انكم ما لبثتم في الدنيا الا
قليلا لطول لبثكم في الاخره وقوله جل اسمه قل لعبادي يقولوا
التي هي احسن قيل في معناه وجهان احدهما قل لعبادي يقولوا
لا اله الا الله فانه احسن من قولهم ان الاوثان الهة والوجه
الثاني قل لهم يامروا بما امر الله وينهوا عما نهى الله عنه وقوله تعلى
ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا
مبينا معنى ينزغ بينهم يغري ويغري الشيطان الكفار
بالمومنين فاخبر الله تعلى ان الشيطان عدو للمومنين بعداوته
وقوله تعلى ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم وان يشا يعذبكم
معناه الله اعلم بعباده وباحوالهم من النبي صلى الله عليه ومن
المومنين وامورهم الى الله لا الى غيره وقيل فيه تحذير عن
اضمار القبيح وترغيب في الجميل لان الله عالم بالضماير
وباحوال العباد وهو المجازي ومعنى وان يشا يرحمكم

اي ان الله يرحمكم بتوبتكم ومعنى وان يشا يعذبكم
باقامتكم على معصيتكم وانما كان كذلك لانه كلام الحكيم
ولو جوزوا على وجه المجاز فما انه يرحم من لا يستحق الرحمه
ويعذب من لا يستحق العذاب لان ذلك كلام السفها جل
الله عن السفه وقوله جل اسمه وما ارسلناك عليهم وكيلا
معناه وما وكلناك عليهم بان تمنعهم من الكفر بالله اكراها
وجبرا وقوله جل اسمه وربك اعلم بمن في السموات والارض
معناه ان الله اعلم بمن في السموات من الملايكه والانبيا عليهم
السلم وسائر عباده لانه خالقهم ومختبرهم وقوله جل اسمه ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا قيل معناه انه فضل
بعضهم على بعض بما اعطاهم في الابتدا من كتبه واياته ودلايله
وفضلهم ايضا بما استحقوه من الثواب عنده وقد يكون تفضيل من
هو في اعلى المراتب من الفعل بعضهم على بعض لان اعلى المراتب
في الفضل طبقات بعضها على بعض وان كانت المرتبة الوسطى لا
تلحق العليا ولا تلحق مرتبة من ليس في مرتبة النبي ابدا في فضل
الافضل واحب به في حقه وقيل ذكر وربك اعلم
ليدل به على ان تفضيل الانبيا عليهم السلم بعضهم على
بعض وقع موقع الحكمه لانه من علم باطن الامور ومن الخلق
داود عليه السلم باعطا داود الزبور وهو كتابه الذي انزل
عليه وقوله جل اسمه قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا امر الله تعلى نبيه صلى الله عليه واله
ان يقول للكفار ادعوا الذين زعمتم انهم الهتكم من دون الله

لكشفوا الضر عنكم وليخلصوكم من ضيق العيش وحولكم
الى الخصب والسعه وفي ذلك بعد من عجزهم من ذلك وقال
بعض العلما يدخل في جمله المعنى بقوله قل ادعوا الذين زعمتم
من دونه الملئكه عليهم السلم والمسيح صلى الله عليه وقد
قيل ان قوما كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم بذلك وروى
عن عبد الله بن مسعود انه قال اسلم اولئك النفر من
الجن وبقي الكفار الذين كانوا يعبدونهم على عبادتهم ه
وقوله تعلى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيله ايهم
اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ه
رجع بالكلام الى ذكر الانبيا عليهم السلم الذين ذكرهم
في الايه الاولى وفضل بعضهم على بعض ه ومعناه انهم يدعون
الله تعلى باقرانهم بالاهبه الهمم ويطلبون القرب اليه بالمنافسه
في الطاعه ويرجون مع ذلك نعمه الله ويخافون عذابه وهذا
بيان اظهار للعبوديه والافتقار اليه وقوله تعلى وان من قريه
الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمه او معذبوها عذابا شديدا
كان ذلك في الكتاب مسطورا ه معناه وما من اهل قريه الا
ويهلكهم قبل يوم القيمه بضرب من الهلاك اما بالموت او بعذاب
الاستيصال او العذاب الشديد المذكور في الايه ه وبين
ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ عبره للملئكه عليهم السلم
وقوله تعلى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون ه
معنى الايه لم نرسل الايات لاجل ان التكذيب بها هو كما كذب
بها من كان قبلهم فيستحقوا المعاجله بالعقوبه وهذه الايات

التي يرسلها الله قيل هي ما سالت قريش النبي صلى الله عليه وسلم
سوالهم ان يحول لنا الصفا ذهبا فاوحى الله الى نبيه عليه السلم ان
شئت فعلت ما سالوا فان لم يومنوا لم نمهلهم كسنتي فيمن قبلهم ومثل
قوله تعلى حاكيا عنهم وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
الايه وقوله تعلى واتينا ثمود الناقه مبصره فظلموا بها ه معناه واتينا
صالحا عليه السلم المعجز من جهه الناقه الخارجه من الجبل وكانت
الناقه مبصره على معنى يبصر الناس بها ما فيها من الايات في العبر
الهاديه من الضلاله والمسعاده من الشقاوه ويجوز ان يكون تقدير
مبصره ذات ابصار وقوله تعلى فظلموا بها ه معناه فظلموا انفسهم
بعقرها وقتلها وقوله تعلى وما نرسل بالايات الا تخويفا ه اي
للمكلفين عبره وعظه لهم ليزجروا عن المعاصي وهذه الايات
التي بعد مر الحجه بها عليهم وقوله تعلى واذ قلنا لك ان ربك احاط
بالناس ه معناه وقلنا لك يا محمد ان الله ربك احاط بالناس علما
باحوالهم وما يفعلونه وما يصلحهم فلا يفعل شيئا خلاف الصواب
والمصلحه والا تكلفهم بالمصلحه لهم فيه فاذا ارسل الايات
ارسلها حكمه وصوابا وحسن نظر ولكن منعهم ذلك لكونه
اصلح وقوله تعلى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنه للناس
والشجره الملعونه في القران ه قيل هذه الرويا هي رويا عين
وهي ما راه ليله اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو
بيت المقدس ثم من المسجد الى السما فلما اخبر المشركين بما راى
كذبوا به فصار ذلك فتنه اي امتحانا وتشديدا في التكليف ه وقيل
هي رويا نوم وهي ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه دنا ولها على

علی فتح مکه و لم تخبرا الناس حتی یدخلوها فلما صدّه المشرکون
ومن معه من المسلمین من دخول مکه عام الحدیبیه صعب ذلک علی
کثیر من الناس و لم یعلموا ان تأخر حکم الرؤیا من الجائز اذ
وکان الله تعالی لم یعدهم کون ذلک فی وقت بعینه وانما
وعدا مطلقا فلما صعب علیهم ذهب بعض الصحابه الی صاحبه
وقال له الیس قد وعدنا دخول مکه فقال له صاحبه هل وعدهم ذلک
فی عامهم هذا فقال ستدخلون مکه بعد ذلک فی نجز الوعد فصار
هذا فتنه للناس من هذا الوجه وهو السبب فی التکلیف والامر
الذی صعب احتماله فلما کان عام القابل دخلوا مکه فی ذلک الوقت
الذی صدوا فیه وهو قوله تعالی لقد صدق الله رسوله الرؤیا
بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنین الایه وقال بعض
العلما ان هذه الشجره المذکوره فی الایه هی شجره خلقها الله
فی النار فجعلها طعام اهل النار وهی شجره الزقوم المذکوره
فی القران و سمی نفس الشجره ملعونه علی تقدیر ملعون من اکلها
وجعلت طعاما فاجری اللعنه علی الشجره توسعا ومجازا فصار
ذلک فتنه ومن تلک الفتنه قول ابی جهل ودونا فی النار تاکل
الشجره وکیف تنبت الشجره فیها وقالوا ذلک استهزا واستخفافا
لکلام الله لعنهم الله وقال هذا المفسر ومعنی و نخوفهم
فما یزیدهم الا طغیانا کبیرا وهو الافراط فی الکفر والتخویف
لا یزید الطغیان وانما یخبر عنهم الا انهم لما ازدادوا الطغیان
فی الکفر عند التخویف صح اضافه الطغیان الیه مجازا وقد
مر نظیر ذلک فی غیر موضع وروی من طریقه ان الرسول علیه السلام

وجه اخر وهو ان النبی صلی الله علیه واله کان متوسدا حجر علی
علیه السلم فنام فرای فی منامه بنی امیه یصعدون منبره علی وجه
منبرها فاستیقظ وقد رای الناس مغتمین بذلک فاتیه متغیر اللون کئیبا
فقال له علی علیه السلم مالی اراک فداک ابی وامی متغیر اللون کئیبا
فاخبره بما رای وقد یعبر بالشجره عن اهل البیت فی اللغه الا
تری الاصل الذی یرجع الیه اسباب العلوه سمی الشجره تشبیها
بالشجره التی ترجع الیها ولم یکن فتنه للناس اصعب واشد علی
المومنین مما کان من ایام بنی امیه غلبت الباطل ووضع الحق وحزن الیسیر
اهل الحق بالسیوف المشهوره واظهار لعن ال رسول الله علی
المنابر وصعب التکلیف فی ذلک الوقت صبرا علی الاضطهاد
والانتظار للفرج ثم ان الله تعالی انزل علی رسوله صلی الله علیه واله
انا انزلناه فی لیله القدر تسلیه وعزاه واکرمه بلیله القدر التی
هی خیر من الف شهر ومعناه عباده تلک اللیله انفع من عباده الف
شهر لیست فیها لیله القدر وقیل ذلک بمده الف شهر لقوام
ملک بنی امیه هذه المده علی هذا الوجه المروی عن ال رسول الله
صلی الله علیه واله وعلیهم اجمعین ترجع الکنایه فی قوله ونخوفهم الی بنی
امیه لانهم مکلفون نخوفهم الله بعذابه اذا خالفوا وعادوا ال
رسوله فما یزیدهم التخویف الا طغیانا کبیرا و هو الجهل الشدید واذ قلنا
للملئکه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابلیس قال ءاسجد لمن خلقت طینا
قد مر بیان هذه الصفه فی غیر موضع من هذا الکتاب والالف
التی فی قوله اسجد استفهام متضمن للانکار وهو مثل قوله
تعالی حاکیا عن ابلیس حین قال له ما منعک الا تسجد اذ امرتک قال انا

قال الله في الجواب انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ٥ وورد مثل
هذه الآية بما قبلها على تقدير ما نزلهم الا طغيانا كبيرا المحققين ظن
ابليس عليهم بمخالفتهم موجب نعمه ذريتهم على ابيهم وعليهم وقوله تعالى
قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن
ذريته الا قليلا ٥ حكى الله تعالى ما خاطبه ابليس اللعين وهو انه
قال لئن ابقيتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته من خيرهم منه على وهو
ادم عليه السلام الا قليلا منهم لا سلطان لي عليهم الا من لا يطاوعوني
وهم عباد الله المخلصون كما حكى الله عن ابليس في موضع اخر لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فسر الله تعالى بهذا حسد هذا
الملعون مع انه كان عارفا بالله وبعزته مقرا بالقيامة محله التحميد
على ان كفر واصر عليه وبه عبرة بالغة لمن اعتبر ٥ وقيل في تاويل لاحتنكن
وجوه احدها لاقطعن الى المعاصي والثاني لاستولين ٥ والثالث لاحتوينهم
والرابع لاضلنهم ٥ والخامس لاستاصلن ذريته بالاغواء ٥ والسادس
لاقودنهم الى المعاصي كما تقاد الدابة اذا اشد حبلها ٥ وقيل انما ظن
ابليس هذا الظن لما اخبر الله تعالى الملئكة عليهم السلام ان اولاد ادم
يفسدون في الارض ٥ وقيل ظن ذلك لانه وسوس الى ادم فلم يجد له عزما
وقاس ما في نفسه اولاده يكونون مثله في العزيمة وضعفها ٥
وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ٥
معناه قال الله تعالى لابليس اذهب على وجه الطرد له والسعيد فمن اطاعك
واتبعك من اولاد ادم فان الله مجازيك ومجازيهم بان يدخلهم جهنم وتكون
جهنم جزاؤكم جزاء مكملا وهو معنى قوله تعالى موفورا ٥ وقيل موفورا اي وافرا
ها هنا على تقدير ذو وفرة كما يقال لابن ادم دولين في الاية دلالة على انهم لا

مخصوصين من العذاب الذي يستحقونه سبا وقوله تعالى واستفزز
من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم
في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ٥ الا
الاستفزاز والاستنزال لا يعني واحد يقال استفزه اذا استزله
ويقال تفزز الثوب اذا انخرق فقوله لابليس واستفزز تهديد
لا امر وان كان اللفظ على صيغة الامر لان استفزاز ابليس الخلق كفر
ولا خلاف في ان الله تعالى لا يامر بالكفر والفحشاء وهذا كما يقال للانسان
على وجه التهديد اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وجاء لفظ التهديد
بصيغة الامر لانه بمنزلة المامور به اهانة له فكان هذا الذي يفعله هوانا
له وهو مامور به ومعنى الصوت هاهنا الصوت الذي يدعو به الى المعصية لله
وقيل هو كل صوت دعي به الى الفساد فهو من صوت ابليس والشيطان وقيل
هو صوت الغناء واللهو وكانه قيل له على وجه التهديد لما قال لاحتنكن
ذريته واستفزز من استطعت منهم بدعائك الى المعصية وقوله جل اسمه
واجلب عليهم بخيلك ورجلك ٥ الاجلاب السوق ورجل جمع راجل
كقولهم تجر وتاجر وركب وراكب وهو ايضا تهديد ومعناه كن شريكا
لهم في الاموال والاولاد وهذا على وجه التهديد انما كان من الاولاد ما
يطلبونه لشهوتهم ومنه ما يطلبونه لاعزازهم ٥ وقيل شركته اياهم في
الاولاد اولاد الزنا وقيل هي المؤودة لانهم دفنتهم حية باغوائه ودعوته
وتشويشه ٥ وقيل معناه من تهود او تنصر ٥ وقيل تسميتهم اولادهم
عبد الحرث وعبد شمس وعبد العزى ٥ وقيل المراد [illegible]
وهو الاقرب لان كله يرجع الى اغوائه واستزلاله حتى يستعملوا اولادهم
فيما يريده الشيطان ويامر به ويهواه ٥ واما المشاركة في الاموال فهو

انفاقهم اياها في الوجوه التي يهواها الشيطان ويدعوا اليها والعرب
قد تذكر الخيل والرجل اذا قالوا الواحد اجهد جهدك حتى ترى اثر
فعلك ومعنى وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا انه يهددهم
وهو ان الشيطان يعد صاحب المذهب الفاسد انه مصطفى بذلك
وثنا ابا يريد ويعد من لحق هذا المخزي بمثله ثم بين ان الشيطان
لوعده لا يكون الا خديعة وغرورا وقوله جل اسمه ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا معناه ان الله يقول لابليس لا سبيل لك
الى عبادي عن وسوسة تدعوهم بها الى المعصية وكفى الله حافظا العباده
ومانعا لك عن طلبهم وعلى سبيهم غير الوسوسة وقوله تعلى ربكم الذي يزجي
لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما الا رجا الاجزا
والسوق ومعناه ان الله هيا لكم السفن في البحر وجريها بالرياح لما
فيها من الانتفاع وانعم عليكم بذلك لتطلبوا مصالحكم في معاشكم ومن
رحمته ورافته بكم انعم عليكم بذلك وقوله تعلى واذا مسكم الضر في
البحر ضل من تدعون الا اياه معناه واذا عصفت الرياح وانتم في السفن وجرت
بكم الامواج وخفتم على انفسكم من الهلاك وهذا معنى قوله مسكم الضر عند
ذلك لا تجدوا احدا يدفع الضر عنكم ويكشفه غير الله فلا سبيل لكم الى الفزع الى
وثن وصنم كنتم تعبدونه من دون الله لكشف الضر فانتم في ذلك الوقت بمنزلة
من ضل عنكم فلم يسعوا لكم وقوله تعلى جده فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان
الانسان كفورا معناه فلما خلصكم الله تعلى من ذلك الضر
وكشفه عنكم عدتم الى عبادة من ضل عنكم عند حاجتكم الى كشف الضر
عنكم من الاوثان والاصنام واعرضتم عن شكر الله الذي انعم عليكم
بالنجاة وكشف الضر عنكم ومن شان اكثر الناس الكفر

افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا الخسف
خسف الارض وهو ان يصير الشيء من اعلاها الى اسفلها او من ظهرها
الى بطنها على وجه النكال والحاصب ريح تحصب بالحجارة من السماء وال
ريح حاصب اذا كان فيها حصبا قال الشاعر
مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور
وقيل الحاصب معناه ذو حصب ومعنى الاية ان الله يهددهم واورد
عليهم هذا القول على وجه الانكار افامنتم عند اعراضكم عن
توحيد الله وشكره وعبادته ان يخسف بكم الارض لاجل كفركم
لان القادر على ان يغرقكم في البحر قادر على اهلاككم في البر
بالخسف وبان يرسل عليكم ريحا ذات حصبا فيهلككم بها وقوله تعلى
ثم لا تجدوا لكم وكيلا معناه ثم لا تجدوا حافظا يحفظكم ومانعا يدفع
العذاب عنكم وقوله سبحانه ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل
عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم القاصف الريح الشديد
التي تقصف الشجر لشدتها ومعناه ام امنتم ان يردكم الله الى مثل ما
دفعتم اليه في البحر من عصف الرياح والتطام الامواج مرة اخرى بان يحوجكم
الى ركوب البحر ويرسل عليكم ريحا قاصفا تكسر الاشجار لشدتها
ويغرقكم بتلك الريح في البحر وقوله تعلى جده ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
التبيع التابع هاهنا معناه واذا فعلنا ذلك فانكم لا تجدون من يتبع اهلاككم
مطالبا دماكم وقوله تعلى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قال
المفسرون ومعنى كرمنا بني ادم اكرمناهم بما انعمنا عليهم بالعقول
والقوه وصحة الابدان وبان هديناهم الى مصالح دينهم ودنياهم ومكناهم من ذلك

وفضلهم على سائر ما خلقه من الحيوان الذي لا عقل له ٥ وقيل انما
جاز ان يقول كثير ممن خلقنا ان فيهم كفار مستحقين للاهانة ولا ...
على بعد من عاملناهم معاملة المكرم بالنعمة اخرجنا الكلام على مبالغة الصفة
وقيل فيه وجه اخر وهو انه تجري هذا المجرى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس فاجرى الصفة على جماعتهم لاجل من كان فيهم على الصفة المذكورة في الاية
فكذا هاهنا اجرى صفة التكرمة على جماعتهم لاجل من فيهم وهم المستحقون
التكريم والمجاز بهذا التفضيل لانه تفضل ابتداء لا انه لطف في اشياء هو تفضل
جزاء ٥ ومعنى وحملناهم في البر والبحر اي ان الله حملهم في الحيوان خلق لهم
الدواب التي تحملهم واثقالهم في البر وحملهم في البحر بان خلق الماء وجعل
فيه الاعتماد وخلق الريح المدعبة للسفن وهيا الماء بحيث تحمل السفن كما تحمل
الارض اهلها ومعنى ورزقناهم من الطيبات اي رزقهم المستلذات الطيبات
المشتهات ٥ ومعنى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا هو ما مر بيانه
في اول الاية ٥ وقيل من جملة تفضيل الله ابن ادم انه يتناول الطعام بيده وغيره
من الحيوان يتناول بفيه فما دا او ما شاكله وهذا التشريف من الحيوان
فعله وقوله اجل اسمه يوم ندعو كل اناس بامامهم ٥ معنى هذا الدعا كانه يقال
يوم القيمة هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد هاتوا متبعي فلان بامامهم وقوم اهل
الحق واحدا واحدا فياخذون كتبهم بايمانهم ثم يدعا متبعي فلان ويقال
هاتوا متبعي الشيطان هاتوا متبعي الطغاة في عبادة الاوثان هاتوا متبعي الروسا
في الضلالة واعتقاد الجهالة وكل من كان يوتم بواحد دعي به ويكون هذا
الدعا بشارة للمومنين وتقريعا للكافرين فمن اوتي كتابه بيمينه يخاف من احد
سالهم من اطهره هلا وهوى ٥ وقيل في الامام وجوه قيل امامهم نبيهم وقيل
امامهم الذي اسموا به وقيل كتابهم المنزل فيهم ومن الحلال والحرام والفرائض وقيل

عملهم الذي يستر الحفظة عليهم ٥ وقوله اجل اسمه فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك
يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ٥ معناه فمن اعطاه الله كتابه بيمينه
فانه يقرا كتابه وهو مستبشر ولا ينقص من ثوابه مقدار فتيل
وما يكون هذا في نظيره وهو قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه
فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ... امنهم وقوله واما من اوتي
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله
مسرورا ونظير هذه الاية ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان
تك حسنة يضاعفها لمن يشاء ويوت من لدنه اجرا عظيما ٥ وقيل
في الفتيل وجوه قيل هو المفتول الذي في شق النواة ٥ وقيل هو ما
فتلته بين اصبعيك من درن وسخ ٥ وقيل الفتيل هو من بطن
النواة والنقير الذي في ظهرها والقطمير القشرة التي تغشاها
وقد قال الله تعالى ولا يظلمون نقيرا وقال ما يملكون من قطمير ٥ جا
اتصال قوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم بما قبله اتصال استحقاق
المهتدين للثواب بهداهم واحراز الفوز باخلاص عبادتهم وطاعتهم
لله فيما اوجب عليهم ٥ وانتصب يوم بتقدير اذكر يوم ندعوا
ويجوز انتصابه بما صار يعدكم يوم ندعوا وفي الاية حجة بالغة
انه يسئل المكلف من امامه محمد صلى الله عليه وسلم عن ولاية علي عليه السلام
لانه قد بعث امامته وولايته ٥ وروي ان قوله تعالى وقفوهم انهم
مسئولون يعني عن ولاية علي عليه السلام وقوله تعالى ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ٥ معناه ومن كان جاهلا
بالله وبدينه في الدنيا ومن شك كان في الذهاب عن الحق عن دلالة
الا عما وهو في الاخرة اشد عما عن طريق النجاة وهي طريق الجنة

وقيل من كان في امور الدنيا وهي يشاهدها له حاضرة من تدبيرها
وتصرفها وتقلب النعم فيها اعمى عن اعتقاد الصواب الذي هو
مقتضاه فهو في الاخرة التي هي غائبة اشد عمى واضل سبيلا
وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري
علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ه قيل كادوا هاهنا بمعنى
قربوا ه وقيل بمعنى هموا من غير عزم واصل الفتنة المحنة التي يطلب
بها خلاص الشيء مما لابسه وخالطه كما تعرض فتنة الذهب والفضة
في النار اذا اذيبت ليتميز الردي من الجيد ه ومعنى الاية كاد الكفار
ان يفتنوا النبي صلى الله عليه عن بعض ما اوحى الله اليه الحاحا عليه
ان يقول خلاف ما امر الله تعالى به وهو قوله لتفتري علينا غيره واطاعوا
له في انه متى فعل ما طلبوه منه اتبعوه ونصروه واتخذوه خليلا فثبته
الله تعالى صلى الله عليه واله على ملته و[illegible] وقيل
هذه الفتنة التي كاد المشركون ان يفتنوه بها هي الالمام بالالهة
ان يمسها النبي صلى الله عليه في طوافه فسالوه ذلك ولاطفوه وروي
انهم قالوا له لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها ه وقيل
هذه الفتنة هي انهم سالوا ان [illegible] الاسلام حتى يقبضوا ما
اهدوا الى الهتهم ثم يسلمون في هذه الرواية عن ابن عباس ه وقيل هذه
الفتنة هاهنا الضلال ومعناه كادوا ليضلونك عن الذي اوحينا
اليك وقوله جل اسمه ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا ه هذا تنبيه للنبي عليه السلم على عظم موقع نعم الله عليه بان ثبته
على الايمان بالطافه وتوفيقه اياه حتى لم يركن اليهم ولم يمل ولولا ذلك
اللطف لكان يركن اليهم شيئا قليلا وقوله جل اسمه اذا لاذقناك

ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ه معناه
ولو ركنت اليهم لاذقناك ضعف عذابنا لمن نعاقبه في الحيوة الدنيا
من العصاة وضعف ما نعذب به العصاة بعد الموت لان معصية
الانبياء عليهم السلم اعظم من معاصي غيرهم لكثرة الزواجر
لهم من قبل الله ولما يعاينونه من الملئكة عليهم السلم ه وقيل اذقناك
ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الاخرة لعظم وقوع ذلك من
النبي صلى الله عليه واله لو فعله ه وقيل لما نزلت هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه واله لا تكلني الى نفسي طرفة عين ه وروي
عنه صلى الله عليه واله انه قال ان الله تبارك وتعالى وضع عن امتي
ما حدثت به انفسها الا من عمل شيئا او تكلم به وكان النبي صلى الله عليه
واله يقول ان الله يغفر للعبد اذا احدث نفسه بشيء فلم يفعله
ولم يتكلم به وقوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي ناصرا يدفع
العذاب عنك وقوله جل اسمه وان كادوا ليستفزونك من الارض
ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا ه قيل المراد
بالاستفزاز هاهنا القتل وقيل الاستخفاف بالازعاج
ومعنى الاية ان هؤلا الكفار كادوا يخرجونك من ارض العرب
بغيا [illegible] عليك فصرف الله كيدهم عنك وقيل لم يرد بذلك اخراجه
من مكة لان ذلك قد كان منهم ه وقيل المراد بالارض هاهنا ارض
المدينة لان اليهود قالوا ليست هذه الارض ارض الانبيا عليهم السلم
وانما ارض الانبيا الشام وقوله جل اسمه واذا لا يلبثون خلفك
الا قليلا ه قيل معناه ولو انهم اخرجوك من ارض العرب او
المدينة لم يمهلهم الله تعالى ان يقيموا في تلك الارض على ما هم عليه من

الكفر حتى يهلكهم بعذاب ومعنى خلفك بعدك ٥ وقيل القليل
الذي لبثوا قبل المدة فما بين اخراجهم له وقتلهم يوم بدر ٥
وارتفع لا يلبثون لان اذا اذا وقعت بعد الواو والفا جاز الغاوها
لتوسطها في الكلام كما لا بد من الغائها في اخر الكلام وقوله سبحانه
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ٥
معناه ان الذي اخبر الله تعالى في الاية الاولى هو سنة الله التي
اجرى عليها عادة الناس في زمان الانبيا عليهم السلام ان كل
امة قتلت رسولها واخرجته من ارضه ووطنه فان الله مهلكهم
بعد ذلك الا قليلا حتى يهلكهم ولا يبدل الله تعالى ما اجرى العادة
عليه في هذا الباب هو معنى قوله تعالى ولا تجد لسنتنا تحويلا ٥
وقيل معناه ولا يتهيا لاحد ان يبطل سنة الله لا يهلكوا ولا
يبطل وقيل معناه ان الذي يريد الله ان تجري العادة فانه لا
يتهيا لاحد ان يغلب تلك العادة وقد اراد الله ان يرسل الرسل
مصلحة للعباد ولطفا وان كان الجهال منهم يكذبونهم ويكفرون
بهم ٥ والسنة الطريقة ٥ والنصب سنة على تقدير لا يلبثون بعدك(؟)
لما هم كسنة من قبلك من الرسل اذا عاملهم ما قد سنه الله وكر(؟)
وقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل ٥ دلوك
الشمس ميلها للزوال وغسق الليل استحكام ظلمته وهو وقت نصف
الليل وهو زوال الليل يقال في اللغة غسقت الجراحة اذا انفجرت(؟) ما
فيها ٥ فرض الله تعالى من زوال النهار الى زوال الليل اربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشا الاخرة وافرد صلوة الفجر
بقوله وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ٥ معناه وعليك

بقران الفجر وهي القراة في صلوة الفجر ومن العلة في افراده بان
قال يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وهذا التاويل يروى
عن جعفر بن محمد عليهما السلام فحث الله تعالى على المحافظة وقت الفجر
للصلوة قبل ذلك على ان صلوة الفجر تجب(؟) فاقامتها في اول
الوقت لانه وقت نزول حفظة النهار وانصراف حفظة الليل وقوله تعالى
ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ٥
التهجد السهر(؟) ويكون ذلك بعد النوم وفي الشرع لا يكون التهجد
الا مع العبادة ٥ ومعنى نافلة لك زيادة لك وقيل النافلة فعل ما
فيه الفريضة ٥ امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله ان يتهجد وبين
له انه يكون نافلة له ٥ واختلف العلما في صلوة الليل فقال بعضهم
كانت صلوة الليل فرضا على رسول الله عليه السلام وحده وسنة
لامته ٥ وقال بعضهم بل هي سنة للجميع ولفظ النافلة يدل عليه
والخطاب للنبي عليه السلام على وجه الاختصاص والمراد هو وغيره
ولهذا ما امر النبي صلى الله عليه الامة وصلوة الليل عند رسول
الله صلى الله عليه ليلة ثماني ركعات لكل ركعتين تسليمتان ٥
وقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ٥ معناه
اذا تهجدت يبعثك الله يوم القيمة ولك فيه مقام محمود قيل هو
المقام الذي يجمع الله فيه الانبيا عليهم السلام تحت لوايه ويعطيه
الشفاعة لهم ولاهله قال صلى الله عليه واله وسلم آدم ومن
دونه تحت لواي يوم القيمة ولي المقام المحمود والشفاعة ولوا الحمد
وروى علي بن موسى عن ابيه جعفر عن جده محمد بن علي عن علي بن
الحسين زين العابدين عن الحسين عن امير المومنين عن رسول الله ص

صلوات الله عليه وعليهم اجمعين انه قال ليس في القيمة راكب
غيرنا ونحن اربعة فقام اليه رجل من الانصار فقال فداك ابي
وامي من الاربعة قال انا على ناقة البراق واخي صالح على ناقة
الله التي عقرت وعمي حمزة على ناقتي العضباء واخي علي بن ابي طالب على
ناقة من نوق الجنة بيده لواء الحمد وهو واقف بين يدي العرش ينادي
لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيقول الآدميون ما
هذا الا ملك مقرب او نبي مرسل او حامل عرش رب العالمين
قال فيجيبهم ملك من بطنان العرش يا معشر الآدميين ما هذا
ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا حامل عرش رب العالمين هذا الصديق
الاكبر هذا علي بن ابي طالب ه وروى هذا الحديث الاعمش عن
سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس وفيه زيادة واخي علي على
ناقة من نوق الجنة وعليه حلتان خضراوان وعلى راسه تاج
ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله الخبر بتمامه ه وروى هذا الحديث
عدة من الصحابة رضي الله عنهم **وقوله جل وعلا** وقل رب ادخلني مدخل
صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ه
امر الله نبيه صلى الله عليه وآله ان يدعو بهذا الضرب من الدعاء
عند دخوله في الامور وخروجه عنها ه وقيل معنى مدخل صدق
ان يكون عاقبته محمودة ه وقيل هو تعليم من الله لنبيه صلى الله عليه
وآله لامته على انه ينبغي لهم ان يدعوا بمثل ذلك ه وقيل مدخل
الصدق دخاله المدينة بعد اخراج الكفار اياه من مكة
وقيل معنى مدخل صدق ومخرج صدق ان يدعو فيقول اللهم ادخلني
فيما امرتني به واخرجني عما نهيتني عنه على سبيل اللطف لا على

وجه الجبر ه واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اي ارزقني حجة
وبصيرة على اعدائي ه وقيل اي ارزقني عزا امنع به ممن يجادل
صدني عن اقامة فرايضك وفيه ه وقيل حجة بينة **وقوله تعلى**
وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ه يقال زهق يزهق
زهوقا اذا بطل والحق هاهنا هو ما اتى به محمد صلى الله عليه وآله
من قبل الله تعلى والباطل هاهنا هو ما كان من الكفار عليه قبل بعث
محمد ومعنى الآية جاء الدين والبرهان والهدى وبطل الكفر والجهل والعمى
وبين ان الباطل لا ثبات له بقوله زهوقا ولهذا قيل للحق دولة وللباطل
جولة **وقوله تعلى** وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ه القرآن
شفاء للمؤمنين في باب الدين لما فيه من الحجج البالغة والدلائل الظاهرة فهو شفاء للمؤمنين
عن ان يكون في قلوبهم ضعف في باب الدين ووصف القرآن بانه شفاء من وجوه
منها ما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك ه ومنها انه برهان من
جهة النظم ومعجز ذلك على صدق من اتى به ه ومنها انه يتبرك به ويدفع الله به
كثيرا من المكاره والمضار التي يجوز كونها في مقتضى الحكمة ه ومنها
في العبادة بتلاوته من الصلاح الداعي الى امثاله المشاكلة التي بينه
وبينه وانما قيل من القرآن ما هو شفاء ورحمة لان فيه من المحكمات
والآيات وفيه المتشابهات وخص المؤمنين لانه شفاء لهم دون غيرهم
لاختصاصهم بالتمسك به والاستدلال به على معرفة ما وجب معرفته
وقوله تعلى ولا يزيد الظالمين الا خسارا ه معناه ولا يزداد الظالمون
والكافرون به وتكذيبه الا هلاكا وجاز وصف القرآن بانه يزيد
الظالمين خسارا لانهم كانوا يزدادون به ويزولون خسارا بكفرهم
به وتكذيبهم له وحرمانهم انفسهم تلك المنافع التي به فصار كانه يزيدهم

حيبارا او هذا امر ان يعطي الانسان عنده زاجرا له عن الفساد فهو اذا
الموعوظ الفساد عند وعظه ينصح من الواعظ ان يقول له ما ذا انت موعظي
الا افساد او هذا يكون مجازا وقوله تعلى واذا انعمنا على الانسان اعرض
ونأى بجانبه قيل معناه واذا انعم الله على الانسان نعمه بعدما كان في شده
اعرض عن حكم ما كان فيه من الضر والشده والبلاء فدخله كبر وعجب
وهو معنى قوله ونأى بجانبه وقيل معنى نأى بجانبه بعد بنفسه عن القيام بما
اوجب عليه من الحقوق ووجه اتصال الايه اقبلنا على ... انه اعرض عن
انعامنا عليه كما اعرض عن النعمه بالقران وهذه الصفه الصدق من صفه
المومنين وقوله تعلى واذا مسه الشر كان يوسا معناه ومن كان صفته
اذا انعمنا عليه ما ذكرناه فاذا امسه الشر الذي هو الضر ايس من فضل
الله على عباده حتى يطمع في كشف تلك البليه من جهته وهذا معنى قوله كان
يوسا وهو من اليائس وهو القنوط وهذا الوصف وصف غايه الجهل
وقيل معناه اذا امسه المرض والغم والبلا ايس من ان يأتيه الفرح والروح والراحه
من عند الله وقوله تعلى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
معناه كل انسان يعمل على طريقته التي تشاكل اخلاقه وقيل طبيعته وقيل
على عادته التي الفها وهذا الحذر الا الف الفساد مستمرا عليه
وقيل معنى الايه ان المومنين يذهبون في ادبانهم الى ما هو اشكل بالصواب
والحق عندهم والكافر مذموم لتركه طريقه الحق التي يسلكه المومنون
مع قدرته عليه وتمكينه من سلوكه وغلب الشبهه على نفسه حتى خيل اليه
ان الاولى هو ما تمسك به وهذه طريقه كل مبطل ومعنى فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا اي ان الله عالم بالمصيب منهم وبالمخطي وبالمهتدي وبالضال
ودل الله بهذا على ان الاولى بالصواب ما علمه النبي عليه السلم وامته وهذا

مثل ما يقول الواحد منا لخصمه احدنا مبطل وهو يريد اني
على الحق وانت على الباطل وقوله جل اسمه ويسالونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال بعض
المفسرين هذا السوال لم يبين الله لنا المعنى فيه وان سئل
سيد عن ذلك لانه لم يرى المصلحه في اجابتهم عنه وراى منع هذا
العلم عنهم اصلح في استدعايهم الى الايمان وهذا انما قاله لانه لم
يسمع الجواب عن طاهره وروى انه كان في بعض كتبهم ان
اجابكم عن الروح اذا سالتم عنها فانه ليس بنبي وان لم يجبكم عنها
فهو نبي فلم يأمر الله تعلى نبيه صلى الله عليه واله بالجواب عنها
ليتاكد عليهم الحجه في صحه نبوته وفائه اذا وكلهم الى العسه في
استخراجه كان اصلح ومعنى الايه اذا سالوك عن الروح فاجبهم
بان الروح امر ربي ومعناه من الامر الذي يعلمه ربي وقيل انما سال
النبي صلى الله عليه واله ذلك قوم من اليهود وقيل مرادهم بالروح
التي سالوه عنها روح الحيوان وقد وقع في كيفيه الروح اختلاف
من الاوايل والمتاخرين في ذلك يطول ونقتصر على ما قاله المتكلمون
وعند جمهور العدليه ان الروح جسم لطيف رقيق وهو من جنس الريح
وهي النفس التي يخرجها الحي من جوفه ويجذبه من الهوا اخرى وسميت
روحا لان اصل الريح في اللغه روح فقلبت الواو ياء لانكسار ما
قبلها وقال بعض العلما ان كان سوالهم عن الروح هل هي مخلوقه
ام غير مخلوقه فانها مخلوقه وان سالوا عنها انها جسم ام عرض فانها
جسم لطيف من جنس الريح ولهذا جاز عليها النفخ في الابدان والريح
عنها عند الموت وان سالوا هي الانسان الحي ام بعضه او غيره على

حسبما ذهب اليه الاوايل فانه بعضه ومنزلها منزلة البدن وبعض الاعضا
اذا فارقت الانسان لم يغير بعد مفارقتها وفي الجملة لا يعرف
ما الذي سالوا عنه وجا الجواب كما ذكره الله تعالى في الاية وذكر
علي بن عيسى النحوي في تفسيره وهو من الاجساد بيان الروح جسم رقيق
هو على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة وكل حيوان فهو روح
وبدن الا ان منهم من الاغلب عليه الروح ومنهم من الاغلب عليه
البدن وهذا قول مرغوب عنه عند العدلية ويلزم هذا
اشيا كثيرة كلها باطلة ضالة وقال بعض المفسرين الروح
الذي سالوا عنه القران لقوله نزل به الروح الامين على قلبك
وروي عن جعفر بن محمد عليه السلام هو ملك اعظم من جبريل
واعظم من ميكائيل وهذا يقرب مما روي عن امير المومنين صلوات الله
عليه انه قال هو ملك من الملايكة له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف
لسان يسبح الله بجميع ذلك وهذا القول يدل على انه وقف عليه
توقيف الله تعالى من جهة النبي صلى الله عليه واله لانه لا طريق للعقل
اليه فان الله تعالى قد اعلمه ذلك وامره بان يجيب القوم بما نطقت
الاية به وقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا معناه وما
اعطيتم من العلم الذي يصح عليه الا قليل من كثير بحسب ما تحتاجون اليه
والروح من المتروك الذي لا يصلح النص عليه لان الحكمة اقتضت
ان يكلهم الى ما في عقولهم ليستخرجوه ولا ينص عليه كما نص على
السمعيات وقوله جل اسمه ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
معناه ولين شينا ذهبنا بالذي اوحينا ~~اوحينا~~ اليك وهو القران
لانه القادر على ان يعيده ويعفيه ويأتي بمثله فهذا مثل قوله

تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها ولو ذهبنا
به لما وجدت وكيلا وكفيلا بذلك على الله بان يرده ما اخذه الله منك
ومعنى الوكيل الكفيل هاهنا وقوله تعالى الا رحمة من ربك ان فضله
كان عليك كبيرا معناه وما نزلنا اليك الا نعمة وتفضلا عليك بروان
فضله ورحمته بما اعطاك من القران وبما انعم به عليك من ضروب النعم
تعظيم كبيرا ومعناه ولو شا الله اذهاب ذلك لقدر على اخذ ما اعطاك
كما يقدر على غيره ولكنه دبر لك بالرحمة فاعطاك بعد ذلك فارض بما اختاره
لك وقوله تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا هذا بيان عجز جميع الخلق من الانس والجن
عن الاتيان بمثل القران ودليل على ان القران كلام الله وانه معجز دال على
نبوة محمد صلى الله عليه واله وفيه دليل على ان القران الذي هو كلام الله
فعل من افعال الله لان النبي عليه السلام تحدى العرب بان ياتوا بمثله فلو انهم
رجعوا اليه وقالوا له ايت انت بمثله لنومن بك لو اتى الله بمثله
كان محدثا والقران يكون مثله ومثل المحدث لا يكون الا محدثا وقوله تعالى
ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك يدل على هذا ايضا لانه لا يقدر
على اذهابه وابداله الا ان يكون فعلا ومحدثا ومعنى الظهير المعين
وارتفع لا ياتون لانه جواب القسم عليه جواب لوقوعه في صدر الكلام
ويجوز جزمه على جواب ان والرفع اجود وقوله تعالى ولقد صرفنا
للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا
الكفر الجحود للحق ومعنى الاية انه صرف الله تعالى الامثال في هذا
القران وصرف كل صنف من اصناف الدلايل وابانه ليومنوا ويهتدوا
فابى اكثر الناس الا الاسلام واصروا على الكفر فدلت الاية على انهم

لم يكونوا في كفرهم من قبل ربهم وانما اتوا من قبل انفسهم لتركهم
الاستدلال بما نصب الله لهم من الدلالة وقوله تعالى وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ه روي ان جماعة من قريش قالوا
للنبي صلى الله عليه وآله ذلك مثل عتبة وشيبة ابني ربيعة ومثل ابي
سفيان والاسود بن المطلب بن اسعد بن سعد بن الاسود والوليد بن المغيرة
وابي جهل بن هشام بن هشام وعبد الله بن امية وامية بن خلف والعاص بن
وائل وسهم وبن النبي عليه السلام الحجاج قالوا للنبي صلى الله عليه لا نصدق
في دعواك حتى تفجر لنا عينا من الما بمكة والينبوع العين التي تنبع الما
وتفور به وقوله جل اسمه او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا ه معناه وتسال الله ان يعطيك بستانا فيه نخيل وعنب والانهار
خلال الاشجار جارية بان تجد ذلك في ارض مكة وقوله جل اسمه او تسقط
السما كما زعمت علينا كسفا ه معنى كسفا قطعا يقال كسفة مثل
سورة وكسف مثل سور ساكنة الشين وكسفا بتحريك السين
لغة ايضا وكانهم قالوا لا نصدقك حتى تسقط السما طبقا
وقطعا كما خوفتنا به ان لم نومن بك وقوله جل اسمه او تاتي بالله
والملائكة قبيلا ه معناه لا نومن بك حتى تاتي بالله والملائكة مستقبلين
لنا ونحن نشاهدهم فدل ذلك على انهم كانوا مشبهة لانهم لو لم
يعتقدوا ذلك لم يسالوه ذلك ه ومعنى قبيلا مقابلة ه وقيل نعاينهم
معاينة وقوله تعالى او يكون لك بيت من زخرف ه اصل
الزخرف الذهب في كلام العرب ه وقيل الزخرف النقوش وقيل
اصل الزخرف من الزخرفة وهو تحسين الصورة ومنه قوله حتى اذا
اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها

امرنا ه ومعناه لا نصدقك او يكون لك بيت من ذهب منقوش
او ترقى في السما ولن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقراه ه
معناه ولن نومن لك حتى تصعد السما ونحن نشاهدك ثم لا
نصدقك في صعودك حتى تنزل علينا كتابا من السما نقرا فيه
انك صادق في دعواك فاقترحوا عليه هذه الاشيا وخيروه فيها
ان ياتي بواحدة مما سالوه وقوله جل اسمه قل سبحان ربي هل كنت الا
بشرا رسولا ه قل يا محمد لهم في الجواب عما سالوك الهي منزه عن
ان يجوز عليه ان ياتي الخلق مستقبلا لهم مع ملائكته لان ذلك من
صفات الاجسام وانه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض فيكون في
جهة وحال لانما يكون في جهة حتى يكون مقابلا او في حكم المقابل
للرائي والرؤية والمشاهدة مستحيلة عليه لانه ليس بجسم فيرى في
ذاته وانتم تحتجون على الآيات وتقترحونها وليس في مقدوري
الاتيان بها وانما امرها الى الذي ارسلني بالمصالح والعواقب ولو
علم الله في شي مما سالتم اللطف لوجب في حكمته فعله ولما لم
يفعل فلا وجه لطلبكم اياي به ولست الا رسولا مثل الرسل
الذين كانوا قبلي وكانوا ياتون قومهم بكل ما سالوه واقترحوه
ولو وجب على الله بان يوتي الناس ما يقترحونه من الآيات لوجب عليه
ان يرسل اليهم من يختارونه من الرسل والله تعالى لا يدع تدبيره
لاختيارات الجهال وهذا موضع من احسن ما يكون من الجواب وظن بعض
الملحدة انه ليس بجواب ولو تامل مضمون الالفاظ
المحتوية على هذه المعاني لعلم ان الجواب خرج احسن خروج وقوله تعالى
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا

رسولا من الله تعالى ان الذي فعله الكفار المتقدمون من
تصديق محمد صلى الله عليه وآله وعلمه وشبهة لاجلها امتنعوا
من تصديقه هو انهم قالوا ان الله ان بعث الى الناس رسولا
لم يبعث بشرا مثلنا وكان يرسل ملكا فقد رأوا انما تعلقوا
به محمد وسلم تعظيما لله تعالى وهو الذي اعتلوا به لنفس تعالى ولا
شبهة وانما فرط جهل استولى عليهم لانه لا يجوز ان يبعث الله
الى خلقه الواحد من خلقه فسواء كان بشرا او ملكا او جنيا فلا
بد من ان يكون الرسول خلقا من خلق الله وعبدا من عباد الله
ولو جاز ان لا يتابع الانسي لانه انسي لجاز ان لا يتابع الملك لانه
ملك مثل هذا الا يكون شبهة لان المتابعة انما تجب لظهور
الدلالة والمعجزات فسواء ظهرت على بشر او ملك فانه يوجب المتابعة
وقوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم ه
من السماء ملكا رسولا ه معناه قل يا محمد لو كان في الارض ملائكة
مطمئنين غير خائفين من الله وغير خاشعين له لانزل الله عليهم ملكا
من السماء رسولا يدعوهم الى عبادته ويحذرهم بالخوف عن عقابه
ولما كان في الارض البشر بعث الله اليهم واحدا منهم يدعوهم الى العز
العقاب ه ومعنى مطمئنين هاهنا قاطنين ساكنين وقيل مطمئنين هاهنا
لحدا من الله الواجب عليهم بالاعراض عنه كما قال تعالى ولكنه اخلد
الى الارض واتبع هواه الاية وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم بانه كان بعباده خبيرا بصيرا ه معناه
قل لهم كفى بالله شهيدا بيني وبينكم بانه ارسلني اليكم والله لا يشهد
الا بالحق وقد نطالبهم على الكذب في الله عالم بعباده وبما هم عليه

والخبير العالم وقوله جل اسمه ومن يهدي الله فهو المهتدي ه
قيل معناه من حكم الله له بالهداية وهو المهتدي باخلاص طاعته
له وهذا استدعاء لطف الى الاهتداء وترغيب فيه وقوله تعالى
ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ه معناه
ومن حكم الله بضلاله واوجب العقاب عليه لانه ضال فلا سعي
فلا ولي له من دون الله وقيل من يهده الله الى ثوابه وطريق جنته
فهو المهتدي الى ثوابه ويفوز به ومن اراد الله عقوبته لم يكن له ناصر
يدفع العذاب عنه وقوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ه معناه
هو انهم يحشرون يوم القيمة على وجوههم وهم عمي وبكم وصم كانهم
يكونون بهذه الصفة في اول ما يحشرون ثم بعد ذلك يبصرون
ويسمعون وينطقون لان الله تعالى قال في موضع اخر واذا القوا منها
مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وقال ورأى المجرمون النار
فظنوا انهم مواقعوها وقال في موضع اخر واذا القوا فيها سمعوا
لها تغيظا وزفيرا وقيل انهم عمي عما يسرهم بكم عن التكلم بما
ينفعهم صم عما يسر به اهل الثواب ه ومعنى كلما خبت الخبو سكون
النار عن الالتهاب من غير نقصان الم اهلها لانه كلما خبت النار من
جهة اشتعلت نار من جهة اخرى وخبو النار الاولى يكون في وقت
يحيي الاخرى فلا يكون في خبوها راحة والسعير النار التي تلتهب ه
وقوله تعالى ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا اذا كنا عظاما
ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا ه معناه ان العذاب الذي وصفه
الله يعذب به من كان كافرا منكرا للبعث فعلوا على وجه الاستهزاء

بالاعادة اءذا كنا عظاما نخرة متفتتة اعدنا خلقا جديدا ه
وقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر
على ان يخلق مثلهم ه احتج الله تعالى بهذه الاية على من انكر البعث
والنشور فدل بذلك على ان القادر على خلق الاجسام العظيمة
مثل السموات والارضين قادر على ان يخلق ما هو اصغر منها
وعلى ان القادر على اختراع هذه الاجسام ابتدا فاخراجها
من العدم الى الوجود قادر على اعادتها بعد ان صارت
رفاتا متغيرة وبعد ان فناها لانها اذا صارت الى الفنا
فقد عادت الى حالتها الاولى وهي العدم وهذه الاجسام
انما وجدت ابتدا بان اخرجت من العدم الى الوجود ه ودلت
الاية على ان القادر على الشي قادر على مثله وعلى ضده اذا كان
له ضد وعلى اعادة الشي اذا كان الشي مما يجوز عليه البقا وكان
القادر عليه قادرا لذاته لا بقدرة هي معنى يوجب كون الذات
قادرة كالواحد منا انه صار قادرا بالمعنى يسمى قدرة وقوله تعالى
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا ه معناه
وجعل لاعادتهم وقتا وهو يوم القيمة ومع وضوح هذه الدلايل
امتنع الكافرون وابوا الا الكفور بالله وبرسوله وهذا من
فرط جهلهم واعراضهم عن طريقة النظر والاستدلال
قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق
وكان الانسان قتورا ه معنى القتور قيل البخل وقيل هو المقتر
جمع ما يعطي فلا يعطي الا القليل لمخافة الفقر ه وخزاين الله
مقدوراته والله يقدر على ما لا نهاية له من اي جنس كان من المقدورات

ومعنى الاية ان الله تعالى انه لما ذكر الكفار الذين كانوا
لا يؤمنون بالله ولا يعترفون بما انعم عليهم وكانوا لا يوفون
فقال لهم لو كنتم تملكون ما يملكه الله من الرزق لعباده كنتم
تمسكون ذلك لانفسكم ولا تعطونه غيركم خشية من الفقر ونفاد
ذلك بالانفاق اياه ثم ذم الانسان بانه قتور بخيل ه وقيل ان المراد
وكان الانسان قتورا وكان منهم احوا من جهة ان الغالب
عليهم البخل فاجرى الذكر على التغليب وقيل انما اطلق ذلك لانه لا
احد الا ويختار النفع ويجلبه لنفسه فهو بخيل بالاضافة الى جود
الله وكرمه ولو ملك الانسان الذي هذه صفته خزاين ربه لاختار
معظمها لنفسه والله تعالى يبسط الرزق لعباده لانه لا يجوز عليه النفع
والضر ومن ضيق الله عليه الرزق فانما ضيقه لمصلحة له في باب الدين
وذلك حسن نظره له الا تراه كيف اخبر عن معلومه في خلقه بقوله
لو انتم الا ضامر قيل على تقديره ولو تملكون انتم لان لو واجب بالفعل ه
وقوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ه اخبر الله تعالى انه
اعطى موسى عليه السلام تسع ايات ظاهرات ه وهي العصاه واليد ه واللسان
وهو انحلال العقدة ه والبحر ه والطوفان والجراد ه والقمل
والضفادع ه والدم ه والعصاه والبحر ه والبطشة ه ووجه
اتصال الاية بما قبلها اتصال الجود بما اعطى من الايات البينات فدل
بما اعطى على جود الذي جود كل من سواه بخلا بالاضافة الى جوده
وقوله تعالى فسل بني اسرايل اذ جاءهم ه قيل هذا خطاب للنبي صلى
الله عليه واله والمراد به غيره وكانه قيل لمن شك من امته فيما خبر
به صلى الله عليه واله من الايات التي اعطاها الله سل بني اسرايل العارفين

باخبار موسى عليه السلام لجبروتك بصحتها اخبرك به محمد عليه السلم ٥
وقوله تعلى فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا ٥ معناه ان
فرعون قال لموسى عليه السلم انى لاظن انك قد عمل فيك السحره فيك وان
الذي تقوله وتدعيه لحملك عليه السحر الذى بك ٥ وقيل معنى مسحورا
مخدوعا ٥ وقيل هو بمعنى ساحر فيكون مفعولا فى معنى فاعل كقول العرب
مشئوم فى معنى شائم وقوله تعلى قال لقد علمت ما انزل هولا الا رب
السموات والارض بصائر ٥ من قرا علمت بفتح التا فان هذا القول على
ان فرعون كان عارفا بالله تعالى ومعاند فى ادعا الربوبيه لنفسه
قال ويجوز ان يقال له علمت على معنى انك عاقل متمكن من النظر والاستدلال
موقرا الاله فاذا فكرت ونظرت علمت ان السحره لا يقدرون على فعل
هذه الايات التى ظهرت على والذى يدل على صحة القول الاول قوله
حاكيا عنهم ولما جاتهم اياتنا مبصره قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا الايه ٥ ومعنى البصاير الدلايل
وانى لاظنك يا فرعون مثبورا ٥ الثبور الهلاك ٥ ومعنى الايه ان موسى
عليه السلم اجاب فرعون عما قاله الله تعلى عنه وهو انه قال له انى
لاظنك يا فرعون هالكا ان لم ترجع الى ما ادعوك اليه وقوله تعلى
فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا ٥ معناه
واراد فرعون ان يزعج موسى وقومه من ارض مصر اكراها واجبارا
وقهرا ويجوز ان يكون المراد به النفى ويجوز ان يكون المراد به
القتل فاهلك الله فرعون وقومه بالغرق ومضى بيان هذه القصه
وقوله تعلى وقلنا من بعده لبنى اسرايل اسكنوا الارض فاذا
جا وعد الاخره جينا بكم لفيفا ٥ معناه وقلنا من بعد اهلاك فرعون

لبنى اسرايل اسكنوا ارض الشام ومصر من قبل ما كنتم خايفين منه
من جهة فرعون فاذا جا وعد القيمه وهى الكره الاخره جينا بكم
جميعا وهو معنى قوله لفيفا ٥ وقيل معنى لفيفا مختلطين لا تتعارفون
ومعناه لا يسكن بعضكم على بعض لانه لا يعنى هنا كل احد عن احد شيا
وقوله تعلى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا ٥
معناه ان الله تعلى انزل القران بالحق والقران حق نزل من عند الله لان
جميع ما اخبر الله تعلى به فيه حق وصدق ٥ وما ارسلناك يا محمد الا مبشرا
للطايعين بالثواب ومخوفا للعاصين بالعقاب وقوله تعلى وقرانا فرقناه
لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ٥ اصل المكث التثبت
والتوقف وفيه ثلث لغات ضم الميم وفتحها وكسرها ومكثا ومكثا
والنصب قرانا على تقدير واتيناك قرانا فرقناه على معنى جعلنا بعضه
امرا وبعضه نهيا وبعضه وعدا وبعضه وعيدا ٥ وقيل فرقناه بالبيان
الذى بان الحق من الباطل ٥ وقيل انتصب على معنى وفرقناه قرانا الا انه
استغنى بتفسير الفعل عن ذكره فعلى القول الاول يكون فرقناه صفه
وعلى القول الثانى يكون خبرا وقوله تعلى لتقراه على الناس على مكث ٥
معناه انزلنا القران شيا بعد شى على مكث ليحفظه الناس ويفهموه ويعملوا
به ٥ ومعنى ونزلناه تنزيلا اى انه من عندنا وهو حق كله وصواب يهدى
الى الرشد وانما اكد بالمصدر وهو قوله تنزيلا تعظيما لشانه فى انزال
الله اياه وقوله تعلى قل امنوا به او لا تومنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله
اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ٥ ويقولون سبحان ربنا ان كان
وعد ربنا لمفعولا ٥ قيل قوله امنوا به او لا تومنوا تهديد لهم لعدولهم
عن حظهم فيه وكفرهم به ٥ معناه قل لكفار قريش ان امنتم بهذا

القرآن أو لم تؤمنوا فلا ضير ترك إيمانكم به إلا إنكم لأنه لا يرجع عليه إلا
إليكم والذين علموا أي كتب الأنبياء عليهم السلام قبل نزول القرآن علموا
ما أخبر الله تعالى من أخبار محمد وآثاره وخبر كتابه المنزل عليه وهو القرآن
وإذا تلي عليهم القرآن يسجدوا شكرا أو تعظيما لما تلي عليهم من
كتاب ربهم وكلامه وهو مثل عبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتاب الذين
آمنوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وآله وأصل الذقن في اللغة مجمع اللحيين
وقيل المراد بالأذقان الوجوه ها هنا ٥ وقيل عنى بها اللحى ومعنى ويقولون
سبحان ربنا ينزهون الله من الكذب في وعده بأنه يرسل محمدا وينزل
القرآن عليه ويكون ما كان ذلك إلا مفعولا على ما أخبر الله في الكتب المنزلة
قبل القرآن وهؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب لما دعاهم إلى الإيمان بمحمد
والقرآن بما قد عرفوه في التوراة من صحته وقوله تعالى ويخرون للأذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا ٥ معناه وإذا تلوا هذا القرآن بكوا
وسجدوا لله شكرا أو تعظيما للقرآن الذي هو كلامه ويزدادون
عند ذلك خشوعا وخضوعا لله وقوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن
أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ٥ أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يدعوا
بأي اسم من أسمائه شاء وافقا بهم قيل لهم ادعوا الله إن شئتم بقولكم
يا الله وإن شئتم قلتم يا رحمان وإن شئتم قلتم يا رحيم وإن شئتم قلتم يا رب
فإن كل اسم من أسمائه يقوم مقام الآخر لأن أسماء الله كلها حسنة وقد
أوردنا طرفا من الكلام في أسماء الله وصفاته ومعنا أن الفواحش
والمعاصي لو كانت من فعله لكانت الأسماء المشتقة من تلك الأفعال
كيف يسمى الله جل وتعالى عنه وقد بينا جميع ذلك في تأويل قوله ولله الأسماء
الحسنى فادعوه بها وهذه نظير تلك فلا وجه لإعادته ها هنا وما

ما في قوله أيا ما تدعوا صلة كقوله تعالى قال عما قليل ليصبحن نادمين ٥ وقيل
هو بمعنى أي شيء وكرر مع اختلاف اللفظين للتأكيد كقولهم ما إن
رأيت كالليلة ليلة وقوله جل اسمه ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
وابتغ بين ذلك سبيلا ٥ قيل معناه لا تجهر بالقراءة في صلاتك كل الجهر
حتى يسمع قلب من يريد أن يصلي بالقرب منك ولا تكتمها كل الكتمان
حتى لا يسمعها من يليك ما تقرأه وقيل معناه لا تجهر بدعائك ولا تخافت
بها به وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك بإشاعتها وإظهارها أمام إتيانها
عند من يؤذيك ولا تخافت بها عند من يلتمسها منك وقيل معناه ولا تجهر
بصلواتك كلها ولا تخافت بجميعها وابتغ بين ذلك سبيلا أي اطلب سبيلا بين الجهر
والكتمان ٥ وقيل بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار على ما
أمرناك به وقوله جل اسمه وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك ٥ علم نبيه ذلك وفي تعليمه إياه تعليم لأمته ومعناه احمد الله على نعمه
ووحده في ذلك واعلم أن الله لم يتخذ ولدا لنعمته ونصرته ولا يجوز أن يكون
له نظير يكون ذلك له ولدا ولا يجوز أن يكون له شريك معين في خلق ما خلق
وقوله تعالى ولم يكن له ولي من الذل ٥ معناه ولم يكن له ولي ينصره ويدفع
عنه الضيم لأنه لا امتناع به وهو غني لا يحتاج فلا يجوز عليه المنافع والمضار
وكبره عن اتخاذ الولد والشريك والمعين تكبيرا ٥ ومعناه وصفه بأنه
أكبر من كل شيء لأنه القادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي لا يخفى عليه شيء والغني
لنفسه لا يجوز عليه الحاجة وقيل وكبره تكبيرا عن كل ما لا يجوز عليه في
صفته ٥ وروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال من قرأ سورة
بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين أعطي قنطارين من الجنة والقنطار
ألف أوقية ومائتا أوقية والأوقية منها خير من الدنيا وما فيها ٥

السورة التي يذكر فيها الكهف مائة واحدى عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ه العوج بكسر العين يكون في الكلام
وهو العدول عن طريق الاستقامة الى الفساد ه والعوج بفتح العين
هو فيما خالف الاستواء الخشب والحائط ونحو ذلك والقيم المستقيم ومعنى
الابتداء ان الله تعالى امر الخلق ان يشكروه ويحمدوه على انزال الكتاب الذي
هو القران مستقيما في باب الحكمة سليما من التناقض وقيل قوله ولم يجعل
له عوجا قيما على التقديم والتاخير على تقدير انزل لنا الكتاب قيما ولم
يجعل له عوجا وقوله تعالى لينذر باسا شديدا من لدنه ه معناه انزل
القران على نبيه لينذركم باسا شديدا وهو العذاب العظيم اذا كفرتم
وعصيتم ولم تقبلوا الكتاب المنزل على نبيكم الا انه حذف لدلالة
الكلام عليه ه وانتصب باسا لحذف الباء عنه لان تقديره لينذركم بباس
شديد كما قال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه اي يخوفكم باوليائه ه
ومعنى من لدنه من عنده وقوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا ه معناه ويبشر
المؤمنين بالله وكتابه ونبيه بان لهم عند الله ثوابا حسنا وانهم
يكونون دائمين في ذلك الثواب لا ينقطع عنهم ابدا وقوله تعالى
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم ه معناه
وليخوف النبي صلى الله عليه وسلم الذين قالوا اتخذ الله ولدا بالعذاب
الشديد ويبين تعالى انهم قالوا ذلك من غير علم منهم ومن ابائهم به لانهم

الجهالات انما قالوا ذلك لفرط جهلهم وتقليدهم اباهم الجاهلين الذين
لم يكن لهم بصيرة وعلم وقوله جل اسمه كبرت كلمة تخرج من افواههم
ان يقولون الا كذبا ه معناه وما يقولون الا كذبا ه وقيل في انتصاب
كلمة وجوه احدها انه انتصب على تفسير المضمر على طريقة نعم رجلا
زيد وبئس صاحبا عمرو وقد يقال هذا في افعال المدح والذم كقولك
حبذا رجلا زيد وكرم رجلا بكر ه والثاني انه نصب على التمييز
في الفعل المنقول نحو قولهم فلان تصبب عرقا ونحو قول الله تعالى في هذه
السورة وسالت من نفقا وكانه قيل كبرت كلمة وتقديره كبرت
تلك الخصلة كلمة ه وقيل الذين قالوا هذا هم قريش لانهم قالوا الملائكة بنات
الله وقيل هم النصارى لقولهم المسيح ابن الله وقوله جل اسمه فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ه باخع نفسك اي
قاتل نفسك وقيل مهلك نفسك ه ومعناه لا تقتل نفسك على اثرهم ان لا
يؤمنوا بهذا القران غما وحزنا ه ومعنى على اثارهم بعقب توليهم وقيل
ذلك على انه صلى الله عليه وسلم كان يتبعهم بنفسه ه ومعنى اسفا
قيل سمي القران حديثا وهم يقولون بقدم القران اعني الكلام ه
دالا سعرها ه وقيل كسرت ان في قوله ان لم يؤمنوا لانها في معنى الجزاء
ولو انتصب في اللغة مثل هذا جاز قال الشاعر اتجزع ان بان الخليط
المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع وقوله جل اسمه انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ه قيل معناه جعلنا الاشجار والزروع وانواع
النبات والثمار والمواشي والطيور وسائر ما ينتفع الناس به زينة للارض
ولاهلها لان الارض تحسن بها ويحسن احوال الناس به ه وقيل معناه
ان الارض حفت بالشهوات فمنها ما هو حرام ومنها ما هو حلال

ومنها جايز ومنها ما هو واجب ومنها ما هو اولى فرتبتها يرجع الى
جميع ذلك وقوله جل اسمه لنبلوهم ايهم احسن عملا ه معناه لنعاملهم
بالامر والنهي معاملة المختبر فايهم كان احسن عملا كان جزاوه
على مقدار عمله عند الله وقوله تعالى وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ه
قيل معناه وان الله سيهلك ما خلقه على وجه الارض من زينتها والجرز
الارض اليابسة التي لا نبات فيها ه وقيل صعيدا جرزا معناه
بلقعا وقوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
من اياتنا عجبا ه معناه ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم هولا الذين
كانوا اصحاب الكهف وامرهم الذي ظهر انه كان عجيبا من اياتنا وعرفه
الله بذلك لانه لم يعرفه حتى اعلمه الله وقيل معناه ام حسبت ان اصحاب
الكهف وما صاروا اليه كان عجبا مع ان ما خلقت من السموات
والارض وما فيهن اعجب والحجة بذلك قايمة والعبرة به بينة وقيل
معناه من اياتنا ما هو اعجب من ذلك والرقيم هو لوح كتب فيه اسما
اصحاب الكهف واخبارهم حين اووا الى الكهف لانه كان من عجايب الامور
وجعل في خزاين الملوك ه وقيل على باب كهفهم ه ورقيم في موضع
من قوم يخرج في موضع مخروج ه وقيل الرقيم هو الوادي ه وقيل
الرقيم هو الجبل نفسه عند بعض المفسرين كانه ذهب الى ان الجبل
علم كان الكتاب عليه على المعنى ه وقيل هم هربوا بدينهم الى الكهف
لان دقيانوس الذي كان الملك في ذلك الوقت واصحابه ينازعون هولا
في الدين الذي اعتقدوه وكان اعتقادهم حقا فهربوا الى الكهف
من ايديهم ليسلم دينهم وقوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا
اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ه اووا الى الكهف هربا من اولئك

الكفار ودعوا الى الله بهذا الدعاء لينا لا بد على ان لا انسان
اذا احد باظهار كلمة الكفر جاز له ان يهرب بدينه وان يدعو
الله في تلك الحال بمثل هذا الدعا لان الله تعالى رضي ذلك واجابهم اليه
ومعناه ارزقنا من عندك رحمة تنجنا بها من ظلم الكفار ومن ان
يهلكونا او يفتنونا ودلنا على ما فيه نجاتنا وهو معنى قوله وهيئ لنا من
امرنا رشدا ه والارشاد هو الدلالة وقوله تعالى فضربنا على اذانهم
في الكهف سنين عددا ه قيل معناه انمناهم في ذلك الكهف نوما
لبثوا فيه سنين معروفة معدودة لم ينتبهوا منه وكانوا في تلك الحال يتنفسون
فصار حصول النوم ضربا على الاذان توسعا ومجازا ه ومعنى ضربنا
على اذانهم في الكهف جعلنا فيها ما يمنع عن الادراك وقوله تعالى
ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ه معناه ثم نبهناهم
من نومهم ليعرفوهم ويعرف غيرهم انه ليس فيهم من يعلم مقدار السنين
الذي ناموا فيها وهو معنى قوله لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي لنعلم
باحصا هذه السنين ه وقوله لنعلم مجازا ها هنا لان الله تعالى لا يجوز عليه
ان يحدث له علم كالواحد منا وهو عالم لذاته بجميع المعلومات وانما معناه
لنبين لهما انه ليس في الحزبين من يعلم ذلك ومعناه لنظهر المعلوم
في اختلاف الحزبين في مدة لبثهم فيظهر من هو محق ومن جهتهم كان
معلوما لله تعالى من حالهم ه وقيل احد الحزبين الفتية والحزب الاخر
من حضرهم من اهل ذلك الزمان ه وقيل احد الحزبين مومنون والاخر كافر
والامد الغاية ه وانتصب امدا باحصى ولبثوا في قوله نصبه ه وقيل
لا علم لاحد الحزبين بمقدار لبثهم ه وقيل يجوز ان يحتووا فيعلم احدهما دون
الاخر والحزبان هما المختلفان في امرهم وقوله تعالى نحن نقص عليك

نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ٥ معناه انا نعلمك خبرهم
ونقص عليك قصتهم بالحق انهم فتية آمنوا بالله ربهم وزادهم الله بصيرة
بالالطاف التي فعلها لهم ٥ ووجه الاعتبار في ثباتهم صفتهم في
خلوص ايمانهم وما جلب لهم من الفائدة من ربهم اذ زادهم هدى
وبصيرة حتى لم يشكوا بايمانهم ولم يبالوا بشديد من تهددهم بالقتل
والتذليل لهم وزيادة الهدى التي اعطاها الله اياهم قيل هي
زيادة المعارف بالالطاف فيها من الآيات التي زادها ومن الربط
على قلوبهم وقوله جل اسمه اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات
والارض ٥ قيل معناه شجعناهم وقوينا قلوبهم حتى قالوا هذا
القول بحضرة ملك الكفار ولم يستعملوا التقية فقالوا
ربنا ومالكنا ومدبرنا مدبر السموات في الارض وخالقها
وقوله جل اسمه لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ٥
الشطط هو الخروج عن الحد بالغلو معناه لو قلنا باله غير الله كما
يسوموننا ويلزموننا لقد قلنا قولا شططا اي باطلا وقوله تعالى
هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم وكان هذا
اخبار منهم على وجه الانكار وقوله تعالى لولا يأتون عليهم بسلطان
بين ٥ معناه هلا يأتون على هؤلاء الالهة بحجة بينة واضحة تدل
على انها الهة ٥ وقيل لولا يأتون على عبادتهم لها بحجة ظاهرة بحذف
وفي الآية دلالة على انه لا يجوز تقبل الدين الا بحجة وقوله تعالى فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا ٥ معناه ومن اظلم من هؤلاء الكفار لانهم
بافترائهم الكذب على الله في ادعائهم الها غير الله تعالى هذا
اللفظ على التعجب للخلق من شجاعتهم وبصيرتهم وقوله تعالى

واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا ٥ قيل
معناه انه قال بعضهم لبعض اذ اعتزلتم هؤلاء الكفار وما
يعبدون من دون الله واظهرتم معاداتهم ولم تعبدوا الا الله
وحده فصيروا الى الكهف فاتخذوه مأواكم الى ان ينشر الله لكم
رحمة من عنده وقيل معناه لعلهم كانوا علموا انه لا يتهيأ لهم الكون فيما
بينهم مع اظهارهم المخالفة لهم في الديانة ومعنى الاستثناء في قوله
الا الله يجوز ان يكون متصلا ٥ ويجوز ان يكون جميعهم انما يعبدون
الاوثان فقط فيكون الاستثناء منقطعا ٥ والفاء التي في قوله فأووا
جواب اذ كما تقول اذ اتيت ٥ وقوله ويهيئ لكم من امركم
مرفقا المرفق شيء يرتفق به وينتفع به وفيه لغتان كسر
الميم وفتح الفاء وفتح الميم وكسر الفاء والكسائي ينكر في مرفق الانسان
الا كسر الميم ٥ والفتح اجود ٥ ومعنى الآية فأووا الى الكهف
وكونوا فيه الى ان ينشر الله لكم رحمة وييسر لكم مرفقا في معاشكم
وقوله جل اسمه وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ٥
معناه ان ذلك الكهف الذي اوى اليه الفتية كان بابه الى حيال ناحية
قطب الفلك فكانت الشمس لا تسقط فيه لا عند طلوعها ولا عند غروبها
وانما كانت تميل عنهم وهو معنى قوله تزاور وتزور وبعد طلوعها
تميل عن يمين الكهف لانها ~~كانت تميل عنهم وهو معنى~~ لا تكون مستقبله
باب الكهف فاذا كان العشي كانت زائلة عن باب الكهف الى جانب الشمال
الكهف وهو معنى قوله تقرضهم ذات الشمال وتزاور اصله تتزاور
فادغمت التاء في الزاي واصله من الميل والانحراف عن الشيء ٥

وقوله عز وجل وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ٥
أصل القرض القطع قرضته بالمقراض إذا قطعته ومعنى تقرضهم
تقطعهم في ذات الشمال ومعناه أن الشمس عند غروبها تحول وتميل عنهم
منحرفة ٥ وقيل معنى تقرضهم تعطيهم الشمس عند غروبها اليسير من
الشعاع بمحاذيه بانصرافها وكان تقع شعاعها في الكهف شيئا
يسيرا ٥ فالأول من القرض الذي هو القطع ٥ والثاني من قرض الدراهم
تريد معنى في فجوة منه في موضع واسع من الكهف ٥ وقيل كانوا في فضاء منه
والفجوة المتسع من الأرض وجمعها فجوات وفجا ممدود ٥ وقوله تعالى
ذلك من آيات الله ٥ معناه من آيات الله المعجزة ٥ وكان المعجز
من حالهم في نومهم ثلثمائة سنين وتسع سنين لا تتغير أحوالهم ولا
يطعمون ولا يشربون ٥ وقيل إن تلبثهم كان نبيا فاتبعوه وآمنوا
به والمعجزة له ٥ وقيل كان المعجز لنبي عصرهم ٥ وقوله تعالى من يهد
الله فهو المهتدي ٥ يحتمل أن يكون المراد بالهداية هاهنا اللطف ومعناه
من لطف الله له اهتدى لأن الله لا يفعل اللطف الذي هو الجزاء على العمل إلا
من عمل الحسنة كما قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى ٥ وقوله ومن يؤمن بالله
يهد قلبه يجوز أن يكون من حكم الله له بالهدى فهو المهتدي والله لا
يحكم بالهدى إلا من أطاع واهتدى ويجوز أن يكون المراد بالهدى الثواب
ومعناه من هداه الله طريق الجنة ثوابا على طاعته فهو المهتدي ٥
وقوله عز وعلا ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ٥ يجوز أن يكون معناه
ومن أضله الله عن طريق الجنة بأن أوجب عليه العقاب ٥ ويحتمل أن
من حكم الله عليه بالضلال لا يحكم إلا على من هو ضال فلن تجد له ناصرا
ومعينا ومدبرا يرشده إلى طريق الجنة أو يدفع عنه العذاب وقد

بينت وجوه الضلال والهداية في أول سورة البقرة وفي مواضع فلا وجه
لإعادته هاهنا ولا يجوز أن يكون تأويل قوله من يهد الله من خلق الله الإيمان
في قلبه ومن يضلل من خلق الله الكفر في قلبه كما قالت المجبرة لأن الله لا يخلق
ما أمر العبد بفعله ونهاه عن فعله ٥ وقوله جل اسمه وتحسبهم أيقاظا وهم رقود
ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ٥ معناه وإذا رأيتهم في حال الكهف حسبتهم
أيقاظا منتبهين وهم نيام لأن الله تعالى أبقى عليهم حال المنتبهين في حال نومهم
لأن أعينهم كانت مفتحة ولم يتغير في حال وجوههم كما يتغير وجه النائم ثم
يتنفسون ولا يتكلمون وكانوا يقلبون لئلا يبلى ما تحتهم ويسلمهم كما تقلب
النائم بلا انتباه وتسع سنين وهو معنى قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وهذا من
أعجب المعجزات فإن كان رآهم نبيا كان المعجز له وإن لم يكن نبيا كان
المعجز للنبي الذي كان في ذلك الزمان ٥ وقوله جل اسمه وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد ٥ قيل الوصيد هو الفناء وقيل هو الباب وجمعه وصائد ووصد
وفيه لغتان وصيد وأصيد وهو من أوصدت الباب ٥ وقيل الوصيد
باب الفجوة لا باب الكهف لأنهم كانوا قد دخلوا الكهف وتواروا فيه وكان
الكلب باسطا ذراعيه بباب الفجوة ٥ ومعناه ألقى الله النوم أيضا على كلبهم
وقيل إن الكفار مروا إلى باب الكهف وسدوه بالحجارة والذي فتح ذلك الباب
رجل كان يعدو بالماشية في ذلك الموضع على باب الكهف بعد قدر وما
فصار باب الكهف مفقودا ٥ وقوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت
منهم رعبا ٥ معناه لو نظرت إليهم ووقع بصرك عليهم لعرفت منهم الخوف والفزع
ذلك أن الله تعالى كان ألبسهم الهيبة لكيلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب
أجله ويستوفوا نومهم بإذن الله تعالى ٥ وقيل إنما كان الفزع لأجل أنهم كانوا في موضع
موحش مظلم وكانت أعينهم مفتوحة ووجوههم حالها حال المستيقظين ولا يتكلمون

وقيل طالت اظفارهم وشعورهم ولاجل ذلك يدخل الرعب على من يراهم ه وقيل
الفجوة متسع داخل الكهف حيث لا يراهما من كان بباب الكهف وكان
الكلب بباب الفجوة وقوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ه فاللام
للسببية في قوله كذلك بعثناهم على معنى كما حفظنا احوالهم طول تلك المدة
بعثناهم من تلك الرقدة لان احد الامرين كالاخر في انه لا يقدر عليها الا
الله تعالى وقيل كما نومناهم بعثناهم ونبهناهم ومعناه نبهناهم من نومهم
ليسال بعضهم بعضا عن حالهم وليطيعوا بهم وقوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ه معناه روى ان رئيسهم قال لهم كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم في ظننا عند نفوسنا وقوله تعالى قالوا ربكم اعلم بما
لبثتم ه معناه انهم قالوا بعد ذلك الله اعلم بما لبثتم اي بمدة لبثكم ونومكم
وانما قالوا ذلك لانهم لم يتحققوا تلك المدة وقوله تعالى فابعثوا احدكم
بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه
وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا ه معناه قال لهم رئيسهم ابعثوا احدكم
بورقكم هذه الى المدينة فقال لهم ابعثوا واحدا لم يكن معروفا في تلك
المدينة على طريقة اصحاب الكهف في دينهم وقالوا انظر اي طعام احل في
السوق واطهر وانما قالوا ذلك لان اهل السوق كانوا يدعون للاوثان وهم كفار
انجاس وقيل معنى ازكى خيرا وارخص فليشتره وليأت به الينا وليتلطف
في ذهابه واستيابه ومجيئه لا يشعرن بمكانكم احدا فهذه الكلمات كلها لام
الامر وقوله تعالى انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن
تفلحوا اذا ابدا ه وورد في الروايات ان اولئك الكفار كانوا يقتلون الناس بالرجم
ويكلفون الناس يرجعون الى دينهم فقال هذا الرسول ان وقفوا على مكانكم
وظفروا بكم رجموكم او ترجعوا الى دينهم ولو فعلتم ذلك دخلتم في دينهم

لم تفلحوا اذا ابدا او قيل يرجموكم يشتمونكم ويوذونكم بالقول القبيح
وقوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان
الساعة لا ريب فيها ه معناه اظهرنا امرهم وعرفنا اهل المدينة حالهم
ليستدلوا بذلك على ان وعد الله من البعث والنشور بعد الموت حق كما
قبض ارواحهم ولا يأكلهم الغبيرة تلك المدة الطويلة ثم بعثهم كانهم لم يزالوا
احياء على تلك الصفة وروي انه كان سبب ظهور امرهم ان الذي هم الذي
بعثوه مع صاحبهم لانه كان على ضرب ذلك الملك دقيانوس وظن اهل
المدينة ان الذي جاء به اصاب كنزا فاخذوه وشددوا الامر عليه فوقفوا
عند ذلك على امرهم وحالهم من جهته وقوله تعالى اذ يتنازعون بينهم
امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم ه قيل كان تنازعهم بينهم
لاجل ان القوم لما وقفوا عن حالهم وعرفوا اخبارهم لم يلبث اصحاب الكهف
حتى اماتهم الله في الكهف فاختلف الذين ظهروا على امرهم من اهل
مدينتهم في ان هذه الكرة مثل الكرة الاولى ام ليس كذلك ويقولون
ما بينهم ربهم اعلم بهم وقال بعضهم ابنوا عليهم بنيانا تعرفون به ه وقال
اخرون اتخذ عليهم مسجدا وقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم
مسجدا ه معناه وقال رؤساء اهل تلك المدينة نتخذ عليهم متعبدا على باب
اهل الكهف ليكون في ذلك احد ما تعرفون به اخبار القوم واحوالهم وقيل
هاؤلاء هم الذين اتخذوا اللوح وكتبوا فيه اسماءهم وقصتهم وقوله تعالى سيقولون
ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم ه معناه ان المختلفين في امرهم في ذلك الذين كانوا
اذا سئلوا عن عدد اصحاب الكهف فمنهم من يقول كانوا ثلثة رابعهم
كلبهم ومنهم من يقول خمسة سادسهم كلبهم وكان هذا القول رجما منهم

بالغيب ومعناه قذفا بالظن رميا به من غير علم ومعرفة وهذا كما
قال زهير   وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
ومنهم من قال كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقال بعض العلماء انما دخلت
الواو في قوله وثامنهم كلبهم لان الاول جا على وجه صفة الجملة
والثاني جا عطفا على الجملة وفرق بينهما لان السبعة اصل المبالغة
في العدة كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم وقال بعضهم هذه الواو تدل على ان عدتهم كانت سبعة
وقال غيره ليس فيه دليل على ذلك لان اهل اللغة قد يدخلون
في الكلام الواو وقد يحذفونها في مثل هذا الكلام وهما بمنزلة
واحدة قال ويدلك على صحة هذا قوله تعالى قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل فمن القليل النبي صلى الله عليه واله لان الله اخبره بعددهم
واعلمه وروي عن ابن عباس قال انا من القليل الذي استثنى الله
تعالى ثم قال وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم وما اخبر الله به النبي
واعلمه اخبر به النبي امير المؤمنين واخبر به امير المؤمنين الحسن والحسين
عليهما السلام والائمة من ولد الحسين عليهم السلام داخلون في القليل الذي
استثنى وابن عباس داخل فيه من ذلك لانه يحتمل ان يكون عرفه من جهة
النبي عليه السلام ومن جهة امير المؤمنين قوله جل اسمه ولا تمار فيهم الا
مرا ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا معناه لا تمار الا بما اظهرناه
لك وعرفناك من امرهم والمرا مصدر ماري يماري مماراة ومراء
وقيل معناه لا تمار من ادعى معرفة عددهم من اهل الكتاب اكثر من ان
تقول لهم انكم تقولون هذا بغير حجة ومعرفة وخبر من جهة الله فهذا
هو المرا الظاهر ثم قال له صلى الله عليه واله فلا تستفت فيهم احدا من اهل

الكتاب عن عددهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد
به غيره لان النبي عليه السلام لم يستفت بخبر الله الا استغناه وما
امره الله تعالى النبي ان يخبر الا بعد عددهم لانه لم يتعلق التكليف به
وقوله جل اسمه ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله هذا
ما علم الله تعالى الخلق الادب فيه ومعناه من كان لا يأمن ان يبقى غدا حيا
ولا يموت لا ان يقول اني افعل غدا كذا وكذا الا ان يقول ان شاء الله لان
الموت والعجز والامراض والافات متوقعة فاذا اخبر انه يفعل كذا ثم
لا يوجد يخبره على ما اخبر به كان كذبا فاذا قال مثلا اذهب الى المسجد
غدا ان شاء الله فاذا مات او جا العذر ولم يصر الى المسجد لم يكن كذبا
وقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت قيل معناه اذا نسيت شيا فاردت
ان تذكره فاذكر الله عند ذلك واسئله ان يذكرك فان ذكرك اياه
توكل عليه وقيل انه اذا ذكر انه نسي قوله ان شا الله فليقل ان شا الله
وقوله تعالى وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا معناه
عسى ان يعطيني ربي من الرشد ما هو اولى من قصة اصحاب الكهف
وقيل عسى ان يدلني على ما هو ارشد من هذا الذي نسيته وما
هو اصلح منه لانه يجوز ان يكون الله تعالى انساه ذلك لانه كان
اصلح وقوله تعالى جده ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا
تسعا ورد الله الكلام الى اصحاب الكهف ودل ذكر عدد ان
الله تعالى عرف النبي عليه السلام عددهم هذا العرض من ذلك
ونبه بعده لبثهم وقال له عليه السلام فان حاجك المشركون من اهل
الكتاب فيهم فقل الله اعلم بما لبثوا وقيل انه اعلم بما لبثوا الى الوقت
الذي نزل فيه القرآن بهذا وقيل انه اعلم بما لبثوا الى ان ماتوا

وهذا التاويل في بيان الله للمقداد ٥ وقيل هو حكاية قول
اليهود لاجل قوله قل الله اعلم بما لبثوا وهذا غلط واما الوجه
الوجه احسن الذي يتنزل لانه لا يجوز ان يصرف حكاية الله الى
الحكاية الا بدليل قاطع ولانه معتبرا لا غيبات التي عند الله
لعباده وهذا معنى قوله قل الله اعلم بغيب بهم ٥ ومعناه اعلم
من اهل الكتاب الذين يدعوا علمه وقوله تعالى له غيب السموات
والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في
حكمه احدا ٥ معناه ان الله تعالى يعلم غيب السموات والارض
وهو كل ما يكون مستورا عن الخلق وكانه قيل من يعلم الغيب
يجب ان يكون اوثق بخبره من خبر من خبره يكون على وجه
الظن والحدس ثم وصف الله تعالى نفسه بان قال ما اسمعه
وابصره لانه لا يخفى عليه شي فخرج اللفظ مخرج التعجب على وجه التعظيم
له وكانه قيل له صلى الله عليه واله اذكره بذلك للناس وعرفهم بذلك
واخبرهم بانه صفة الله ما اخبر عن غيبه ٥ ثم بين تعالى انه لا يجعل
لاحد من خلقه ان يغير حكمه في عباده وان يحكم فيهم بخلاف ذلك
وقوله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه
ملتحدا ٥ قيل معنى الملتحد الملجا الذي يهرب اليه ٥ وقيل الموئل وقيل
المعدل وهو من قولهم لحدت الى كذا اذا ملت اليه ومنه اللحد
لانه في ناحية القبر ومنه الالحاد في الدين لانه العدول عن الحق ٥ ومعنى
الاية اقرا ما اوحى الله اليك فانه من كلماته لا تبديل لها ولا تغيير
ولن تجد من دونه ملجا ومعدلا ٥ وقد تقدم في الرواية انهم سبعة
وكانوا اخوة وكانوا من خواص دقيانوس لعنه الله ووزرائه

وخزانه ودقيانوس ادعى الربوبية وتعبد قومه كما فعل فرعون
فلطف الله تعالى لهولا الطافا ادتهم الى النظر والاستدلال بافعال
الله على الله تعالى وحده وعرفوا عدله وحكمته ٥ وفي رواية من روى
ان كل احد منهم راى رويا صارت عنده لدا عيا الى معرفة
الله تعالى وكل احد منهم يكتم روياه عن صاحبه الى ان تشاوروا
واتفقوا على الهرب من الملعون المدعي للربوبية ٥ وروي ان دقيانوس
اصابته علة ضعف لها واظهر الجزع فقال هولا لو كان هذا الها
لا يستحق ما الم به وافشى كل واحد منهم سره لصاحبه ودبروا
الهرب فقالوا استاذنوه للتنزه والصيد فاستاذنوه فاذن لهم فجعلوا
يخرجون الى الصحرا ويرجعون حتى اتى على ذلك العادمدة وكل كره جعلوا
يخرجون ابطى من الكرة الاولى حتى اسموت عادتهم على ذلك من اليوم
الذي اجمعوا عزمهم فيه فخرجوا فلم يرجعوا في الوقت الذي كانوا يرجعون
فيه فظن الملك والجند انهم تباعدوا في الصيد فلذلك تباطوا في
الرجوع فلما انتصف الليل وخرج الامر عن الحد احسوا بانهم عزموا امرا
فامر دقيانوس الجند بالركوب وخرج بعسكره في طلبه ولا يلوي على شي
الفسه ليلهم حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه الكهف من العد ولحقهم
العسكر بحيث كانوا يرونهم في سفح الجبل ٥ وروي انهم راوا ان اعيوا والكلب
وهو باسط ذراعيه والوصيد وكان الراعي فروي ان الراعي تبعهم ومشى
معهم ٥ وروي ان الكلب ذهب بعدهم وصعدوا الجبل خائفين وتبعهم
عيان الخيل فدخلوا الكهف فانسد باب الكهف وجعل الله تعالى
محوه داخل الكهف كما حكى الله تعالى في كتابه والقى النوم عليهم فزال عنهم
الرعب والخوف فبقوا ناسا على تلك الحالة ثلاثمائة سنين وتسع سنين بعد

القنطرة الحبل فلم يردوا احدا او نعوا متحيرين وانصرفوا فانس والحمد لله
رب العالمين حدثني الشيخ الفقيه ابو محمد الحسن بن
علي رحمه الله عليه قال حدثنا ابو جعفر محمد بن ابرهيم بن محمد بن عبدان بن
حبلة الهمداني قال حدثنا ابو سهل حامد بن عبد الله الحوارى قال حدثنا ابو الحسن
احمد بن سلمان الطائي قال حدثنا محفوظ بن ابوه قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر
بن راشد عن ثابت البناني عن انس بن مالك قال اهدي لرسول الله صلى الله عليه
بساط من شعر من قرية يقال لها مندف قال انس فبعث الي من دعا علي فاتيته
وبعثني الى علي عليه السلام وانت رح فقال رسول الله صلى الله عليه يا ريح
احمليهم ثم قال يا ريح ضعيهم ثم قال اتدرون اين انتم قلنا لا قال هو لا اصحاب
الكهف والرقيم الذين كانوا من ايات الله عجبا فقام رجل ممن كان معنا فسلم عليهم
فلم يردوا عليه السلام ثم قام اخر فسلم فلم يردوا عليه السلام ثم قام القوم اجمعون
فسلموا فلم يردوا عليهم السلام فقال امير المومنين علي عليه السلام السلام عليكم يا اهل الكهف
والرقيم الذين كانوا من ايات الله عجبا قال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا ابا الحسن
فقال رجل لعلي سل القوم ما بال الناس سلم عليهم فلم يردوا علينا السلام فقال علي ما بال
القوم سلموا فلم يردوا عليهم قالوا انا لا نكلم الا نبيا او وصي نبي وانت وصي خاتم
النبيين ثم قال علي يا ريح ضعينا ثم ركض برجله فاذا الجن بعين من ما فتوضى
ثم قال اتنا توضاوا فانكم تدركون الصبح مع رسول الله صلى الله عليه والسلم
ثم قال يا ريح احمليا فادركنا اخر ركعة مع رسول الله صلى الله عليه واله سلم فلما
قضينا قال انس بعثنا الى رسول الله صلى الله عليه واله قال
رسول الله فقال يا انس احدثك حدثنا او تحدثنا قلت حدثنا من فيك
يا رسول الله احسن فحدثنا كانه شاهد معنا ثم قال اشهد بها علي يا انس
قال انس فاستشهدني علي وهو على المنبر فداهنت في الشهادة فقال

ان كنت كتمتها مداهنة من بعد وصية النبي صلى الله عليه واله فابرصك
الله قال فلم ابرح مكاني حتى برصت وكان انس لا يستطيع الصوم في رمضان
وفي غيره من شدة الظما وكان يطعم في كل يوم من شهر رمضان مسكينا
حتى فارق الدنيا وهو يقول ان دعوة علي وردي هذا الحديث بعد سماعه حديث
هذا اخرها وقد كان لنبينا صلى الله عليه واله وسلم في هذه المعجزة ففي هذه الرواية
خمس من المعجزات احدها تسخير الريح له كما سخرت لسليمن عليه السلام والثاني
كلام اصحاب الكهف والثالث ركض علي برجله وظهور العين والرابع اخباره
على انهم يدركون الصلوة مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فكان كما اخبر والخامس
ما حدث به رسول الله صلى الله عليه من القصة من اولها الى اخرها حتى كانه كان
معاينا وما اصاب انسا بدعوة علي عليه السلام هو برص الا انه كان قد مضى
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقد غبر لمن اعتبر وقوله تعالى واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه امر النبي صلى الله عليه
واله وسلم ان يصبر مع المومنين العابدين لله غدوا وعشيا يطلبون
مرضات الله ويريدون بعبادتهم بالغداة والعشي تعظيم الله وهو معنى
قوله يريدون وجهه وذكر الوجه لاجل التعظيم كما يقال اكرم الله وجهك
معناه التعظيم ومن شان اهل اللغة ان يذكروا وجه الشي ويريدون
الشي كما يقولوا وجه الراي واتادوا الراي الذي هو الحق عندهم وقوله تعالى
ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا معناه ولا تصرف بصرك
عن هولا الفقرا الى الاغنيا الذين ليسوا في العبادة كهولا الفقرا لحب
عليك ان تختار الفقرا على الاغنيا وتقربهم وتركن اليهم ولا تستغل ابناء الحيوة
الدنيا وقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا معناه ولا تطع الكافرين والمنافقين الذين في قلوبهم غفلة عن ذكر

الله فيكون معنى من اغفلنا صادفنا قلبه غافلا وهذا موجود في اللغة
كما قالوا احمدته وجدته محمودا او اجبنته وجدته جبانا او ابخلته
وجدته بخيلا واحصبت الارض وجدتها حصبة ومنه قول عمرو بن معدي كرب
لبني سليم قاتلناكم فما اجبناكم وهاجيناكم فما افحمناكم وساورناكم
فما ابخلناكم اي ما صادفناكم بخلا ولا جبنا ولا مفحمين وقيل معنى اغفلنا
قلبه نسبناه الى الغفلة ولا يصح نسبته الى الغفلة الا ويكون فيه غفلة وهذا كما قالوا
اكفرته اذا نسبته الى الكفر وقيل فيه وجه اخر وهو ان معنى اغفلنا قلبه غافلا
بان لم نسمه بسمة قلوب المؤمنين الذاكرين الله كما قال تعالى اولئك
كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه تعالى للتعبير الذي لم يسمه اهله
غفل وهذا كما قالوا للارض التي لا اثر فيها للبنيان وغيره غفلة
ومعنى واتبع هواه وكان امره فرطا اي اتبع هذا الغافل هواه وكان امره
مجاوز الحد والحق خارجا عنه يقال افرط اذا اسرف وفرط اذا قصر
عن التقدم الذي لزمه وقيل فرطا مسرفا فدل اخر الاية على ان معنى
اغفلنا ما بيناه لان الله تعالى لو جعل الغفلة في قلبه بان احدثها فيه كما
قاله الجهال لم يكن لقوله واتبع هواه على وجه الذم له معنى لانه لو خلق فيه
الغفلة لم يكن متبعا هواه وانما حمل على اتباع هواه الجي اليه والله يتعالى
عن ذلك ولا يجوز عند اهل اللغة ادخال الالف واللام في غدوه لانه معرفه
ولو كانت نكرة لجاز فيها الاضافة كما جاز غداة يوم الجمعة وقوله تعالى
وقل الحق من ربكم فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر انا اعتدنا للظالمين
نارا احاط بهم سرادقها دلت هذه الاية على ان المكلفين مخلى بينهم
بين فعل الايمان والكفر وانهم قادرون على ذلك متمكنون منه
فلو كانوا مجبرين عليه وخلق فيهم الكفر والايمان لم يكن لقوله جل وعلا

فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر معنى ولم يكن لتوعدهم بالنار
اذا ظلموا وجه في الحكمة والله يتعالى عن ذلك فبطل اذا قالوا على صحة
تاويلنا لقوله اغفلنا ومعنى الاية ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه واله
ان يقول لهم ان القران المنزل عليه حق لانه يدل على ما هو حق وعلى ما هو
باطل وقامت الحجة على العباد بقوله فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر وليس
بمعنى التخيير بين فعل الكفر والايمان وانما ورد ذلك على وجه التهديد والزجر
لانه قادر ممكن من فعل الطاعة والمعصية ولا خلاف بين الامة في ان الله
تعالى لا يامر بالكفر والمعصية وانما جا اللفظ على صيغة الامر للمبالغة في
التهديد وهو موجود في العرف وتقديره كانه مامور بما يوجب اهانته واذلاله
ومعنى اعتدنا للظالمين نارا ه يدل قوله هذا على ان قوله فمن شا فليؤمن
ومن شا فليكفر ليس بتخيير وقوله جل اسمه احاط بهم سرادقها قيل
معناه احاط بهم دخانها ولهبها فشبه ذلك بالسرادق والحائل
من الابصار وزويتها المار زاه وقيل احاط بهم سرادقها وصولها
اليها وهو كما قال في موضع اخر انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب
لا ظليل ولا يغني من اللهب ه والاصل في ذلك سرادق الفسطاط
وقيل السرادق ثوب يدار حول الفسطاط وقيل سرادقها
حايط من نار تحيط بهم وقوله جل اسمه وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
قيل معناه واذا استغاثوا من حر النار بالماء اغيثوا بما المهل والمهل
قيل هو
كل شي اذيب ه وقيل هو القيح والدم ه وقيل كل شي كدردي
الزيت وقيل هو الذي قد انتهى حره وكانهم يغلبهم العطش فجعلوا يسقون
المهل وقوله جل اسمه يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا
معناه ان ذلك الماء اذا اصابه قرب من افواههم شوى وجوههم وانضج

لهم حب وجهه ثم بين تعالى ان المهل بئس الشراب وان النار بئست
مجلسا لاهلها واصل المرتفق المتكا والمرفق وقد قال ابو ذويب
نام الخلي وبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح ه
وقيل المرتفق الرحوم وقال بعض المفسرين مرتفقا مجتمعا كانه ذهب
الى معنى مرافقة وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا ه قوله اولئك يعقوبه الى خبر قال بعض النحويين خبره اولئك
لهم جنات عدن وقوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا ~~موقع المضمر~~
اعتراضا بين الاسم والخبر وقال غيره الخبر قوله انا لا نضيع اجر من احسن
عملا فوقع المظهر موقع المضمر ه وقيل هو البدل فلا يحتاج الى خبر
قال الشاعر ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم ه
وقوله جل اسمه اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار ه
معناه هولاء الذين امنوا وعملوا الصالحات يثيبهم الله جنات تجري من
تحت سكانها الانهار ه والعدن الاقامة فهم يكونون مقيمين فيها ه وقيل
العدن اسم من اسماء الجنة وقوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ه الاساور
زينة تلبس في الزند من اليد وهو من زينة الملوك والتاج على الرؤس وقيل الاساور
هي جمع اسوار على حذف الزيادة لان اصله اساوره وقيل جمع السوار واسورة
جمع السوار ويقال بكسر السين وضمها وقوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا
من سندس واستبرق قيل السندس هو ما رق من الديباج ه وقيل هو الحرير
قال الشاعر تراهن يلبسن المشاعر مرة واستبرق الديباج طورا لباسها ه
وقوله تعالى متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ه الارائك السرر
في الحجال واحدها اريكة وقيل الارائك الفراش من الحجال بين الله تعالى
حال المومن في الجنة بما وصف في الاية انهم يكونون في جنات عدن وعليهم

اساور من ذهب ويتكؤن على رؤسهم ولباسهم الديباج والحرير وهم
يكونون على سرر في الحجال ثم قال هذه الجنات ونعيمها نعم الثواب
للمومنين وحسنت مرتفقا قد مر بيان المرتفق في الاية التي قبلها
وقوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ه ضرب الله تعالى رجلين وجعل مثلهما
وجزاهما عظة للناس وامر نبيه صلى الله عليه وآله بعدما جعلهما مثلا على الناس وقوله
حسن ان ذكر بساتين فيها نخل واعناب وزروع محفوفة بالنخل وهذا
من احسن ما يكون من البساتين والجنة في اللغة البستان ذات الزهرة
والاشجار وقوله تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا ه
معناه الجنتان اللتان ملكناهما احد الرجلين وهو معنى قوله اخرجنا ثمارها
على التمام ولم ينقص منه شيئا وهو معنى قوله ولم تظلم منه شيئا والاكل هو ما
يوكل من الحب والثمار واصل الظلم في اللغة النقص قال الشاعر ه ه
تظلمني حقي كذا ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالب ه وقيل انما
قال اتت على لفظ التوحيد بعد لفظ كلتي ولم يقل اتتا لا انه موحد
كل في مخرج التوحيد وقال الشاعر في مثله وكلتاهما
قد خط لي في صحيفتي فلا العيش اهواه ولا الموت اروح ه ه
ولو قيل اتتا على الخبر لجاز وجاز كلتا الحسن لم يجز في الاية
سار لان الاسم على التثنية في قولك اثنان واثنتان والالف في
ذلك للتثنية وليس كذلك الالف في كلتا لان الالف في كلتا ليست
الف التثنية وانما وضع كلي وكلتا للتاكيد التثنية وهو من لفظ كل
الموضوع لتاكيد الجمع الا ان كل لعمومه وكلي وكلتي لخصوص وجاز كلتي
الجنتين لم يجز كلي المراة لان بعض المراة ليس امراة كما ان بعض

الجنتين جنة فكانه قيل كل جنة من جملتهما اتت **وقوله تعالى** وفجرنا
خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر
منك مالا واعز نفرا ۵ معناه وفجرنا خلال الجنتين نهرا جاريا
وكان للنخل التي في ذلك البستان ثمر وقيل ثمر ذهب وفضة
وقيل المراد به صنوف الاموال وكانه قيل وللرجل الذي ملك البستانين
ثمر وهو صنوف الاموال ورجعت الكناية اليه ۵ ثم بين تعالى ان
صاحب الجنتين قال لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز عشيرة
وانصارا والنفر من كان ينفر معه من اهليه ومن سائر الناس
اذا احتاج اليهم ۵ وفي هذا بيان ان صاحب الجنتين لم يشكر
الله على ما انعم عليه ولم يتواضع له وجعل مكان الشكر والتواضع
الاستطالة على صاحبه والايات التي تتلوها تدل على ذلك
ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن
الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا ۵ ففي
الاية بيان ان الرجل دخل بستانه وهو ظالم لنفسه قال ما اظن
ان هذه الجنة التي ملكتها وما اظن الساعة تقوم فانكر الفناء والبعث
اعتقادا او شكا ومع ذلك طمع فيما هو خير مما اعطي دل عليه ما بعد
هذا وهو قوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا هذه
حكاية قول صاحب البستان والمنقلب المرجع والمعاد والاقرب انه
شاكا في البعث لا منكرا له على القطع لما [illegible] ضمن الاية ۵ ولو رددت
الى ربي كما ادعى من رجوعي فان لي عند الله ما هو خير مما في يدي وكان ذلك
ما سولته له نفسه وان كان لا طمع لمثله فيه لانه كان كافرا بالله فكانه
قال ما اعطاني الله في الدنيا الا ولي عنده في الاخرة ما هو خير منه اذ كنت اهله

فدل ذلك على انه كان شاكا فيه **وقوله تعالى** قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك
رجلا ۵ اصل المحاورة المراجعة بالكلام في المخاطبة ۵ ومعناه
ان صاحبه الذي استطال عليه بقوله انا اكثر منك مالا وولدا قال
له اكفرت بالله الذي خلقك واباك من التراب اجمع ثم خلقك
بعده من نطفة ثم من علقة وجعل العلقة مضغة وجعل المضغة
عظاما وكسا العظام لحما ثم انشاك خلقا اخر وصيرك رجلا
سويا على الصورة التي انت عليها وقال له هذا القول على وجه الانكار
والذم والتوبيخ **وقوله جل اسمه** لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي
احدا ۵ معناه لما انكر على صاحبه كفره بربه عدل بكلامه الى
معرفته بربه اي الخالق البارئ المصور فكانه قال ان جحدت انت
معرفته فانا عرفته ولا اشرك
بربك فانا امنت به وان انكرته انت فانا عرفته ولا اشرك
به شيا وهو معنى قوله لكنا اقول هو الله ربي وتقديره في اللغة لكن
انا اقول هو الله ربي الا انه حذف الهمزة والقي حركتها على
الساكن الذي قبلها فالتقت النونان فادغمت احداهما في الاخرى
قال الشاعر وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن
اياك لا اقلي ۵ ومعناه لكن انا ۵ وسمعت بعض الثقات من
الادباء يحكي عن بعض ائمة اهل اللغة انه قال جاء في اللغة لكنا بمعنى
لكن ۵ وقال علي بن عيسى النحوي صاحب التفسير يجوز في اللغة في
لكن هو الله اربعة اوجه الاول لكن هو الله بالتشديد من غير
الف في الوصل والوقف ۵ والثالث لكنا
بالف في الوصل ۵ والثاني بالالف في الوصل والوقف ۵ والثالث لكنا
باظهار نونين وطرح الهمزة ۵ والرابع لكن هو الله بالتخفيف ۵

والحسن لكنا على الاصل وفي الكشاف العرب يقول انا
معنى انى قائم وهو نظير لكن هو الله ربي وقوله جل اسمه ولولا اذ
دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل
منك مالا وولدا ٥ معناه ان صاحبه الذى تقدم ذكره قال له
ايضا هلا اذ دخلت جنتك ووجدتها على احسن العادة شكرت
الله ربك وقلت ما شاء في تدبير عباده كان لا قوة للعباد الا
بالله ولا معين لهم عليه غير الله لتكون في ذلك شكرا لله ربك
وطاعة وتكون ذلك لطفا في بقاء مالك وحفظه له وقوله تعلى ان ترن
انا اقل منك مالا ٥ ابتدا الكلام ثانيا فقال له وانت ان كنت ترى
انا اقل منك وولدا فاني مومن بالله متوكل عليه راج لنعمته
ولعطايه وقوله تعلى فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك ٥
اى يعطيني خيرا اما اعطاك ويعطيني جنة خيرا من جنتك
في الاخرة والدنيا وقوله تعلى ويرسل عليها حسبانا من السما
فتصبح صعيدا زلقا ٥ الحسبان اصله السهام التى ترمى بمجرى
في طلق واحد وكان من رمي الاساورة والحسبان هي
المرامي الكثيرة لكثرة الحساب ومعنى الاية ويرسل على
جنتك نارا او عذابا من السما فتصبح تلك الجنة كالصعيد
وهو الارض المستوية التى لا نبات فيها واذا اصابها المطر
زلقت عنها اقدام الناس وهو معنى قوله صعيدا زلقا ٥
وموضع ما من قوله ما شاء الله انتصب على انه جزا تقديره ما
شا الله كان الا انه حذف كما حذف في فان استطعت ان
تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما ٥ وقيل هو رفع على تقديره هو

ما شاء الله فيكون ما بمعنى الذى ٥ وقيل ضرب هذا المثل لسلمان
الفارسي وخباب وصهيب مع اشراف قريش وقوله جل اسمه
او يصبح ماوها غورا فلن تستطيع له طلبا ٥ الغور الذهاب
في الباطن يقال غار الما يغور اذا ذهب من وجه الارض الى باطنها
ومعناه او يصبح ما هذه الجنة غائرا ولا تستطيع له طلبا فوقع
المصدر موقع الصفة فلذلك لا يثنى ولا يجمع ويجوز وضع المصدر
موضع الصفة للمبالغة قال الشاعر تظل جياده نوحا عليه
مقلدة اعنتها صفونا ٥ اى نائحات وقوله جل اسمه واحيط بثمره
فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ٥ معناه
واتى الله نقمة من نقماته على تلك الجنة فتلف جميع ما فيها فاحاطت
النقمة بها كما يحيط العدو بالقوم وصار صاحب الجنة يقلب
كفيه اى يديه على تلك الجنة وقد سقطت سقوفها وسقطت
حيطانها على سقوفها وسقط ما غرس من الاشجار وسقطت
الاشجار على ذلك حتى صارت خالية من اشجارها وثمارها وهو معنى
قوله خاوية وقيل خاوية على ~~عروشها~~ سوتها والعروش الابنية
ومعناه ذهب شجرها وبناها وبقيت جدرانها لا خير فيها ٥
وقيل العروش السقوف وقوله تعلى ويقول يا ليتني لم اشرك بربي
احدا ٥ معناه وقد ندم على شركه وكفره بربه وقوله تعلى
ولم تكن له فية ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ٥ معناه
ولم يكن له ناصرون يدفعون عذاب الله عنه يوم النقمة والفية
الجماعة خلا عن الجيران وعن الناصرين والعزيز لهم ولم يكن
ممتنعا عما نزل به من النقمة والعذاب وهو قوله منتصرا وقوله تعلى

هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا ٥ الولاية هاهنا
العبادة واتخاذ المولى الها معبودا وثوابه عاقبة عبادته ٥
ومعنى الاية هنالك تبين صاحب الجنة ان العبادة والولاية الذي
هي حق لله لا لغيره وثواب عبادته خير من عاقبة ثواب عبادة
لغيره ٥ وقيل في ذلك الموطن الولاية بالنصرة والاعزاز لله تعالى لا يملكها
احد من العباد بعمل الفساد كما قد يكون في دار الدنيا على طريق الاختيار
ولصحيح الجزاء عنها وقيل هو خير جزاء على الامن وعاقبة ما يدعو اليه
قوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ٥ تعا
ذرت الريح التراب اذا سفت به والهشيم النبات اليابس وهذا مثل
ضربه الله ٥ ووجه ضرب المثل للدنيا التزهيد فيها لئلا يركن اليها
ويطمان بها فقال مثل الحيوة الدنيا كما ينزله الله من السماء الى الارض فيخرج
النبات من الارض بما يروق حسنه ويعجب ثم يعود هشيما يابسا
تحت سفه الرياح فبين ان اعلاق الدنيا كاعلاق هذا النبات ٥ وبين
ان الله تعالى قادر على كل شيء وقاهر له وهو معنى قوله مقتدرا ٥
وقيل مقتدرا بعونه وقيل بقوته وقيل هو اخبار عن الماضي ودلالة
على المستقبل قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ٥ معناه
الاموال والبنون في الدنيا ما تزين به اهلها الا ان الدنيا وما فيها
لا يدوم لسرعة زوالها قوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا وخير املا ٥ معناه الاعمال الصالحات والطاعات المرضية
الجالبة للثواب الدائم خير لان ثوابها يبقى ابدا فهو خير من نعيم منقطع
زايل وهذه الاية تاكيد الاولى في باب التزهيد في الدنيا والاستدعا

الى فعل ما يحرز النفع الدائم والثواب الباقي الذي لا انقطاع له ولا زوال
قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم
فلم نغادر منهم احدا ٥ التسيير هو تطويل السير يقال سيره
وقد يكون ان يجعل الشيء يسير فعلى هذا تسير الجبال عن وجه
الارض فيكون الارض بسيرا وقيل تسيرها ان يجعلها هباء منثورا
ثم يعدمها بعد ذلك ٥ وقيل تسير الجبال سير السحاب فصور ذلك من
الاعتبار به في دار الدنيا ٥ ومعنى وترى الارض بارزة ظاهرة لا شيء
يسترها نحشر الناس هاهنا كي يكون كلهم في صعيد واحد ترى
بعضهم بعضا وكل ما ذكر فهو اخبار عن شدة هول القيمة وفيه
استدعا لطيف الى الاستعداد لها واخبر تعالى انه يحشر الخلق
جميعا ولا يترك احدا الا حشره ٥ وروي عن رسول الله صلى الله
انه قال يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة عزلا وروي عراة غ
حفاة بهما وروي ان عائشة قالت لما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه
يا رسول الله انها الفضيحة اذ يحشرون يومئذ فقال صلى الله عليه واله
لكل امرئ يومئذ منهم شان يغنيه ٥ ومعناه انه مشغول بنفسه
لا يفرغ الى غيره قوله تعالى وعرضوا على ربك صفا ٥ معناه ان
الخلق يعرضون على الله للحساب وهم صفوف يقفون صفا
بعد صف كما يصطفون للصلوة حول الكعبة قوله تعالى لقد جئتمونا
كما خلقناكم اول مرة ٥ معناه حشرتم الينا على نحو ما حشر الناس
حين خلقناكم وكما لم يكن لكم ولا اخر الكم في الاول مال كثيرا
كذلك في هذا الوقت لا مال لكم غيرنا قوله تعالى بل زعمتم ان
لن نجعل لكم موعدا ٥ معنى هذا التبكيت للكفار الذين انكروا

البعث بهذا القول وتقريع لهم به والموعد ههنا هو ما اخبر
الله على ألسنة انبيائه عليهم السلام انه يبعث الخلق
ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ه معناه
انه يوضع الكتاب الذي فيه اعمال العباد للمحاسبة ه وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال تتطاير الصحف من فوق
رؤوسهم فيعطى المؤمن بيمينه والكافر بشماله ه وروي في خبر آخر
يسل يده من صدره فيعطى من وراء ظهره وهو قول الله تعالى واما
من اوتي كتابه من وراء ظهره ه وبين تعالى ان المجرمين يكونون على وجل
وخوف مما في الكتاب لما قد حفظوه من سيئات اعمالهم
فيدعون على انفسهم ويصيحون بالويل والثبور وكلما قد عملوه
من صغير الذنب وكبيره يكون شيئا مكتوبا في ذلك الكتاب من غير ان
يترك منه شيء ووجدوا الكتاب شاهدا عليهم ووجدوا جزاء ما عملوا
حاضرا ه وبين تعالى انه لا يظلم احدا فيما حكم به وهو قوله تعالى ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا قوله جل اسمه واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ه معنى فسق عن
امر ربه خرج عن طاعته تعالى فسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت ه
قوله جل اسمه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ه
الالف في قوله افتتخذونه الف انكار وتوبيخ على معنى افتطيعون ابليس
واولاده بان تتخذوهم اولياء من دوني وهم عدو لكم يدعونكم الى النار والله
يدعوكم الى الجنة والمغفرة ه وبين ان اتباعهم امر ابليس بدلا من اتباع امر الله
بئس بدلا لهم ودلت الآية على ان ابليس لعنه الله لم يكن من جملة الملائكة عليهم السلام بقوله

انه لا من الملائكة كان قوله جل اسمه ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ه قال بعض العلماء
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال الحجة التي تكشف حيرة الشبهة
وكانه قيل لهم قد اقبلتم على اتباع ابليس وذريته حتى كان عندهم علما
يحتاجون اليه ولو اشهدتهم خلق السموات والارض وخلق انفسهم فلم يخف عليهم
باطن الامور وظاهرها ولم يزيدوا على ما انتم عليه من امر هؤلاء وقيل ما اشهدتهم
ذلك مستعينا بهم ه وقيل ما اشهدتهم خلق انفسهم ولا انه لم تشهد بعضهم
خلق بعض كما لم يشهدوا خلق السموات والارض ه وبين تعالى ان لم يهتد
الى نفع نفسه بان يختار الضلال على الهدى لا يجوز ان يتخذه الله
عضدا ومعينا على خلقه وتدبيره فهو على المهتدي والمضل الا انهم
خصوا بالذكر لانهم في العقول اولى ان يتخذوا اعوانا واعضادا ه معنى
عضدا اعوانا ه لانه تعالى اعتضده اذا استعان به ه وروي ان امير
المؤمنين عليا عليه السلام قيل له في وقت الفتنة التي هيجها معاوية لو احببته ان
تعضد ما يلمس لعل يسكن هذه الفتنة فاعرض عن القائل وتلا قوله وما
كنت متخذ المضلين عضدا قوله جل اسمه ويوم يقول نادوا شركائي الذين
زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ه الموبق المهلك
قال الكسائي وبق يوبق وبقا اذا هلك وقال الزجاج وبق يبق وبقا ه وقيل
الموبق الموعد ه وقيل عداوة كاينة وقيل عذاب ومهلكة ه وقيل الموبق واد
في جهنم من قيح ودم ه ومعنى الآية انه تعالى يقول للمشركين يوم القيامة على جهة
التقريع والتوبيخ لما فعلوه من اتخاذ الشركاء ادعوا شركاءكم ليشفعوا لكم
كما زعمتم ه ومعنى فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ان شركاءهم ضلوا عنهم وخاب
ظنهم فيهم فلم يشفعوا وجعل الله بين المشركين والشركاء مهلكا حال القطع بينهم في

الشركا لا اشتراكهم فيه قوله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا
أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ه الظن هاهنا معنى العلم والمواقعة
ملابسة الشي بشدة ومنه وقايع الحرب ه والمصرف المعدل ومعنى
الآية أن المجرمين إذا رأوا جهنم يوم القيمة علموا أنفسهم داخلوها
وأنه لا معدل لهم عنها قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من
كل مثل وكان الإنسان أكثر شي جدلا ه أصل الجدل في اللغة شدة الفتل
يقال شي مجدول إذا كان شديد الفتل والجدل في الكلام شدة
البحث عن المذهب بطريقة الحجاج ومعنى الآية أن الله تعالى بين أو صرف
الآيات في القرآن على وجه المثل وغير المثل ليتذكرها الناس وينتفعوا
بها وأن كان الإنسان كثير الجدل وقد بين نظير هذه الآية في السورة التي
يذكر فيها بنو إسرائيل ودلت الآية على حمد المناظرة في باب الدين لأن الأنبيا
عليهم السلم قد جودلوا وهم جادلوا أممهم والمناظرة إنما تجري بين الاثنين
فبطل بذلك قول نوابت المشبهة والقدرية المجبرة في إنكارهم المناظرة
قوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم
إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا ه المراد بالهدى هاهنا القرآن
وما أتى به النبي صلى الله عليه وآله ه ومعنى الآية وما منع الناس أن يؤمنوا
أو يستغفروا ربهم إلا أنا بينا أن تأتيهم سنة الأولين أي سنة الله تعالى في الأولين
من أمثالهم الذين كفروا بالله ورسوله والذي يأتيهم هو عذاب الاستيصال
أو العذاب بالقتل والحرب وهو معنى قوله أو يأتيهم العذاب قبلا لأن المحارب
والمقاتل يقابل من حاربه ويقاتله وتقدير هذا الكلام كأنه قيل ما
منعهم إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين في مجي العذاب من حيث لا يشعرون
أو في مقابلة من جانب يؤمنه فهم في امتناعهم من الإيمان بمنزلة من يطلب

هذا العذاب حتى يومن كثيرها لأنهم لا يومنون حتى يروا العذاب
الأليم وهذا كقول القايل لصاحبه ما يمنعك أن تعمل هذا إلا
أن يكلك الضرب قوله تعالى وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي
وما أنذروا هزوا ه معناه وما نرسل المرسلين عليهم السلم
إلا ليأمروهم بالبشارة للمطيعين بما أوجبه الله تعالى لهم من الثواب
والتخويف للعاصين بما أوجبه الله لهم من العذاب ومن أن الكافرين
يجادلون الرسل والمومنين بالباطل وغرضهم إبطال الحق الذي أتى به
الرسل ظنا منهم بأنهم يعيبونهم وأن كان الكافرون لا حجة لهم ولا
برهان وأنهم يستهزون بآيات الله التي أتى بها الرسل عليهم السلم
ويستخفون بإنذار الرسل إياهم جهلا وتمردا قوله تعالى ومن أظلم ممن
ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه ه معناه لا أحد
أظلم لنفسه ممن تكون هذه حاله والمراد بآيات الله هاهنا القرآن
ومعنى ونسي ما قدمت يداه غفل عن العقاب الذي يستحقه على ما فعله
من الكفر والمعاصي قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه
وفي آذانهم وقرا ه ذكر الله تعالى على وجه المثل شبه حالهم في إعراضهم
عن القرآن وفهم ما بين الله تعالى فيه مع سلامة أحوالهم في توفر الآلات
لهم بمن على قلبه كن وغطا وفي أذنيه ثقل وصمم يمنعه عن الفهم والسمع
ويدلك على صحة هذا أنهم موبخون ملومون على إعراضهم عن الآيات التي
ذكروها ولو كانوا ممنوعين من جهة الله غير متمكنين من فعل ما
دُعوا على تركه لكان توبيخهم ذمهم لهم سفها وعبثا والله تعالى
عنه ه والأكنة والأكنان الأغطية له والوقر الثقل في الأذن والذي يوكد

هذا التاويل قوله تعلى في السورة التي يذكر فيها القمر واذا تتلى عليه اياتنا ولى
مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا الاية وقوله تعلى وان تدعوهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا ٥ هذا تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم
عن ايمان القوم الذين اشار اليهم وهم قوم مخصوصون وهذا مثل ما قال في
اولئك الذين اشار اليهم بقوله ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم لا يؤمنون بين الله تعلى في هذه الاية حال هولا كما بين في تلك الاية
حال اولئك ٥ معناه الا انهم لا يؤمنون ابدا بما تدعوهم اليه النبي صلى الله عليه
وقوله تعلى وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ٥ الموئل المنجا يقال وال اليه يال اذا
جا اليه والغفور كثير المغفرة للعباد ٥ فوصف الله تعلى نفسه بانه كثير
المغفرة بانه ذو رحمة اي ونعمة على عباده وانه تعلى لا يعاجلهم بالعقوبة
وبين انه لو يؤاخذهم بمعاصيهم لعجل لهم العذاب عن انه جعل لهم ميقاتا
واجلا فاذا جا الوقت وانقضى ذلك الاجل اخذهم بما استحقوه من العذاب
واذا اخذهم لم يكن لهم مهرب ولا ملجا وقوله تعلى وتلك القرى اهلكناهم
لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ٥ الاشارة بقوله وتلك القرى الى
اهلك الله اهلها قبل بعثة محمد صلى الله عليه واله لما ظلموا انفسهم بارتكابهم
ما نهاهم الله تعلى عنه وتركهم ما اوجب الله عليهم فعله مثل قوم لوط
وعاد وثمود وقوم فرعون ٥ وبين الله تعلى انه لم يعاجلهم بالعقوبة لانه
املى لهم ودعاهم الى التوبة وبين لاهلاكهم وقتا وجا الوعد به فلما بلغوا
ذلك الوقت اخذهم بالعذاب وكذلك سنة الله فى امثالهم وقوله تعلى
واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا ٥ معناه
واذكر اذ قال موسى لفتاه لما في هذه القصة من العبرة لانه قصد سفرا

افقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا وفي قوله زكية ٥ معنى زاكية
طاهرة من الذنوب لانه روي ان الغلام لم يكن بلغ حد التكليف
قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ٥ نبه ثانيا على ما عرفه
اولا لما كان في فطنته منه ا... الصبر عليه ولم يكن ذلك توبيخا وانما
كان جاريا مجرى ما تعاتب الانبيا عليهم السلام وقوله تعلى قال ان سالتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ٥ معناه ان
موسى عليه السلام قال للعالم ان سالتك عن شيء بعد ذلك فاقطع
الصحبة بيني وبينك فانك قد بلغت العذر من قبلي وانا اعذرك في مفارقتك
ان عدت الى السوال ٥ وروي ان النبي صلى الله عليه واله تلا هذه
الاية فقال استحيى موسى من الله تعلى وقوله تعلى فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض فاقامه قال لو شئت لتخذت عليه اجرا ٥ يقال استطعمه اذا
سأله الطعام ومعناه انهما ذهبا حتى اتيا قرية ولم يكن معهما
طعام فاحتاجا اليه وسالوا اهل القرية الطعام على سبيل ما
يلتمسه الضيف اذا نزل باحد فابى اهل القرية ضيافتهما فوجدا
فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه ~~قال لو شئت لتخذت عليه اجرا~~
اي مائلا عن مقره يكاد يسقط فاقام العالم ذلك الجدار ورده الى
اعتداله حتى استوى واستقام وروي انه رفع الجدار بيده
فاستقام وكان ذلك معجزا والانقضاض السقوط بسرعة
ومعنى يريد هاهنا يقارب قال الشاعر يريد الرمح صدر ابي براء
ويرغب عن دما بني عقيل ٥ فحمل مثل الجدار ارادة ولما اقام
الجدار قال موسى عليه السلام لو شئت لاتخذت عليه اجرا على ما فعلناه اجرة وقوله تعلى

قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه
صبرا قيل معناه هذا الذي قلت فراق بيني وبينك وقيل
هذا الوقت فراق بيني وبينك وقال له أخبرك بتأويل ما لم
تستطع عليه الصبر ~~قيل معناه~~ من أفعالي وهذا الذي حكى الله
تعالى عن موسى والعالم من أعجب الأشياء فتأمل كان موسى لقلة
صبره ومعاودته إلى ما نهاه عنه مرة بعد أخرى لما أن أمر العالم
إذا لم يصبر معه وقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة
غصبا قد يكون هذا المعنى خلف وأمام وها هنا معنى أمام وقدام
وقيل المراد بقوله وراءهم ها هنا خلفهم لأن رجوعهم كان على
ذلك الملك ولم يعلم أصحابه بحال هؤلاء وكان ذلك الملك يأخذ السفينة
إذا كانت صحيحة سليمة من العيوب ويترك التي بها عيب فبين
له أنه إنما خرق السفينة لتصير ذا عيب فلا يأخذها الملك
ويقع في يدي أربابها وكانوا مساكين ليس لهم معاش إلا من تلك السفينة
وقوله تعالى وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما
طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب
رحما وقيل معنى خشينا ها هنا كرهنا وقيل قوله من قول
العالم والرحم القرابة وقيل رحما ورحم واحد والإرهاق
والإلحاق والإغشاء واحد ومعنى الآية أن العالم عليه السلام
بين العذر في قتله لذلك الغلام بأن قال له والداه مؤمنان
وكان في معلوم الله أنه إن بقي هذا الغلام أكثر إبقاه
كفر أبواه ويصير إبقاؤه مفسدة لأبويه والله لا يجوز في

حكمته أن يفعل ما هو مفسدة لأنه علم أن الأبوين وإن كانا
قادرين على الكفر فإنهما لا يكفران إلا عند بقاء الولد وليس كذلك
إبقاء من يعلم الله أنه يكفر وكذلك خلق من علم أنه يكفر وبلغه
لأنه إذا أخره وأبقاه لم يفعل ما يعلم أنه يفسد غيره بل ما يصلح
غيره لأنه لا يجوز أن يصلح ويؤمن عند ما شاهده وإذا لم يخلقه
يفارق ما هو مفسدة لأنه لا يستفسد بخلقه إياه وإبقائه يمكنه
لأن الشيء إنما يكون مفسدة إذا كان العبد مع قدرته على الشيء لا يفعله
إلا عند أمر آخر فإذا لم يكن باقيا ممكنا لم يكن آخرا ولا شأني في هذا
ما أتى في الغلام وأبويه وهذا السؤال يوجب أن يحول الله بين
العبد والمعصية ولو وجب في العقل هذا لوجب أن يعلمه كل عاقل ولو كان
كذلك لما استحق أحد بالإيمان وترك الكفر مدحا ولا ثوابا ولما كان
إبقاء الغلام مفسدة لأبويه وكانا يكفران بسببه فأمر الله تعالى
العالم بقتله لئلا يلحق أبويه ما حكى الله تعالى وأن يبدل الأبوين ما
هو خير منه وأقرب رحما معناه أبر بوالديه وقيل وأقرب أن يرحماه
ومن العلماء من قال إن ذلك العالم كان الخضر عليه السلام وسمي خضرا
لأنه إذا صلى في موضع اخضر ما حوله ولا يجوز أن يكون إلا نبيا لأنه
لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وقوله تعالى وأما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك
أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن
أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا معناه ذلك الجدار
الذي أقمته كان لغلامين يتيمين كان تحت الجدار كنز لهما وأبوهما
كان صالحا فأراد الله أن يبلغا مبلغ الرجال ويكملا العقل ويستخرجا

ذا الكنز

كنزهما من تحت الجدار وكان ذلك الكنز من الله تعالى عليهما وانا
لم افعل شيا ما رايته مني من ذات نفسي وانما فعلته بامر الله تعالى
وهذا الذي ذكرته لك هو تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ه وقيل في
ذلك الكنز وجوه ثلثه احدها انه كان صحف علم وقيل كان لوحا
من ذهب وقيل كان كنز المال ويقوله جل اسمه ويسئلونك عن ذي القرنين
قل ساتلوا عليكم منه ذكرا ه معناه ان القوم يسئلونك عن ذي القرنين
فقل لهم اتلوا عليكم ذكره اذا اوحى الله به ه وقيل سمي ذا القرنين
لان في ذابته قرنين ه وقيل لانه ضرب على جانبي ذابته ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام وانك لذو قرنيها يعني هذه الامة
وقيل سمي ذا القرنين انه كان له ظفيرتان ه وقيل سمي انه بلغ قطري
الارض من المشرق والمغرب ويقوله جل اسمه انا مكنا له في الارض واتيناه من
كل شي سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
في عين حمئة ووجد عندها قوما ه معناه اتينا ذا القرنين من كل
شي علما يتسبب الى ما يريده فاتبع سببا يعني طرقا ما بين المشرق
والمغرب ه وقيل واتيناه من كل شي سببا يستعين به على الملوك
وفتح الفتوح ه وقيل الاعداء في الحرب وكان له سبب يمكنه الاستعانة
به فيعينه الملوك والكتائب فاتبع سببا يعني طريقا الى الاعداء
وفتح الفتوح حتى سار وبلغ موضعا لم يبلغه احد من الناس ووجد
الشمس كانها تغرب بعينها لا يبلغ طرف الراي ما وراءها كان من
كان في البحر لا يرى الشط ويرى الشمس كانها تغرب في البحر
ومن المفسرين من حمل الاية على حقيقة ظاهرها وقال غربت الشمس في
عين حمئة ذات حماة يقال حمات البير اذا صارت ذات حماة وحامية اي حارة

حماة ومن قرا حامية ان اراد حارة فوجد ذو القرنين عند مغرب
الشمس قوما كفارا ويقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
واما ان تتخذ فيهم حسنا ه معناه خير الله ذا القرنين بين ان
تعذبهم او يعفو عنهم ويستصلحهم وهو معنى قوله ان تعذب فيهم
حسنا ان ياسرهم وتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمى
قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ه معناه
من كفر وظلم نفسه بالكفر فسوف نعذبه بقتلهم ويعذبه الله في الاخرة
عذابا نكرا اي منكرا استنكره الناس ه وقيل انه عظيم ما ينكره الناس
بالطبع والعقل ويقوله جل اسمه واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول
له من امرنا يسرا ه معناه من امن بالله فسنامره من طاعة الله ما يكون
يسهل عليه يسيرا مع انا نحسن اليه ويقوله جل اسمه حتى اذا بلغ
مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ه
مطلع الشمس هو الموضع الذي تطلع الشمس منه وذلك الموضع ليس
وراه احد من الناس ومعنى الاية ثم اتبع سببا لمجاوزته اعداء الله
حتى بلغ مطلع الشمس ه وروي انه لم يكن في تلك الناحية الارض جبل ولا
شجر ولا بناء في ما كان ارضهم بيت سبا وكانوا اذا طلعت الشمس
يغوصون في المياه ويسربون في الاسراب فلهذا قال لم نجعل لهم من
دونها سترا واذا غربت الشمس خرجوا من السرب والمياه وتصرفوا
في الامور والاشغال ويقوله جل اسمه كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ه
اي كذلك علمنا القوم وعلمنا ذا القرنين وقيل بعد بيه وكذلك اتبع سببا
الى مطلع الشمس كما اتبع الى مغرب الشمس ويقوله تعالى ثم اتبع سببا
حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا

قيل السدان جبلان وقيل السُّد بالضم من فعل الله والسَّد بالفتح من
فعل الآدميين وقال الكسائي هما لغتان بمعنى ه ومعنى الآية ثم
اتبع ذو القرنين طريقا ومسلكا حتى بلغ بين السدين فوجد عندهما
قوما لا يفقهون ما تتكلمون به الا بعد بطوء وقالوا اما حكى
الله تعالى عنهم اما بترجمة واما باشارة كالحكاية وقوله جل اسمه قالوا
يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك
خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قيل ياجوج وماجوج هما
من احد الناس ولو صح هذا لانصرف وهو لا ينصرف [?]
ان ياجوج وماجوج معا وعاد وعاد [?] اسماء ه فلم ينصرفه
وقيل ياجوج وماجوج من بني ادم ويقال انهم من ولد يافث بن نوح ويقال
الترك واهل الصين من ولد يافث ايضا غير ان ياجوج وماجوج اعتزلوا
في ذلك الموضع فساعدوا من الناس لكثرة فسادهم وصعب على الناس
مجاوزتهم ومقاربتهم وسار ذو القرنين حتى بلغ بين السدين فوجد
قوما لا يفقهون قولا اي ما يتكلمون به الا بعد بطوء فقالوا اما حكى الله
عنهم اما بترجمة مترجم واما باشارة فقالوا الخرج من اموالنا خراجا لتجعل
بيننا وبين ياجوج وماجوج سدا وكان ياجوج وماجوج [?] السدين
ولم يكن لهم سبيل الى مجاوزة الجبلين لارتفاعهما وكان مسلكهم
انقطاع الجبلين كانوا يخرجون منه وهذا معنى قوله قالوا يا ذا القرنين
ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا
وبينهم سدا ه وقيل الخرج المصدر لما خرج من المال والخراج
الاسم لما خرج من الارض وغيره ه وقوله جل اسمه قال ما مكني فيه ربي
خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما ه معناه قال لهم ذو

القرنين ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم
وبينهم ردما الله من المال فاعينوني بانفسكم ه وقيل برجال
اقويا اجعل بينكم سدا حاجزا وهو معنى الردم وقيل الردم السد
المتراكب بعضه على بعض ه وقيل الخراج الغلة والخرج [?]
وقوله جل اسمه اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين ه
الزبر قطع الحديد واحدها زبرة واصل الزبرة الجملة المجتمعة من [?]
والشعر وغيرهما والصدفان جبلان ومعناه اجعل زبر الحديد بين
قرني الجبلين حتى وازى بهما وسواهما وفي الصدفين ثلث لغات ضم الصاد
والدال وفتحهما وضم الصاد وتسكين الدال قال الراجز قد اخذت ما بين
عرض الصدفين ناحيتيها واعالي الركنين ه وقوله جل اسمه قال انفخوا حتى
اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما
استطاعوا له نقبا ه القطر النحاس وقيل هو الحديد المذاب رواه ابو عبيدة
قال الشاعر حساما كلون الملح صاف حديده جراز امن اقطار الحديد [?]
وجعله يعصمهم الرصاص ه ومعنى الاية ان ذا القرنين قال لهم انفخوا
على النار بعد ما اشد بين الجبلين بزبر الحديد ودعا بالنحاس فاذابه عليه
حتى صار حائطا من حديد كالمصمت فما استطاع ياجوج وماجوج ان يعلوه ولم
يستطيعوا ان يجعلوا له نقبا في اسفله وفي اسطاع ثلاث لغات اسطاع
يسطيع ه واسطاع يسطيع بحذف التاء واستاع يستيع بحذف الطاء
واصل اسطاع اطاع يطيع فجعلوا السين عوضا من حركة العين
الذاهبة وقوله جل اسمه قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله
دكا وكان وعد ربي حقا ه معناه ان ذا القرنين قال هذا السد
رحمة من ربي اي نعمة فاذا جاء اشراط الساعة جعله الله دكا مستويا بالارض

وهذا اللفظ ماخوذ من قولهم دابة دكا لا سنام لها
يكون بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال وفي رواية عبد الله بن مسعود
وفي رواية لا بد من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يكون بعد قتل المهدي
عليه السلم للدجال لانهم رووا ان قائم ال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل
السفياني ولا يقاتل الدجال احدا ويكون ذلك قبل اشراط الساعة
وعلى هذا القول وعد الله هو وقت خروج قائم ال رسول الله صلى الله عليه
وعلى القول الاول هو وعد القيامة وانما كان فوعد الله حق وان لا محالة
وورد في الروايات ان هذا السد هو ورا بحر الروم من جبلين هناك
ويلي موخرها البحر المحيط وطول ارتفاع السد في الهوا قدر مائتي ذراع
والذي حد السد المصمت وعرضه مقدار خمسين ذراعا وعلى السد
على الباب اقفال عظام وفي ذلك الموضع قوم من الناس فاذا احسوا من خروج
وما خرج حركوا حلقة الباب فيبدقون بمن وراه وروي ان بعض الملوك
بعث واحدا ليعرف حال السد فذهب الى ان بلغه ووقف عليه ولما اراد
الانصراف صار من البرد الى سمن فعند ثم صار الى الملك الذي وجهه
وقوله جل اسمه وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم
جمعا الترك ضد الاخذ والترك على الحقيقة لا يجوز على الله تعالى
فجعل الله ضد نفسه انا هم تركا وتوسعا ومجازا والموج اضطراب
اخر الماء براكب بعضها بعضا فشبهه حال هولاء في اختلاطهم بموج الماء
واضطرابه وهذا يكون قرب النفخة الاولى فاذا نفخ في الصور هلكوا والصور
قرن ينفخ فيه وروي انه ينفخ فيه ثلث نفخات الاولى نفخة الفزع الثانية
نفخة الصعقة الثالثة نفخة القيام لرب العالمين وهو قوله ونفخ في
الصور فجمعناهم جمعا وروي عن الحسن انه قال الصور